عبد الوهاب عبد السلام طويلة

مغالطات اليهود

وردها من واقع أسفارهم



دار القلم
دمشق

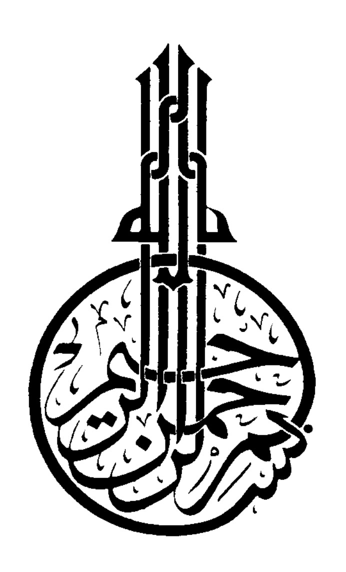
http://kotob.has.it



عبد الوهاب عبد السلام طويلة



http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

الإهـــداء

أقدِّم هذا الكتاب:

● إلى شرفاء بني إسرائيل ومُنْصفيهم الذين ينتسبون إلى يعقوب فإسحاق فإبراهيم ـ عليهم السلام ـ ونِعم النَّسَب هو، وأكرِم به من نسب، غير أنَّ النسبَ وحده لا يجدي صاحبه ما لم يكن معه إيمان وعمل وسموٌّ روحي وخُلقي، عسى أن يعيدوا النظر فيما تحتويه أسفارهم من ادِّعاءات ومغالطات، ويدركوا أنهم بشر مِمَّن خلق الله، فيبتعدوا عن الغرور الذي سبَّبه أحبارهم، ويعملوا مع غيرهم على نصح البشرية وجلب السعادة لها، فيشملهم قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. ويظفرون بسعادة الدنيا والآخرة.

● وإلى النصارى الذين ينتسبون إلى دين المسيح ـ عليه السلام ـ ويرون أناجيلهم امتداداً للعهد القديم، ويُسلِّمون بما في أسفار كتابهم المقدَّس من دعاوى، عسى أن يُقدِموا على دراستها بموضوعية وتمحيص، فيتحرَّوا فيها التوثيق أولاً ثم الحق والواقع فيما تحتويه، ليكونوا على بيِّنة من أمر دينهم.

● وإلى المسلمين الذين يؤمنون بجميع الأنبياء عامة، وبمن ورد ذكرهم في القرآن الكريم أو السنَّة الصحيحة السند خاصَّة، لتطمئن قلوبهم برسالة خاتم النبيين ﷺ العالمية، فإنَّ دين الأنبياء واحد في الأسس والأهداف، وإنَّ لكلِّ نبي شرعة ومنهاجاً يناسبان ظروف قومه وأحوالهم.

* * *

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

المقدّمه

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم زيَّنه بالعقل وأكرمه بالشرع. جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا على البرِّ والتقوى، لم يخلقهم عبثاً، ولم يَكِلهم إلى أنفسهم دون هداية أو رعاية يتخبَّطون، بل كان من حكمته ورحمته تعميم الخلق بالرسل، فبعث في كل أمة رسولاً يقيم حجته وينشر هداه، وأنزل عليهم كتباً وشرائع تزوِّدهم بسُبُل النجاة، فتُنُظِّم حياتهم وعبادتهم في الدنيا، وتهيئهم للظفر بالسعادة في الآخرة، وهم جميعاً يدعون إلى أسس مشتركة وأهداف واحدة، وإن اختلفوا في التفصيل وفي الفروع، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولا ريب أن الشرائع التي نزَّلها الله على أنبيائه فيها العدل والحكمة والرحمة، ولا سيما شريعة خاتم النبيين ﷺ ففيها تبيان لكل شيء يحتاج إليه البشر في الدنيا والآخرة، فهي تفرض قبل كل شيء إفراد الخالق بالعبادة، وتحضّ على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وتدعو إلى التراحم بين الناس، بل تأمر بالرفق حتى بالحيوان، وتجعل المفاضلة بين الناس بالتقوى والعمل الصالح، وتحل لهم الطيبات وتحرِّم عليهم الخبائث، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، غير أنَّ استجابة الناس للأنبياء تختلف، وثباتهم على الحق يتغيَّر، ولا سيما إذا طالت الفترة بين نبي وآخر، وكانت الكتب عرضة للتحريف بسبب ضياع الأصل، فإن الحقائق تُطمَس والعقيدة تتشوَّه، وتكثر الفِرَق والمذاهب، ويتمُّ الابتلاء. قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، ولذلك كان خيرَ الناسِ العقلاء والحكماء، وخيرَ الهدي هَدْي الأنبياء.

ولا ريب أنَّ كلَّ قوم بدينهم مُعجَبون، وبفرقتهم التي وُلدوا وشبُّوا فيها ثم

http://kotob.has.it

شابوا فرحون، والوصولُ إلى الحقّ في تلك الحالة واتّباعُه ومخالفةُ الباطل واجتنابه ليس بالأمر السهل، فغالباً ما تطغى العصبية والعنصرية على التفكير السليم، فينقلب الأمر إلى معاندة تعمي وتُصم، وكثيراً ما يُزين للإنسان سوء عمله فيراه حسناً، غير أنَّ ذلك ليس مستحيلاً، ولا في منتهى الصعوبة، فثمة قواعد وأصول للبحث والمحاكمة والتحقيق والتدقيق، يمكن للعاقل النزيه أن يتوصل بها إلى معرفة الحق والصواب إذا فكَّر بروية وموضوعية ودقّة، وسَلِم من الضغوط والمغريات، والأمثلة على ذلك كثيرة. فعلى الإنسان أن يتأمَّل في ذاته ومجتمعه ومبادئ دينه وأصول مذهبه ظاهراً وباطناً بتمحيص، سائلاً خالقه الهداية والتوفيق، لاجئاً إليه بإخلاص، ممعناً النظر بروية، وسوف يصل بإذن الله إلى الحق والصواب، وإنه ليسيرٌ على مَن يسَّره الله عليه.

إنَّ المقدَّسات الدينية ليست إرثاً قومياً مطلقاً لطائفة دون أخرى، بل إنما هي هبة ومنحة من الله تعالى، يهبها لمن يشاء من عباده الصالحين، فيصطفي ويجتبي ويتخذ من يستحق ذلك، وينتزعها متى شاء ممن فسد منهم، وحضارة الإنسان وفضله وامتيازه إنما تقاس بسموّه الروحي والخُلقي، وبما يقدّمه للبشرية من خير ونفع وهداية، ولا تُقاس بتقدّمه المادي وتنكّره لغيره ومَكْرِه به، والله سبحانه وتعالى قد اجتبى إبراهيم ـ عليه السلام ـ واصطفى من ذريته أنبياء كثيرين، منهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وهارون وموسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ـ عليهم السلام ـ وآخرهم وخاتمهم محمد ـ ﷺ ـ وهو من ذرية إسماعيل، وقد جعل رسالته عالمية، كما أنَّه سبحانه فضَّل بني إسرائيل على عالمي زمانهم، وأناط بقاء التفضيل بصلاحهم واتّباعهم الأنبياء وثباتهم على الحق إلى أن يأتي خاتم النبيين ـ ﷺ ـ فيتّبعونه ويكونون من أمته، وبذلك يجمعون بين الحُسنيين، وحذَّرهم من مخالفة ذلك وتوعَّدهم، غير أنَّ بني إسرائيل خالفوا ذلك مخالفةً كبيرة وكثيرة، فأتعبوا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ وتذمّروا عليهما، وارتدوا وقتلوا كثيراً من الأنبياء، فوقع الوعيد وتم العقاب، الذي حذَّرهم الله منه؛ فسُبُوا وشُرِّدوا في الأرض وأضاعوا أسفارهم المقدَّسة، ثم قام أحبارهم يجمعون الروايات الشفوية، فيضيفون وينقصون، ويحرفون الكَلِمَ عن مواضعه وفق أهوائهم متلاعبين بعقول العامة ومغررين بهم، فغالطوا في مسائل

http://kotob.has.it

كثيرة، وقلبوا الحقائق، ولبَّسوا على الناس، ولا سيما في مسألة الشعب المختار وأرض الميعاد والمسيح المنتظَر، وافتروا على الله فوصفوه بصفات الضعف والنقص، وافتروا على أنبيائه أيضاً، فاتَّهموهم بالجرائم الاجتماعية والخُلُقية وحتى بالجرائم ضد الإنسانية، فجعلوا منهم سفَّاحين مجرمي حرب، ليحملوا عامّة اليهود على قساوة القلب وكره غيرهم والإيقاع بهم، ولا شكَّ أنَّه لا زال في بعض أسفارهم شيء من بقايا الوحي، ومَن أنعم النظر في تلك الأسفار، وصبر على ركاكة العبارة، وجد فيها اضطراباً كبيراً واختلافاً كثيراً، ووجد فيها أيضاً مغالطات لَبَّس فيها الأحبار وقلبوا الحقائق، وهي مكشوفة لمن تأمَّل، وهذا ما توخّيتُه في هذا الكتاب وأردتُ التنبيه إليه، فأقدمتُ على تلك المغالطات دارساً ومحلِّلاً، وجعلتُ الردَّ والإجابة من واقع أسفارهم لتظهر المغالطة، ويتضح الاضطراب والتحريف في أسفار ليس لها سند متصل صحيح في نقل الرواية والأخبار، ولا يُعرف على وجه اليقين مَن كتبها ومتى كُتبت وأين كُتبت، وفي أية لغة كُتبت، ومَن المترجم، وما مقدار دقته وأمانته، وإنَّ الظنَّ لا يغني من الحق شيئاً، ولذلك: سمَّيته: **مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**، وجعلته قسمين، ثم ختمته بخاتمة المطاف.

● **القسم الأول (وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون)**، ويتضمن ثلاثة أبواب:

الباب الأول: (مغالطة الشعب المختار)، ويحتوي على الفصول التالية: **الفصل الأول**: شعب يهوه المختار، **الفصل الثاني**: لمحة تاريخية عن نسب إبراهيم ـ عليه السلام ـ واصطفائه وهجرته، **الفصل الثالث**: بل أنتم بشر ممن خلق الله، **الفصل الرابع**: إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم.

الباب الثاني: (مغالطة أرض الميعاد)، ويحتوي على الفصول التالية: **الفصل الأول**: الأرض المقدَّسة، **الفصل الثاني**: رحلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى جزيرة العرب وعودته، **الفصل الثالث**: ذرية إبراهيم في أرض كنعان، ويتضمن فروعاً وأبحاثاً كثيرة، **الفصل الرابع**: ليس لليهود حق أبدي موروث في فلسطين، ويتضمن فروعاً متعددة.

الباب الثالث: (المسجد الأقصى ومغالطة الهيكل)، ويحتوي على

http://kotob.has.it

الفصول التالية: **الفصل الأول**: المسجد الأقصى وأطماع اليهود، **الفصل الثاني**: لمحة تاريخية عن المسجد الأقصى والأدوار التي مرَّت به، ويتضمن فروعاً وأبحاثاً كثيرة، **الفصل الثالث**: القرآن الكريم يؤكّد أن التوراة أناطت الوعد بالاستقامة وحذَّرت، ويتضمن فروعاً وأبحاثاً متعدّدة، **الفصل الرابع**: منتظر اليهود، ويتضمن فروعاً عن التيار الديني الصهيوني وعن الصهيونية النصرانية.

● **القسم الثاني (أسفار اليهود والسموُّ الروحي والخلقي)**، ويتضمَّن توطئة بين يدي القسم وأربعة أبواب:

الباب الأول (مجانبة أسفارهم للسمو الروحي والخُلقي)، ويحتوي على الفصلين التاليين: **الفصل الأول**: نماذج من أسفارهم المجانبة للأخلاق والمحتوية على أفحش الكلام، **الفصل الثاني**: افتراؤهم على الله تعالى.

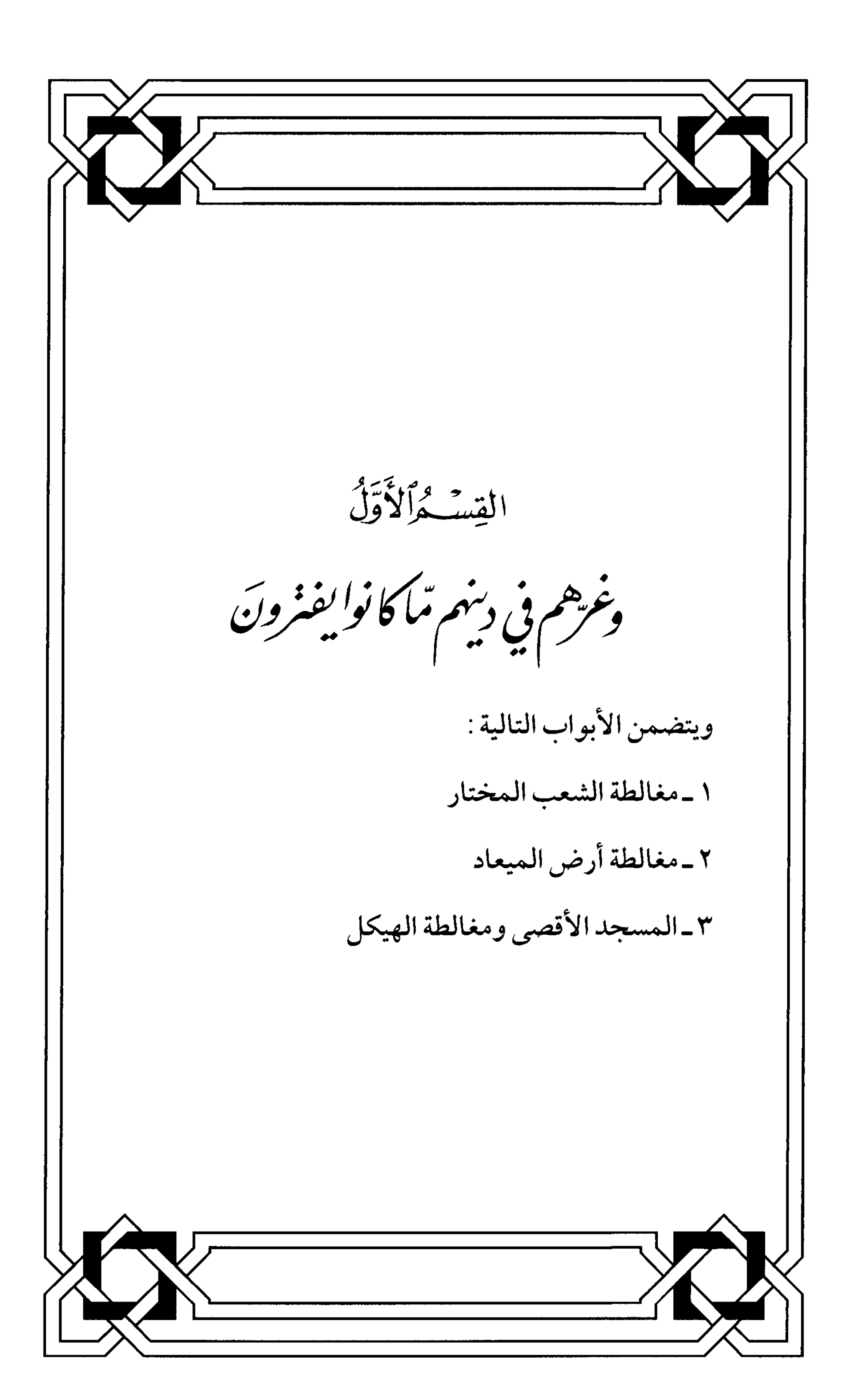
الباب الثاني: **(افتراؤهم على الأنبياء)**، ويحتوي على الفصلين التاليين: **الفصل الأول**: اتّهام الأنبياء بجرائم اجتماعية وخُلقية، **الفصل الثاني**: اتهام الأنبياء بالإرهاب.

الباب الثالث: **(فضائح حكماء صهيون)**، ويحتوي على الفصلين التاليين: **الفصل الأول**: امتناع العمل بتوراتهم اليوم، ويتضمن فروعاً وأبحاثاً متعدّدة، **الفصل الثاني**: استخفاف الأحبار بالعامة وتسرّعهم إلى القبول.

أسأل الله العظيم أن يفتح له القلوب والعقول، ويُنوِّر به الأفكار، إنْ أبغي إلا الحقَّ والنصحَ ما استطعتُ، حسبي الله ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّد ولد آدم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عبد الوهاب طويلة
جدة في ١/ ١/ ١٤٢٦هـ
١٠/ ٢/ ٢٠٠٥م

http://kotob.has.it



القِسْمُ الأَوَّلُ

وغرّهم في دينهم مّا كانوا يفترون

ويتضمن الأبواب التالية :

١ ـ مغالطة الشعب المختار

٢ ـ مغالطة أرض الميعاد

٣ ـ المسجد الأقصى ومغالطة الهيكل

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



ٱلبَابُ ٱلأَوَّلُ

مغالطة الشعب المختار

ويحتوي على الفصول التالية :

١ ـ شعب يهوه المختار

٢ ـ لمحة تاريخية عن نسب إبراهيم واصطفائه وهجرته

٣ ـ بل أنتم بشر ممن خلق

٤ ـ إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it



الفصل الأول

شعب يَهْوَه المختار

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ النصوص المحرَّفة التي اغتروا بها

٢ ـ طبائع اليهود التي جُبلوا عليها

٣ ـ أثر ذلك الغرور فيهم وفي غيرهم





http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]

النصوص المحرَّفة التي اغترُّوا بها

توطئة هامة:

يقول علماء النفس: إنَّ الدلال الزائد والتسامح المُفْرط في تربية الأولاد يجعل الطفل غير قادر على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، وكثيراً ما تكون العاطفة الأبويَّة والمبالغة في الحب والتساهل سبباً في تدمير الأولاد، لأنَّ ذلك يجعل الطفل يعتقد أنَّ كلَّ شيء ملكه وحده، وكلَّ شيء مسموح لديه، وليس ثَمَّة شيء يُمنَع عنه، فإذا ما كبر وخرج إلى المجتمع وواجه الناس والوقائع ثار في وجههم واتخذ منهم موقفاً سلبياً، فأصبح يضمر لهم ويكيد، وربما يخرِّب ويُرهب، بحجَّة أنَّ ذلك حق له، وأنَّ هؤلاء سلبوا منه حقّه(١). وهذا ما جرى لليهود ويجري بسبب النصوص المحرَّفة التي صاغها أحبارهم، فهم يزعمون بناءً عليها أنهم جنسٌ مميَّزٌ فوق سائر أجناس البشر جميعاً، روحاً وعقلاً وحضارة، وأنَّ الله يحبُّهم ويحب سلالتهم دون غيرهم، لأن إسرائيل هو بكره، وهم شعبه المختار، بل هم أبناء الله وأحباؤه، ويعتقدون أنَّ غيرهم من الشعوب والأمم بهائم ومطايا مسخَّرة لهم، لا تبعة في استغلالهم، ويطلقون عليهم لفظ (جوييم ـ GOYIM) وهي كلمة عبرية، مفردها (جوِي) ومعناها شعب أو قوم، والفكرة الدينية والسياسية عندهم إثبات أنَّ شعب إسرائيل هو الشعب المختار، وأرض كنعان ملكه بلا منازع، وبما أنهم أرفع من سائر الأمم بل هم وحدهم الطاهرون، فالله لا يختار الأنبياء والصالحين إلا منهم.

وزعموا أيضاً أنَّ اسمه (يَهْوه) خاص بهم(٢)، ومعرفتهم به محصورة في

---

(١) عن محاضرة بعنوان (المراهقة وأصول التربية)، للدكتور المعتصم عبد الله العمري، الاستشاري في الطب النفسي.

(٢) ومن أسماء الإلـه عند اليهود: إيل، أي: (الله) باللغات السامية، ومنها العبرية، وهي التسمية التي استخدمها الموحِّدون الحقيقيون، وإيلوهيم، أي: (الآلهة) بصيغة الجمع،=

http://kotob.has.it

إطار ما جاء في توراتهم وتلمودهم عن هذه الفكرة، فهو في تصوّرهم كالأب البشري الذي لا يغضب على أولاده مهما فعلوا من السوء، وربما يخطئ في حقِّهم، لكن سرعان ما يندم ويعترف بخطئه تجاههم ويرجع عنه، لأنهم ذريَّة الابن البكر إسرائيل صاحب الحظْوة عند الأب، ويتعاملون معه بناءً على ذلك بعقلية الولد المدلَّل الفاسد والمفسد، وهم لا يتصورون أنَّ هذا الأب المعطاء والحاني يمكن أن يعاقب ولده المدلَّل في يومٍ من الأيام عقوبة يتمادَى فيها مهما كانت الأسباب.

من النصوص التي حرَّفوها واغترُّوا بها:

١ ـ جاء في سفر الخروج ٣/ ٧: أنَّ الربَّ قال لموسى: إنِّي قد رأيتُ مذلَّة **شعبي** الذي في مصر، وسمعتُ صراخهم ـــ فنزلتُ لأنقذهم.

٤/ ٢٢ ـ ٢٣: فتقول لفرعون: هكذا يقول الربُّ: **إسرائيل ابني البكر، فقلتُ لك**: **أطلق ابني ليعبدني**، فأبيتَ أن تطلق، هأنا أقتل ابنك البكر.

وفي ٥/ ٢٣ أنَّ موسى قال لربِّه: فإنه منذ دخلتُ إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إلى هذا الشعب، **وأنت لم تُخلِّص شعبك**.

٦/ ٦ ـ ٧: لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الربُّ، وأنا أخرجتكم من تحت أثقال المصريين، وأنقذتكم من عبوديتهم، وأخلصتكم بذراع ممدودة، وبأحكام عظيمة، **واتخذتم لي شعباً**، وأكون لكم إلـٰهاً، فتعلمون أني أنا الربُّ إلـٰهكم.

٧/ ٦: وتقول له ـ أي لفرعون ـ: الربُّ إلـٰه العبرانيين أرسلني إليك قائلاً: **أطلقْ شعبي ليعبدني في البرية**.

٢ ـ وجاء في سفر الأحبار ١٩/ ١: وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: كلِّم كلَّ جماعة بني إسرائيل وقل لهم: تكونون قدِّيسين لأني قدوسٌ الربُّ إلـٰهكم.

= ولعلَّها التسمية التي أطلقها المشركون فيما بعد، وأدوناي، أي: (سيِّدي) باللغات السامية. وانظر: التوراة، لسهيل ديب، ص١٥ ـ ١٦.

http://kotob.has.it

٢٠/ ٢٤ : وقلت لكم : ترثون أنتم أرضهم ـ أنا الرب **إلـٰهكم الذي ميَّزكم من الشعوب .**

٢٠/ ٢٦ : وتكونون لي قدِّيسين ، لأني قدُّوس أنا الربّ ، **وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي .**

٣ ـ وجاء في سفر التثنية ٤/ ٣٧ ـ ٣٨ : ولأجل أنه ـ أي الرب ـ **أحب آباءك ، واختار نسلهم من بعدهم ، أخرجك بحضرته بقوته العظيمة من مصر ، لكي يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك ، ويأتي بك ويعطيك أرضهم .**

٧/ ٦ ـ ٨ : **لأنك أنت شعب مُقَدَّس للرب إلـٰهك ، إياك قد اختار الربُّ إلـٰهُك لتكون له شعباً أخصَّ من جميع الشعوب** الذين على وجه الأرض . ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الربُّ بكم واختاركم ـ ـ ـ **بل من محبته إياكم** وحفظِه القَسَم الذي أقسم لآبائكم أخرجكم الربُّ بيد شديدة ، وفداكم من بيت العبودية من فرعون مَلِك مصر .

وفي ٩/ ٢٧ ـ ٢٩ أنَّ موسى قال للربِّ : اذكر عبدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته ـ ـ **وهم شعبك وميراثك** الذي أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة .

١٠/ ١٥ : ولكنَّ الربَّ إنما **التصق بآبائك ليحبهم ، فاختار من بعدهم نسلهم** الذي هو أنتم **فوق جميع الشعوب** كما في هذا اليوم .

١١/ ٢٥ : لا يقف إنسان في وجهكم ، الربُّ إلـٰهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلَّمكم .

١٤/ ١ ـ ٢ : **أنتم أولاد للربِّ إلـٰهكم** ، لا تخمشوا أجسامكم ، ولا تجعلوا قَرَعَةً بين أعينكم ـ أي لا تَنْتِفوا ـ لأجل ميت ، **لأنك شعبٌ مقدَّس للربِّ إلـٰهك ، قد اختارك لكي تكون له شعباً خاصاً** فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض .

١٤/ ٢١ : **لا تأكلوا جثة ما** ـ أي الميتة ـ **تعطيها للغريب** الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي ، **لأنك شعب مُقدَّس للربِّ إلـٰهك .**

http://kotob.has.it

٢٦/ ١٧ ـ ١٩ : قد واعدتَ الربَّ اليوم أن يكون لك إلـٰهاً، وأن تسلك في طرقه، وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه، وتسمع لصوته، وواعدك اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك، وتحفظ جميع وصاياه، **وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التي عملها في الثناء والاسم والبهاء، وأن تكون شعباً مقدَّساً للربِّ إلـٰهك** كما قال.

٢٨/ ١ ـ ٤ : وإن سمعتَ سمعاً لصوت الربِّ إلـٰهك ـ **يجعلك مُسْتعلياً على جميع قبائل الأرض،** وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدركك، مباركاً تكون في المدينة، ومباركاً تكون في الحقل، ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك.

٢٨/ ٩ ـ ١١ : **يقيمك الربُّ لنفسه شعباً مقدَّساً** كما حلف لك إذا حفظت وصاياه، وسلكت في طرقه، فيرى جميعُ شعوب الأرض أنَّ اسم الربَّ قد سُمي عليك، ويخافون منك، ويزيدك الربُّ خيراً في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك.

٢٨/ ١٣ : **ويجعلك الربُّ رأساً لا ذنباً،** وتكون في الارتفاع فقط، ولا تكون في الانحطاط، إذا سمعت لوصايا الرب إلـٰهك التي أنا أوصيك بها اليوم، لتحفظ وتعمل.

٤ ـ وجاء في سفر إشعياء ٤٣/ ١ : والآن، هكذا يقول الربُّ خالقُك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل: **لا تخف لأني فديتُك، دعوتُك باسمك، أنت لي.**

٦١/ ٥ ـ ٦ : **ويقف الأجانب ويرعَوْن غنمكم، ويكون بنو الغريب حَرَّاثيكم وكَرَّاميكم،** أما أنتم فتُدعَوْن كهنة الرب، تُسَمَّون خُدَّام إلـٰهنا، **تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتأمرون.**

٥ ـ وجاء في سفر زكريا: ٢/ ٨: بعد المجد أرسلني إلى الأمم الذين سلبوكم، لأنه من يمسكم يمس حَدَقَة عينه.

نماذج من تعاليم حكمائهم:

بعد أن حرَّف أحبارهم نصوص الأسفار، وصوَّروا فيها فكرة الشعب

http://kotob.has.it

المختار المؤهَّل للسيادة المطلَقة على سائر الشعوب، شرعوا في شروحهم التي سمَّوها التلمود يفصِّلون الأحكام ويتمادون في التعالي على الناس والاستهانة بحقوقهم، بل وباحتقارهم والإساءة إليهم، ومما جاء في ذلك ما يلي:

١ ـ **جاء في سفر التكوين ٦/ ١ ـ ٤**: وحَدَث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أنَّ أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ـ وفي النسخة السامرية: فنظر بنو السلاطين بنات الناس إذ حسان هنَّ ـ فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الربُّ: لا يدين روحي ـ وفي ترجمة الكاثوليك: لا تحل روحي. وفي السامرية: لا يتعمَّد فيضي ـ في الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر ـ وعند الكاثوليك: لأنه جسد ـ وتكون أيامه مئة وعشرين سنة. كان في الأرض طغاة ـ وعند الكاثوليك: جبابرة ـ في تلك الأيام، وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله ـ وفي السامرية: بنو السلاطين ـ على بنات الناس، وولدنَ لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة منذ الدهر ذوو اسم. وعند الكاثوليك: المذكورون منذ الدهر.

فجعلوا لله سبحانه أبناء ينكحون بنات آدم، وهذه مصاهرة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

واختلف اليهود والنصارى في تفسير هذه العبارات.

جاء في حواشي الكاثوليك على الكتاب المقدَّس[1]: بنو الله هم على الرأي الأعم أولاد شيث، وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا متدينين معروفين بالعبادة مزكيْن بتقوى الله، أما بنات الناس فكنَّ من ذرية قاين الفاجرة الفاسقة.

أما اليهود فلهم في تفسيرها شأن آخر. جاء في كتاب (عابورة راده)[2]: قال الحاخام سَلْمون: إنَّ الحنش عندما أطغى حواء لتطعم آدم من الشجرة، بسبب دخول الشيطان فيه زنى بها زنًى حقيقياً، فدخلت الرداءة في سائر أولادها، وصاروا بذلك أولاداً للشيطان.

---

(١) ص٢.

(٢) الورقة (٢٢)، انظر: حصن الوجود، ص٣٧٥.

http://kotob.has.it

وجاء في كتاب (سهندرين)[1]: إنَّ ابن نوح إذا شتم الله، أو قتل رفيقه، أو زنى بامرأة أخيه غير الإسرائيلي ثم تهوَّد بعد ذلك لا يجب قتله، وإنما إذا قتل رجلاً يهودياً أو زنى بامرأةٍ يهودية، وبعد ذلك صار يهودياً، فلا يُعفى من القتل.

ويريدون بابن نوح كل إنسان ليس من بني إسرائيل، لأن يعقوب ـ عليه السلام ـ افترق ـ في نظرهم ـ عن باقي الأمم الذين هم أولاد نوح ـ عليه السلام ـ من عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومنه تناسلت اليهود إلى يومنا هذا، وسائر الأمم بقي عليهم اسم نوح أو قوم الأرض.

قال أحد حاخاماتهم: عندما أمر الله إبراهيم أن يأخذ ابنه ليقرّبه على الجبل، قام فأخذ إسحاق واثنين من غلمانه، ومضى بهم إلى الموضع الذي عيَّنه الرب، ولما توسّط الجبل نظر إلى الله متجلياً هناك، فقال لغلاميه: انظروا ـ ـ فما نظروا إلى الله، فعلم إبراهيم أنهما من الحيوانات، فتركهما عند الأتان ومضى هو وابنه، قال الحاخام: فعلم أنَّ كل من هو خارج عن بني إسرائيل حيوان!!.

وهم بذلك يؤصلون لعنصريتهم، فغيرهم أولاد زنى ومن أولاد الشياطين وحيوانات، ولهذا لا يريد أكثرهم أن يدخل أحدٌ في دينهم، لأنه ليس أهلاً ليكون يهودياً.

٢ ـ ومما جاء في التلمود أيضاً ما يلي:

أ ـ تتميز أرواح اليهود عن سائر الأرواح بأنها جزء من الله، فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه.

فهم منحدرون من الله، أما غيرهم فأرواحهم شيطانية، وهي مشابهة لأرواح الحيوانات النجسة، وإنما خلقوا على صورة البشر ليليقوا بخدمة بني إسرائيل، كي لا تشمئز نفوسهم من رؤياهم والعيش بينهم.

ب ـ إنَّ نطفة غير اليهودي هي نطفة حيوان، وإسرائيل صفوة المخلوقات، وقد اختاره الله لتكون له السيادة العليا على البشر جميعاً، كسيادة الإنسان على

---

(١) الورقة (١٧)، انظر: حصن الوجود، ص٣٤٥ـ٣٤٦.

http://kotob.has.it

الحيوان المدجَّن، ويجب أن نحمد الربَّ، لأنه لم يجعلنا مثل أمم الأرض.

جـ ـ جميع خيرات الأرض ملك لبني إسرائيل، وقد كتب على شعوب الأرض: لحومكم لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات، وأبناء إسرائيل يجب أن يعيشوا من خيرات الأمم دون أن يتحمَّلوا عناء العمل.

د ـ سأل إسرائيل ربَّه: لم خلقتَ سوى شعبك المختار؟ فأجابه لتركبوا ظهورهم، وتمتصُّوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم، وتلوِّثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم!!.

هـ ـ النعيم مأوى أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، والجحيم مأوى النصارى والمسلمين وعَبَدة الأوثان، ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء، لما فيها من الظلام والعفونة والطين[1].

من أقوال فقهائهم وفتاواهم العنصرية:

١ ـ حرم عليهم أئمتهم في التلمود مؤاكلة الأجانب ـ أي: من كان على غير ملَّتهم ـ وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبيحة من لم يكن على دينهم مطلقاً، وحرَّموا عليهم مناكحتهم، مع أنَّ توراتهم إنما حرَّمت عليهم مناكحتهم لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر، دون تحريم المأكولات، فقد جاء في سفر التثنية ٢/ ٤ ـ ٦: «وأوصِ الشعبَ قائلاً: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو ـ ـ طعاماً تشترون منهم بالفضَّة لتأكلوا، وماء تبتاعون منهم بها لتشربوا». فدلَّ على أنَّ المأكول يباح لليهود تناوله من غيرهم من الأمم؛ لأن بني عيسو كانوا كفاراً عابدي أصنام، غير أنَّ الأحبار المفترين على الله أوهموهم أنَّ المأكولات والمشروبات إنما تحلُّ إذا استعملوا فيها العِلْم الذي نسبوه إلى الله تعالى وإلى موسى ـ عليه السلام ـ وسمّوه (علم الذباحة) وزعموا أنَّ سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم وحدهم شرَّفهم الله بهذا وأمثاله من الترّهات التي أفسدوا بها عقول عامّتهم، فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملَّتهم كما ينظر إلى الحيوانات التي

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص٦٦ ـ ٦٨؛ بذل المجهود، ص١٠١ ـ ١٠٢؛ (اليهود) وهو كتاب أصدرته الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص٣٣، ٤٦؛ حصن الوجود، ص٣٥٤.

http://kotob.has.it

لا عقل لها، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم كما ينظر إلى العُذْرة وصديد الموتى وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها[1].

٢ ـ جاء في سفر التثنية ١٤/ ٢١: لا تأكلوا جثَّة ما ـ وعند الكاثوليك: شيئاً من النبائل. وفي السامرية: كل نبيلة ـ تعطيها للغريب الذي في أبوابك، فيأكلها أو يبيعها لأجنبي، لأنك شعب مقدَّس للربّ إلـٰهك. قال الحكيم السموءل: قالوا: معنى قول التوراة: «ولحماً فريسة في الصحراء لا تأكلوا، للكلاب ألقوه» أي: إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها الشروط التي وضعوها فلا تأكلوها، بل بيعوها من ليس من أهل ملَّتكم. ففسروا «للكلاب ألقوه» بمن ليس على ملَّتهم[2].

٣ ـ قال ألبو وغيره من الرابين: إنَّ اللهَ أعطى اليهود كلَّ قدرة على خيرات الأمم ودمائهم.

٤ ـ وقال الرابي مناحيم: أيها اليهود إنكم من بني البشر، لأن أرواحكم مصدرها روح الله، أما سائر البشر فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة[3].

٥ ـ وقال الحاخام أبارانيل: المرأة غير اليهودية من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فإنَّ ذلك منابذٌ للذوق والإنسانية كل المنابذة، فإذا مات خادم اليهودي أو خادمته من النصارى فلا يلزم أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخَّرة له.

٦ ـ ومن تعاليمهم: اقتلوا الأذكياء من غير اليهود لتنالوا رضا الرب، وتُضعفوا شوكة غيركم، فيبقى الجهلاء والأغبياء منهم خَدَماً مطيعين لليهود، ولا

---

(١) بذل المجهود، ص١٨٨، ١٩٨.
(٢) بذل المجهود، ص١٩٣ ـ ١٩٤.
(٣) همجية التعاليم اليهودية، ص٧٣، ٧٧.

http://kotob.has.it

يفهمون ما يُراد بهم[1].

٧ ـ في كتاب لهم اسمه (كيمارات)[2] أنَّ علماء التلمود فسَّروا ما ورد في نبوءة حبقوق ٣/ ٦: «وقفَ وقاسَ الأرض، نظر فرَجَفَ الأمم». وعند الكاثوليك: وأذاب الأمم. وفي الترجمات القديمة: نظر وحلل الشعب. فقالوا: حلل الشعب، أي غير الإسرائيلي، حلَّل دماءهم، لأنهم ما حفظوا الوصايا السبع التي أوصى الله بها نوحاً، وتركوا السبت الذي أمر الله أن يكون حفظه سنَّة الدهر. قال الحاخام أياهو في كتاب (بابا بيتره): حلَّل الشعب أي: حلَّل أموالهم وآدميتهم.

٨ ـ جاء في البروتوكول الخامس عشر: وعقل الأممي ـ لكونه ذا طبيعة بهيمية مَحْضة ـ غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته، فضلاً عن التكهُّن بما قد يؤدي إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع في ضوء معين. وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأننا ذَوُو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأمميين[3].

وصَفْوة القول: إنهم قرَّروا أنَّ أرواحهم من روح الله، فهم أبناؤه وأحبَّاؤه، ولهم وحدهم حق الحياة الأبديَّة، ويتميَّزون عن غيرهم من الناحيتين التاليتين:

أ ـ حقيقة الصورة البشرية: فيرون أنهم أُصلاء في الإنسانية، وقد منحهم الله هذه الصورة على سبيل الاستحقاق الذاتي لها، ولم يمنحها لغيرهم على سبيل الاستحقاق الذاتي، وإنما تكريماً لأسيادهم اليهود، حيث إنهم خُلقوا لخدمتهم.

ب ـ الجوهر أو النفس: فيعتقدون أنهم أطهار بحكم عنصرهم المنبثق عن الله، أما غيرهم فأبناء زنى ونفوسهم شيطانية، يجب مقاومتها وكبتها.

* * *

---

(١) الكنز المرصود، ص٧٥.

(٢) الورقة (٣٨)؛ وانظر: حصن الوجود، ص٣٤٦.

(٣) بروتوكولات حكماء صِهْيون: هي مقررات اتخذوها سرّاً، وأنكروها عندما اكتُشفت، حوت جماع المبادئ الصهيونية المبعثرة في توراتهم وتلمودهم وسائر كتابات السابقين منهم لتحقيق أهدافهم، وتتلخَّصُ في تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية والتحكم في البشر، ومن قرأها وتأمل ما جرى ويجري على أرض الواقع تبيَّن له صدق نسبتها إلى حكمائهم. وهذا ما أيَّده الباحثون الغربيون.

http://kotob.has.it

[٢]
طبائع اليهود التي جُبلوا عليها

اليهود بصورة عامة شعب عجيب في طَبْعه، غريب في تركيبه، غامض في أمره، تحيط به الأسرار في شتَّى جوانب حياته وأحواله؛ وذلك بسبب انغلاقه وما تمرَّس به من خداع وتمويه وتنكُّر، فتاريخهم حافل بالفساد والعِصيان، بل بالارتداد والكفر وقتل الأنبياء، ولذلك أوقع الله الذلَّ والهوان بهم مُدداً طويلة، ويظهر لنا هذا من واقع أسفارهم التي يعترفون بها. وإليك طرفاً منها:

تذمّرهم إثر خروجهم وقسوة قلوبهم:

● **جاء في سفر الخروج ١٥/ ٢٢ ـ ٢٤**: ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سُوف، وخرجوا إلى برية شور، فساروا ثلاثة أيام في البريَّة ولم يجدوا ماء، فجاؤوا إلى مارَّة ولم يقدروا أن يشربوا ماء منها، لأنَّه مرّ، فتذمَّر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب؟ فصرخ إلى الربِّ فأراه الربُّ شجرة، فطرحها في الماء فصار عذباً.

١٦/ ١ ـ ٣: ثم ارتحلوا من إيليم وأتَوا إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء ـــ فتذمَّر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البريَّة، وقالوا لهما: ليتنا متنا بيد الربِّ في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القَفْر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع.

١٦/ ٦ ـ ٧: فقال موسى وهارون: تعلمون أنَّ الربَّ أخرجكم من أرض مصر، وفي الصباح ترون مجد الرب لاستماعه تذمركم عليه، وأما نحن فماذا حتى تتذمروا علينا؟!.

١٧/ ١ ـ ٤: ثم ارتحلوا من برية سين بحسب مراحلهم على موجب أمر الرب، ونزلوا في رفيديم، ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصموا موسى وقالوا: أعطونا ماء لنشرب. فقال لهم: لماذا تخاصمونني؟ لماذا تُجَرِّبون الربَّ؟ وعطش هناك الشعب وتذمَّروا على موسى وقالوا: لماذ أصعدتنا من مصر؟ لتميتنا

http://kotob.has.it

وأولادنا ومواشينا بالعطش؟ فصرخ موسى إلى الربّ قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجمونني.

سبحان الله، أبعد كل هذه الآيات ـ وبخاصة انشقاق البحر ـ يتذمَّرون على موسى وربه؟! أين صبر المؤمنين والمحبِّين؟.

وفي ٣٢/ ٧ ـ ٩ أنَّ الربَّ قال لموسى بعد أن عبد بنو إسرائيل العجل في غياب موسى: اذهب، لأنه قد فَسَدَ شعبك الذي أصعدتُه من مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به ـ ـ رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صُلْب الرقبة.

٣٣/ ١ ـ ٥: وقال الربُّ لموسى: اصعد من هنا أنت والشعب إلى الأرض ـ ـ فإني لا أصعد في وسطك، لأنك شعب صُلْب الرقبة، لئلا أفنيك في الطريق. فلما سمع الشعب هذا الكلام السُّوء ناحوا، ولم يضع أحدهم زينته عليه. وكان الربُّ قد قال لموسى: قل لبني إسرائيل: أنتم شعب صُلْب الرقبة، إن صعِدْت لحظة واحدة في وسطكم أفنيكم، لكن الآن اخلعْ زينتك، فأعلمَ ماذا أصنع بك.

٣٤/ ٨ ـ ٩: فأسرع موسى وخَرَّ إلى الأرض وسجد وقال: إن وجدتُ نعمة في عينيك أيها السيد فَلْيَسِرِ السيد في وسطنا، فإنه شعب صُلْب الرقبة.

وفي ذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم مخاطباً بني إسرائيل الحاضرين في عصر التنزيل، مذكّراً إياهم بما فعل سلفهم ليحذروا: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٩ ـ ٥٢].

ويقول سبحانه واصفاً طبعهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

● **وجاء في سفر العدد** ١٤/ ١ ـ ٤: أنَّ بني إسرائيل بعد أن أبَوا دخول الأرض المقدَّسة خوفاً من الجبَّارين تذمَّروا على موسى وهارون وقالوا: ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القَفْر، ولماذا أتى بنا الربُّ إلى هذه الأرض

http://kotob.has.it

لنسقط بالسيف ـ ـ أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟ فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.

١٤/ ٢٦ ـ ٣١: وكلَّم الرب موسى وهارون قائلاً: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشرِّيرة المتذمِّرة عليّ؟ قد سمعتُ تذمّرهم عليّ، قل لهم: حيٌّ أنا الرب، لأفعلنَّ بكم كما تكلَّمتم في أذني، في هذا القَفْر تسقط جثثكم ـ ـ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها.

١٤/ ٣٥: أنا الرب قد تكلَّمت: لأفعلنَّ هذا بكل هذه الجماعة المتَّفِقة عليّ.

● **وجاء في سفر التثنية** ١/ ٣٥: لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرِّير الأرض الجيِّدة التي أقسمت أن أعطيها لآبائكم.

وفي ٩/ ٦ ـ ٨: فاعلم أنّه ليس لأجل بِرِّك يعطيك الربّ إلـٰهك هذه الأرض الجيِّدة لتمتلكها، لأنك شعب صُلْب الرقبة. اذكرْ لا تنسَ كيف أَسْخَطْتَ الربَّ إلـٰهك في البرية من اليوم الذي خرجت فيه من مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان، كنتم تقاومون الربَّ، حتى في حوريب أسخطتم الربّ، فغضب عليكم ليبيدكم.

٩/ ١٣ ـ ١٤: وكلَّمني الربُّ قائلاً: رأيتُ هذا الشعب، وإذا هو صُلْب الرقبة، اتركني فأُبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء.

٩/ ٢٧ ـ ٢٩ أنَّ موسى قال للربِّ: اذكر عبيدك: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيَّته.

وفي ٣١/ ٢٧ ـ ٢٩ أنَّ موسى قال لهم: لأني عارف تمرّدكم ورقابكم الصُّلْبة، هو ذا وأنا بعد حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الربَّ، فكم بالحَرِيِّ بعد موتي؟ ـ ـ لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشرّ في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشرَّ أمام الربّ حتى تغيظوه بأعمال أيديكم.

وفي ٣٢/ ٥ ـ ١٣: جيل أعوج مُلْتوٍ. الربَّ تكافئون بهذا؟ يا شعباً غبياً غير حكيم، أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عَمِلَك وأنشأك؟.

http://kotob.has.it

٣٢/ ١٩ ـ ٢٤: فرأى الربُّ ورَذَل من الغيظ بنيه وبناتِه، وقال: أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل متقلِّب، أولادٌ لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلـٰهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم.

٣٢/ ٢٨ ـ ٢٩: إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطنوا وتأملوا آخرتهم.

إذاً، فقد عَصَوا ربَّهم، وتمرّدوا على أنبيائهم موسى وهارون ويشوع ـ عليهم السلام ـ منذ أن خرجوا من مصر، وقد وصفهم الله بأنهم شعب صُلْب الرقبة، وجماعة شرِّيرة، وجيل شرِّير، كما وصفهم بالفساد والزيغ عن الطريق، ونَعَتهم بأنهم جيل أعوج ملتوٍ، وشعب غبي غير حكيم، وجيل متقلِّب لا أمانة فيهم، وأمة عديمة الرأي لا بصيرة فيهم. ولذلك عاقبهم بالتيه. هذا حال الشعب المختار وهذه أوصافه حال حَياة موسى، عليه السلام!.

● **وجاء في المزمور ١٠٦/ ٦ ـ ٧**: أخطأنا مع آبائنا، أسأنا وأذنبنا، آباؤنا في مصر لم يفهموا عجائبك، لم يذكروا كثرة مراحمك، فتمرّدوا عند الفجر عند بحر سوف.

١٠٦/ ١٣ ـ ١٦: أسرعوا فَنَسوا أعماله، لم ينتظروا مشورته، بل اشتهوا شهوة في البرية وجربوا الله في القفر، فأعطاهم سُؤْلهم وأرسل هُزالاً في أنفسهم، وحسدوا موسى في المحلَّة وهارون قدوس الرب.

١٠٦/ ١٩ ـ ٢١: صنعوا عجلاً في حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك، وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب، نَسُوا الله مُخلِّصهم الصانعَ عظائمَ في مصر.

١٠٦/ ٢٤ ـ ٢٩: ورَذَلوا الأرض الشهية لم يؤمنوا بكلمته، بل تمرَّدوا في خيامهم، لم يسمعوا لصوت الربِّ، فرفع يده عليهم ليسقطهم في البرية، وليسقط نسلهم بين الأمم، وليبددهم في الأراضي، وتعلقوا ببعل فَغُورَ، وأكلوا ذبائح الموتى، وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء.

http://kotob.has.it

١٠٦/ ٣٢ ـ ٤٣ : وأسخطوه على ماء مَريبةَ حتى تأذى موسى بسببهم، لأنهم أمَرُّوا روحه حتى فَرَط بشفتيه ـ ـ اختلطوا بالأمم وعبدوا أصنامهم، فصارت لهم شَرَكاً ـ ـ وتدنسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم، فحمي غضب الربّ على شعبه، وكره ميراثه، وأسلمهم ليد الأمم، وتسلَّط عليهم مبغضوهم، وضغطهم أعداؤهم، فذلوا تحت يدهم، مراتٍ كثيرةٍ أنقذهم، أمَّا هم فعَصَوْه بمشورتهم وانحطوا بإثمهم.

حالهم بعد موسى:

● **جاء في سفر يشوع** ٧/ ١ : وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام ـ ـ فحمي غضب الرب على بني إسرائيل.

● **وجاء في سفر إشَعْياء** ١/ ٢ ـ ٥ : اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الربَّ يتكلَّم: ربَّيتُ بنين ونَشَّأتُهم، أمَّا هم فَعَصَوا عليَّ. الثورُ يَعْرف قانيه، والحمار يَعْرِف مَعْلَف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شَعْبي لا يفهم، ويلٌ للأمة الخاطئة، الشعبُ الثقيلُ الإثم، نسلُ فاعلي الشر، أولاد مُفْسدين، تركوا الربَّ، استهانوا بقدُّوس إسرائيل، ارتدّوا إلى وراء ـ ـ علامَ تُضرَبُون بعد؟ تزدادون زيغاناً؟ كلُّ الرأس مريض، وكلُّ القلب سقيم.

وفي ١/ ٢١ ـ ٢٣ : كيف صارت القريةُ الأمينةُ زانيةً؟ **ملآنة حقاً**، كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون. صارت فضتكِ زَغَلاً، وخمركِ مغشوشة بماء. رؤساؤكِ متمرِّدون ولُغَفاء اللصوص، كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا، لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم.

٣/ ١٦ ـ ١٨ : وقال الربُّ: من أجل أنَّ بنات صِهْيَوْن يتشامَخْن ويمشين ممدودات الأعناق، وغامزات بعيونهن، وخاطرات في مَشْيهن، ويُخَشْخشن بأرجلهن، يُصْلِع السيِّدُ هامة بنات صِهيون، ويُعرِّي الرب عورتهن.

٣/ ٢٥ ـ ٢٦ : رجالك يسقطون بالسيف، وأبطالك في الحرب، فتئنُّ وتنوح أبوابها، وهي فارغة تجلس على الأرض.

وفي ٥/ ٢٤ ـ ٢٥ : لذلك كما يأكل لهيب النار القَش، ويهبط الحشيش

http://kotob.has.it

الملتهب، يكون أصلهم كالعفونة، ويصعد زهرهم كالغبار، لأنهم رَذَلوا شريعة ربِّ الجنود، واستهانوا بكلام قُدُّوس إسرائيل، من أجل ذلك حمي غضب الرب على شعبه، ومدَّ يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال، وصارت جثثهم كالزبل في الأزقّة، مع كل هذا لم يرتدّ غضبه، بل يده ممدودة بعد.

وفي ٦/ ١٠: غَلِّظْ قلبَ هذا الشعب، وثَقِّل أذنيه، واطمِس عينيه، لئلا يبصر ولا يسمع ولا يفهم بقلبه ويرجعَ فيُشفى.

● **وجاء في سفر إرْمِيا ٢/ ٤ ـ ٨**: اسمعوا كلمة الربِّ يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل، هكذا قال الرب: ماذا وجد فيَّ آباؤكم من جَوْر حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً؟ ولم يقولوا: أين هو الربُّ الذي أصعدنا من مصر؟ ـ ـ وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها، فأتيتم ونجَّستم أرضي، وجعلتم ميراثي رجساً. الكهنةُ لم يقولوا: أين هو الرب، وأهل الشريعة لم يعرفوني، والرعاة عَصَوا علي.

وفي ٣/ ١ ـ ٥: إذا طلق رجل امرأته، فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر، فهل يرجع إليها بعد؟ ألا تتنجَّس تلك الأرض نجاسة؟ أمَّا فقد زنيتِ بأصحاب كثيرين، لكن ارجعي إلي ـ يقول الربُّ ـ ارفعي عينيك إلى الهضاب وانظري، أين لم تُضاجَعي، في الطرقات جلستِ لهم كأعرابي في البرية، ونجست الأرض بزناك وبِشَرِّك.

وفي ٤/ ٢٢: لأن شعبي أحمق، إياي لم يعرفوا، هم بنون جاهلون، وهم غير فاهمين، هم حكماء في عمل الشر؛ ولعمل الصالح لا يفهمون.

وفي ٥/ ١ ـ ٢: طَوِّفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا، وفتِّشوا في ساحاتها هل تجدون إنساناً، أوَ يوجد عامل بالعدل طالبُ الحقِّ فأصفح عنه؟ وإن قالوا: حيٌّ هو الرب، فإنهم يحلفون بالكذب.

٥/ ٧ ـ ٩: كيف أصفح لكِ عن هذه؟ بنوك تركوني وحلفوا بما ليست آلهة، ولمَّا أشبعتهم زنَوا، في بيت زانية تزاحموا، صاروا حُصُناً معلوفة سائبة، صَهَلوا كل واحد على امرأة صاحبه، أما أعاقب على هذا ـ يقول الربُّ ـ أوَ ما تنتقم نفسي من أمَّةٍ كهذه؟.

http://kotob.has.it

وفي ١١/٨: فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم، بل سلك كل واحد في عِناد قلبه الشرِّير، فجلبتُ عليهم كل كلام هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه.

وفي ١٣/٩ ـ ١١: هكذا قال الربُّ: هكذا أفسدَ كبرياءَ يهوذا وكبرياء أورشليم العظيمة هذا الشعب الشرِّير الذي يأبى أن يسمع كلامي، الذي يسلك في عِناد قلبه، ويسير وراء آلهة أخرى ليعبدها ويسجد لها، ويصير كهذه المنطقة التي لا تصلح لشيء، لأنه كما تلتصق المِنطقة بحَقْوي الإنسان، هكذا ألصقتُ بنفسي كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا ليكونوا لي شعباً وفخراً ومجداً، ولكنهم لم يسمعوا.

وفي ١٠/٤ ـ ١١: هكذا قال الربُّ لهذا الشعب: هكذا أحَبُّوا أن يجولوا، لم يمنعوا أرجلهم، فالربُّ لم يقبلهم، الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم. وقال لي الرب: لا تصلِّ لأجل هذا الشعب للخير.

١٤/ ١٣ ـ ١٦: فقلت: آه أيها السيِّد الربُّ، هو ذا الأنبياء يقولون لهم: لا ترون سيفاً ولا يكون لكم جوع، بل سلاماً ثابتاً أعطيكم في هذا الموضع. فقال الربُّ لي: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسم، لم أرسلهم، ولا أمرتهم ولا كلَّمتهم، برؤيا كاذبة وعَرافةٍ وباطلٍ ومكرِ قلوبهم هم يتنبؤون لكم، لذلك يفنى أولئك الأنبياء، والشعبُ الذي يتنبَّؤون له يكون مطروحاً في شوارع أورشليم مِنْ جَرَى الجوعِ السيفِ، وليس من يدفنهم ــ وأسكب عليهم شرهم.

وفي ١٥/ ١: ثم قال لي الربُّ: وإن وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب.

١٥/ ٤: وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض.

وفي ١٦/ ٥ ـ ٦: لأنه هكذا قال الرب: لا تَدخلْ بيت النَّوْح، ولا تمضِ للنَّدْب، ولا تُعَزِّهم، لأنِّي نزعت سلامي من هذا الشعب، الإحسانَ والمراحمَ، فيموت الكبار والصغار في هذه الأرض.

١٦/ ١٠ ـ ١٣: وحين تخبر هذا الشعب بكل هذه الأمور يقولون لك:

http://kotob.has.it

لماذا تكلَّم الربُّ علينا بكل هذا الشر العظيم؟ ـ ـ فتقول لهم: من أجل أن آباءكم تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى، وتركوا شريعتي ولم يحفظوها، وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آبائكم، وها أنتم ذاهبون، كل واحد وراءَ عِناد قلبه الشرِّير حتى لا تسمعوا لي فأطردكم من هذه الأرض.

وفي ١٨/ ١١: فالآن كَلِّم رجال يهوذا وسكان أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب: هأنذا مصدِرٌ عليكم شرّاً، وقاصد عليكم قصداً، فارجعوا كل واحد عن طريقه الرديّ، وأصلحوا أعمالكم.

وفي ٢٥/ ٤ ـ ٧: وقد أرسل إليكم الربُّ كل عبيده الأنبياء مُبَكِّراً فلم تسمعوا، ولم تميلوا أذنكم للسمع، قائلين لكم: ارجعوا عن طريقكم الرديِّ وعن شرِّ أعمالكم ـ ـ ولا تغيظوني بعمل أيديكم فلا أسيء إليكم، فلم تسمعوا.

● **وجاء في سفر حزقيال ٢/ ٣ ـ ٥**: وقال لي: يا بن آدم، أنا مُرْسلك إلى بني إسرائيل إلى أمَّة متمرِّدة قد تمرَّدت عليَّ، هم وآباؤهم عَصَوا علي إلى هذا اليوم. والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم، وهم إن سمعوا وإن امتنعوا ـ لأنهم بيت متمرِّد ـ فإنهم يعلمون أنَّ نبياً كان بينهم.

٢/ ٧: فتكلَّم معهم بكلامي إن سمعوا وإن امتنعوا، لأنهم متمرِّدون.

وفي ٣/ ٧ ـ ٩: لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمع لك، لأن كل بيت إسرائيل صِلابُ الجباه قساة القلوب ـ ـ فلا تَخَفْهم ولا تَرْتَعِبْ من وجوههم، لأنهم بيتٌ متمرِّدٌ.

٣/ ٢٥ ـ ٢٧: فها هم يضعون عليك رُبُطاً ويقيدونك بها، فلا تخرجُ في وسطهم، وأُلْصِقُ لسانك بحنكك فتبكمُ ولا تكون لهم رجلاً موبِّخاً، لأنهم بيتٌ متمرِّد، فإذا كلمتُك فتقول لهم: هكذا قال السيد الرب: مَن يسمع فليسمع، ومن يمتنع فليمتنع، لأنهم بيتٌ متمرِّدٌ.

وفي ٥/ ٥: هذه أورشليم في وسط الشعوب قد أقمتها، فخالَفَتْ أحكامي بأشرَّ من الأمم.

٥/ ٨ ـ ٩: لذلك ها إنِّي أنا أيضاً عليكِ، وسأُجري في وسطك أحكاماً أمام عيون الأمم، وأفعل بك ما لم أفعل وما لن أفعل مثله بعد بسبب أرجاسك.

http://kotob.has.it

وفي ٦/ ١١ : وقُلْ: آه على كل رجاسات بيت إسرائيل الشرِّيرة حتى يسقطوا بالسيف وبالجوع وبالوباء.

وفي ٨/ ٦: وقال لي: يا بن آدم، هل رأيتَ ما هم عاملون؟ الرجاسات العظيمة التي بَيْتُ إسرائيل عاملها هنا لإبعادي عن مقدسي؟ وبعد تعود تنظر رجاسات أعظم.

٨/ ٩ : وقال لي: ادخل وانظر الرجاسات الشرِّيرة التي هم عاملوها هنا.

٨/ ١٧ ـ ١٨ : لأنهم قد ملؤوا الأرض ظلماً، ويعودون لإغاظتي، وها هم يقرِّبون الغصن إلى أنفهم، فأنا أيضاً أعامل بالغضب، لا تشفق عيني ولا أعفو، وإن صرخوا في أذني بصوتٍ عالٍ لا أسمعهم.

وفي ١٦/ ١ ـ ٢: وكانت كلمة الربِّ إليَّ: يا بن آدم عَرِّف أورشليم برجاساتها.

● **وجاء في سفر هُوشَع ١١/ ٧**: وشعبي جانحون إلى الارتداد عنّي، فَيَدْعُونهم إلى العَلِيِّ ولا أحد يرفعه.

● **وجاء في سفر عاموس ٥/ ٢١ ـ ٢٢**: بغضتُ كرهت أعيادكم، ولست ألتذُّ باعتكافاتكم، إني إذا قدمتم لي مُحرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مُسمَّناتكم لا ألتفت إليها.

● **وجاء في سفر ميخا ١/ ٥** : كلُّ هذا من أجل إثم يعقوب، ومن أجل خطية بيت إسرائيل.

● **وجاء في سفر صَفَنْيا ٣/ ١ ـ ٤**: ويل للمتمرِّدة المنجَّسة، المدينة الجائرة، لم تسمع الصوت، لم تقبل التأديب، لم تتكل على الربّ، لم تتقرَّب إلى إلـٰهها، رؤساؤها في وسطها أسود زائرة، قضاتها ذئابُ مساءٍ، لا يُبقون شيئاً إلى الصباح، أنبياؤها متفاخرون أهل غُدْرات، كهنتها نَجَّسوا القُدْس خالفوا الشريعة.

● **وجاء في سفر حَجِّي ٢/ ٤** : فأجاب حَجِّي وقال: هكذا هذا الشعب،

http://kotob.has.it

وهكذا هذه الأمة، قُدَّامي يقول الرب، وهكذا كل عمل أيديهم، وما يقربونه هناك، هو نجس.

● **وجاء في سفر زكريا ١/ ٢ ـ ٤**: قد غضب الربُّ على آبائكم، فقل لهم: ارجعوا إلي فأرجعَ إليكم، لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأوَّلون قائلين: ارجعوا عن طرقكم الشرِّيرة، وعن أعمالكم الشرِّيرة، فلم يسمعوا ولم يصغوا إليّ.

● **وجاء في سفر ملاخي ١/ ٦ ـ ٧**: الابن يكرم أباه، والعبد يكرم سيِّده، فإن كنتُ أنا أباً، فأين كرامتي؟ وإن كنتُ سيداً فأين هيبتي؟ قال لكم ربُّ الجنود: أيها الكهنة المحتقِرون اسمي، وتقولون: بم احتقرنا اسمك؟ تقربون خبزاً نجساً على مذبحي، وتقولون: بم نجسناك؟ بقولكم: إنَّ مائدة الربِّ محتقرة.

وفي ٣/ ٧ ـ ٩: من أيام آبائكم حِدْتم عن فرائضي ولم تحفظوها، ارجعوا أرجع إليكم ـ قال ربُّ الجنود ـ فقلتم: بماذا نرجع؟ أيَسْلُبُ الإنسانُ الله؟ فإنكم سلبتموني فقلتم: بم سلبناك؟ في العشور والتقدمة، قد لُعِنْتُم لَعْناً، وإياي أنتم سالبون، هذه الأمة كلها.

وصفوة القول: إنَّ هذا الشعبَ رأى من آيات ربِّه الكبرى ما يدهش العقول، ومع ذلك كلِّه تذمَّروا على موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ عندما عطشوا، ثم عبدوا العجل في غياب موسى ـ عليه السلام ـ عندما ذهب لميقات ربه، وقد جاء وصفهم في أسفارهم بالفساد، وبأنهم شعب صُلْب الرقبة، وبالجماعة الشرِّيرة، وبالجيل الشرِّير، وبالغلاظة والإثم والخطيَّة، وبأنهم شعب غبيٌّ غير حكيم، وجيل متقلِّب لا أمانة فيهم، وبأنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، يعملون الشر والفساد، فكيف نُسلِّم لهم دعوى الاختصاص أو الاختيار؟! إنَّ هذا الشعب الذي يزعم أنَّه المختار والمفضَّل لا يحمل مؤهِّلات اختياره ولا مؤهلات فضله من حيث السموُّ الخلقي وإشعاع النور بين الناس، بل يحمل عوامل اضمحلاله وكراهية الناس له، فهم أسوأ الناس سيرة كما وصفتهم أسفارهم، فهل يُعقل أن يختار الله لنفسه على وجه التأبيد شعباً هذه أوصافه، ثم يُجَرِّعه آلام العذاب والاضطهاد على أيدي أعدائه عقوبة له ويشتِّته في الأرض؟! وسيأتي مزيد إيضاح لذلك.

* * *

http://kotob.has.it

[٣]
أثر ذلك الغُرور فيهم وفي غيرهم

ما فتئ أحبار اليهود يبثُّون في بني إسرائيل الفكر الديني العنصري، ويدوِّنونه في قراطيسهم، ويرسمونه في طقوسهم، ويوهمونهم بأنَّ لهم صلة خاصة بإلـٰههم يَهْوه، وأنَّ الجنَّة من استحقاقهم وحدهم حتى أصبح اليهودي من جراء الغرور الذي أصابه والطبع الذي عوَّدوه عليه بسبب انغلاقهم يختلف في تركيبه النفسي والخلقي والاجتماعي عن سائر البشر. إنَّ نظرة اليهود المُستَعلية على جميع الأمم والشعوب انطلاقاً من تعاليم توراتهم وتلمودهم وأقوال حكمائهم كانت لها نتائج خطيرة ظهرت فيهم وفي غيرهم، كان من أبرزها فيهم المساس بكرامة الشعوب الأخرى والحطّ من شأنها واحتقارها، الأمر الذي أدَّى إلى تشجيع اليهود على العدوان واستغلال الآخرين وارتكاب الآثام دون مبالاة. وكان من أهم أثر ذلك في غيرهم تلك الصورة البشعة التي انطبعت في نفوس الناس عن اليهود متمثلةً في المكر والخديعة والغَدْر وغير ذلك، مما أدَّى إلى كرههم واضطهادهم، حتى إنَّ لفظ اليهودي صار من ألفاظ المذمَّة والمسبَّة عند الناس، وإليك التفصيل:

أثره في حياتهم:

إنَّ تمسُّك اليهودي بيهوديته ونزعته العُنْصرية يغلب على الجوهر الإنساني الذي يربطه بسائر الناس، ولذلك كان من أبرز سمات الشخصية اليهودية ما يلي:

١ ـ الطبيعة المادية والحرص على حياة مع الجبن والخَوْف: فقد جُبِلوا على قَسْوة القلوب وجفاف الأرواح وإغراق مفرط في عبادة المادة، فهم أجشع البشر وأشدّهم تشبّثاً بالحياة. قال تعالى مُفَنِّداً ادّعاءهم: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٦]، فقد جاءت كلمة (حياة) نكرة

http://kotob.has.it

إشارة إلى حرصهم على أيَّة حياة ولو كانت ذليلة، ذلك لأنَّ نفوسهم مسكونة بالهلع والخوف، لا يجرؤون على القتال المكشوف، وإنما يقاتلون خَلْف دروع واقية وتحصينات، معتمدين على التفاوت الكبير في ميزان القوى كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحشر: ١٤]، وإذا تمكَّنوا ممَّن هو أضعف منهم ضربوا بشدَّة متظاهرين بالشجاعة، فهذا ما يستطيعون القيام به، ومن نظر إلى واقعهم المعاصر شاهد ذلك.

وقد بيَّن سبحانه سبب توارثهم الذلَّ والجبن فقال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]. فالذلُّ: نقيضُ العزِّ، والمَسْكَنة: الحاجة إلى غيرهم، وقد عطف سبحانه المسكنة على الذلَّة ليدل على أن هاتين الصفتين متلازمتان فيهم.

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

أفادت الآية أنَّ المذلَّة سترُفع عنهم في حالتين: الأولى: ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: باتكالهم على الله حقاً وطاعتهم للأنبياء. الثانية: ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: باتكالهم على الناس ومساعدتهم لهم. وكلمة (حَبْل) تشير إلى الرفع والانتشال من أسفل إلى أعلى. أما المَسكنة فتبقى ملازمة لهم.

والآيات توضِّح حكماً ملازماً لبني إسرائيل أينما وُجدوا بسبب ملازمتهم للعصيان.

٢ ـ خُبْث الطويَّة، ويتولَّد عن ذلك الجدل والتحايل والكذب والتلوُّن والإرجاف والتزييف للحقائق ونكران الجميل. فهم يستعطفون الناس ويحسنون التودُّد إليهم ما دامت الحاجة تدفعهم إليهم أو إلى العيش معهم، وما أمهرهم في ذلك، فإذا دالت الدولة انقلبوا عليهم ووقفوا في صفِّ أعدائهم، فإنهم وإن كانوا يعيشون على أرض غيرهم وينعمون بخيراتهم لا يرون أنَّ هذا جميل يجب شكرهم عليه، بل يتحينون الفرص للفتك بهم أو السيطرة عليهم والتحكم فيهم. وهذا ما دعا المجتمعات المحيطة بهم إلى كراهيتهم.

http://kotob.has.it

٣ ـ نقض العهود والمواثيق والخيانة، وهم أكثر الناس اشتهاراً بهذه الصفة الوضيعة، وذلك لأنهم يرون غيرهم شعوباً دنيئة، ولا تبعة عليهم في عدم الالتزام تجاهها بشيء. قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، دلَّت الآية على أنَّ هذه الصفات ملازمة لأكثرهم.

وقد لخَّص بعض المفكّرين صفاتهم فقال: اليهود أمة متميزة بالمكر ترتديه، وبالإثم والسحت ترتضيه، وبالشر والعداء تمتطيه، وبحب المال الكثير والعمر الطويل تستعذب سَكْرته، فيهم قسوة وجحود، وعناد وكنود، مثيرو الفتن، مصاصو دِماء الشعوب، طَمَّ بغيهم، وعمَّ فسادهم، وأصبح يهدّد الجنس البشري بأسره.

أساليبهم ووسائلهم:

يرى اليهود أنَّ الناس أكثر منهم عدداً، بل لا يُذكرون بالنسبة إلى غيرهم، فلا سبيل إلى الثبات أمامهم والانتصار عليهم أو التحكُّم فيهم إلا بإفسادهم والإفساد بينهم من الداخل والخارج بشتى الطرق، فكان سلاحهم العتيد هو العمل السرّي للإفساد، ولا يبرحون يدبِّرون المكائد وينشرون الرذائل ويخرِّبون الأخلاق لهدم نفوس الآخرين، ويثيرون الفتن بين الناس عن طريق الدسِّ والتحريش بينهم. قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ﴾ يفيد الاستمرارية والمثابرة على الفساد. ولقد كانوا وراء كثير من الفتن والثورات والقلاقل والحروب على مستوى الأفراد والأمم.

ومن أبرز وسائلهم للإفساد والسيطرة على المجتمعات ما يلي:

١ ـ التحكم في المراكز المالية للسيطرة على الاقتصاد العالمي، فالمال من الوسائل الأساسية والهامة التي تمكِّنهم من شراء الذمم وإقامة الموالين لهم؛

http://kotob.has.it

لافتعال الأزمات الاقتصادية وتدبير المؤامرات وتنفيذ المخططات والتحكّم في العالم. وقد استباحوا عَبْر التاريخ كلَّ المحرَّمات حتى ما كان بعيداً عن المروءة والإنسانية في سبيل جمع المال وإحداث الفوضى الاقتصادية، وهم بارعون في انتهاز الفرص واستغلال الآخرين ثم تسخيرهم.

٢ ـ قيادة النشاط التربوي في العالم وصياغة نظريات تربوية تنشر الأفكار الهدَّامة بين الناس لإفساد الرأي العام وإبعاد المرء عن مُثُله العليا وقضاياه الحيَّة، بحجة العلم والمعرفة والتطوير وإعطاء الحقوق والقضاء على الأمراض النفسية وغير ذلك مما يروِّجون له بين رجال التربية.

٣ ـ التحكُّم في وسائل الإعلام العالمية بطرق صريحة وملتوية لتضليل وإفساد النفوس وقلب الحقائق، وهم يعتمدون في ذلك على ثلاثة محاور أساسية:

أ ـ نشر النظريات الإلحادية والمذاهب الفاسدة والدعوات الباطلة لتقويض الأديان وتمييع العقائد وإبطال الأحكام ولَبْس الحق بالباطل والباطل بالحق؛ لإحداث الفوضى الروحية والقضاء على دعائم الدين.

ب ـ إفساد المجتمعات بالعمل على نشر الإباحيَّة والتفكُّك الأسري بين الناس لتقويض الأخلاق وتعميم الفاحشة وضياع الأنساب عن طريق الإغراق في الشهوات والنزوات الجنسية والمسكرات والمخدِّرات، فتراهم يتحدَّثون عن الحرية الجنسية ويروِّجون للخلاعة والمجون وغير ذلك من الموبقات بحجة القضاء على الكبت النفسي والاكتئاب، ولهم في ذلك أساليب سِريَّة وعلنية صريحة وملتوية.

كل ذلك بغية قلب النظام العالمي، فبهدم الدين والأخلاق وإشاعة الفوضى الفكرية والاجتماعية يسيطرون على العالم كلِّه، ويتحكَّمون فيه، كما جاء في البروتوكول الرابع عشر.

جـ ـ التأثير على السياسة العالمية والتحكم في مجريات الأمور بإثارة الفتن والوقيعة بين الدول والشعوب، عن طريق صياغة الأخبار وإيرادها وتحليلها لتضخيمها أو التقليل من شأنها أو قلب حقائقها وكتمانها، بُغْية إحداث الفوضى

http://kotob.has.it

السياسية وإطالة أمد الحروب لاستنزاف طاقات الأمم مادياً ومعنوياً. وهم يحاولون إيقاع الشرفاء من رجال السياسة وعلماء الدين في هفوات أو يصطادونها إن وقعوا فيها، ويهدِّدونهم بفضحهم وتشويه سمعتهم إن لم ينصاعوا لأوامرهم، بل كثيراً ما يفترون عليهم للحطِّ من قَدْرهم وتنفير الناس منهم أو إضعاف تأثيرهم فيهم.

إنَّ استغلال اليهود لوسائل الإعلام في أيامنا وتحكّمهم فيها بصورة مباشرة أو غير مباشرة قد بلغ ذِرْوته، بسبب الوسائل الكثيرة المتنوّعة والقوية التي يملكونها أو يتحكَّمون في أصحابها سرّاً، من أجل تغيير الحقائق وتوليد الرأي العام الأعمى، فما أكثر الأقنية الفضائية التي تنشر الحَدَث لحظة بلحظة، وتربط اللحظة بالرأي والتحليل الموجَّه، ساعية إلى إدخال قناعة في رُوع المشاهد والسامع بالفكرة التي يريدونها. فعن طريق الإعلام تظاهروا بالضعف والمسكنة، واستعطفوا العالم بتضخيم ظلم أحاق بهم أو تلفيقه، وعن طريقه أخفوا ظلماً وجرائم أوقعوها بغيرهم، وهدَّدوا وأسكتوا كل من يذكر حقيقة لا يريدونها، وتَمَسْكَنوا حتى تمكَّنوا.

٤ ـ خداع الجماهير المستمر بإنشاء الجمعيات العالمية الهدَّامة التي تمتطي الشعارات المزيَّفة، والوعود بالحرية والتحرر، ونَيْل الحقوق وغير ذلك، ثم تسخيرهم وفق أهوائهم، كالماسونية والروتاري والليونز وغير ذلك من الأسماء العالمية التي ظهرت حديثاً مما ظاهره فيه الرحمة والحرص على خير البشرية وإسعادها، وباطنه فيه الدعوات المنكرة الهدَّامة[١].

---

(١) أسَّس اليهود حركات سرية وعلنية تأتمر بأمرهم سراً وتخدم مصالحهم، ومنها على سبيل المثال: الحركة الماسونية، وهي حركة خطيرة يحرك اليهود من خلالها كبار المتنفذين في العالم من غيرهم، وتهدف إلى القضاء على الأديان المخالفة لليهودية عن طريق بسط نفوذ اليهود وأتباعهم في جميع أنحاء العالم تمهيداً للتسلط عليهم، فهي تتظاهر بمهادنة جميع الأديان، بينما هي تحارب جميع الأديان غير اليهودية، وإذا كانت الصهيونية تستثمر جهود اليهود فإن الماسونية تستثمر جهود غير اليهود لتحقيق أهداف اليهود. جاء في البروتوكول الحادي عشر: «نحن جيش مشتَّت عن الوصول إلى أغراضه بالطرق المستقيمة، والمراوغة فقط هي الوسيلة الصحيحة، وهي الأصل في تنظيمنا للماسونية=

http://kotob.has.it

٥ ـ إعداد بعضهم أو بعض صنعائهم ممَّن ولدوا من نساء يهوديات ليتظاهروا بالدخول في الأديان الأخرى للإفساد من الداخل، كما تظاهر أحدهم بالدخول في النصرانية واعتناق المذهب الكاثوليكي حتى وصل إلى كرسي البابوية، وكما تظاهر يهود الدونمة في الدخول في الإسلام. وهم حريصون على تسلل صنائعهم وعملائهم إلى كافة المستويات الدينية والاجتماعية والحكومية.

وصفوة القول: إنَّ ولاء اليهود قديماً وحديثاً إنما هو لعنصرهم وقيام دولتهم على رقاب الآخرين، ولن يَدَعوا فرصةً تفوتهم لبثِّ سمومهم وإنفاذ غاياتهم في إشاعة الفوضى الروحية والفكرية والاجتماعية لتحقيق أهدافهم السياسية، فبالمال يشترون الضمائر، وبالنساء يصلون إلى مآربهم، وبالمكر والخديعة يتمكنون من العالم، متذرِّعين بأسفارهم، زاعمين أنَّ لهم في أنبيائهم أُسوة، مدَّعين أنَّ الغاية تبرِّر الوسيلة كما سنرى إن شاء الله في القسم الثاني من هذا الكتاب، ولذلك كانوا عُرضة للتذليل والقتل.

أثره في غيرهم:

إنَّ الشخصية اليهودية التي تقوم على الاستعلاء واحتقار الآخرين والمَكْر بهم أثارت ردود فعل كثيرة، تجسَّدت في الكراهية والتمييز والإيذاء، ولا سيما بعد افتضاح أمرهم وظهورهم وراء الكثير من الفتن الفكرية والطائفية والقلاقل والحروب وغيرها من المؤامرات الكبرى الفتاكة، الأمر الذي دعا المجتمعات المحيطة بهم إلى كرههم والنيل منهم، فما من مجتمع إلا وقصدهم أشدَّ القصد ونال منهم، حاشا المجتمع الإسلامي الذي وفَّر لهم الأمان والاطمئنان كما سنرى قريباً.

= التي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأمميين». وللماسونية طقوس وشعائر عجيبة ترجع إلى زمن بناء الهيكل، حيث قام ببنائه كثير من الجنود والبنَّائين، عُرفوا فيما بعد باسم الماسون ـ أي البنَّاؤون ـ وهي تستخدم رموزاً وألفاظاً تدلّ على يهوديتها، فقد اختارت اللون الأزرق السماوي لوناً رسمياً لها، والحزام الذي يلبسه الماسوني في الاجتماعات الرسمية من الحرير الأزرق السماوي، وهو لَوْن علم إسرائيل، وفرضه اليهود بنفوذهم على الأمم المتحدة، ومن المعلوم أن اللونين الأزرق السماوي والذهبي من الألوان المقدَّسة عند اليهود.

http://kotob.has.it

وإنَّ المتأمّل في التاريخ ليتساءل: لماذا جاس البابليون ديارهم عدة مرات؛ فقتلوهم ودمَّروا ديارهم وسَبَوهم؟ ولماذا كان الأباطرة قبل بعثة المسيح ـ عليه السلام ـ يقاومونهم ويرونهم عُدْوانيين؟ ولماذا دَبَّر الرومان مذبحة تيطس وخراب الهيكل؟ ولماذا أجهز عليهم وباع من بقي منهم عبيداً كما ذكر المؤرّخ اليهودي يوسيفس؟ ولماذا اشترط أهل القدس وعلى رأسهم البطريرك صفرينوس على عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في معاهدة الصلح وتسليم المدينة عدم دخول أحد من اليهود فيها؟.

ما كان بين اليهود والنصارى:

يعتقد اليهود أنَّ مريم ـ عليها السلام ـ اقترفت الخطيئة مع يوسف النجار فولدت عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ. وفي التلمود عبارات تشير إلى قَذْف أمِّه والنَّيْل منه، مثل ذاك الرجل، أو الرجل الذي شنق، أو ابن النجار، وتارة يقولون: أمُّ الرجل المعيَّن، يريدونه ويقصدون أنَّ أمه حملت به وهي حائض، ويصفونه بالمجنون والساحر والوثني والكافر. ويَرَون أنَّ الكنائس بيوت ضالِّين ومعابد أصنام يجب تخريبها، ويرون أيضاً أنَّ الأناجيل عين الضلال والظلم والخطايا يجب إحراقها[1].

وقد ورد في إنجيل يوحنا ما يشير إلى أنَّ اليهودَ عَرَّضوا للمسيح ـ عليه السلام ـ أنّه ابن زنى، ففي ٨/ ٤٠ ـ ٤٢ أنَّ المسيح ـ عليه السلام ـ قال لأحبارهم: ولكنكم تريدون الآن قتلي، وأنا الذي كلمتكم بالحق كما سمعته من الله، وهذا العمل لم يعمله إبراهيم، أنتم تعملون عمل أبيكم؟ قالوا له: ما نحن أولاد زنى، ولنا أبٌ واحد، هو الله ذاته. فقال لهم: لو كان الله أباكم لأحببتموني، لأني خرجت وجئت من قبل الله، وما جئت من تلقاء ذاتي، بل هو الذي أرسلني.

ومن تعاليم التلمود ما يلي:

أموال النصارى مُباحة لليهود كمالِ البحر، فأوَّلُ من يستولي عليه يمتلكه.

على اليهود أن يعاملوا النصارى كحيوانات دنيئة.

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص١٠٣ ـ ١٠٧.

http://kotob.has.it

العهد للنصراني ليس عهداً صحيحاً يلتزم به اليهودي، ويسمح لليهودي أن يكذب ويشهد زوراً للإيقاع بالنصراني، فاسم الربِّ لا يُدنس حين تكذب على النصارى.

يجب على اليهودي السعي الدائم لغشِّ النصارى، ومن يفعل خيراً لهم فلن يقوم من قبره[1].

ومجمل اعتقاد النصارى في اليهود: أنهم قَتَلة المسيح ـ عليه السلام ـ كما تروي أناجيلهم بصراحة، وقد تأصل في نفوسهم أنَّ اليهودَ كُفَّار معادون لهم، وأنهم مصدر الشرور، وقد أسس البابا غريغوري (٣٥٠ ـ ٤٠٦م) عقيدة مفادها أن اليهود لم يكونوا عمياناً عن رسالة المسيح، فقد كانوا يعلمون أنه هو المسِيّا، لكنهم لقساوة قلوبهم رفضوه، مع أنهم رأوا بعيونهم معجزاته، لأنه كان وديعاً متواضعاً، ولم يكتفوا برفض الحق، بل عملوا على صلبه، فيجب أن يعاقبوا على تلك الجريمة بناء على قولهم لدى محاكمته: «دمه علينا وعلى أولادنا». وقد سارت أجيال اليهود بعد ذلك على النهج نفسه، مما أدى إلى اضطهاد النصارى لهم[2]، ولذلك فإنهم لما تغيّر ميزان القوى بعد ذلك تقرَّبوا إلى الله بإذلال اليهود حيث كانوا، وأجروا عليهم أحكاماً جائرةً جداً، كان منها ما يلي:

لا يُعطى يهودي منصباً في دولة.

لو وقع رقيق نصراني عند يهودي فهو حرٌّ.

لا يأكل أحد مع يهودي ولا يتعامل معه.

يُنْزع أولاد اليهود منهم، ويُلَقنون النصرانية.

وهكذا كان كل فريق من أهل الكتاب يتقرَّب إلى ربِّه باضطهاد الفريق الآخر وظلمه، فنشبت بينهم صراعات دامية قاسية لا تليق بالإنسانية، بخلاف ما عامل به المسلمون أهل الكتاب من عدل ورحمة ـ كما سنرى قريباً ـ.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) راجع كتاب: الاختراق الصهيوني للمسيحية، للقس إكرام لمعي، ص٦٤ ـ ٦٥.

http://kotob.has.it

اضطهاد الأوروبيين لهم:

بعد تمكُّن النصارى وطرد اليهود من فلسطين اتَّجه أكثرهم نحو الشمال، وتفرَّق بعضهم في البلاد العربية الأخرى العراق ومصر والأندلس، واستمتعوا بتسامح المسلمين، وبعد ذلك استقرَّ كثير منهم في أوروبة، حيث وجدوا فيها متنفَّساً أيضاً في أول الأمر لجهل الأوروبيين بطبيعتهم، ومع مرور الوقت تبيَّن للأوروبيين أنَّ الكثير من المشاكل والمصائب والكوارث الاقتصادية والفتن الاجتماعية إنَّما كانت بتدبيرهم وإثارتهم بسبب الحقد المتأصل فيهم على غيرهم، وتنبهت شعوب أوروبة إلى خطرهم، وبخاصَّة ما بين القرنين الحادي عشر والتاسع عشر، حيث كان لهم دورٌ بارزٌ في إشعال نيران الحروب الطاحنة بين الطوائف النصرانية، فهبَّت تلك الشعوب تردُّ العدوان وتدفع الخطر، فكانت حملات الاضطهاد الرسمية والشعبية أولاً، ثم وضعت القوانين الكثيرة التي تقيد حركتهم وتحدُّ من تعاملهم، فتَقَوْقعوا في أحياء سكنية خاصَّة بهم، ولما لم يُجدِ ذلك نفعاً كان لا بدَّ من طَرْدهم ونفيهم لتطهير البلاد منهم وتنظيفها من خبثهم، ولا سيما بعد اكتشاف ما في تلمودهم السرِّي من تجديف على المسيح ـ عليه السلام ـ وأمه، مما يجلب لهم مذابح جماعية في بعض البلدان، فقد أُخرجوا من النمسة ونُهبت أموالهم، وقُتل كثير منهم إغراقاً وإحراقاً، ومَن نجا منهم تنصَّر، وفي بريطانية ذاقوا الذلَّ والتشريد والحرمان، وفي البرتغال وإسبانية كان يتم اضطهادهم وإحراقهم جماعياً أمام الناس، أما في فرنسة فقد أُجلي اليهود منها سبع مرات على التعاقب، حتى إنَّ الملك فيليب طردهم أولاً، ثم خيَّرهم بين التنصُّر أو القتل أو السجن أو النفي، فأصدر حاخاماتهم أوامرهم إليهم بالتظاهر بالتنصُّر ففعلوا، وتغيَّرت حياتهم، وتعمَّقوا بين الكاثوليك، وتقلَّد كثير منهم مناصب هامة، ثم أمرتهم الحاخامات أن ينصرفوا عن الزراعة والصناعة، ويصبُّوا اهتمامهم في التجارة وجمع المال، لأنه العَصَب المسيطر والضمانة الأكيدة لبقائهم.

وهكذا تم طَرْد اليهود من أوروبة الغربية على فترات متباعدة؛ ولا سيما بين عامي (١٢٥٣) و(١٥٥١م)، فهاجروا إلى روسية وأوروبة الشرقية والدولة العثمانية.

http://kotob.has.it

حماية المسلمين لهم وتسامحهم معهم:

كان موقف النصارى من اليهود موقف الساخط المعادي والمحارب، وكانوا يتقرَّبون إلى ربِّهم بإذلالهم واستباحة دمائهم لأتفه الأسباب، فما موقف المسلمين منهم؟.

من المعروف أنَّ الدولة الإسلامية يعيش في ظلِّها المسلم والذمِّي الذي اختار أن يعيش مع المسلمين من اليهود والنصارى والمجوس، ولهم من الحقوق ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، دون الإخلال بما اتفقوا عليه، **فإنَّ الإسلام ما جاء ليذلَّ أحداً أو يهين كرامته، بل جاء ليحرر العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ربِّ العباد**، وليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العزّة والكرامة، فالنبي ـ ﷺ ـ صالح يهود المدينة على شروط ليس فيها جَوْر ولا ظلم، وصالح المشركين من أهل مكة بعد فتحها، وهم الذين أرادوا قتله فهاجر منها، وقال لهم بعد الفتح: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابن أخ كريم. قال: لا تثريب ـ أي لا لوم ـ عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطُلَقاء، فانطلقوا أحراراً دون ذل ولا مهانة. وبعد وفاة النبي ـ ﷺ ـ طلب أهل مصر من المسلمين إعانتهم على الرومان لشدَّة ظلمهم، فدخلها المسلمون عن رضا من أهلها، وكانوا على عقيدتهم النصرانية، وإنما كانت دَعْوة المسلمين إلى دينهم بعد كل بلاد دخلوها بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالمعاملة العادلة الطيبة، فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

واليهود الذين عاشوا بين المسلمين أو لجؤوا إليهم، لم يجدوا إلا صِدْقاً ووفاء، فكانوا آمنين مطمئنين على أنفسهم ودينهم وأموالهم ومعابدهم، حتى قيل: «**لولا ظهور الإسلام لبادت اليهودية من على ظهر الأرض**» رغم ما فعله يهود المدينة في عصر النبوة من خِداع المسلمين ومحاولة اغتيال النبي ـ ﷺ ـ وغدر وطعن في الظهر وتحريض للأعداء في أحلك الظروف، ومع ذلك وَجد اليهود في ظل رحاب الإسلام على مدى الزمان مَنْجاة لهم مما أصابهم على يد الأوروبيين.

إنَّ الإسلام بصفته ديناً للبشرية جمعاء، يدعو إلى التسامح مع غير المسلمين، كما أنه يدعو إلى إنصاف المظلوم حيثما كان، وفي ظلِّه تنتفي العنصرية بجميع أشكالها، فلا تمييز بين لَوْن ولَوْن أو جنس وآخر، وليس هذا

http://kotob.has.it

ادِّعاء فحسب، بل هو تطبيق عملي في واقع المجتمع، ففي الأندلس على سبيل المثال منح المسلمون أهل الكتاب ـ وبخاصة اليهود ـ أمناً وحرية لم يكونوا يحلمون بهما أو يتصورونهما، حتى استطاع بعض اليهود بدهائه ومكره أن يتقرب من الحكام ويصل إلى مناصب هامة في الدولة، ولا سيما في القرن الخامس الهجري، حيث كانوا يتوافدون على بلاد المسلمين هرباً من اضطهاد النصارى، فهل أثَّر ذلك المعروف في نفوسهم أو غيَّر من طبعهم؟ العكس هو الذي كان، فمع مرور الزمن تناسَى اليهود تسامح المسلمين وإكرامهم، فتنكَّروا لهم، وتطاولوا على الإسلام وعقيدته وشريعته، وربما شكا الناس من تطاولهم وضجوا منهم، لكن الحكام كانوا يتغافلون عنهم لثقتهم المفرطة ببعض من يقوم على أمورهم منهم، مما جعل الأمر يستفحل والشر يستشري حتى لا يستطيع رادع أن يردعهم، بسبب إصغاء الحكام إليهم وخوف العوام من فتنة ضد الحكام.

واستمرَّ تسامح المسلمين مع اليهود، واستمر لجوء اليهود إلى بلاد المسلمين هرباً من الظلم إلى أن ظهر ضعف المسلمين وتفككهم فانعكس الأمر، حيث استعطف اليهود النصارى الأوروبيين وأثَّروا فيهم وتحالفوا معهم، فكافؤوا المسلمين باحتلال فلسطين بعد ارتكاب مجازر بشعة وجرائم حرب قبيحة وتشريد من بقي على قيد الحياة ولا زال مشرَّداً.

لقد كتب المفكّر الفرنسي (غوستاف لوبون) في تاريخه كثيراً عن تعصُّب اليهود ومكرهم وعدم تحمّل جيرانهم وجودهم بينهم، وكتب أيضاً عن رحمة المسلمين وتسامحهم، ثم قال كلمته المشهورة: «ما عَرَف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب».

ذريعة معاداة السامية:

إنَّ غرور بني إسرائيل بما افتراه أحبارهم من النصوص أو حرَّفوه عن مواضعه، وبما صدر عنهم من تعاليم وفتاوى أدَّى بهم إلى تلك التصرفات الطائشة في حقِّ أنبياء الله وشرعه، وفي حق غيرهم من الأمم، الأمر الذي أدَّى بهم إلى غضب الله عليهم وكره الناس لهم وحذرهم منهم واحتقارهم، فقضى الله عليهم بالذلِّ والمهانة، وسلَّط عليهم غيرهم: البابليين والفرس واليونان والروم

http://kotob.has.it

ثم الأوروبيين بالقتل والطرد والتشريد، وكأن الأمم أطبقت على معاداتهم، فتظلموا أخيراً واستعطفوا الناس، وأطلقوا على ذلك اسم (معاداة السامية)، وكأنهم وحدهم أبناء سام بن نوح، لا يشاركهم فيه غيرهم.

إنَّ الاضطهاد الذي تعرَّض له اليهود قديماً وحديثاً، في أوروبة وغيرها، لا يرجع إلى التعصّب الديني وحده بقدر ما يرجع إلى طريقة حياة اليهود وانعزالهم، وطبيعة تفكيرهم وتآمرهم بصورة دائمة على الشعوب المحيطة بهم.

حقيقة السامية:

يطلق هذا اللفظ على مجموعة من الشعوب واللغات نسبة إلى سام بن نوح، جاء في سفر التكوين ١٠/ ٢٢: بنو سام: عيلام وأشّور وأرفكشاد وآرام.

وثمة تقسيمات عمد إليها المستشرقون، ترجع في تكوينها إلى طبيعة الإنسان من حيث اللون والملامح والأماكن والبيئات.

وعلى كل حال فهناك جنس بشري متحد في النشأة والمكان واللون، تجمع شعوبه خواص مشتركة، يعرف بالجنس السامي.

والشعوب السامية التي سكنت فلسطين هم الكنعانيون، وهم من الساميين الشماليين، جاؤوا من الجزيرة العربية واستقرّوا في فلسطين، وأقاموا بها حضارة راقية، ورحل قسم منهم إلى الساحل اللبناني، وعرفوا بالفينيقيين، وإلى جانب الكنعانيين في فلسطين عاشت قبائل سامية صغرى كالأدوميين والعموريين والمؤابيين على تخوم أرض كنعان حول جنوب البحر الميت، وعاش العموريون في الشمال، والآراميون في سورية، ثم جاء بنو إسرائيل واستقرّوا بأرض كنعان.

فلِمَ لم يَجْرِ لغير بني إسرائيل من أبناء سام ما جرى لهم من إطباق الأمم على معاداتهم؟! إنها الطباع السيئة والأعمال الشرِّيرة التي غلبت عليهم، وأصبحت عادة لهم، مع تحريض رجال الدين والحكام في المجتمعات النصرانية، أما المسلمون فلم يعرفوا طيلة تاريخهم معاداة لأي جنس أو عرق، بل أكرموا اليهود الذين انتشروا في بلادهم أو لجؤوا إليهم من ظلم النصارى، وأتاحوا لهم فرص الحياة الدينية والدنيوية، فماذا كانت النتيجة؟.

وصفوة القول: إن الساميين هم سلالة سام بن نوح، وهم الشعوب التي

http://kotob.has.it

استوطنت أساساً شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وبلاد الشام ومن تفرع منهم وهاجر، واللغات التي تنطق بها تلك الشعوب يقال لها: اللغات السامية، ومنها: العربية والعبرية. ومن العجيب أن توراة اليهود أخرجت الكنعانيين من أسرة الساميين وضمتهم إلى الحاميين، وأهملت أولاد سام إلا أرفكشاد من أجل إبراهيم بن تارح بن أرفكاش، لتدعي أن الجنس السامي إنما استمر عبر هذه السلسلة.

وقد ظهر مصطلح معاداة السامية في نهاية القرن التاسع عشر، وأطلق على من يكره اليهود، فأية معاداة لشأن يهودي هي معاداة للسامية، واستطاعت المنظمات اليهودية عبر نفوذها وتغلغلها في العديد من المجتمعات الغربية والمنظمات الدولية أن تتبنى استراتيجيات مرسومة بدقة لتحويل معاداة السامية إلى جرم إنساني، كما تبنت استراتيجيات سياسية وإعلامية وثقافية واقتصادية لمحاربة من يريد المساس باليهودية وأعمالها وأفكارها ولو كان نقداً علمياً موضوعياً مبنياً على الحجة والبرهان، سواء كان القائم بذلك شخصاً أو مؤسسة أو دولة.

وبناء على ذلك فإن أي شخص يعارض احتلال اليهود لفلسطين وطرد أهلها منها، أو يعارض إقامة المستوطنات اليهودية والجدار العازل، أو ينتقد التمييز العنصري وسوء معاملة اليهود للعرب ورفض عودة اللاجئين إلى ديارهم هو معادٍ للسامية، وقد ارتكب جريمة بحق الإنسانية.

وهكذا أصبح الأوروبيون هم المدافعين عن اليهود والساميَّة، وأصبح المسلمون هم الأعداء، مع العلم أن العرب من الساميِّين، ولا سيما العرب المستعربة، فإنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ جدِّ النبي محمد ـ ﷺ ـ كما سنرى.

اليهود في هذا العصر:

استفاد التيار القومي اليهودي في صراعه مع التيار العالمي من النصوص المُفْتراة والمحرَّفة، ومن الفتاوى والتعاليم التي هي أدهَى وأمرّ، فعمَّقوا الاتّجاه الانعزالي في اليهود، ووسَّعوا نطاق الحظر في التعامل مع غيرهم ـ وهو ما يسمَّى

http://kotob.has.it

الجيتو ـ فما نزلوا بأمة إلا اعتزلوا أهلها وقبعوا في أحياء خاصة بهم سميت باسمهم، كما في رومة ولندن وواشنطن وسائر مدن العالم حتى في بلاد المسلمين، وكان (الجيتو) تربة خصبة ينمو فيها هذا الموقف[1]، ثم قامت هذه الفكرة بكل حدَّتها على يد الصهيونية التي ترى أن اليهود شعب مختلف عن سائر الشعوب، لا يمكنه الاندماج فيها؛ لأن في داخله جوهر يميزه عن غيره، وتفترض الإيديولوجية الصهيونية أنَّ اليهود الذين يعيشون خارج وطنهم القومي المقدَّس يعانون من تمزّق مستمر، إذ لا جذور لهم في الحضارات المختلفة التي لا تعبّر عن جوهرهم المتميّز، وانطلاقاً من هذه الرؤية فإنَّ الصهاينة يرون أنَّ تراث يهود الشتات خارج الوطن القومي لا قيمة له.

وطفق الصهاينة يستعطفون النصارى ويتظلَّمون إليهم حتى كوَّنوا أعواناً من النصارى المتصهينين، فأخذوا يعملون في الخفاء ويحيكون المؤامرات حتى كان وعد بلفور عام (١٩١٧م)، ثم قامت دولتهم على جزء من أرض فلسطين عام (١٩٤٨م)، بعد مذابح فظيعة ومطاردة وتهجير واغتصاب للأموال والأعراض لا يخفونها بقصد الإخافة وزرع اليأس. لم يَرَ الناس شعباً كاملاً يعاني مدة طويلة ما عاناه الشعب الفلسطيني، فقِسْم منه مشرَّد خارج وطنه في وضع سيِّئ، وقسم آخر يعاني من حياة ذليلة وظروف صعبة داخل وطنه، ويجرى التضييق عليه يوماً بعد يوم، هدم للبيوت وقطع للأشجار وإتلاف للزروع ومصادرة للأراضي وقتل للسكان شيباً وشباباً ونساءً وأطفالاً، مع قهر وإذلال يجري يومياً تحت سمع العالم وبصره من دون أدنى اكتراث أو خوف من العواقب، حتى أصبح سماع هذه الأخبار ورؤيتها أمراً طبيعياً، وذلك لما يعلمونه من سكوت العرب والمسلمين وعدم جرأتهم على المطالبة بشيء، وإذا ما تأثر مواطن فلسطيني بما رأى من دم

---

(١) في عام (١٥١٥ ـ ١٥١٦م) حدثت ظاهرة (الجيتو) وهو وضع اليهود في جزء خاص من الأرض منفصل عن المدنية، تحاط به أسوار مرتفعة، وله بوابتان، يقف عليهما حراس من النصارى، وتغلقان في المساء، فعاش اليهود منعزلين تماماً عن المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، ومع الزمن ازدادت فلسفة (الجيتو) عمقاً وانتشاراً في المجتمعات الأوروبية. راجع كتاب: الاختراق الصهيوني للمسيحية، للقس إكرام لمعي، ص٦٧ ـ ٦٨.

http://kotob.has.it

إخوته وأقاربه وهدم بيوتهم، وقام في وجههم وصفوه بالإرهاب، واعتقلوا من بقي من أهله معهم على طريقتهم، ويزعمون أنهم أهل السلام، وهم إنما يريدون سلاماً يسيطرون فيه على من حولهم، بحيث يصبح لهم اقتصاد جديد يتحكَّمون عن طريقه بجميع الشعوب.

هل ثَمَّة نقاء جنسي يمتاز به اليهود؟:

لا ينشر اليهود دينهم بين الناس، ولا يبشِّرون به؛ لأنه دين الشعب المختار، فلا يجوز أن ينضم إليهم فيه أحد، فإلى أي مدى ينتسب يهود القرن الحادي والعشرين بعد الميلاد إلى بني إسرائيل القرن العشرين قبل الميلاد؟ وهل اليهودي من كانت أمه يهودية؟[1].

مسألة فيها خلاف قديم وكبير بينهم:

أ ـ فمنهم المحافظون الذين يعيشون كما كان يعيش الأوائل، واليهودية التقليدية تدعو إلى قواعد الشريعة المستمدة من التلمود، وترفض ذوبان اليهود في الأوساط الأخرى. ويحتجون بما يلي:

● جاء في سفر التثنية ٧/ ١ ـ ٦: متى جاء بك الربُّ إلٰهك إلى الأرض ـ ـ وطرد شعوباً كثيرة من أمامك ـ ـ لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم، ولا تصاهرهم، بنتَك لا تُعْطِ لابنه، وبنتَه لا تأخذ لابنك ـ ـ لأنك شعب

---

(١) اختلف العلماء في أصل كلمة (يهود)، فقيل: نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب ـ عليه السلام ـ، وقيل: نسبة إلى دولة يهوذا التي تأسست بعد انقسام مملكتهم إثر وفاة سليمان ـ عليه السلام ـ، وقيل: إن الفرس هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم بعد احتلال ملك الفرس كورش الإخميني بلاد بابل. ويتضمن هذا المصطلح المعنيين الديني والقومي، وأصبح يطلق على كل من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل. وفي قانون الهجرة الذي تطبِّقه دولتهم اليوم تعريف لليهود الإصلاحيين وتعريف لليهود الأرثوذكس، أما لفظ إسرائيلي ـ نسبة إلى إسرائيل الذي هو يعقوب عليه السلام ـ فيطلق اليوم على المواطنة والجنسية، وأما لفظ العبري، فقيل: هو نسبة إلى عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام. وقيل: نسبة إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي عبر نهر الفرات والأردن في طريق هجرته إلى فلسطين. ويطلق هذا اللفظ اليوم على اللغة والثقافة. وانظر: قبل الكارثة، ص٣٤، ٩٣؛ تاريخ العرب في الإسلام، ص١٧٣ ـ ١٧٤.

http://kotob.has.it

مقدَّس للربّ إلـٰهك.

وهناك اتفاق بينهم اليوم على ألا يدخل في دينهم أحد، لأنه خاص بهم، والجنة لهم وحدهم، مع أنَّ أنسابهم قد اختلطت، فلم يبقَ لهم نسب صحيح يقيني منذ أمد بعيد، ولا شك أنه لا زال في يهود اليوم من هم من نسل الأسباط القدامى، فهم لم يُمحَوا من التاريخ، لكن هل ثمة بقية منهم تعلم علم اليقين أنَّ نسبها يعود صرفاً إلى أحد الأسباط، فقد طردوا من فلسطين مرتين، مرة على يد الآشوريين عام (٧٢٢ق.م) تقريباً، واختلطوا هناك بالسكان اختلاطاً كبيراً خلال فترة السبي، ومرة أخرى على يد الرومان عام (٧٠م)، وتشتتوا في أنحاء الأرض.

● جاء في سفر عَزْرا ٩/ ١ ـ ٢: ولما كَملَتْ هذه تقدَّم إليَّ الرؤساء قائلين: لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويُّون من شعوب الأرض حسب رجاساتهم ـ ـ لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم، واختلط الزرع المقدَّس بشعوب الأراضي، وكانت يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة أولاً.

٩/ ١٢ ـ ١٤: والآن فلا تُعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد، لكي تتشدّدوا وتأكلوا خير الأرض، وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد ـ ـ أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات؟ أما تسخط علينا حتى تفنينا فلا تكون بقية ولا نجاة؟!.

١٠/ ٢ ـ ٣: وأجاب شَكَنْيا وقال لعزرا: إننا قد خنا إلـٰهنا واتّخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض، ولكن الآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا، فلنقطع الآن عهداً مع إلـٰهنا أن نخرج كل النساء والذين ولدوا منهن حسب مشورة سيِّدي.

١٠/ ١٠ ـ ١٢: فقام عزرا الكاهن وقال لهم: إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل، فاعترفوا الآن للربِّ، وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة. فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم: كما كلمتنا كذلك نعمل.

١٠/ ١٦ ـ ١٨: وفعل هكذا بنو السبي ـ ـ وانتهوا من كل الرجال الذين اتخذوا نساء غريبة في اليوم الأول من الشهر، فوجدوا بين بني الكهنة من اتخذ نساء غريبة.

http://kotob.has.it

١٠/ ٤٤ : كل هؤلاء اتخذوا نساء غريبة، ومنهن نساء قد وضعن بنين.

هذا ما فعله عزرا ونحميا اللذان تزعما إعادة بناء الهيكل، فقد فرضا على الإسرائيليين أن يطلقوا زوجاتهم الغريبات، ويتخلوا عن الأولاد الذين أنجبوهم منهن، وحرما التزاوج بين الإسرائيليين والغرباء، ثم طردوا الغرباء شر طردة كما جاء في سفري عزرا ونحميا.

ذلك ما كان بعد السبي، ولا ريب أن الأمر بعد تشرّدهم في الأرض كان أسوأ، أما اليوم فأكثر المؤرّخين يقولون: إنَّ يهود اليوم قد انقطع نسبهم إلى أسباطهم الخاصة التي يتميز بعضها عن بعض حسب تعاليم توراتهم، ففي سفر العدد ٣٦/ ٦ ـ ٩ : أنَّ الربَّ أمر أن يتزوَّج كل رجل بامرأة من سبطه وقبيلته، وأن تتزوج كل امرأة برجل من سبطها وقبيلتها حتى لا يتحول نصيب من سبط إلى آخر.

ويقول كثير من اليهود: إنَّ أنسابهم قد اختلطت، ولم يبقَ لهم نسبٌ صحيح محفوظ، وأكثر اليهود تهودوا فيما بعد، وجاؤوا من أقطار شتى، وإن غالبية اليهود الغربيين (الأشكنازيم) هم من الخزر الذين تهوَّدوا في القرن الثامن الميلادي[١].

---

(١) الأشكَنازيم: هم اليهود الغربيون الذين قدموا من أوروبة، بمن فيهم يهود الخزر وروسية. والسفارَديم: هم اليهود الشرقيون القادمون من الدول العربية وآسية وإفريقية. ولكل منهما حاخام أكبر خاص به، ولا تعترف اليهودية التقليدية باليهود اليمنيين والأفارقة؛ لأنهم ليسوا من بني إسرائيل الأصليين.
وقد لاحظ العالم (دالبي) في نهاية القرن التاسع عشر أنَّ في اليهود: البيض والسمر والسود، وأنَّ هناك اليهودي الربعة الغليظ الملامح والعريض الرأس من الأشكيناز، واليهودي النحيف الدقيق الملامح والطويل الرأس من السفارديم، وهناك الأنف اليهودي المحدَّب والأنف المقعَّر بين الكثيرين من يهود روسية، وهناك العيون اللوزية في السفارديم، والمناكب الضخمة في الأشكَنازيم، كالصقالبة الشماليين.
وفضلاً عن هذا وذاك فقد أثبتت الدراسات أنَّ اليهود من حيث فئات الدم وفصائله يتفاوتون فيما بينهم كثيراً، مما ينفي تجانس الأصل، وأكثر من ذلك فإن فصائل الدم تلك لا تبدي أية علاقة بفصائل الدم عند اليهود السامريين الذين لا يبيحون الخروج من بلادهم.
فكيف تمَّ اختلاط اليهود أو تخليطهم؟ يذهب جمهور العلماء إلى أنَّ السبب يعود إلى =

http://kotob.has.it

ب ـ ومنهم المتحرِّرون الذين ينزعون نحو التعدّد الطائفي والتشرذم على المستويين الثقافي والديني وعلى المجال الاجتماعي. وقد ظهر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حركة إصلاح تدعو إلى الاندماج مع غير اليهود للخروج من حالة العزلة، غير أنَّ هذه الحركة واجهتها عدة تيارات من اليهودية الأرثوذكسية ـ ومعظم اليهود منها ـ وتيار اليهودية المحافظة وتيار اليهودية التجديدية المنبثق عن التيار المحافظ.

ويظل الصراع بين العلمانيين والمتدينين أكبر مظهر لانشقاق المجتمع اليهودي، فهما يختلفان في معظم القضايا، مثل إقامة الدولة ودستورها والتربية والتعليم وحرمة السبت والخدمة العسكرية والأطعمة والمرأة والزواج وحائط المبكى وغير ذلك، حتى إنَّ هناك مستعمرات في الأرض المحتلة قائمة على أساس طائفي أو عِرْقي.

التهويد لمكاثرة الفلسطينيين:

في مواجهة النمو السكاني الكثير بين الفلسطينيين ترسل السلطات اليهودية الوفود شرقاً وغرباً لجَلْب مهاجرين جدد من اليهود إلى الأرض المحتلة.

فمنذ أكثر من عَقْدين من الزمن أتَوا بآلاف الأحباش من إثيوبية (الفلاشة) مدَّعين أنهم يهود من بني إسرائيل، فأسكنوهم في مستعمرات، وسخّروهم لمصالحهم في أعمال دينية، ففرح الأحباش بانتشالهم من الفقر الشديد، وفرح اليهود باستغلالهم.

وفي أواخر عهد الاتحاد السوفييتي حدثت قَفْزة في هجرة اليهود من دُوَلِهِ إلى الأرض المحتلة، ثم اكتشف أن قرابة نصف مليون منهم ليسوا يهوداً، بل كان

= تزاوج اليهود من غير اليهود، وإلى دخول أعداد كبيرة من الوثنيين والنصارى في اليهودية بدليل نمو أعداد اليهود في الهجرة بعد الشتات بمعدلات غير معقولة، مثل مملكة الخزر التترية التي تحوَّلت إلى اليهودية بالكامل في القرن الثامن الميلادي، ومثل يهود الفلاشة في الحبشة، واليهود السود من التاميل في جنوب الهند، واليهود القرَّاؤون في طوروس. ولذلك ينزع أكثر اليهود اليوم نحو التعدُّد والتشرذم.

http://kotob.has.it

منهم جنود روس خدموا في الشيشان، فعقدت الوكالة اليهودية اجتماعاً ووضعت خطَّة لتهويدهم على مدى عشر سنوات مع إعطاء الأولوية لمن يخدم في الجيش الإسرائيلي.

ونتيجة لضمور الهجرة بعد ذلك لجأ التيار الإصلاحي اليهودي إلى قبول تهويد أي مهاجر غير يهودي دون عقبات بهدف زيادة عدد السكان، وبدوافع اقتصادية بَحْتة، ثم عاد التركيز على إثيوبية، وهي مستودع لا ينضب، حيث يتم استغلال الظروف المعيشية السيئة هناك وإقناع بعض القبائل بالهجرة بعد إيهامهم بأن أصلهم من اليهود.

وتعلن إسرائيل بين حين وآخر عن اكتشاف قبائل يهودية في مكان ما وهي ليست يهودية، فمع احتلال أفغانستان ادَّعى باحثون يهود أن قبائل البشتون يهودية الأصل، وقد ضلَّت طريقها منذ آلاف السنين، بل ادَّعى باحث يهودي أنَّ القبائل البدوية في صحراء النَّقَب يهودية أصلاً، وكأن اليهودية شهادة تمنح حسب الأهواء.

ومن الملاحظ أنَّ هذا النشاط التهجيري لا يشمل يهود الولايات المتحدة، وذلك للإبقاء على الهيمنة اليهودية على السياسة الأمريكية.

تهويد قبائل هندية:

ثَمَّة قبائل هندية تعيش في أقصى شمال شرق الهند على حدود الصين وبنغلادش وبورمة في ولايتي مانيبور وميزورام، تسمى بني مينشه أو مينيشي. قيل: إن تعدادهم يصل إلى (٩٠٠) ألف نسمة، معظمهم من المتنصِّرين، فقد نجح المبشِّرون خلال القرن الماضي في حمل غالبية هذه القبائل على قبول التنصير، ولهم علاقات قوية بجمعيات تبشيرية غربية.

ادَّعى بعض الأفراد من هذه القبائل أنهم من أحفاد مينيشي بن يوسف، وأن قبيلة بني مينيشي واحدة من القبائل العشر التي هربت خلال هجوم بختنصر على شمال مملكة إسرائيل في القرن الثاني قبل الميلاد، فقد يمَّمت هذه القبيلة شطر إيران وأفغانستان والتيبت والصين وشرقي الهند حيث تعيش حالياً، وانقطعت صلتها بسائر اليهود.

ابتدأ التفتيش للكشف عن هذه القبيلة عام (١٩٥١م)، واعتنق بعضهم

http://kotob.has.it

اليهودية في الخمسينيات من القرن الماضي، وفي السبعينيات تُرجمت توراة اليهود إلى اللغة المحلية السائدة شمال شرق الهند، والتي كانت تلك القبيلة تتكلَّم بها.

وفي عام (١٩٨١م) ادَّعى الباحث زيثانشونفي المتخصص بتاريخ قبيلة ميزو أنَّه أحرز تقدُّماً في إثبات تاريخ تلك القبائل استناداً إلى عدد من الوثائق، زعم أنه تَمَّ العثور عليها، وجرت دراستها ومناقشتها في عدد من الندوات، ثم ألَّف كتاباً في ذلك سمَّاه (هوية الميزوريين الإسرائيلية) بحث فيه أصول اليهود القاطنين على الحدود مع ميانمار، وادَّعى أنَّه بعد بحث طويل توصَّل إلى أن هذه القبائل تعود إلى مينيسي، وهي إحدى القبائل الضالَّة العشر، مؤكّداً أنَّ لديهم أموراً كثيرة مشتركة مع اليهود في إسرائيل[١].

قال بعض قبيلة الميزورام: إنهم بدؤوا بالتحول إلى اليهودية في منتصف الثمانينيات عندما زعم باحث محلّي أنهم إحدى قبائل بني إسرائيل المفقودة. ورفض آخرون هذه المزاعم، غير أنه منذ ذلك الوقت بدأ العشرات منهم بالتحوُّل إلى اليهودية، وشرعوا في تعلم العبرية بالمراسلة، ويقال: إنَّ ثَمَّة (٥٠٠٠) خمسة آلاف شخص في ميزورام ومانيبور المجاورة يطلقون على أنفسهم يهوداً، ويحلُمون بالعيش في إسرائيل.

في عام (١٩٩٤م) قام الحاخام إلياهو أفيشيل رئيس منظمة أميشيف ـ أي شعبي يعود، وهي تتعامل مع دعاوَى الانتماء إلى القبائل اليهودية الضالة ـ بزيارة الهند، وأعلن التحقُّق من الهُوية اليهودية لـ(٣٥٠٠) شخص من أبناء القبائل التي تمارس الطقوس اليهودية. وفي العقد الماضي تمكَّنت هذه المؤسسة من نقل (٨٠٠) شخص من بني مينيشي إلى إسرائيل على غِرار الفلاشة، وأغلبهم يعيش في غزة والضفة الغربية. وتقول المؤسسة: إنَّ هناك أدلَّة كثيرة في عادات بني مينيشي الاجتماعية تثبت أنهم يهود، منها: استخدامهم التقويم القمري، مع أن التقويم القمري ليس مقصوراً على تلك المنطقة.

---

(١) هلاَّ كان هذا البحث عن التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ ليميزها عن الأسفار التي جُمعت في السبي، وإذا عجزوا عن ذلك فهم عن غيره أعجز.

http://kotob.has.it

في منتصف أيار زار وزير الداخلية الهندي إسرائيل، ثم أعقبه في الزيارة وزير الخارجية في (٢٩/ ٦/ ٢٠٠٠م)، ومنذ ذلك الحين بدأ أولئك الهنود يتهيؤون للهجرة إلى فلسطين المحتلة، وقد أعرب الآلاف من تلك القبائل عن أملهم في الرحيل عشية تلك الزيارة.

أفادت تقارير صحفية هندية أن (٥٠٠) شخص من قبيلة شينلانغ قد تمَّ ترحيلهم، وأنَّ آلافاً منهم ينتظرون دورهم. وهذه القبيلة تعيش في ولاية ميزورام الغربية في الحدود مع بنغلادش وميانمار، وهم يزعمون أيضاً أن أصولهم تعود إلى إحدى القبائل اليهودية العشر الضالة، مع أن الجالية اليهودية الرئيسة في الهند والتي يبلغ تعدادها أربعة آلاف نسمة لا تعترف بهم.

ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية أنَّ تقريراً قُدِّم للسفارة الإسرائيلية في نيودلهي وللأمم المتحدة أفاد أنَّ عددَ اليهود في ولاية ميزورام الهندية حوالي (٨٠٠) ألف، وأن (١٧٠) ألفاً آخرين يعيشون في ولاية مانيبور وآسام وتريبورا القريبة.

زار كبير الحاخامات لليهود الشرقيين (رابي شلوموعمار) ولايتي مانيبور وميزورام في مطلع الشهر الثامن من سنة (٢٠٠٤م)، وكان برفقته عدد من الحاخامات للبحث في إمكانية السماح لآلاف من قبيلة بني مينيشي بالهجرة، وأعلن أنَّ قراراً سيُتَّخَذ بهذا الشأن عندما تتوفر جميع المعطيات، فليس من السهل أن نقرر من هو اليهودي، ومَن مِنَ الممكن أن يكون يهودياً، غير أنَّه أكَّد مع غيره أنَّ تقاليدهم وعاداتهم تعود إلى عدَّة قرون، وأنَّ شهادات الهنود الآخرين تؤكّد أصلهم اليهودي، وأضاف أنه من الممكن أن يُعلن هؤلاء الهنود يهوداً مع إمكان التشكيك، وهو وضع يسمح لهم بالاستفادة من حقّ العودة.

بعد ذلك أرسل (رابي شلوموعمار) وفداً من المحكمة الدينية لتقويم ادّعاءاتهم، فزار الوفد تلك المنطقة، وكانوا بين مصدِّق ومكذِّب، غير أنَّ الشخصيات النافذة في إسرائيل والحركة الصهيونية كانت تصدِّق هذا الادّعاء لإيجاد منطقة نفوذ جديدة وجلب عَمَالة رخيصة على غرار الفلاشة ويهود اليمن.

قال الحاخام إلياهو بيرنيوم ـ وهو أحد أعضاء الوفد ـ: لا يوجد أدنَى شك

http://kotob.has.it

في أن هؤلاء الناس جزء من الشعب اليهودي، فإنَّ تقاليدهم وعاداتهم تعود إلى عدَّة قرون، وتؤكّد أنهم من أصل يهودي. ثم أصدر وفد المحكمة تقريره.

نشرت صحيفة هاآرتز الإسرائيلية في (١ نيسان ٢٠٠٥م) أنَّ إسرائيل قرَّرت تبنِّي ستة آلاف من هؤلاء الهنود الذين يطلقون على أنفسهم اسم بني مينيشي، ويدَّعون اليهودية. وأعلنت منظمة أميشاف أنها ستساعد الميزو، وقال رئيس المنظمة مايكل فروند: لا يوجد أيّ مبرِّر لحرمان الميزو من أرض الميعاد. وقد تكفَّلت جمعية الأخوّة المسيحية اليهودية التي تُعنى بقضايا اليهود بدفع تكاليف تهويدهم ليتمكَّنوا من الهجرة.

وأخيراً ادَّعى (رابي شلوموعمار) كبير الحاخامات لليهود الشرقيين (السفارَديم) أنَّه اتَّخذ قراره النهائي بعد دراسات تاريخية وأبحاث طويلة امتدت سنوات بالاعتراف بأن هذه القبيلة من القبائل العشر المفقودة التي هي الأصل الحقيقي للشعب اليهودي. وقال: سوف نبدأ في خطَّة تحويلهم إلى المذهب اليهودي الأرثوذكسي، وسيتجه فريق من الحاخامات إلى شرق الهند للشروع في تحويلهم رسمياً إلى العقيدة الأرثوذكسية، وسيتم بعد ذلك نقلهم مباشرة إلى إسرائيل.

علماً بأن نتائج الاختبارات الجينية التي أجريت في معهد كالكوتا أثبتت أنَّ الجانب الذكوري في ذكور قبيلة بني مينيشي لا يحمل أي صفات تؤكّد ارتباطه بإسرائيل، أما الجانب الأنثوي فيشير إلى ارتباطات جينية مع شعوب منطقة الشرق الأوسط، ويمكن أن يكون ذلك من خلال الزواج المختلط بين أبناء المنطقة.

وكانت الكنيسة الهندية في منطقة جبل ميزوروم قد حذّرت في شهر أيار عام (٢٠٠٠م) من مؤامرة يقوم بها حاخام اليهود الشرقيين شلوموعمار لجلب المزيد من سكان المنطقة إلى إسرائيل، وأن الكثير من النصارى الهنود يتهوَّدون ليتمكَّنوا من الهجرة.

وقد عقد رؤساء الكنيسة اجتماعاً طارئاً ضمَّ (٣٠٠) قسيس وراهب بحثوا فيه مخططاً يهودياً لتهجير ستة آلاف من أتباع طائفة بني مينيشي، وأصدروا في نهاية الاجتماع بياناً وصفوا فيه ذلك المخطَّط بأنه عمل شيطاني يهدف إلى دفع

http://kotob.has.it

المزيد من الهنود لتغيير ديانتهم وفرض اليهودية عليهم، وأكَّدوا أنَّ عدد المتهوِّدة من بني مينيشي ارتفع في العامين الماضيين إلى أكثر من خمسين في المئة، فهذه فتاوى مبنية على الأهواء لا على النصوص[1].

* * *

(١) أخذت هذه المعلومات فهذبتها ولخَّصتها ورتَّبتها من الصحف التالية: إسلام أون لاين في (٢تموز٢٠٠٠م)، إيلاف في (٣ نيسان و١٦ نيسان ٢٠٠٥م)، صحيفة الرياض (٤ نيسان ٢٠٠٥م)، الأخبار (٤/ ١٠/ ٢٠٠٤م)، الوطن (٩ أيار ٢٠٠٥م)، إذاعة بي بي سي (٢٣ ديسمبر ٢٠٠٣م)، نشرة السلطة الفلسطينية (١٠/ ٨/ ٢٠٠٤م).

http://kotob.has.it

الفصل الثاني

لمحة تاريخية عن نسب إبراهيم واصطفائه وهجرته

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ نسب إبراهيم

٢ ـ نشأته واصطفاؤه

٣ ـ هجرته إلى أرض كنعان ورحلته إلى مصر ثم عودته



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
نسب إبراهيم

خلق آدم:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

وقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ اللهَ خَلَق آدم من قَبْضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قَدْر الأرض، فجاء منهم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبين ذلك، والسَّهْل والحَزْن وبَيْن ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك». [أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه].

أبناء آدم:

جاء في سِفْر التَّكْوين ٥/ ٢١: أنَّ آدم ولَدَ شيتاً، وأنَّ شيتاً ولد أَنوش، وأن أنوش ولد قِينان، وأنَّ قينان ولد مَهْلَلْئيل، وأنَّ مهللئيل ولد يارَد، وأن يارد ولد أَخْنوخ[١]، وأنّ أخنوخ ولد مَتُوشالَح، وأنّ متوشالح ولد لامَك، وأن لامك ولد نوحاً.

---

(١) ذكر أهل التفسير أن أخنوخ هو إدريس ـ عليه السلام ـ وكان نبياً بعد آدم وشيت [فتح الباري: ٦/ ٤٧٠]. وفي سفر التكوين ٥/ ٢٤: وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد، لأن الله أخذه.

وفي التوراة السامرية ٥/ ١٨: وعاش يَرَد اثنتين وستين سنة وولد حَنوك.

٥/ ٢١: وعاش حنوك خمساً وستين سنة وولد مَتوشَلَح.

٥/ ٢٤: وسلك حنوك في طاعة الله وفقد، إذ تولته الملائكة.

http://kotob.has.it

وفي أخبار الأيام الأول ١/١ : آدم، شيت، أنوش، قِينان، مَهْلَلْئيل، يارد، أخنوخ، متوشالَح، لامَك، نوح : سام حام يافث.

أبناء نوح:

عن سَمُرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ولَد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث». [أخرجه أحمد والحاكم وصحَّحه ووافقه الذهبي، ورمز السيوطي لصحته].

وجاء في سفر التكوين ٥/ ٣٢ : وكان نوح ابن خمسمئة سنة، وولد ساماً وحاماً ويافث.

٦/ ٩ ـ ١٠ : هذه مواليد نوح ـ ـ وولد نوح ثلاثة بنين: ساماً وحاماً ويافث.

١٠/ ١ : وهذه مواليد نوح: سام وحام ويافث، وولد لهم بنون بعد الطوفان.

وعن سَمرة بن جُنْدب وعمران بن حُصَين ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «ولد نوح ثلاثة؛ فسام أبو العرب، وحام أبو الحبشة، ويافث أبو الروم». [أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي: رجاله موثَّقون، ورمز السيوطي لصحته].

وفي المسند والسُّنَن أنَّ نوحاً ولد ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك.

وقال المؤرِّخون: أولاد نوح من الذكور ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب والفرس والروم، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج.

أبناء حام:

جاء في سفر التكوين ١٠/ ٦ : وبنو حام: كوش ومِصْرايم وفوط وكنعان.

١٠/ ٢٠ : هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم.

http://kotob.has.it

أبناء سام ثم تارَح:

جاء في التكوين ١٠/ ٢١ ـ ٢٣ : وسام أبو كل بني عابر -- بنو سام : عِيلام وأشّور وأَرْفَكْشاد ولُودُ وأرام .

١٠/ ٢٤ ـ ٢٥ : وأرفكشاد ولد شالَح ، وشالَح ولد عابِر . ولعابر ابنان فالَج ويَقْطان .

١٠/ ٢٦ ـ ٣٠ : ويقطان ولد ألْموداد وشالف وحضرموت ويارَح وهَدُورام وأوزال ودِقْلَة وعوبال وأبيمال وشبا وأوفير وحَويلة ويوباب . جميع هؤلاء بنو يقطان .

١١/ ١٠ ـ ٢٦ : هذه مواليد سام : لما كان سام ابن مئة سنة ولد أرفكشاد -- أرفكشاد ولد شالَح ، وشالَح ولد عابر ، وعابر ولد فالَج ، وفالج ولد رَعُوَ ، ورعو ولد سروجَ ، وسروج ولد ناحور ، وناحور ولد تارَح ، وتارَح ولد أبرام وناحور وهاران .

وفي أخبار الأيام الأول : ١/ ٢٤ ـ ٢٧ : سام أرفكشاد عابر فالج رعو سروج ناحورتارح أبرام ، وهو إبراهيم[1] .

فإبراهيم ـ عليه السلام ـ يأتي في العشرين بعد آدم من حيث تسلسل النسب .

زواج إبراهيم وأخيه ناحور:

جاء في سفر التكوين ١١/ ٢٧ ـ ٣٠ : وهذه مواليد تارَح : ولد تارح أبرامَ

---

(١) ورد في هذين السفرين أن اسم أبيه تارَح ، وفي القرآن الكريم : آزر . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في قصص الأنبياء ص١٣٩ : جمهور أهل النسب على أن اسمه تارح ، فقيل : إنّه لُقِّب بصنم كان يعبده اسمه آزر . وقال ابن جرير : الصواب أن اسمه آزر ، ولعلّ له اسمين علمين ، أو أحدهما لقب والآخر علم . وهذا الذي قاله محتمل . اهـ . وقال البروفيسور عبد الأحد في كتابه (محمد في الكتاب المقدّس) ، ص٥٥ : اسمه أتيرا (آزر) كما في الإنجيل . اهـ . ومن المعلوم أنَّ كتب أهل الكتاب ليس لها سند متصل ، وتفتقد إلى التوثيق .

http://kotob.has.it

وناحور وهاران، وولد هاران لوطاً. ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين ـ وفي التوراة السامرية: ومات هَرَن بحضرة تَرَح بأرض مولده في بياض خراسان ـ واتخذ أبرام وناحور لأنفسهما امرأتين، اسم امرأة أبرام ساراي، واسم امرأة ناحور مِلكة بنت هاران. وكانت ساراي عاقراً ليس لها ولد.

وهذا يعني أنَّ ناحوراً تزوَّج بنت أخيه. وهو محرم في شريعة التوراة.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
نشأة إبراهيم واصطفاؤه

البيئة التي نشأ فيها:

كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الساميِّين الذين سكنوا أرض العراق، وقد ولد ونشأ في أرض الكَلْدانيين، وهي بابل وما والاها، وتقع ما بين دجلة والفرات في السهل إلى الجنوب، وحسب ما ورد في سفر التكوين ١١/٢٨ و٣١ فإنه كان مقيماً في بلده أور جنوب العراق(١).

كان سكان منطقة ما بين النَّهْرين (دجلة والفرات) يعبدون الأصنام بصورة عامة، كما كانوا يعبدون الأجرام السماوية، ففيها على زعمهم تكمن القوى المؤثرة في توجيه الأمور ومصير البشرية، كما كان بعضهم يعبد الملوك على اعتقاد أنهم أرباب سماويُّون، وكانت حضارة بابل هي المسيطرة، وكان لأهلها الكثير من الأصنام، فلكل مدينة إلـه يحميها، ولكل مقاطعة آلهة صغرى تعبدها، أما (مردك) إلـه بابل فهو كبير الآلهة. في هذه البيئة نشأ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان أبوه ممَّن يعبدون الأصنام.

بركته واجتباؤه:

ولد ـ عليه السلام ـ وقد آتاه الله سبحانه طبعاً مستقيماً واستعداداً فطرياً للفهم وحب الخير، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]، أي: آتيناه رشده في صغره قبل الرسالة، والمراد الرشد

---

(١) ذكر بعض المؤرخين أنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان من قبيلة سامية عربية، هاجرت من جزيرة العرب واستقرّت على شطِّ العرب الناشئ من التقاء نَهْرَي دجلة والفرات قبل مصبّه في الخليج عند مدينة أور الكلدانيين، ثم ما لبثت تلك القبيلة أن اختلطت بأهل المدينة، وعُدَّت منهم. واختلف المؤرخون في تحديد العصر الذي عاش فيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ فمنهم من جعله في حدود القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ومنهم من حدده بعام (٢٠٠٠ق.م). هذا، وقد دوَّن المؤرّخ اليهودي يوسف فلافيوس في كتابه (العصور القديمة): قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أور الكلدانيين.

http://kotob.has.it

الذي يتم به إدراك الحق والباطل مع تمييز قيم كل منهما والتصرف في الحياة على مقتضى هذا الإدراك والتمييز.

ثم بعثه رسولاً في شبابه واتّخذه خليلاً في كبره، فأزال به الشرور وأبطل الضلال. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢١]؛ أي: كان قدوة وإماماً مهتدياً يدعو إلى الخير والحق، ويشكر ربَّه بجميع جوارحه، ولذلك اصطفاه ورفع قدره وباركه. قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] والخلَّة هي غاية المحبة.

وجعله إماماً للناس يقتدون به، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. سأل إبراهيم ـ عليه السلام ـ ربَّه أن تكون هذه الإمامة باقية في ذريته، فأجابه الله إلى ما سأل غير أنّه استثنى الظالمين من نيلها، وخصَّ بها العلماء العاملين. فكان من ذريته نبيان كريمان، هما إسماعيل بكره من هاجر، وإسحاق من سارة، وكان من نسل إسحاق: يعقوب ومن جاء من عقبه من الأنبياء، وكان من نسل إسماعيل: محمد ـ ﷺ ـ خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين. قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

ومنذ ظهر إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يعدم التوحيد في ذريته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

محاجته قومه:

بعث الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ نبياً وليس على وجه الأرض يومئذ مسلم، فحمل الدعوة إلى أرض الكلدانيين وعزم على نصح قومه وهدايتهم، وبدأ بدعوة أبيه لأنه أحق الناس بنصحه، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ

http://kotob.has.it

ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦ ـ ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٩ ـ ٧٨].

تحطيمه الأصنام وإلقاؤه في النار وإنجاء الله إيَّاه:

كان لقوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ عيد يذهبون فيه إلى ظاهر البلد كل عام، فدعاه أبوه إلى حضوره، فنظر نظرة في النجوم، ثم عرَّض في كلامه ليتوصل إلى مقصوده فقال: إني سقيم. فلما خرجوا حطَّم أصنامهم إلا كبيراً لهم(١).

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٨٣ ـ ٩٣].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ

---

(١) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص١٤٢.

http://kotob.has.it

مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١ ـ ٧٠].

مناظرته الملك المتجبر:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكان هذا الملك قد طغى وتجبّر، وادّعى لنفسه الربوبية، فحاجّه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وحجّه. ويذكر المفسرون أن اسمه نمرود.

وجاء في سفر التكوين ١٠/٦ وأخبار الأيام الأول ١/٨: بنو حام: كوش ومِصْرايم وفوط وكنعان.

وفي التكوين ١٠/٨ وأخبار الأيام الأول: وكوش ولد نِمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض.

التكوين ١٠/ ٩ ـ ١٢: الذي كان جبّار صيد أمام الربِّ، لذلك يقال كنمرود جبار صيد أمام الرب.

وكان ابتداء مملكته بابلَ وأَرَكَ وأكّدَ وكَلْنةَ في أرض شِنْعار. من تلك الأرض خرج أَشّور وبنى نينوى ورَحُوبوت عيرَ وكالَح، ورَسَنَ بين نينوى وكالح، هي المدينة الكبيرة.

http://kotob.has.it

وهذا يعني أن نمرود هذا كان في الجيل الثاني بعد حام أخي سام، وإذا كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الجيل التاسع بعد سام حسب ما ذكرت توراة اليهود، فإن بينهما ستة أجيال، أي: ما يقارب (٣٠٠) سنة، ومن المعلوم عند الجميع أنّ أسفار أهل الكتاب عارية من الأسانيد مفتقرة إلى التوثيق، لا يُعرف متى كُتبت ومَن كتبها ومتى جُمعت؟ ولو كانت موثقة لكان ثمة نمرود آخر كان في عصر إبراهيم ـ عليه السلام ـ. وآثار نمرود باقية في العراق إلى يومنا هذا. ويقال: إنّ ملكه دام (٤٠٠) سنة، والله أعلم.

قال السدِّي: وهذه المناظرة كانت يوم نَجّاه الله من النار، ولم يكن اجتمع به يومئذٍ[١].

مناظرة عبدة الكواكب:

ناظر إبراهيم ـ عليه السلام ـ عَبَدَة الكواكب من قومه، فبيَّن لهم أنَّ هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيِّرة لا تصلح للألوهية، وبدأ على سبيل الاحتجاج والاستدراج بأحد الكواكب ـ قيل: هو الزهرة ـ ثم ترقَّى إلى القمر الذي هو أبهى، ثم ترقّى إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياءً وبهاءً وسناءً.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ

---

(١) قصص الأنبياء، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

http://kotob.has.it

عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٧٥ ـ ٨٣].

والملكوت هو الملك، وزيدت فيه الواو والتاء للمبالغة، كالجبروت من الجبر. ويطلق على ما يملكه الإنسان، وعلى السلطان والعَظَمة، أي: أنَّ الله سبحانه أرى إبراهيم ملكوته بكلا معنييه الحسي والمعنوي، مما يدلّ على إفراده بعناية خاصة ليكون أهلاً لما سيقوم به(١).

وقال جلَّ جلاله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

قصة إبراهيم بين القرآن وتوراة اليهود:

وردت قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم متفرّقة في سور كثيرة لأداء الغرض وحصول العِظَة بحسب المناسبة، وهذه ميزة اختصّ بها القرآن الكريم. ومن يقابل ما ورد في القرآن الكريم بما في سِفْر التكوين يجد بينهما فرقاً كبيراً، فالسفر يحرص على ذكر حياة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وما فيها من ترحال وأحداث ووعود له ولذريته بالاستخلاف في الأرض وتكثير النسل، ولا يذكر شيئاً عن دعوته أباه إلى الإيمان بالله وحده، ولا عن تحطيمه الأصنام، وإلقاء قومه إياه في النار وإنجاء الله تعالى إياه منها، ولا عن جداله مع الذين كانوا يعبدون الكواكب والنجوم من قومه، ولا عن محاجته الملك الذي جعل نفسه إلـٰهاً، وقد ثبت لعلماء الآثار عن طريق الأحافير في منطقة ما بين النهرين، وفي أور بالذات أن السكان القدامى من البابليين والآشوريين كانوا يعبدون الكواكب والملوك وفق ما جاء في القرآن الكريم(٢).

---

(١) اختلف المفسّرون في الوقت والغرض الذي قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيه هذا الكلام:
أ ـ ذهب بعضهم إلى أن ذلك كان قبل البلوغ في أثناء تدرّجه في الاستدلال وكان باحثاً عن الحق. وقد اختار هذا القول: الطبري وأيّده.
ب ـ وذهب آخرون إلى أنّه قال ذلك بعد البعثة بصدد إرشاد قومه على سبيل الاستدراج للرد عليهم وتعريفهم بخطئهم.

(٢) انظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، ص١٧٨ ـ ١٧٩ و١٨٢، وقال ص١٣٩ ـ ١٤٠: =

http://kotob.has.it

وصفوة القول: إنَّ القرآن الكريم يشير إلى حياة إبراهيم ـ عليه السلام ـ إشارة موجزة، غير أنه يبرز نواحي أخرى أكثر أهمية، فيتحدّث عن منزلته عند ربه، ودعوته إلى التوحيد، وما جرى له مع قومه من حجج حتى ضاقوا به ذرعاً.

* * *

= والظاهر أنّ موعظته هذه في الكواكب لأهل حران، فإنهم كانوا يعبدونها ـ ـ وأما أهل بابل فكانوا يعبدون الأصنام فكسرها عليهم.

وكان قال ص١٣٦ عن إبراهيم وامرأته وابن أخيه لوط ـ عليهما السلام ـ: ثم ارتحلوا قاصدين أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، فأقاموا بحران، وهي أرض الكلدانيين في ذلك الزمان، وكذلك أرض الجزيرة والشام أيضاً، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالي، ويعبدون الكواكب بأنواع من الفعال والمقال، ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها، ويعملون لها أعياداً وقرابين.

http://kotob.has.it

[٣]

هجرة إبراهيم إلى أرض كنعان

ورحلته إلى مصر ثم عودته

بعد أن نجَّى الله سبحانه إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ من النار، وأعانه على قومه بالحجَّة والبرهان أمره بالهجرة من بين أظهرهم إلى الأرض المباركة، ولم يكن معه سوى زوجته سارة ولوط ـ عليه السلام ـ ابن أخيه هاران، إذ لم يكن له من الولد أحد وقتئذٍ.

قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

والمراد بيت المقدس وما حوله من الأرض، والقداسة تشمل التعظيم والبركة والاهتمام.

وقال سبحانه: ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وجاء في سفر التكوين ١٢/ ١ ـ ٣: وقال الربُّ لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظِّم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتُبارك فيك جميع قبائل الأرض.

١٢/ ٤ ـ ٦: فذهب أبرام كما قال له الرب، وذهب معه لوط، وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ـ وفي السامرية: حَرّان ـ فأخذ ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران، وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتَوا إليها، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة ـ وفي السامرية: إلى موضع نابلس إلى مرج البهاء ـ وكان

http://kotob.has.it

الكنعانيون حينئذٍ في الأرض[1].

هل هاجر معه أبوه إلى حاران؟:

تذكر توراة اليهود أنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ غادر وطنه أور الكلدانيين برفقة زوجته ووالده وابن أخيه لوط متجهين إلى حاران، وأن أباه توفي هناك.

ويزعم أهل الكتاب أنَّ أباه لم يكن يعبد الأصنام، وليس عدوّاً لله، بل كان من المعترفين بالوحدانية، ولو لم يكن كذلك لما غادر وطنه وترك عشيرته مع ابنه وابن ابنه امتثالاً لأمر الله.

جاء في سفر التكوين ١١/ ٣١ ـ ٣٣: وأخذ تارَح أبرام ابنه ولوطاً بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان، فأتَوا إلى حاران وأقاموا هناك.

وفي التوراة السامرية: وأخذ تَرَح أبرم ولده ولوطاً بن هَرَن ابن ابنه، وساراي ومِلْكة كنتيه زوجتي أبرم ونحور ابنيه، وأخرجهم من بياض خراسان للمضي إلى أرض كنعان، فجاؤوا إلى حَرّان وسكنوا هناك.

غير أن ثمة نصوصاً أخرى في أسفارهم تعارض هذا وتضاربه:

جاء في سفر التكوين ١٢/ ١ ـ ٢: وقال الله لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك.

وفي ٢٤/ ٧ أنَّ إبراهيم قال لعبده كبير بيته: الربُّ إلـه السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي، والذي كلَّمني قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض.

فهذا يدلُّ على أنَّ أباه لم يكن مهاجراً معه، وإلا لما أمره الله أن يذهب من بيت أبيه، ولما قال إبراهيم لعبده: أخذني من بيت أبي، بل لقال: أخذني وأبي من أرض ميلادي، أو نحو ذلك.

---

(١) حاران: مدينة قديمة، تقع بأعلى الفرات في أقصى ما بين النهرين غرباً بين سورية والعراق. وقيل: تقع الآن في تركية، وهي أيضاً أرض الكلدانيين في ذلك الزمان، وكانت مركزاً من مراكز عبادة القمر. وشكيم هي مدينة نابلس، وتقع في الضفة الغربية لنهر الأردن.

http://kotob.has.it

وجاء في سفر يشوع بن نون ٢٤/ ٢ ـ ٣ : وقال يشوع لجميع الشعب : هكذا قال الربُّ إلـٰه إسرائيل : آباؤكم سكنوا في عَبْر النهر منذ الدهر ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور ، وعبدوا آلهة أخرى ، فأخذتُ إبراهيم أباكم من عبر النهر ، وسِرْتُ به في كل أرض كنعان .

فأبوه كان يعبد الأصنام مع قومه ، وإنما أخذ الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن آمن به من عبر النهر ، وسار به في كل أرض كنعان دون أبيه .

رحلته إلى مصر من أجل المجاعة ثم عودته:

لبث إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أرض كنعان مدة يسيرة ، ثم نزلت بأرض الشام ضائقة شديدة ، نزح كثير من أهلها طلباً للكلأ والمرعى ، ونزح أيضاً إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مصر بعد قحط دَبَّ في أرض كنعان ، ولم يطل بقاؤه هناك ، بل عاد إلى أرض كنعان سالماً غانماً(١) .

جاء في سفر التكوين ١٢/ ١٠ : وحدث جوع في الأرض ، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرَّب هناك ، لأن الجوع كان شديداً .

١٣/ ١ ـ ٤ : فصعِد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ، ولوط معه إلى الجنوب ، وكان أبرام غنياً جداً من المواشي والفضة والذهب ، وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداوة ، بين بيت إيل وعاي ، إلى مكان المذبح الذي عمله هناك أولاً ، ودعا باسم الرب .

---

(١) ذكر المؤرّخون أنَّ ذلك كان في عهد العماليق (الهكسوس)، ويرى الباحثون الغربيون أنَّهم حكموا مصر ما بين عامي (١٧٣٠ ـ ١٥٨٠ق . م)، وكانوا من الأعراب، فإنَّ بعض البدو الرحّل استقر في أرض كنعان، وواصل بعضهم سيره إلى مصر، ثم أُخرجوا منها عام (١٥٨٠ق . م) على يد الملك أحمس . وذكر بعض المؤرّخين أنَّ فرعون مصر الذي كان إبان رحلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان عاملاً لأخيه الضحاك الملك المشهور بالظلم. ويقال: إنَّ اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وذكر ابن هشام في التيجان أنَّ الذي أراد سارة زوجة إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو عمرو بن امرئ القيس بن مايلون بن سبأ، وكان على مصر كما نقله السهيلي . وانظر : قصص الأنبياء، لابن كثير، ص١٥٥ .

http://kotob.has.it

اعتزال لوط:

ولما كثرتْ أموال إبراهيم وأموال لوط ابن أخيه ـ عليهما السلام ـ نزح لوط بأمر إبراهيم ـ عليهما السلام ـ إلى أرض الغور المعروف بغور زغر، فنزل بمدينة سدوم، وهي أم تلك البلاد في ذلك الزمان، وكان أهلها أشراراً فجاراً[1].

جاء في سفر التكوين ١٣/ ٥ ـ ١٣ : ولوط السائر معه كان له أيضاً غنم وبقر وخيام، ولم تحتملها الأرض، إذ كانت أملاكهما كثيرة، فلم يقدرا أن يسكنا معاً، فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشيهما. وكان الكنعانيون والفِرزيون حينئذٍ ساكنين في الأرض، فقال أبرام للوط: لا تكن مخاصمة، لأننا أخوان، أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني، إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً. فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سَقْي ـ ـ فاختار كل دائرة الأردن، وارتحل شرقاً. فاعتزل الواحد عن الآخر، أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مدن الدائرة، ونقل خيامه إلى سدوم، وكان أهل سدوم أشراراً وخطاة لدى الربِّ جداً.

إكرام الكنعانيين وغيرهم إبراهيم:

وجدَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ في أرض الكنعانيين الأمن والأمان والإجلال والاحترام، لأنَّهم رأوه رجلاً مباركاً، فأكرموه غاية الإكرام.

جاء في سفر التكوين: ٢٠/ ١ : وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادَش وشور، وتغرب في أرض جَرار.

٢٠/ ١٤ ـ ١٦ : فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاها لإبراهيم وردَّ إليه سارة امرأته وقال: هو ذا أرضي قدامك، اسكن فيما حسن في عينيك. وقال لسارة: إني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة، ها هو لك غطاء عَيْن من جهة كل ما عندك وعند كل واحد فأنصفتِ.

وفي ٢١/ ٢٢ ـ ٢٤ : وحدث في ذلك الزمان أنَّ أبيمالك وفيكول رئيس

---

(١) قصص الأنبياء، ص١٥٦.

http://kotob.has.it

جيشه كَلَّما إبراهيم قائلين: الله معك في كل ما أنت صانع، فالآن احلف لي بالله ههنا أنك لا تغدر بي ولا بنسلي وذريتي، كالمعروف الذي صنعت إليك تصنع إلي وإلى الأرض التي تغرّبت فيها. فقال إبراهيم: أنا أحلف.

٢١/ ٣٢: فقطعا ميثاقاً في بئر سبع، ثم قام أبيمالك وفيكول ورجعا إلى أرض الفلسطينيين.

٢١/ ٣٤: وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة.

وفي ٢٣/ ٢ ـ ١١: وماتت سارة في قرية أَرْبَع التي هي حبرون في أرض كنعان[١]، فأتى إبراهيم وكلم بني حِثّ قائلاً: أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي. فأجابوه قائلين: اسمعنا يا سيدي، أنت رئيس من الله بيننا، في أفضل قبورنا ادفن ميتك، لا يمنع أحد منا قبره عنك. فقال إبراهيم: التمسوا لي من عِفْرون بن صُوحَرَ أن يعطيني مغارة المَكْفيلة التي في طرف حقله بثمن كامل. وكان عفرون جالساً فقال: لا يا سيدي، الحقل وهبتك إياه، والمغارة التي فيه لك وهبتها، لدى عيون بني شعبي وهبتك إياها، ادفن ميتك.

إطلاق اسم العبراني عليه:

أطلق الناس على إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن كان معه اسم (العبرانيون) عندما هاجروا من العراق إلى الشام، لأنهم عبروا النهر واجتازوه، غير أن إبراهيم هو الذي اشتهر به.

جاء في سفر التكوين ١٤/ ١٣ في قصة الاعتداء على لوط ـ عليه السلام ـ: فأتى من نجا وأخبر العبراني.

وفي سفر يشوع بن نون٢٤/ ٢ ـ ٣: آباؤكم سكنوا عبر النهر منذ الدهر ـ ـ فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرتُ به في كل أرض كنعان.

وهل هو نهر الفرات الذي عبروه إلى أرض الشام، أو نهر الأردن؟ ليس ثمة

(١) حبرون هي الخليل، حيث دفن زوجته ودُفن هو فيما بعد وابنه إسحاق وحفيده يعقوب. وتقع جنوب القدس.

http://kotob.has.it

ما يحدّد، غير أن ما جاء في سفر يشوع يرجح أنه نهر الفرات، لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان في أور الكلدانيين. وعليه تكون هذه الكلمة مشتقة من العبور، وهو في اللغة العربية: القطع، يقال: عبر الطريق إذا قطعها. علماً بأن اللغة العربية والآرامية القديمة والسريانية تتشابه، إذ مصدرها جميعاً واحد، واللغة العبرية مأخوذة من الآرامية ومن لهجات الكنعانيين.

ثم اشتهر إطلاق هذا الاسم على ابنه يعقوب وأولاده، فكان المصريون يطلقون على يوسف ـ عليه السلام ـ الفتى العبراني، كما جاء في سفر التكوين ٣٩/ ١٤ و١٧، ثم عرف بنو إسرائيل جميعاً باسم العبرانيين كما في سفر التكوين ٤٣/ ٣٢ وسفر الخروج ٢/ ١١ و١٣ و٣/ ١٨، واستمر هذا لفترة طويلة إلى زمن إرمياء عام (٧٠٠ق. م) تقريباً كما في سفر صموئيل الأول ٤/ ٦ و٩، و١٣/ ١٩، و٢٩/ ٣، وسفر إرمياء ٣٤/ ١٤[1].

وصفوة القول: كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ داعية إلى الله، وكان من شأنه التطواف في الأرض بحثاً عن بيئة ملائمة لدعوته ومعيشته، فهاجر من أور الكلدانيين متتبعاً نهر الفرات إلى الشمال حتى مدينة حران، ومنها انعطف إلى الغرب يساراً حتى نزل بشرق أرض كنعان، وهي التي تسمى الآن فلسطين، ومنها رحل إلى مصر إثر المجاعة، ثم عاد إلى كنعان.

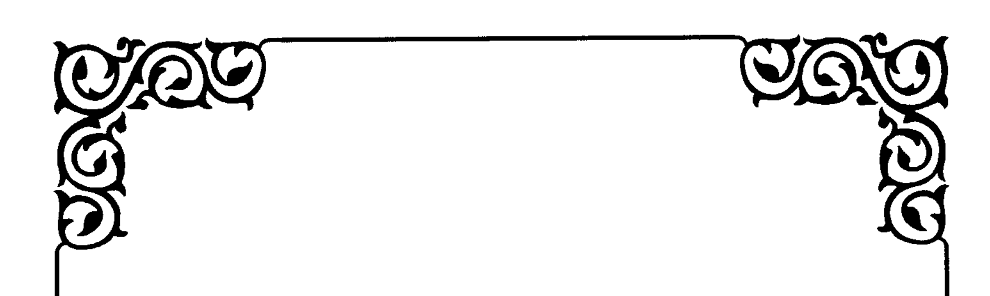
* * *

---

(١) جاء في قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٥٢٧: يقال لهم: عبرانيون من العبر، أي: من عبور إبراهيم نهر الفرات. ويقال لهم: هود، من هادوا هوداً، أي: رجعوا وتابوا. ويقال لهم: يهود، وأصلها من كلمة يهوذا، وهو اسم سبط من الأسباط، هو رابع أولاد يعقوب، وسمّوا بذلك تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين كانوا في مملكة إسرائيل بعد الانقسام، ولما تشتت الأسباط كلهم دُعي اسم جميع نسل يعقوب يهوداً. اهـ.
ويرى كثير من الباحثين أن اسم العبرانيين كان يطلق على مجموعة من القبائل السامية التي هاجرت من بلاد العرب وبادية الشام وبادية العراق، واستقرت في فلسطين ومصر، وكان الساميون يقطنون أواسط وشمال أرض العرب، وإليهم ينتسب الآشوريون والعرب.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الثالث

بل أنتم بشر ممن خلق

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ بشارة إبراهيم بالنسل الكثير وإقامة العهد معه

٢ ـ حقّ البكر في وراثة عهد أبيه

٣ ـ سَلْب حق البكورية من عيسو وسرقة بركته



http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]

بشارة إبراهيم بالنسل الكثير
وإقامة العهد معه

لم يُرزق إبراهيم طوال تلك المدة بولد، ثم بشَّره الله سبحانه بالذرية الطيبة.

جاء في سفر التكوين ١٥/ ١ ـ ٦: صار كلام الربّ إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخفْ يا أبرام، أنا تُرسٌ لك، أَجْرُك كثير جداً. فقال أبرام: أيُّها السيِّد الرب، ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي؟ وقال أيضاً: إنك لم تعطني نسلاً، وهوذا ابن بيتي وارث لي. فإذا كلام الرب إليه قائلاً: لا يرثك هذا، بل يرثك الذي يخرج من أحشائك، هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال: انظر إلى السماء وعُدَّ النجوم إن استطعت، وقال: هكذا يكون نسلك. فآمن بالربِّ، فحسبه له براً وقال له: أنا الربُّ الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها.

ميلاد إسماعيل بكر إبراهيم:

جاء في سفر التكوين ١٦/ ١ ـ ٤: وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد، وكان لها جارية مصرية اسمها هاجر، فقالت ساراي لأبرام: هو ذا الربُّ قد أمسكني عن الولادة، ادخل على جاريتي، لعلّي أرزق منها بنين. فأعطتها له بعد عشر سنين لإقامته في أرض كنعان، فدخل عليها فحبلت[1].

١٦/ ١٠ ـ ١٣: وقال لها ـ أي: لهاجر ـ: مَلَاك الربِّ: تكثيراً أكثِّر نسلك،

---

(١) جاء في فتح الباري: ٦/ ٤٧٦: «ويقال: إن أباها كان من ملوك القبط، وإنها من (حَفْن) وحَفْن بفتح الحاء وسكون الفاء وهي قرية بمصر». وهذا يعني أنها وقعت في السبي وتملكها فرعون، ثم أهداها لسارة عندما هاجر إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مصر من أجل القحط، ونجّى الله سارة من فرعون.

http://kotob.has.it

فلا يعدُّ من الكثرة، ها أنتِ حُبْلَى، فتلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه ـ وفي السامرية: يده بالكل، ويد الكل به ـ وأمام جميع إخوته يسكن[1].

١٦/ ١٥ ـ ١٦: فولدت هاجر لأبرام ابناً دَعَتِ اسمَه إسماعيل. وكان ابن ست وثمانين لما ولدت هاجر.

تأكيد إقامة العهد بين الله وبين إبراهيم ونسله:

جاء في سفر التكوين ١٧/ ١ ـ ٢: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الربُّ وقال: أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً.

١٧/ ٥ ـ ٧: فلا يُدْعَى اسمك بعد أبرام، بل يكون إبراهيم[2]، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم ــ وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلـهاً لك ولنسلك من بعدك.

ميلاد إسحاق:

١٧/ ١٥ ـ ١٧: وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك ــ اسمها سارة، وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً، وملوك شعوب منها يكونون. فسقط إبراهيم على وجهه، وضحك وقال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟.

---

(١) قال البروفسور عبد الأحد في كتابه (محمد في الكتاب المقدس)، ص٦٠ ـ ٦١: كلمة أضاعف [أو أكثر] جاءت خطاباً من الملاك لهاجر وهي في البرية على هذا النحو: «إن الله سوف يضاعف ذريتك إلى عدد لا يحصى، وسوف يصبح إسماعيل ذا ذرية كثيرة».
وقد قام المسيحيون الآن بترجمة نفس الكلمة العبرية التي تعني وفير أو كثير من الفعل (para) الذي يرادفه بالعربية لفظ وفير أو وافر، ترجموها إلى معنى مغاير لحقيقة اللفظ، وهو (الحمار المتوحش)، أليس من العار والكفر أن يُنْعت إسماعيل بالحمار المتوحش، وهو النبي الذي كرَّمه الله، فنعته بصاحب الذرية الخصبة الكثيرة العدد؟!.

(٢) جاء في فتح الباري: ٦/ ٤٧٠: وإبراهيم بالسريانية معناه: أب راحم.

http://kotob.has.it

٢١/ ٢ ـ ٣: فحبلتْ سارة، وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته في الوقت الذي تكلَّم الله عنه، ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذي ولدته له سارة: إسحاق.

وقد جاءت هذه القصة في القرآن الكريم على حقيقتها، فقد كانت البشارة لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وسارة بإسحاق ـ عليه السلام ـ من الملائكة لما مَرُّوا بهما مجتازين إلى مدائن قوم لوط ـ عليه السلام ـ ليدمروها عليهم، وليس من الله سبحانه مباشرة كما في التوراة السامرية أيضاً.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ [الحجر: ٥١ ـ ٥٨][1].

وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٢ ـ ١١٣].

موت سارة:

جاء في سفر التكوين ٢٣/ ١ ـ ٢: وكانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنة، وماتت في قرية أَرْبَعَ التي هي حَبْرون في أرض كنعان.

---

(١) وقد جاءت الآيات في سورة الذاريات ٢٤ ـ ٣٢ بنحو هذه الآيات.

http://kotob.has.it

٢٣/ ١٩ ـ ٢٠ : وبعد ذلك دَفن إبراهيم سارة في مغارة حقل المكْفيلة أمام مَمْرا التي هي حَبْرون في أرض كنعان، فوجب الحقل والمغارة التي فيه لإبراهيم، مِلْكَ قبرٍ من عند بني حِثَّ[١].

زواج إبراهيم من قَطُورة وأولاده منها:

جاء في سفر التكوين ٢٥/ ١ ـ ٤ : وعاد إبراهيم **فأخذ زوجة**، اسمها قَطُورة، فولدت له: زمران ويَقْشان ومَدَان ومِدْيان ويشباق وشوحا، وولد يقشان شبا وددان. وكان بنو دادان: أَشُّوريمَ ولَطُوشيم ولأُمّيم، وبنو مديان: عَيْفة وعِفْر وحَنُوك وأبيداع وأَلْدَعَة. جميع هؤلاء بنو قطورة[٢].

هل كانت قطورة زوجة أو جارية؟:

جاء في سفر أخبار الأيام الأول ١/ ٣٢: وأما بنو قطورة **سُرية إبراهيم**، فإنها ولدت زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا.

وهذا متعارض مع ما سبق في سفر التكوين ٢٥/ ١ : «فأخذ زوجة اسمها قطورة»[٣].

الأمر بالاختتان والتنفيذ:

بعد ولادة إسماعيل ـ عليه السلام ـ بثلاث عشرة سنة أمر الله سبحانه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يختتن ويختن كل ذكر في بيته.

---

(١) سبق لدى الكلام عن إكرام الكنعانيين لإبراهيم ـ عليه السلام ـ أنَّ عفرون الحِثِّي وهب إبراهيم الأرض والمغارة لدفن زوجته بدون ثمن كما في سفر التكوين ٢٣/ ٣ ـ ١٨، قال ابن كثير: قبر إبراهيم وقبر ولده إسحاق وقبر ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان ـ عليه السلام ـ بحبرون. وهذا مُتَلَقّى جيلاً بعد جيل، أما يقينه منها فليس فيه خبر صحيح. انظر: قصص الأنبياء، ص١٩٢.

(٢) جاء في قصص الأنبياء، ص١٩٣ : أول من ولد له إسماعيل من هاجر، ثم إسحاق من سارة بنت عمه، ثم تزوج بعدها قنطورة بنت يقطن الكنعانية، فولدت له ستة، ثم تزوج بعدها حجون بنت أمين، فولدت له خمسة: كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس. هكذا ذكره أبو القاسم السهيلي في كتابه (التعريف والأعلام).

(٣) ذكر ابن حزم في الفَصْل أن في كتبهم أن قطورة هذه بنت ملك الربذ، وهو موضع عمَّان اليوم بقرب البلقاء.

http://kotob.has.it

جاء في سفر التكوين ١٧/ ٩ ـ ١٤ : وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي، أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، يختن منكم كل ذكر، فتُختنون في لحم غُرلتكم، ابن ثمانية أيام، يختن منكم كل ذكر في أجيالكم، وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك، يختن ختاناً وليد بيتك والمبتاع بفضتك، فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً. وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها، إنه قد نكث عهدي.

١٧/ ٢٣ ـ ٢٧ : فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضة، كل ذكر من أهل بيت إبراهيم، وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله، وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن، وكان إسماعيل ابنُه ابنَ ثلاثة عشرة سنة حين خُتن. في ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه وكل رجال بيته وِلْدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه.

٢١/ ٤ ـ ٥ : وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله، وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه.

٢١/ ٨ : فكبر الولد وفطم، وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق.

وصفوة القول: إنَّ الله سبحانه بشَّر إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالنسل الكثير وبأن يجعله أباً لجمهور من الأمم، وأقام عهده بينه وبين نسله من بعده في أجيالهم الصالحين عَهْداً أبدياً ليكون إلـٰهاً له ولنسله من بعده، فبمن كثر نسل إبراهيم؟ ولِمَ خصَّ اليهود أنفسهم من دون عباد الله عامة، ومن دون ذرية إبراهيم وإسحاق ـ عليهما السلام ـ خاصة؟ وكأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يخلِّف سوى إسحاق ـ عليه السلام ـ وإسحاق لم يخلف سوى أباهم يعقوب ـ عليه السلام ـ أليس هذا مجافاة لسنن الله وعدالته بين خَلْقه من بني الإنسان؟ أم يحسبون أنَّ الصلاح والاستقامة لازمتهم وحدهم من دون الناس؟ لقد ظهر صلاحهم وعَدْلهم في معاملتهم أخاهم يوسف ـ عليه السلام ـ وبغضهم له عندما بَدَت بواكير النبوة تتألق على مُحَيَّاه، فماذا تنتظر من عدلهم مع غيرهم؟ لا ريب أنَّ أحبارهم يعلمون الحقيقة.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
حق الابن البِكْر في وراثة عهد أبيه

تقضي توراة اليهود بأن البكر هو الذي يرث مركز أبيه ويقوم باسمه، وتؤكد ذلك، لأنه هو أول قدرته التي منحه الله إياها.

جاء في سفر التثنية ٢١/ ١٥ ـ ١٧: إذا كان لرجل امرأتان، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له بنين، فإن كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر، بل يَعْرفُ ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته، له حق البكورية.

سلب حق البكورية من إسماعيل:

تبيَّن مما سبق أن بشارة إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالولد الوارث الذي يخرج من أحشائه كما في ١٥/ ٤ قد تحقَّقت في إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأقيمَ العهدُ وتمَّ الختان، وقد بقي وحيداً لأبيه قرابة أربعة عشر عاماً، فدلَّ على حقِّه الشرعي في أخذ مكانة أبيه في الدعوة وولاية العهد، وكان إبراهيم ـ عليه السلام ـ شيخَ قبيلته المتنقلة ورسولَ الله، وقد وعده الله بأن يكثِّر نسله من إسماعيل ـ عليه السلام ـ وبشَّر أمه هاجر بذلك أيضاً عندما كانت حاملاً به. وعندما صار إبراهيم ـ عليه السلام ـ ابن تسع وتسعين سنة أمره الله سبحانه بالدوام على الاستقامة، وأكَّد عهده معه، وبشّره بتكثير ذريته ومباركتهم قبل أن يُخلق إسحاق ـ عليه السلام ـ فهو البكر وهو الوحيد، غير أن توراة اليهود التي تجعل دائماً العهد للابن الأكبر وتصرُّ عليه، نراها هنا تنكر أهمية البكورية، وتجعل العهد لإسحاق ـ عليه السلام ـ الذي لم يكن وُلد.

جاء في سفر التكوين ١٧/ ١٨ ـ ٢١: وقال إبراهيم لله: ليتَ إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا

http://kotob.has.it

أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جدّاً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة، ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده سارة في هذا الوقت من السنة الآتية.

٢١/ ٩ ـ ١٣ : ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقبح الكلام جدّاً في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يقبُح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة، لأنه نسلك.

تحليل وموازنة:

احتجَّ اليهود على سَلْب حق البكورية من إسماعيل بعبارة: «ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق»، وبعبارة: «لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل». ويبدو أن هذا من وضع أحبار اليهود وتلاعبهم بالنصوص إبان محاولتهم جمع نصوص التوراة المفقودة في أثناء السبي وبعده من الروايات الشفوية وغيرها، فسلبوا حقّ البكوريّة من إسماعيل ـ عليه السلام ـ حسداً من عند أنفسهم، وجعلوه لإسحاق ـ عليه السلام ـ وخصُّوه بالعهد دون ذريّة إسماعيل، فضربوا بعض النصوص ببعض، وأوقعوا في توراتهم اختلافاً كثيراً وكبيراً بناءً على ادِّعائهم، مع أنهما على فرض صحتهما لا ينفيان حق إسماعيل ـ عليه السلام ـ في البكورية وميراث أبيه، لأن العهد قد أعطي لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ولم يكن له ولد آنذاك، ثم أكد وأبرم قبل ميلاد إسحاق ـ عليه السلام ـ فحقُّ إسماعيل في البكوريّة ثابت شرعاً.

قال البروفسور عبد الأحد داود[1]: إنَّ العهد المبرم بين الله وإبراهيم كان في الوقت نفسه عهداً مبرماً بين الله وإسماعيل، ذلك لأنّ العهد قد أبرم قبل ميلاد إسحاق، والعهد وتشريع الختان كان يمكن أن يكونا دون قيمة أو معنى لولا تكرار الوعد في الكلمات المقدّسة ١٧/ ٩ ـ ١٤. وقد تمَّ تحقيق هذا العهد عندما ولد إسماعيل كما في سفر التكوين ١٦/ ١٠ ـ ١٣، وكان ذلك عزاء لإبراهيم، لأن

(١) في كتابه: محمد في الكتاب المقدس، ص٥٧ ـ ٥٨.

http://kotob.has.it

كبير الخدم أليعازر لم يَعُدْ بإمكانه أن يرث إبراهيم، ولذلك وجب أن نعترف بأن إسماعيل كان الوريث الحقيقي والشرعي المميز لحكم وعهد أبيه إبراهيم.

وقال أيضاً: هذا العهد الذي جعل الميراث الذي تفرضه الولادة هو من حق إسماعيل البكر، وهذا الميراث الذي يستحقه إسماعيل لم يكن يُقْصد به الخيمة التي عاش فيها إبراهيم، ولا البعير الذي كان يركبه، وإنما عُني به إخضاع كل الأرض الممتدة واحتلالها إلى الأبد كما في ١٧/ ١٨ ـ ٢١، وهذه البلاد لم تخضع أبداً لذرية إسحاق، ولكنها خضعت لذرية إسماعيل، وكان هذا تحقيقاً حرفياً وفعلياً لأحد الشروط التي قام عليها العهد بين الله وإبراهيم.

وقال ابن كثير[1] ـ رحمه الله ـ: إسماعيل هو البكر لا محالة، وهو الوحيد صورة ومعنى على كل حالة، أما في الصورة؛ فلأنه كان ولده منذ أزيد من ثلاث عشرة سنة، وأما في المعنى؛ فإنه هو الذي هاجر به أبوه ومعه أمه هاجر، وكان صغيراً رضيعاً، فوضعهما في وهاد جبال فاران، وهي الجبال التي حول مكة، وتركهما هناك، ليس معهما من الزاد والماء إلا القليل ثقة بالله وتوكّلاً عليه، فحاطهما الله بعنايته وكفايته. فهذا هو الولد الوحيد صورة ومعنى، ولكن لا يتفطَّن لهذا إلا كل نبيه نبيل، واليهود يعرفون ويحرّفون كراهية أن يكون الفضل في غيرهم، وهي عادتهم.

مَن الذبيح المفدَّى؟:

شاءت حكمة الله سبحانه أن يمتحن إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأمره بذبح وحيده الذي ليس له غيره، فأجاب وامتثل وسارع إلى الطاعة، ولما نجح في الامتحان، فَدَى الله ولده بذِبح عظيم.

قال تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ

---

(١) في قصص الأنبياء، ص٢٢٤.

http://kotob.has.it

فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ٩٩ ـ ١١٣].

يُفهم من تلك الآيات أنَّ الذبيح هو إسماعيل ـ عليه السلام ـ وقد جاءت السنَّة المطهَّرة مصرِّحة بذلك في عدة أحاديث على لسان رسول الله ـ ﷺ ـ غير أنّ اليهود أرادوا أن يَجُرّوا هذا الشرف العظيم إليهم، فحرَّفوا كلام الله، وادَّعوا أنه إسحاق، فأوقعوا توراتهم في اختلاف كبير وتضارب بين النصوص كما سنرى إن شاء الله.

جاء في سفر التكوين ٢٢/ ١ ـ ٣: وحَدَث بعد هذه الأمور أنَّ الله امتحن إبراهيم فقال: **خُذْ ابنك وحيدك** الذي تحبه إسحاق، واذهب به إلى أرض المُرِيّا، وأصعده مُحْرَقة على أحد الجبال الذي أقول لك. فبكر إبراهيم صباحاً، وشدّ على حماره، وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحاق ابنه، وشَقَّقَ حطباً لمحرقة.

٢٢/ ١٥ ـ ١٨: ونادى ملاك الرب إبراهيمَ ثانية من السماء وقال: بذاتي أقسمتُ يقول الرب: إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، **ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر**، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي.

تحليل وموازنة:

وردت عبارة «ابنك وحيدك» مرتين، مرة في ٢٢/ ٢ وأخرى في ٢٢/ ٦، ولا خلاف بين أهل الملل في أنَّ إسماعيل ـ عليه السلام ـ هو أول من وُلد لإبراهيم على رأس ستٍّ وثمانين سنة من عمره، فهو أول ولده وبكره، وظلّ وحيداً لأبيه قرابة أربعة عشر عاماً قبل أن يولد إسحاق، فالامتحان بإسماعيل أكبر، لأنه قد جاءه على كبر بعد أن طَعَن في السن، وهو وحيده الذي ليس له غيره، وبذبحه سوف يُحرم الأولاد ثانية. ولم يكن إسحاق وحيداً لأبيه البتة. فيبدو أن النص قد لعبتْ به الأقلام، وأُقحم فيه اسم إسحاق، ولعله كان في الأصل «ابنك بكرك»، أو «ابنك البكر» فغيروه إلى «ابنك وحيدك» وأضافوا إليه عبارة «الذي تحبه

http://kotob.has.it

إسحاق» ليُلَبِّسوا على الناس، هل هو وحيد لأمه؟ أو هو وحيد لإبراهيم في ذلك المكان بعد رحيل هاجر وابنها؟ وهم قوم بُهت لا يؤتمنون.

قال البروفسور عبد الأحد داود: كان اليهود دائماً وأبداً على غَيْرة من إسماعيل، لأنهم يعرفون جيداً بأنه كان يجسد العهد، وبختانه أُبْرِمَ وخُتم هذا العهد، وإنه بدافع من ذلك الحقد وتلك الضغينة قام النُّسَّاخ وفقهاء الشريعة عند اليهود بتحريف وإفساد الكثير من صفحات كتبهم المقدسة، فشطبوا اسم إسماعيل من العبارات الثانية والسادسة والسابعة من الفصل الثاني والعشرين في كتاب التكوين، ووضعوا اسم إسحاق بدلاً منه، وقاموا أيضاً بحذف الوصف الخاص بإسماعيل «ولدك الوحيد»، وذلك إنكاراً لوجود إسماعيل، فلقد ذكر الله تعالى بوضوح في هذا الفصل مخاطباً إبراهيم: «لأنك يا إبراهيم قبلت أن تضحي بابنك الوحيد من أجلي، فسوف أزيد وأضاعف من ذريتك، ليصبح عددها كعدد النجوم، وكعدد حبات الرمل على شاطئ البحر». وكلمة (أضاعف) جاءت خطاباً من الملاك إلى هاجر وهي في البريّة على هذا النحو: «إنَّ الله سوف يضاعف ذريتك إلى عدد لا يحصى، وسوف يصبح إسماعيل ذا ذرية كثيرة» [التكوين ١٦/ ١٢].

بمن كثرت ذرية إبراهيم؟:

وبإسماعيل ـ عليه السلام ـ وذريته كَثَّر الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ وثمَّره كثيراً جداً، فصار نسله كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، وأضحى أباً لجمهور من الأمم، خرج منهم ملوك، وورث نسلُه باب أعدائه، وتباركت بهم جميع أمم الأرض، وليس بإسحاق وابنه يعقوب ـ عليهما السلام ـ فإنّ ذرية إسرائيل قليلة جداً إذا قوبلت بذرية إسماعيل ـ عليه السلام ـ وذرية عيسو.

جاء في سفر التكوين ٣٢/ ٢٢: ثم قام يعقوب في تلك الليلة، وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر، وعَبَرَ مخاضة تبُّوق.

ثم ذكر في ٣٥/ ١٦ ـ ١٨ ولادة راحيل ابنها بنيامين وموتها.

٣٥/ ٢٣ ـ ٢٦: وكان بنو يعقوب اثني عشر.

http://kotob.has.it

٤٦/ ٦ ـ ٧ : وجاؤوا إلى مصر، يعقوب وكل نسله معه، بنوه وبنو بنيه معه، وبناته وبنات بنيه، وكل نسله جاء بهم إلى مصر .

٤٦/ ٢٦ ـ ٢٧ : جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب، جميع النفوس ست وستون نفساً، وابنا يوسف اللذان ولدا في مصر نفسان، جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون .

وفي سفر الخروج ١/ ٥ : وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، لكنَّ يوسف كان في مصر .

وكان بنو عيسو أكثر من بني يعقوب بكثير، ويظهر ذلك لدى استقبال عيسو ليعقوب عندما عاد مع زوجاته وأولاده من أرض خاله لابان .

جاء في سفر التكوين ٣٣/ ١ : ورفع يعقوب عينيه ونظر، وإذا عيسو مقبل ومعه أربعمئة رجل .

وذكر في ٣٦/ ١ ـ ١٤ مواليد عيسو .

أما إسماعيل ـ عليه السلام ـ فكان لديه اثنا عشر أميراً، خضعت لهم القبائل العربية القوية .

جاء في سفر التكوين ١٧/ ٢٠ : وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه، هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة .

٢٥/ ١٣ ـ ١٦ : وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر إسماعيل وقِيدار وأدَبْئيل ومِبْسام ومِشْماع ودومة ومَسّا وحَدار وتيما ويطور ونافيش وقِدمة . هؤلاء بنو إسماعيل ــ اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم .

وفي أخبار الأيام الأول ١/ ٢٨ ـ ٣١ : ابنا إبراهيم : إسحاق وإسماعيل، هذه مواليدهم، بكر إسماعيل : نبايوت وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومَسّا وحَدود وتيماء ونافيش وقِدْمة . هؤلاء هم بنو إسماعيل .

ورغم مضي ما يقارب أربعة آلاف سنة على هذا الوعد، فإنّ نسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ من حفيده إسرائيل ـ عليه السلام ـ لا يزيدون عن خمسة عشر

http://kotob.has.it

مليوناً مع الأمم التي تهوَّدت، مثل بعض عرب اليمن وبعض الأحباش ويهود الخزر ومعظم يهود أوروبة. فالعهد قد استقرّ ونُفّذ في إسماعيل ـ عليه السلام ـ ثم تحقّق واستعلن في محمد ـ ﷺ ـ وخلفائه من بعده وأمته. ويأبى الواقع في التاريخ الماضي والحاضر ما ادَّعاه الأحبار في توراتهم.

* * *

http://kotob.has.it

[٣]
سلب حق البكورية من عيسو وسرقة بركته

زواج إسحاق:

جاء في سفر التكوين ٢٤/١ ـ ٤ : وشاخ إبراهيم وتقدَّم في الأيام، وقال لعبده كبير بيته المتولي على كل ما كان له: ضع يدك تحت فخذي، فأستحلفك بالربِّ ألاَّ تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم، بل إلى أرضي وعشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق.

٢٤/٧: الربُّ إلـه السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي، والذي كلَّمني، والذي أقسم لي قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، وهو يرسل ملاكه أمامك، فتأخذ زوجة لابني من هناك.

٢٤/ ١٠ ـ ١١ : ثم أخذ العبدُ عشرة جمال وذهب إلى أرام النهرين إلى مدينة ناحور، وأناخ الجمال خارج المدينة عند بئر الماء.

٢٤/ ١٥ ـ ١٨ : وإذا رِفقة التي ولدت لبَتوئيل بن مِلْكة امرأة ناحور أخي إبراهيم خارجة، وجرتُها على كتفها، وكانت حسنة المنظر جداً، وعذراء لم يعرفها رجل، فنزلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت. فركض العبد للقائها وقال: اسقني من جرّتك. فسقته.

٢٤/ ٢٣ ـ ٢٤ : وقال: بنت مَن أنتِ؟ فقالت: بنت بَتُوئيل بن ملكة الذي ولَدته لناحور.

٢٤/ ٢٧ ـ ٢٩ : وقال: مبارك الربُّ إلـه سيدي إبراهيم، إذ هداني إلى بيت إِخْوة سيدي. فركضت الفتاة وأخبرت بيت أمها. وكان لرفقة أخ اسمه لابان، فركض إلى العين.

٢٤/ ٣٤ ـ ٣٨ : فقال: أنا عبد إبراهيم، والربُّ قد بارك مولاي -- وولدت

http://kotob.has.it

سارة امرأته ابناً بعدما شاخ، واستخلفني سيدي قائلاً: بل إلى بيت أبي تذهب وإلى عشيرتي، وتأخذ زوجة لابني.

٢٤/ ٥٠ ـ ٥١: فأجاب لابان وبتوئيل وقالا: من عند الرب خرج الأمر، هوذا رفقة قدامك، خذها واذهب، فلتكن زوجة لابن سيدك.

٢٤/ ٦١ ـ ٦٧: فقامت رفقة وفتياتها وركبن على الجمال وتبعن الرجل. فأخذ العبد رفقة ومضى ـ ـ وخرج إسحاق إلى الحقل عند المساء، فرفع عينيه وإذا جمال مقبلة، ورفعت رفقة عينيها فرأت إسحاق، فنزلت وقالت: من هذا الرجل الماشي للقائنا؟ فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت. ثم حَدَّث العبد إسحاق بكل الأمور، فأدخلها إسحاق إلى خباء أمه سارة، وأخذ رفقة، فصارت له زوجة.

ميلاد التوءم عيسو فيعقوب:

جاء في سفر التكوين ٢٥/ ١٩ ـ ٢٣: وهذه مواليد إسحاق بن إبراهيم. كان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجةً رِفْقَةَ بنتَ بتوئيل الأرامي أخت لابان الأرامي من فدان أرام. وصلَّى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته، لأنها كانت عاقراً، فاستجاب له الرب، فحبلت رفقة، وتزاحم الولدان في بطنها، فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا؟ فمضت لتسأل الرب، فقال لها: في بطنك أُمَّتان، ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يَقْوَى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير.

٢٥/ ٢٤ ـ ٢٦: فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توءمان، فخرج الأول أحمرَ، كلُّه كفروة شعر، فدَعَو اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعَقِب عيسو، فدعي اسمه يعقوب. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما.

فعيسو هو الابن الأكبر لإسحاق، وهو البكر، غير أن توراة اليهود تزعم أن الله سبحانه كره عيسو ونسله وأحبَّ يعقوب ونسله منذ كانا توءمين في رحم أمهما. ويبدو أن هذه القصة موضوعة، أرادوا من ورائها تبرير سلب البكورية وسرقة البركة فيما بعد كما سيأتي.

اتّهام يعقوب باستغلال جوع أخيه وشراء حق البكورية منه:

جاء في سفر التكوين ٢٥/ ٢٧ ـ ٣٤: فكبر الغلامان، وكان عيسو إنساناً

http://kotob.has.it

يعرف الصيد، إنسانَ البرية، ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام، فأحبّ إسحاق عيسو، لأن في فمه صيداً، وأما رفقة فكانت تحب يعقوب. وطبخ يعقوب طبيخاً، فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر، لأني قد أعييت ـ لذلك دعي اسمه أدوم ـ فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك. فقال عيسو: هأنا ماضٍ إلى الموت، فلماذا لي بكورية. فقال يعقوب: احلفْ لي اليوم، فحلف له، فباع بكوريّته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس، فأكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية.

وقد ظهر تحاملهم على عيسو، فوصفوه بأنه إنسان البرية، لا يهتم إلا ببطنه، أما يعقوب فوصفوه بأنه إنسان كامل يسكن الخيام، وزعموا أنّ عيسو لجهله احتقر البكوريّة، فباعها بطبق من الطعام لأخيه يعقوب. وإنّ العاقل ليتساءل هل مدحوا بذلك يعقوب أو ذمّوه وجرّدوه من المروءة؟ فبدلاً من أن يُقدم الطعام لأخيه الجائع الذي له عليه حقُّ الاحترام، إذا به يستغل جوعه، فلا يعطيه ما يأكله إلا بعد أن يبيعه البكورية، ولا يثق بأخيه إلا بعد أن يحلف له. ويجري كل ذلك دون علم الوالد، وكأنه لا وجود له، فيا له من افتراء وطعن في بيت نبوَّة، احتوى على ثلاثة أنبياء: إبراهيم وابنيه.

اتِّهام يعقوب بنزع البكورية من مَنَسَّى بن يوسف وإعطائها لأفرايم:

جاء في سفر التكوين ٤٨/ ٨ ـ ٩: ورأى إسرائيل ابني يوسف، فقال: من هذان؟ فقال يوسف: هما ابناي اللذان أعطاني الله ههنا. فقال: قدِّمهما إلي لأباركهما.

٤٨/ ١٣ ـ ١٤: وأخذ يوسف الاثنين أفرايم بيمينه عن يسار إسرائيل، ومَنَسَّى بيساره عن يمينه، وقرَّبهما إليه، فمدَّ إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير، ويسارَه على رأس مَنَسَّى. وضع يديه بفطنة، فإن مَنَسَّى كان البكر.

٤٨/ ١٧ ـ ٢٠: فلما رأى يوسف أنّ أباه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم ساء ذلك في عينيه، فأمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس أفرايم إلى رأس مَنَسَّى، وقال: ليس هكذا يا أبي، لأن هذا هو البكر، ضع يمينك على رأسه. فأبى أبوه

http://kotob.has.it

وقال: علمتُ يا بني علمت، هو أيضاً يكون شعباً، وهو أيضاً يصير كبيراً، ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جمهوراً من الأمم. وباركهما في ذلك اليوم. فقدَّم أفرايم على مَنَسَّى.

وهل تباع البكورية أو تمنح لمن ليس هو البكر؟! عجيبٌ أمرُ اليهود.

اتِّهام يعقوب بحرمان ابنه الأكبر من حق البكورية وإنعامه بها على ابنه الرابع:

جاء في سفر التكوين ٤٩/ ١ ـ ٨: ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام -- رأوبين: أنتَ بكري قوتي، وأول قدرتي، فَضْل الرِّفعة وفضل العزّ، فائراً كالماء لا تتفضل، لأنك صعِدت على مضجع أبيك، حينئذٍ دنّسته، على فراشي صعد. شمعون ولاوي: أخوان، آلات ظُلْم سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفسي، بمجمعهما لا تتحد كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً، وفي رضاهما عَرْقبا ثوراً، ملعون غضبهما، فإنه شديد، وسُخْطهما فإنه قاسٍ، أُقَسِّمهما في يعقوب وأفرّقهما في إسرائيل. يهوذا: إياك يحمَد إخوتك، يدكَ على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك.

ولو كانت قصة زنى رأوبين بسريّة أبيه وتدنيسه فراشه صحيحة، لكان ثَمَّة وجه في نزع حق البكورية منه، ولكن ما ذنب الآخَرَين؟ وهل قَتْلُ إنسان في حالة الغضب وعرقبة ثور في حالة الرضا أشد من زنى يهوذا بكنته ثامار التي حملت منه بطفل كان فيما بعد جَدّاً لداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وما الفرق بين مضاجعة رأوبين بلهة محظية يعقوب أبيه وبين مضاجعة يهوذا زوجة ابنه ثامار؟!.

اتِّهام يعقوب وأمه بسرقة بركة عيسو من أبيه:

زعموا أنَّ إسحاق طلب من ابنه عيسو أن يصيدَ له صيداً ويأتيه به ليأكل ويباركه، لكن رِفْقة التي كانت تحب يعقوب تآمرت معه ليَسْرقا تلك البركة.

جاء في سفر التكوين ٢٧/ ١ ـ ٤: وحدث لما شاخ إسحاق، وكلَّت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: إني قد شِخْتُ، ولستُ أعرف يوم وفاتي، فالآن خُذْ عُدتك، جعبتك وقوسك، واخرج إلى البرية وتصيَّد لي صيداً، واصنع لي أطعمة كما أحب وائتني بها لآكل، حتى تباركك نفسي قبل أن أموت.

http://kotob.has.it

٢٧/ ٥ ـ ١٧ : وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ، فذهب عيسو إلى البريَّة ، وأما رفقة فكلمتْ يعقوب قائلة : إني سمعت أباك يقول لعيسو : ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الربِّ قبل وفاتي . فالآن اذهب إلى الغنم وخذ لي جَدْيَيْن من المِعزى ، فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب ، فتحضرهما إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته . فقال يعقوب : عيسو رجل أشعر ، وأنا رجل أملس ، ربما يجسني أبي ، فأجلب على نفسي لعنة لا بركة . فقالت له : لعنتك علي ، اسمع لقولي . فذهب وأحضر لأمه ، فصنعت أطعمة كما كان أبوه يحب ، وأخذت ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة ، وألبستها يعقوب ، وألبست يديه ومَلاَسة عنقه جلود الجَديين ، وأعطته الأطعمة .

١٨/٢٧ ـ ٢٩ : فدخل إلى أبيه وقال : أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلَّمتني ، اجلس وكل من صيدي كي تباركني نفسك . فقال إسحاق : تقدَّم لأَجِسَّك ، أنت هو عيسو أم لا ، فتقدَّم فجسَّه وقال : الصوت صوت يعقوب لكنَّ اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه ، فباركه وقال : هل أنت هو عيسو؟ فقال : أنا هو . فقال قدِّم لي لآكل من الصيد حتى تباركك نفسي ، فقدَّم له فأكل ، وأحضر له خمراً فشرب ، ثم قال : تقدَّم وقبّلني يا بني ، فتقدَّم وقبّله ، فشمَّ رائحة ثيابه وباركه وقال : رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب ، فليعطكَ الله من نَدَى السماء ومن دَسَم الأرض وكثرة حنطة وخمر ، ليُسْتعبدْ لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، كُنْ سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنوك ملعونين ، ومبارِكوك مباركين .

٢٧/ ٣٠ ـ ٤٠ : وعندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب خرج يعقوب . أتى عيسو من صيده فصنع أطعمة ودخل على أبيه وقال : ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك . فقال إسحاق : من أنت؟ فقال : أنا ابنك بكرك عيسو . فارتَعَدَ إسحاق جدّاً ، وقال : فمن الذي اصطاد صيداً وأتى به إليَّ فأكلتُ وباركتُه؟ نعم ويكون مباركاً . فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة وقال : باركني أنا أيضاً . فقال : قد جاء أخوك بمَكْر وأخذ بركتك . فقال : ألا إن اسمه دُعي يعقوب ، فقد تعقبني الآن مرتين ، أخذ بكوريتي وهو ذا الآن قد أخذ بركتي ، ثم قال : أما أبقيتَ لي بركة؟ فأجاب إسحاق : إني قد جعلته سيِّداً لك ، ودفعتُ

http://kotob.has.it

إليه جميع إخوته عبيداً، وعضدته بحنطة وخمر، فماذا أصنع إليك؟ فقال عيسو: ألك بركة واحدة فقط؟ باركني أنا أيضاً، ورفع صوته وبكى. فقال إسحاق: هو ذا، بلا دَسم الأرض يكون مسكنك، وبلا نَدَى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تُستعبد، ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نِيره عن عنقك.

حِقْدُ عيسو وهربُ يعقوب إلى خاله:

جاء في سفر التكوين ٢٧/ ٤١ ـ ٤٦: فحقد عيسو على يعقوب، وقال في قلبه: قربت أيام مناحة أبي، فأقتل يعقوب. فأُخبرت رفقة بكلام عيسو، فدعت يعقوب وقالت له: هو ذا أخوك عيسو مُتسَلٍّ من جهتك بأنه يقتلك، فالآن اهرب إلى أخي لابان إلى حاران، وأقمْ عنده أياماً قليلة حتى يرتد سخط أخيك عنك، ويَنْسى ما صنعته به، ثم أرسل فآخذك من هناك، لماذا أُعدم اثنيكما في يوم واحد؟ وقالت: مللتُ حياتي من أجل بنات حِثَّ، إن كان يعقوب يأخذ زوجة من بنات حِثّ مثل هؤلاء من بنات الأرض، فلماذا لي حياة؟!.

٢٨/ ١ ـ ٤: فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه قائلاً: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، اذهب إلى فَدَّان أرام، إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وخُذْ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك، والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً، ويكثرك، فتكون جمهوراً من الشعوب، **ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك**، لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم.

٢٨/ ١٠ ـ ١٥: فخرج يعقوب من بئر سبع، وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك، لأن الشمس غابت، ورأى حُلُماً، وإذا سُلّم منصوبة على الأرض ورأسها يمسُّ السماء، والملائكة صاعدة ونازلة عليها، والربُّ واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض.

تحليل وموازنة:

لا ريب أنَّ القِصَّة بشقَّيها مختلقة من أجل تدنيس بيت النبوة ورَفْع شأن

http://kotob.has.it

يعقوب وذريته فوق إخوته وذرياتهم، وهي مبنية على أكذوبات خبيثة تشبه الخرافات، وتبعث الضحك.

فمن وجوه الخبث والغش فيها ما يلي:

● **الأول**: اتهامهم نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ بأنه خَدَع أباه الكفِيف وغشَّه، فحصل على مباركته التي كانت من حق أخيه عيسو بحكم كونه البكر.

وهذا مستبعد عمَّن فيه خير من الناس العاديين وأبنائهم، فكيف من نبي في أبيه النبي، وبتدبير من زوجة نبي وأمّ نبي؟!.

● **الثاني**: إخبارهم أنَّ بركة يعقوب لم تكن عن استحقاق، وإنما كانت مسروقة ومأخوذة بغش وتخابث. وحاشا للأنبياء من مثل هذا.

● **الثالث**: لا شكَّ أنَّ إسحاق إذ بارك يعقوب الذي يزعمون أنه خدعه، فإنما كان يقصد بتلك البركة المزعومة عيسو، وله دعا لا ليعقوب، فأيُّ معنى للخديعة هنا ما دام الله سبحانه مطّلعاً على الحقائق التي في النفوس؟!.

● **الرابع**: ادّعاؤهم أنَّ الله سبحانه أجرى حكمه وأعطى نعمته إلى غير أهلها، فإما أن يكون قد قبل احتيال المحتالين وباركه، أو أنَّ الغشَّ قد انطلى عليه كما انطلى على إسحاق فلم يميِّز بين شعر الماعز وشعر صدر ابنه. وحاشا لله من مثل هذا.

● **الخامس**: زعمهم أنَّ يعقوب أُسقط في يده عندما علم بحقيقة الأمر فقال لعيسو: «قد جعلته سيداً لك ـ فماذا أصنع لك». ولم يتدارك الأمر وينتزع البركة ممَّن خدعه ويعيدها إلى من نواه بقلبه، بل دعا على المظلوم الباكي وقال له: «ولأخيك تُستعبد»، بدلاً من مواساته على الظلم الذي وقع به، ثم أمر الظالم المخادع بالسفر ودعا له بالبركة وكثرة النسل، وبشَّره بأنَّ بركة إبراهيم تكون له ولنسله ليرثوا الأرض.

ومن وجوه الكذب فيها ما يلي:

● **الأول**: نسبتهم الكذب إلى يعقوب ـ عليه السلام ـ في أربعة مواضع:

١ ـ قوله لأبيه عندما دخل إليه: «أنا عيسو بكرك»، ولما جَسَّه سأله: «هل

http://kotob.has.it

أنت عيسو؟ فقال: أنا هو». فهاتان كذبتان في نسق، لأنه لم يكن عيسو، ولا كان بكره.

٢ ـ قوله لأبيه: «قد فعلت كما كلّمتني، اجلس وكُل من صَيْدي». فهاتان كذبتان أيضاً في نسق، لأن إسحاق لم يكن قال ليعقوب شيئاً، ولم يصطد يعقوب، ولا أطعمه من صيده.

● **الثاني**: كذبات متواليات تبين بطلان ادِّعاء تلك المباركة، وهي قوله ليعقوب: «ليُستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل». فما خَدَمتِ الأمم قط يعقوب ولا بنيه من بعده، ولا خضعت لهم الشعوب، بل كان العكس. فقد كان يعقوب راعياً عند خاله لابان بن ناحور بن لامك، وخادمه عشرين سنة. وكان من أمرهما ما كان.

جاء في سفر التكوين ١٨/٢٩ ـ ٢٠: وأحب يعقوب راحيل، فقال: أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى ـ ـ فخدم يعقوب براحيل سبع سنين.

٢٩/ ٢٣ ـ ٢٨: وكان في المساء أنَّ لابان أخذ لَيئة ابنته وأتى بها إليه، فدخل عليها، وفي الصباح إذا هي ليئة. فقال للابان: ما هذا الذي صنعتَ بي، أليس براحيل خدمتُ عندك؟ فلماذا خدعتني؟ فقال لابان: لا يفعل هكذا في مكاننا أن تُعطى الصغيرة قبل الكبيرة، أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة أيضاً سبع سنين أخر. ففعل يعقوب هكذا، فأعطاه راحيل زوجةً له.

٣٠/ ٢٥: وحدث لما وَلدت راحيل يوسف أنَّ يعقوبَ قال للابان: اصرفني لأذهب إلى أرضي.

٣٠/ ٢٧ ـ ٢٨: فقال لابان: ليتني أجدْ نِعمة في عينيك، قدتفاءلت، فباركني الربُّ بسببك، عَيِّن أجرتك فأعطيك.

٣١/ ٢٠: وخدع يعقوبُ قلبَ لابان الأرامي، إذ لم يخبره بأنه هارب.

٣١/ ٢٢ ـ ٢٣: فأُخبر لابان في اليوم الثالث، فأخذ إخوته معه وسعى وراءه فأدركه في جبل جِلْعاد.

٣١/ ٢٦ ـ ٢٧: قال لابان: ماذا فعلتَ وقد خدعتَ قلبي وسُقْتَ بناتي كسبايا؟ لماذا لم تخبرني حتى أشيِّعك بالفرح؟.

http://kotob.has.it

٣١/ ٣٦ ـ ٤٢: فاغتاظ يعقوب وقال: ما جرمي حتى حَمِيت ورائي ـ ـ الآن، عشرين سنة أنا معك، في النهار يأكلني الحر، وفي الليل الجليد، وطار نومي من عيني، الآن لي عشرون سنة في بيتك، خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك، وست سنين بغنمك، وقد غيرت أجرتي عشر مرات.

هذه حال يعقوب ـ عليه السلام ـ كما يزعمون، أما ذريته بنو إسرائيل فقد خدموا الأمم في كل مكان شُرِّدوا إليه، وخضعوا هم للشعوب قديماً وحديثاً، في أيام دولتهم وبعدها، إلا وَمَضات في عهد طالوت وداود وسليمان، عليهم السلام.

● **الثالث**: ادِّعاؤهم أنَّ إسحاق قال ليعقوب في المباركة: «كُنْ سيِّداً لإخوتك، ولتسجد لك بنو أمك»، وقوله لعيسو عندما صرخ وبكى: «قد جعلته سيداً لك، ودفعتُ إليه جميع إخوته عبيداً».

ونحو هذا ما زعموا في ٢٥/ ٢٣ من أنَّ الربَّ قال لرِفقة أم عيسو ويعقوب: «في بطنك أُمَّتان ومن أحشائك يفترق شعبان، شَعْب يَقْوَى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير».

ولم يحدث شيء من هذه الأمور مطلقاً، فلم يسجد أحد من بني أمه ولا بني أبيه له، وما تعبد قط عيسو ليعقوب ولا خَدَمه، ولم يملك أحدٌ من بني يعقوب أحداً من بني عيسو، بل قد حدث عكس ذلك جهاراً عندما عاد يعقوب وقابل أخاه عيسو وقدَّم له الهدايا، وسجد له إلى الأرض سبع مرات، وسجدت له زوجته وأولادُه، وخاطبه بالعبودية والتذلُّل المُفْرط خوفاً منه.

جاء في سفر التكوين ٣٢/ ٣ ـ ٧: وأرسل يعقوب رسلاً قُدَّامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعير إلى بلاد أدوم وأمرهم قائلاً: هكذا تقولون لسيِّدي عيسو، هكذا قال عبدك يعقوب: تغرّبت عند لابان، وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء، وأرسلت لأخبر سيدي، لكي أجد نعمة في عينيك. فرجع الرسل قائلين: هو قادم للقائك، وأربعمئة رجل معه، فخاف يعقوب جداً وضاق به الأمر.

٣٢/ ٩ ـ ١٣: وقال يعقوب: يا إلـه أبي إبراهيم وإلـه أبي إسحاق ـ ـ نجّني من يد أخي عيسو، لأني خائف منه أن يأتي ويضربني، الأمَّ مع البنين ـ ـ وبات

http://kotob.has.it

تلك الليلة، وأخذ مما أتى به هدية لعيسو.

٣٣/ ١ ـ ١٦: ورفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل ومعه أربعمئة رجل، فقسم الأولاد على ليئة وراحيل والجاريتين ـ ـ واجتاز قدامهم وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه، فركض عيسو للقائه، وعانقه ووقع على عنقه وقبَّله وبكيا، ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد ـ ـ فاقتربت الجاريتان وأولادهما وسجدتا، ثم اقتربت ليئة وأولادها وسجدوا، ثم اقترب يوسف وراحيل وسجدا، فقال: ماذا منك كل هذا الجيش الذي صادفته؟ فقال: لأجد نعمة في عيني سيدي. فقال عيسو: لي كثير. فقال يعقوب: لا إن وجدتُ نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدي ـ ـ وألحَّ عليه فأخذ، ثم قال: لنرحل ونذهب. فقال له: سيدي عالم أن الأولاد رَخْصَة والغنم والبقر عندي مرضعة، ليجتز سيدي قدام عبده، وأنا أستاق على مهلي حتى أجيء إلى سيدي إلى سِعير. فقال عيسو: أترك عندك من القوم الذين معي. فقال: لماذا؟ دعني أجد نعمة في عيني سيدي. فرجع عيسو.

وكان أيضاً من بني عيسو أمراء كثيرون، ذُكِرَت أسماؤُهم وأسماء مناطقهم في سفر التكوين ٣٦/ ١٥ ـ ١٩ و٤٠ ـ ٤٣، فأين الاستعباد؟!.

● **الرابع**: زعمهم أنَّ إسحاق قال ليعقوب عندما أراد الذهاب إلى خاله: «الله القدير يباركك، ويجعلك مثمراً ويكثرك، فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك».

وهذا لم يحدث قط، فإنَّ بني إسرائيل أقلُّ الناس عدداً وأكثرُهم شؤماً على البشرية كما سلف في الفرع السابق، وقد بَنَوا أمرهم على المكر والخداع.

افتئات اليهود على سائر أبناء إبراهيم:

يزعم اليهود أنّ العهد القديم المُبْرم بين الله وإبراهيم ـ عليه السلام ـ إنما كان لابنه إسحاق في ذرية ولدِه يعقوب ـ عليهما السلام ـ دون غيرهما، ويَدَّعون أنّه عهد أبديٌّ منحهم إياه إلـههم يَهْوه، فقد أقصى إسماعيل عن البكورية من أول الأمر، ثم أبغض عيسو منذ كان توءماً في رحم أمه مع أخيه يعقوب الذي اشترى منه حق البكورية بعد ذلك، ثم انتزع منه البركة، فهم الشعب المختار دون منازع.

http://kotob.has.it

جاء في سفر التكوين ٢٥/ ٥ ـ ٦ : وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق، وهو بعد حَيٌّ.

وهذا يعني إقصاء إسماعيل ـ عليه السلام ـ وغيره من أبناء السراري، بَيْد أن توراة اليهود لم تتعرض لأبنائه من زوجته قطورة، فإنهم ليسوا من أبناء السراري كما جاء في ٢٥/ ١ ـ ٤، غير أن الافتئات ظهر في سفر أخبار الأيام الأول ١/ ٢٤ ـ ٣٣ حيث ذكروا نسب إبراهيم ـ عليه السلام ـ وعدد أولاده فقالوا: «سام أرفكشاد عابِر فالَح سروح ناحور أبرام، وهو إبراهيم. أبناء إبراهيم: إسحاق وإسماعيل». فقدَّموا اسم إسحاق على إسماعيل، عليهما السلام.

«بكر إسماعيل نبايوت وقيدار وأَدَبْئيل ومِبْسام ومشماع ودَومة ومَسَّا وحَدَد وتيماء وبَطُور ونافيش وقِدْمة. هؤلاء بنو إسماعيل.

وأما بنو قطورة سُرِّية إبراهيم، فإنها ولدت زِمْران ويَقْشان ومدان ومِدْيان ويشباق وشوحا. وابنا يقشان: شبا وادان. وبنو مِديان: عيفة وعِفْر وحنوك وأَلْدَعة. كل هؤلاء بنو قطورة».

ومن الملاحظ أنَّ الكاتب زعم هنا أن قطورة سُرِّية إبراهيم، وليست زوجته، فخالف ما جاء في سفر التكوين ٢٥/ ١، حيث ذكر أنها زوجته كما سبق، فأوقع الأسفار في اضطراب وتناقض.

١/ ٣٤ ـ ٣٥: وولد إبراهيم إسحاق. وابنا إسحاق: عيسو وإسرائيل. بنو عيسو أليغاز ورعوئيل ويَعُوش ويَعْلام وقُورَح.

فأبناء إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأبناء عيسو ـ حسب زعمهم ـ لا يدخلون في نسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ أو لا يشملهم العهد، ويبنون حجتهم على ما سبق ذكره ومناقشته، ومنه ما يلي:

التكوين ١٧/ ١٩: فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده.

١٧/ ٢١: ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة.

http://kotob.has.it

وفي ٢١/ ١٠ ـ ١٢ : أنّ سارة قالت لإبراهيم : «لأنَّ ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق»، وأن الله قال لإبراهيم : «في كل ما تقول سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل».

وفي ٢٨/ ٤ : أنّ إسحاق لما دعا يعقوب قبل سفره إلى خاله باركه وقال له : «ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم».

ثم إنّ حق البكورية قد اشتراه يعقوب من عيسو، والبركة التي كانت لعيسو وقعت على جسم يعقوب دون اسمه، فنزلت عليه دون عيسو الذي يزعمون أن الله أبغضه منذ كان توءماً مع أخيه في رحم أمهما. جاء في سفر ملاخي ١/ ٢ ـ ٣ : أحببتكم قال الربُّ. وقلتم : بم أحببتنا؟ أليس عيسو أخاً ليعقوب، وأحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو، وجعلت جباله خراباً وميراثَه لذئاب البرية؟.

وصفوة القول في هذا الفرع : لم يتحقق ما زعموا أنّه قول الرب لرفقة : «من أحشائك يفترق شعبان، شعب يَقْوى على شعب، وكبير يُستعبد لصغير».

ولا ما زعموا أنَّه قول إسحاق ليعقوب عندما باركه ظانّاً أنه عيسو فقال : «ليُستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل، كن سيداً لإخوتك، وليسجد لك بنو أبيك».

ولا ما زعموا أنه قال لعيسو عندما اكتشف الغش : «ولأخيك تستعبد».

ولا غير ذلك مما افتروه وأوقعوا توراتهم في اضطراب وتناقض بسببه.

وإنَّ المتأمل لهذه القصص ليعجب ويتحيّر هل أراد واضعوها الإحسان إلى يعقوب وذريته أو الإساءة إليهم؟ فإنَّ المجدَ الذي صنعوه له من استغلال جوع أخيه وشرائه حق البكورية منه، ثم انتحاله شخصيته وكذبه على أبيه عدة كذبات لسرقة البركة التي كانت لأخيه، ثم تبادله المخادعة مع خاله لابان، ثم عودته خائفاً وخنوعه وتذلّله لأخيه عيسو وغير ذلك، إنما هو مجدٌ زائف لا يشرِّف صاحبه ولا ذريته من بعده، لأنه إنما كان عن طريق المكر والحيل والخديعة وسائر ما يخل بالمروءة، وليس عن جدارة واستحقاق، والفخر في هذه القصص

http://kotob.has.it

المفتراة إنما يكون لأخيه عيسو الذي تناسى ظلم أخيه له، فأحسن استقباله مع أولاده وأكرمهم، فهل تستوي الفضائل مع الرذائل؟ ولعلّ مراد الواضعين أن يمكر يعقوب بأخيه عيسو ثانية حيث تذلَّل له، ليتمكّن من سَلْب أمواله وأرضه فيما بعد، فهكذا تنال الفضائل عندهم.

وإن تعجب فعجب تصويرهم البركة لعوامهم أمراً حسياً مادياً محضاً، أُفْلِتَ من يد إسحاق ولا يمكنه استرجاعه، وليس أمراً روحياً مرجعه إلى الله تعالى، وذلك أن الأب الصالح إذا عنى ابناً ودعا له بالبركة، فإن الله سبحانه يستجيب له في الابن الذي عناه، لا في الابن الذي زيَّف وكذب، وإذا جازت الخديعة على إسحاق، فهل تجوز على الله تعالى؟ وكيف يقبل النصارى من أحبار اليهود ما نسجوه من مُفْتريات ليثبتوا انفرادهم بتراث إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ قبل بعثة المسيح ـ عليه السلام ـ وبعده؟ ويبدو أن غايتهم من اختلاق هذه القصص وأمثالها في حق أنبيائهم وصالحيهم، ووضعها في أسفارهم المقدّسة، إنما هي تبرير أعمالهم الباطلة وتعويد صغارهم على المكر والخديعة، فإنه إذا كان هذا شأن يعقوب مع شقيقه التوءم، فلا حرج عليهم فيما يفعلونه بغيرهم، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

* * *

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

الفصل الرابع

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ التفضيل منوط بالصلاح والاستقامة

٢ ـ النشيد الواجب الحفظ وما فيه من مغالطات

٣ ـ استبدال العرب ببني إسرائيل




http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
التفضيل مَنُوط بالصلاح والاستقامة

تفضيلهم المشروط إنما كان على عالمي زمانهم:

إنَّ تقديم فرد على فرد أو أمّة على أمّة لا بدَّ أن يكون مبنيّاً على كمال ذاتي وسُموّ خلقي وصلاح ديني، ليقدِّم المختار الخير للإنسانية، فما وجه الكمال الذاتي الذي حازه اليهود؟ وما السمو الخلقي الذي بلغوه؟ وما مدى الصلاح الديني الذي تمسّكوا به وثبتوا عليه ليختارهم الله من بين خلقه، ويصطفيهم من بين عباده، فيحلَّ لهم ما حرّم على غيرهم في الدنيا، ويكون لهم ما يشاؤون عند ربِّهم في الآخرة؟.

لا ريب أنَّ الله سبحانه قد جعل في ذرية إبراهيم وإسحاق ـ عليهما السلام ـ النبوَّة والكتاب، وبنو إسرائيل شعب كسائر الشعوب التي خلقها الله، فيهم الصالح وفيهم الفاسد، ولا شك أنّ الله فضَّل الصالحين منهم على العالمين في ذلك الزمن، فكانوا هم الأمة المختارة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ ـ ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٠ ـ ٣٣].

وقال جلَّ جلاله عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٢ ـ ١١٣].

غير أن هذا التفضيل كان منوطاً بصلاحهم ومشروطاً باستقامتهم وإحسانهم، فإذا غيّروا ما بأنفسهم غيَّر الله حالهم.

http://kotob.has.it

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ثم قال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٧ ـ ٤٨].

وقد كان كثير منهم في أول الأمر مؤمنين بالله ممتثلين لعقيدة التوحيد وسط شعوب وثنية، نَدَرَ فيهم من يعرف حقيقة الإيمان بالله واليوم الآخر. ولا شك أنَّ الانفراد بعقيدة صحيحة بين أمم ضالة يتطلَّب عناء ومصابرة، وقد وفَّى كثير منهم وقدَّموا التضحيات، غير أنَّ الفساد كان هو الأغلب والأعم فيهم، فسرعان ما كانوا يتحوَّلون إلى شعب ضالٍّ مرتدّ، يكفر بالله ويعاجز أنبياءه ويطاردهم ويقتل كثيراً منهم. كان آباؤهم يشهدون في كل يوم من الآيات المحسَّة والمنارات السامية العجيبة ما لم يشهده غيرهم من الأمم، وهم مع ذلك يهمُّون برجم موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ في كثير من الأوقات، ولم يتعرَّض نبي مرسَل لعدوان وتعجيز من أتباعه مثل ما تعرّض له هذا النبيان الكريمان، وكفى باتخاذهم العجل وعبادتهم إيّاه في أيام موسى ـ عليه السلام ـ وإيثارهم العودة إلى مصر والرجوع إلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثَّاء والفوم والعدس دليلاً على تَعنُّتهم، ثم جاء من بعدهم واضعو التوراة فاتَّهموا هارون ـ عليه السلام ـ بصناعة العجل وأمرِه لهم بعبادته والطواف حوله عراة. وبنو إسرائيل قوم بُهت احترفوا التزييف والتحريف، فلا غرابة بإيذائهم موسى وهارون عليهما السلام.

ثم عبدوا الأصنام بعد عصر يشوع بن نون ـ عليه السلام ـ فتى موسى ـ عليه السلام ـ وخادمه، وفي عصر داود ـ عليه السلام ـ انضموا إلى ولده العاق أبشالوم الذي أراد محاربة والده، ولما عاد إلى الطاعة جاءت وفودهم متقاطرة متسابقة إلى إعلان التوبة والندم وإبداء الخدمة، كما في سفر صموئيل الثاني الفصول ١٥ ـ ٢٠.

وقبل مبعث المسيح ـ عليه السلام ـ انعدم فيهم الإحساس بأدنى ولاء لعقيدة أو جماعة، بل إنَّ سادتهم من الكَتَبة والفرِّيسيين والصدوقيين كانوا

http://kotob.has.it

يتعاملون مع الرومان تعاملاً يتنافى مع منزلتهم الدينية بين شعبهم، فقد اتخذوا طابع الوشاية والتحالف مع الأقوياء، فكانوا خدماً للرومان، ولما جاءهم ـ عليه السلام ـ يدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كذّبوه وافتروا عليه وعلى أمه، ثم أرادوا صلبه، فنجّاه الله منهم.

وازدادوا طغياناً بعد بعثة محمد ـ ﷺ ـ فقد عرفوا صدقه ودلائل نبوته، لكنهم كتموا ذلك عن عوامّهم وكذّبوا عليهم فضلُّوا وأضلُّوا، وكم ألَّبوا الناس ضدّه وتآمروا عليه وهمّوا بقتله، لكن الله خذلهم. ومِنْ ثَمَّ نزع الله التفضيل منهم، وسلَّمه لأمة أخرى من بني إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فأثمرت، قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٦ ـ ١٨].

تفنيد ادِّعائهم ديمومة الاختيار:

لا زال في أسفارهم بعض النصوص التي تجعل تفضيلهم منوطاً بصلاحهم واستقامتهم، وتهددهم بنزعه منهم إن أخلُّوا بالشرط، فلعلها من بقايا الوحي، منها ما يلي:

● جاء في سفر الخروج ١٥/ ٢٥ ـ ٢٦: هناك وضع ـ أي: الربُّ ـ له فريضة وحكماً، وهناك امتحنه فقال: إن كنت تسمع لصوت الربِّ إلـٰهك، وتصنع الحقَّ في عينيه، وتصغي إلى وصاياه، وتحفظ جميع فرائضه، فمرضاً ما ممّا وضعته على المصريين لا أضع عليك، فإني أنا الربّ شافيك.

١٩/ ٥ ـ ٦: فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإنَّ لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كَهَنة وأمة مقدَّسة.

http://kotob.has.it

● وجاء في سفر التثنية ٧/ ١٢ ـ ١٦ : ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون، وتعلمونها، يحفظ لك الرب إلـٰهك العهد والإحسان الذي أقسم لآبائك، ويحبك ويباركك ويكثرك، ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك ـــ مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ـــ وتأكل كلَّ الشعوب الذين يدفع إليك الرب إلـٰهك، لا تشفق عيناك عليهم، ولا تعبد آلهتهم؛ لأنّ ذلك شرٌّ لك.

وفي ٨/ ١٩ ـ ٢٠ : وإن نسيت الربَّ إلـٰهك، وذهبتَ وراء آلهة أخرى، وعبدتها وسجدتَ لها، أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة، كالشعوب التي يبيدهم الرب من أمامكم، كذلك تَبيدون، لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلـٰهكم.

وفي ١١/ ٢٦ ـ ٢٨ : انظر، أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتم لوصايا الربِّ إلـٰهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم، واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلـٰهكم، وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم، لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها.

وفي ١٦/ ٢٠ : العدلَ العدلَ تتبع لكي تحيا وتمتلك الأرض التي يعطيك الرب إلـٰهك.

وفي ٢٦/ ١٦ ـ ١٩ : هذا اليومَ أمرك الربُّ إلـٰهك أن تعمل بهذه الفرائض والأحكام، فاحفظ واعمل بها من كل قلبك ومن كل نفسك، قد واعدتَ الربَّ اليوم أن يكون لك إلـٰهاً، وأن تسلك في طرقه، وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه، وتسمع لصوته، وواعدك الربُّ اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك، وتحفظ جميع وصاياه، وأن يجعلك مستعلياً على جميع القبائل التي عملها في الثناء والاسم والبهاء، وأن تكون شعباً مقدَّساً للربّ إلـٰهك كما قال.

وفي ٢٨/ ١ ـ ٤ : وإنْ سمعتَ سمعاً لصوت الربِّ إلـٰهك، لتحرصَ أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم، يجعلك الربّ إلـٰهك مُسْتعلياً على جميع قبائل الأرض، وتأتي عليك جميع هذه البركات، وتدركك إذا سمعتَ لصوت الرب إلـٰهك، مباركاً تكون في المدينـة، ومباركاً تكـون في الحقل، ومباركةً تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك.

http://kotob.has.it

٢٨/ ٩ ـ ١١ : يقيمك الربّ لنفسه شعباً مقدَّساً كما حلف لك إذا حفظت وصايا الربّ إلـٰهك، وسلكت في طرقه، فيرى جميع شعوب الأرض أنّ اسم الرب قد سُمي عليك ويخافون منك، ويزيدك الربُّ خيراً في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك.

٢٨/ ١٣: ويجعلك الربّ رأساً لا ذنباً، وتكون في الارتفاع فقط، ولا تكون في الانحطاط إذا سمعتَ لوصايا الربّ إلـٰهك التي أوصيتك بها اليوم لتحفظ وتعمل.

٢٨/ ١٥ ـ ١٩ : ولكن إن لم تسمع لصوتِ الربِّ إلـٰهك لتحرِصَ أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل، ملعونة تكون سلَّتك ومِعْجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك، ونِتاج بقرك وإناث غنمك، ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك ــ.

٢٨/ ٣٢: يُسْلَم بنوك وبناتك لشعب آخر، وعيناك تنظران إليهم طول النهار، فتكلان وليس في يدك طائلة.

٢٨/ ٤٣ ـ ٤٤ : الغريب الذي في وسطك يَسْتَعْلي عليك متصاعداً، وأنت تنحطّ متنازلاً، هو يقرضك وأنت لا تقرضه، هو يكون رأساً وأنت تكون ذنباً.

٢٨/ ٥٨ ـ ٦٧ : إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة في هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليلَ المرهوبَ الربَّ إلـٰهك، يجعل الربُّ ضرباتك وضربات نسلك عظيمة راسخة وأمراضاً رديئة ثابتة ــ فتبقَـوْن نفراً قليلاً ــ وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح لكم ليفنيكم ويهلككم، فتُستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وتعبد هناك آلهة أخرى ــ.

وفي تلك الأيام لا تطمئن، ولا يكون قرار لقدميك، بل يُعطيك الربُّ هناك قلباً مرتجفاً، وكلالَ العينين وذبولَ النفس، وتكون حياتك معلَّقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً، ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول: يا ليته المساء،

http://kotob.has.it

وفي المساء تقول: يا ليته الصباح، من ارتعاب قلبك الذي ترتعب، ومن منظر عينيك الذي تنظر.

وفي ٣٠/ ١٥ ـ ١٩: انظر، قد جعلت اليوم قُدامك الحياة والخير والموت والشر، بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الربّ إلـٰهك، وتسلك في طريقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه، لكي تحيا وتنمو ويباركك الربُّ إلـٰهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها، فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويتَ وسجدتَ لآلهة أخرى وعبدتها، فإني أنبئكم اليوم أنكم لا مَحالة تهلكون ــ أشهد عليكم اليوم والسماء والأرض، قد جعلت قدامَك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك.

● وجاء في سفر يشوع ٢٣/ ١١ ـ ١٣: فاحتفظوا جداً لأنفسكم أن تحبّوا الربَّ إلـٰهكم، ولكن إذا رجعتم ولصَقتم ببقية هؤلاء الشعوب، أولئك الباقين معكم، وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم، فاعلموا يقيناً أنَّ الربَّ إلـٰهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم، فيكونوا لكم فخّاً وشَرَكاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلـٰهكم.

● وجاء في سفر الملوك الأول ٩/ ٦ ـ ٧: إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدّسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهُزأة في جميع الشعوب.

● وجاء في سفر إرميا ١١/ ٣ـ ٥: فتقول لهم: هكذا قال الرب إلـٰه إسرائيل: ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرتُ به آباءكم يوم أخرجتهم من مصر قائلاً: اسمعوا صوتي، واعملوا به حسب كل ما آمركم به، فتكونوا لي شعباً، وأنا أكون لكم إلـٰهاً، لأقيم الحَلِف الذي حلفتُ لآبائكم أن أعطيهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً.

١١/ ٨: فلم يسمعوا ولم يميلوا أذنهم، بل سلك كل واحد في عناد قلبه الشرير، فجلبت عليهم كل كلام هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه.

http://kotob.has.it

نسوا الشروط وركنوا إلى الوعد:

ذلك هو الوعد، وذاك هو الشرط، وهذا هو التهديد والوعيد، لكنهم لفرط جهلهم، وقساوة قلوبهم ركنوا إلى الوعد وتمسّكوا به، وتناسوا الشرط والتهديد، فزعموا أنه عهد أبدي منسحب إلى يوم القيامة، منحهم إياه إلـٰههم (يهوه) الخاص بهم، فهم شعبه المختار مهما بدَّلوا أو غيَّروا، ولو عبدوا الأصنام، لأنهم أبناؤه وأحباؤه، وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون، فحلَّ بهم الوعيد الذي حذَّرهم الله منه على لسان الأنبياء، فما من أمة إلا وقصدتهم أشد القصد وطلبت استئصالهم، وبالغت في هَدْم مدنهم وهيكلهم وإحراق كتبهم، وأشد عليهم من جميع ذلك ما نالهم من ملوكهم العُصاة.

وقد حكى الله سبحانه في القرآن الكريم ادِّعاءهم هذا وغرورهم، وردَّ عليهم مبيناً أنهم بشر ممن خلق، وأنّ الكرامة إنما تكون بالتقوى والعمل الصالح.

● قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٢٤ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣ ـ ٢٥].

● وقال سبحانه مخاطباً مشركي العرب وأهل الكتاب: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

● وقال جلَّ جلاله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨].

● وقال جلَّ شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٦ ـ ٨].

http://kotob.has.it

تعليلهم اضطهاد الأمم لهم:

زعموا أنَّ هذا الامتياز الذي حصل عليه الشَّعب اليهودي إنما هو مسؤولية وتشريف، لكن هذا الشَّعب لم يكن دائماً من حيث الاستقامة على مستوى المسؤولية، فإنّ اختيارهم وتفضيلهم على من سواهم يحتم عليهم أن يكونوا أكثر طاعة واستجابة، فلما عَصَوا وارتدوا كان عقابهم أقسى مما نزل بغيرهم على مثل هذا العصيان، ولذلك لم يفلحوا في السيطرة على شعوب الأرض كما كان متوقَّعاً، بل حدث العكس، فاضطهدتهم شعوب الأرض كما في سَبْي بابل، ثم تشتَّتوا في الأرض في عهد الرومان. فما نزل بهم من ضُرٍّ إنما كان عقاباً لهم على عدم حمل الأمانة وعدم سيرهم بمقتضى ما مُنحوه من امتياز وتفوُّق، لكن بالرغم من ذلك فإنَّ الربَّ أخيراً سيكون له مع الدنيا يوم عظيم ينتصر فيه الشعب المختار على الأمم الأخرى التي تكون قد دانت لهم بالخضوع، لأنَّ الربَّ التصق بآبائهم وأحبَّهم وميَّزهم واختار نسلهم من بعدهم فوق جميع الشعوب، فهم شعبُه وميراثُه وإن أساؤوا، من أجل القسم الذي أقسم لآبائهم(١).

وهذا الكلام فيه حقٌّ وفيه باطلٌ وادِّعاءٌ وغُرور، فإنهم قد فُضِّلوا على عالمي زمانهم بكثرة الأنبياء والصالحين فيهم، ولم يكن امتيازاً وتفوقاً منسحباً إلى يوم القيامة، غير أنَّ أحبارهم زيَّنوا لهم بكلام دسّوه في الأسفار أنهم سيظلون أبناء الله وأحباءه، وأنَّ الأرض قد كتبها لهم إلى الأبد مهما فعلوا، وأخفوا عنهم أنَّ الله قد نزع ملكوته منهم، ولا سيما بعد تكذيبهم للمسيح ـ عليه السلام ـ وسَيسلمه لأمة أخرى تجعله يثمر، هي أمة محمد ـ ﷺ ـ والآيات التالية توضح حالهم وما حلَّ بهم.

● قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

● وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ

---

(١) اليهودية، لأحمد شلبي، ص٢١٧؛ الفكر الديني اليهودي، لظاظا، ص٩٦.

http://kotob.has.it

بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٥٥].

● وقال جلّ شأنه: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٠ ـ ١٦١].

ولذلك كتب الله عليهم سوء العذاب بأنواعه، وقضى عليهم بالتشتت في الأرض والذل والهوان والضعف والخوف لعلمه السابق بفسادهم وإفسادهم اللاحق.

● قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٦٧ وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٧ ـ ١٦٨].

● وقال سبحانه: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١].

● وقال أيضاً: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فهناك استمرار للعذاب مع الذلّ، وقد وقع كثير منهم فيه، لكن يستثنى من ذلك حالتان:

الأولى: عندما يعتصمون بذمّة الله وعهد المسلمين، فيكونون من أهل الذمّة ويتمتّعون بالأمان كما حدث إبان حكم الدول الإسلامية بشرع الله، أو بطاعتهم للأنبياء واتكالهم على الله.

http://kotob.has.it

الثانية: عند انتشار المعاصي بين المسلمين ونكوصهم عن الشرع وتفرقهم واختلافهم، فتذهب ريحهم، ويمد الناس اليهود بالمال والسلاح وسائر المعونات.

ومع ذلك كلِّه يبقى الخوف والذل والحرص على حياة ما متمكنة في قلوبهم وإن تظاهروا بالقوة بسبب إمكاناتهم وتحصيناتهم التي يمدهم الناس بها. فسرعان ما تنعدم روح القتال عندهم إذا وجدوا شيئاً من الصمود، لأن الاستثناء أمر عارض.

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨٠].

فلم يَنْهَ بعضهم بعضاً عن منكر، بل أقرُّوه واستمرؤوه وأصبح معتاداً بينهم، وتولَّى أكثرهم الكفار ومالؤوهم فاستحقوا الغضب واللعنة.

عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن المغضوب عليهم: اليهود». [أخرجه أحمد والترمذي].

● وقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٦ ـ ٧].

فهم لا يريدون الموت بسبب ما فعلوا من معاصٍ وكفر. وسبق ذكر الآيات من سورة البقرة، حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ والآيات فيها إخبارٌ بالغَيْب، وقد كان الأمر هذا فيهم وما زال كما أخبر الله سبحانه، فلا يقع تمنِّي الموت من يهودي أبداً. ويعرف هذا من كان قريباً منهم أو تتبع أخبارهم.

مقياس التفاضل بين الأفراد والشعوب:

خلق الله سبحانه الناس من أصل واحد، وأمرهم بالتقوى ـ وهي العمل

http://kotob.has.it

بطاعته والكفّ عن معصيته ـ مشيراً بذلك إلى عمدة التفاضل بينهم وأساسه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]، ثم صرَّح بذلك وأكّده فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فأمرهم بالتعارف منبِّهاً على التنافس الشريف بين الشعوب[1] والأفراد في التقوى. وشدَّد على ذلك النبي ـ ﷺ ـ حين خطب في جمع الحجيج بمنى وهو على بعير فقال: «يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم». [أخرجه ابن أبي حاتم وغيره].

وهذا المبدأ أكَّدته نصوص من توراتهم، فلعلها من بقايا الوحي:

جاء في سفر العدد ٩/ ١٤: وإذا نزل عندك غريب، فليعمل فصحاً للربِّ حسب فريضة الفصح، فريضة واحدة تكون لكم، للغريب ولوطني الأرض.

١٥/ ١٥ ـ ١٦: أيتها الجماعة، لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة دهرية في أجيالكم، مثلكم مثل الغريب أمام الرب. شريعة واحدة، وحكم واحد لكم وللغريب النازل عندكم.

١٥/ ٢٩ ـ ٣٠: للوطني في بني إسرائيل وللغريب النازل بينهم تكون شريعة واحدة للتعامل بِسَهْو، وأما النفس التي تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء فهي تزدري الرب، فتقطع تلك النفس من بين شعبها.

وجاء في سفر الأحبار ١٩/ ٣٣ ـ ٣٤: وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم، يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك.

---

(١) الشعب ـ بوزن الكعب ـ ما تشعب من القبائل، أو القبيلة العظيمة. والقبيلة: واحدة القبائل وهم بنو أب واحد. وعن الكلبي: الشعب أكبر من القبيلة، ثم البطن ثم الفخذ. وعن غيره: الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الأسرة. [انظر: القاموس؛ ومختار الصحاح؛ وفقه اللغة، للثعالبي، ص٢٠٦].

http://kotob.has.it

فهذه النصوص تسوِّي بينهم وبين غيرهم من الناس في الحكم أمام الله، فلا يختص الخير بهم.

النبوة غير مختصّة بهم:

يزعم اليهود أنّ الله لا يختار الأنبياء إلا منهم، وأن الفضل والخير مختص بهم، لأنهم أرفع وأطهر من سائر الناس.

ومما يدحض دعواهم هذه وجود أنبياء كثر في غيرهم، وهم يعترفون بنبوة أيوب ويونس ـ عليهما السلام ـ وهما من غير بني إسرائيل.

فأيوب ـ عليه السلام ـ من ذرية عيسو بن إسحاق ـ عليه السلام ـ وهو أدوم، وبنو عيسو ـ أو العيس كما تسميه العرب ـ هم الروم. وكان كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه، فابتلاه الله، فسَلَب منه جميع أمواله، وابتلاه في جسده بأنواع من الأمراض، وهو في كل ذلك صابر محتسب، وطال مرضه حتى عافه الناس، ولم يبقَ معه سوى زوجته، ثم فَرَّج الله عنه، فأعطى أمثولة دائمة في الاستسلام لأمر الله[1]. وأهل الكتاب يؤمنون به ويقرُّون بنبوته، وينسبون إليه سفراً في العهد القديم مكوّناً من اثنين وأربعين فصلاً. جاء في مطلعه ١/١: كان رجل في أرض عَوْص اسمه أيوب، وكان كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشر.

وأما يونس ـ عليه السلام ـ، فيسمّونه يونان، وقد بعثه الله إلى أهل نِيْنَوَى من أرض المَوْصل، فكذّبوه وتمرَّدوا عليه، فلما طال ذلك خرج من بين أظهرهم. وأهل الكتاب يؤمنون به ويقرُّون بنبوته وينسبون إليه سفراً في العهد القديم مكوّناً من أربعة فصول، جاء في مطلعه ١/١ ـ ٢: كانت كلمة الربِّ إلى يونان بن أَمِتَّايَ قائلاً: انطلق إلى نِينَوى المدينة العظيمة، ونادِ عليها، فإنّ شرها قد صعد من أمامي. فقام يونان ليهرب إلى تَرْشِيش من وجه الربِّ، فنزل إلى يافا، ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش، فدفع أجرتها، ونزل فيها ليذهب معهم، فأرسل الرب ريحاً شديدة في البحر.

---

(١) قصص الأنبياء، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨؛ الحواشي على الكتاب المقدس، ص٤ ـ ٥.

http://kotob.has.it

وقد جاء في سفر الملوك الثاني ١٤/ ٢٥ : حسب كلام الربِّ إلـه إسرائيل الذي تكلَّم به عن يد عبده يونان بن أَمِتَّايَ النبي الذي من جَتَّ حافِر .

وقد أرسل الله سبحانه قبل بعثة محمد ـ ﷺ ـ إلى كل قوم نبياً خاصاً بهم ، فما من أمة إلا خلا فيها نذير ، وكان منهم هود وصالح ، عليهما السلام .

فهود ـ عليه السلام ـ كان من قبيلة يُقال لها : عاد ، وكانوا عرباً يسكنون الأحْقاف ، وهي جبال الرمل ، وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلّة على البحر يقال لها : الشَّجَر ، واسم واديهم مُغيث ، وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان ، فبعث الله فيهم أخاهم هوداً فدعاهم إلى الله كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٦٥ ـ ٧٢][١] .

وأما صالح ـ عليه السلام ـ فكان من قبيلة مشهورة يقال لها : ثَمود ، وكانوا من العرب العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك ، وتسمى بلادهم مدائن صالح ، وكانوا بعد عاد ، وهم يعبدون الأصنام أيضاً ، فبعث الله فيهم رجلاً اسمه صالح يدعوهم إلى عبادة الله كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ

---

(١) قصص الأنبياء ، ص١٠١ .

http://kotob.has.it

أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣] فآمنت طائفة به وكفر أكثرهم، ونالوا منه بالمقال والفعال، وهموا بقتله[(١)].

وقد أخذ الله سبحانه القبيلتين أَخْذَ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٣].

والمشهور عند المؤرّخين أنهما بعد نوح وقبل إبراهيم ـ عليهما السلام ـ فعاد إرم ـ وهي عاد الأولى ـ قد أظهرت الأحافير آثارها ونقلت ذلك الصحافة، وأما ثمود فآثارهم باقية إلى اليوم، تسمى مدائن صالح ويزورها الناس، وقد عرضت صورها في الصحف.

عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال في حديثه الطويل في ذكر الأنبياء والمرسلين: «منهم أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر» [أخرجه ابن حبان].

وأهل الكتاب لا يعرفون هاتين القبيلتين ولا هذين النبيين، إذ ليس لهما ذكر في كتابهم المقدَّس الذي بين أيديهم اليوم، غير أن في القرآن الكريم ما يدلُّ على أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ أخبر عنهما، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ [إبراهيم: ٨ ـ ٩]، لكن لما كانت هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرهما ولم يعنوا بهما وإن كان مشهوراً في زمن موسى، عليه السلام[(٢)].

وإذا أقرَّ اليهود بأنَّ الله سبحانه لا يحب الضالّين ولو كانوا من بني إسرائيل، إذ كان منهم الملوك العصاة والمرتدون وقَتَلة الأنبياء، وأقرّوا أيضاً بأنه يحب المؤمنين والصالحين من غير سلالتهم وطائفتهم، ويتخذ منهم أولياء وأنبياء

---

(١) قصص الأنبياء، ص١١٩.

(٢) قصص الأنبياء، ص١٢١ و٢٦٨.

http://kotob.has.it

مثل: أيوب ويونس ـ عليهما السلام ـ؛ فقد نَفَوا ما ادّعوه من اختصاص محبة الله بهم من دون الناس، واعترفوا بأن الفضل لا يختص بهم.

وأما كثرة الأنبياء فيهم فهي حُجَّة عليهم، ودليل على سوء طباعهم، إذ سرعان ما كانوا يرتدّون ويكفرون، فيرسل الله سبحانه إليهم الرسول تِلْوَ الرسول للتذكير والإصلاح ومحاربة الفساد، وإلا فكيف يحبُّ الله الضالّين منهم والمغضوب عليهم أكثر من الصالحين من غيرهم؟ فكثرة الأنبياء فيهم ليست كرامة لهم، بل هي دليل استعصاء أمراضهم، فكَثُرَت أطباؤهم. قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]. والتعبير بالفعل المضارع يُشعِر بكثرة ذلك فيه واستمراره إلى عصر التنزيل حيث كذَّبوا عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ وقذفوا أمه، ولم يؤمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١].

قال قتادة: هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكّرونهم بالله فيقتلونهم [أخرجه الطبري وابن أبي حاتم].

وصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦].

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
النشيد الواجب الحفظ وما فيه من مغالطات

سبب نشره ووجوب حفظه:

صان موسى ـ عليه السلام ـ التوراة عن عموم بني إسرائيل، ولم يبثَّها فيهم خوفاً من اختلافهم في تأويلها من بعده، ولم يُبْدِ لهم منها سوى نشيد أو سورة صغيرة، أمر أن تكتب وتنشر بين جميع بني إسرائيل ليحفظوها ويقوموا بها، ولا يمتنع أحد من نسلهم من حفظها.

جاء في سفر التثنية ٣١/١٩ ـ ٢٢: فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلِّم بني إسرائيل إيَّاه، ضَعْه في أفواههم، لكي يكون شاهداً عليهم، لأنِّي أدخلهم الأرض التي أقسمت لآبائهم، الفائضة لبناً وعسلاً، فيأكلون ويشبعون ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بي وينكثون عهدي، فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد، يجاوب هذا النشيد أمامه شاهداً، لأنه لا ينسى من أفواه نسله، إني عرفت فكره الذي يفكّر به اليوم قبل أن أدخله إلى الأرض كما أقسمت. فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم، وعلَّمه لبني إسرائيل.

وفي التوراة السامرية: والآن اكتبوا لكم هذه الشيرة، وعلِّمها بني إسرائيل، اجعلها بأفواههم، حتى تكون لي هذه الشيرة شاهدة في بني إسرائيل.

٣١/ ٣٠: فنطق موسى في مسامع كلِّ جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه.

نص النشيد:

جاء في سفر التثنية ٣٢/ ١ ـ ٤: أنصتي أيَّتُها السموات فأتكلم، ولتستمع الأرض أقوال فمي، يهطل كالمطر تعليمي، ويقطر كالنَّدى كلامي، كالطل على الكلأ، وكالوابل على العشب، إنِّي باسم الرب أنادي: أعطوا عَظَمة لإلـهنا، هو الصخر الكامل صنيعُه، إنَّ جميع سلبه عَدْل، إلـه أمانة لا جَوْر فيه، صِدّيق وعادل هو.

http://kotob.has.it

٣٢/ ٥ ـ ٧ : أفسد له الذين ليسوا أولاده، عيبهم ـ وعند الكاثوليك: لعيبهم ـ جيلٌ أعوجُ ملتوٍ، الربَّ تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عمِلك وأنشأك؟ اذكر أيام القِدم، وتأملوا سِني دَوْرٍ فدور. اسأل أباك فيخبرَك، وشيوخك فيقولوا لك.

٣٢/ ٨ ـ ١٤ : حين قسم العليُّ للأمم، حين فرَّق بني آدم، ونصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل، إن قِسْمَ الربِّ هو شعبه، يعقوب حَبْل نصيبه[1]، وجده في أرض قَفْر، وفي خلاء مستوحش خرب، أحاط به ولاحظه، وصانه كحدقة عينه، كما يحرك النَّسْر عشَّه، وعلى فراخه يُرِفُّ ويبسط جناحيه، ويأخذها ويحملها على مناكبه، هكذا قال الربُّ وحده اقتاده، وليس معه إلـٰه أجنبي، أركبه على مرتفعات الأرض، فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عسلاً من حجر، وزيتاً من صَوَّان الصخر، وزبدةَ بقرٍ ولبنَ غنم مع شحم خرافٍ وكباشٍ أولادِ باشان، وتيوسٍ مع دَسَم لُب الحنطة، ودمَ العنب شربته خمراً.

٣٢/ ١٥ ـ ١٨ : فسَمِن يشورون ورفس، سَمِنتَ وغلُظت واكتسيت شحماً. فرفضَ الإلـٰهَ الذي عمله، وغَبِيَ عن صخرة خلاصه. أغاروه بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس، ذبحوا لأوثان ليست اللهَ، لآلهة لم يعرفوها، أحداثٍ قد جاءت من قريب لم يرهبها آباؤكم، الصخرُ الذي ولدك تركته، ونسيت الله الذي أبدأك.

وفي التوراة السامرية ٣٢/ ١٥ : يأكل يعقوب ويشبع، يسمن إسرائيل ويمرح، سمنت عبلت حسنت، وترك القادرَ صانعَه، وأسخط ولي مغوثته. . .

٣٢/ ١٩ ـ ٢١ : فرأى الربُّ ورذلَ من الغيظ بنيه وبناته، وقال: أحجُب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل مُتقلِّب، أولاد لا أمانة فيهم، هم أغاروني بما ليس إلـٰهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم.

٣٢/ ٢٢ ـ ٢٧ : إنه قد اشتعلت نار بغضبي، فتتَّقد إلى الهاوية السُّفْلى

---

(١) كان المصريون يقيسون كل مسافة بعيدة بالحبل [الحواشي، ص٧].

http://kotob.has.it

وتأكل الأرض وغلتها، وتحرق أسس الجبال، أجمع عليهم شروراً، وأنفذ سهامي فيهم، إذ هم خاوون من جوع، ومنهوكون من حُمّى وداء سام، أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حُمَةِ زواحف الأرض، من خارجِ السيفُ يُثكل، ومن داخل الخدور الرعبةُ، الفتى مع الفتاة، والرضيع مع الأشيب، قلت: أبدِّدهم إلى الزوايا، وأُبَطِّل من الناس ذكرهم، لو لم أخف من إغاظة العدو، من أن يُنكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعت، وليس الربُّ فعل كل هذه.

٣٢/ ٢٨ ـ ٣٣: إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم، كيف يطرد واحد ألفاً، ويهزم اثنان ربوة، لولا أن صخرَهم باعهم، والربَّ سلَّمهم لأنه ليس كصخرنا صخرهم، ولو كان أعداؤنا القضاة، لأن من جَفْنة سَدُومَ جَفْنَتُهم ومن كروم عَمُورةَ، عنبُهم عنبُ سمّ، ولهم عناقيد مرارة، خمرهم حُمَةُ الثعابين وسم الأصلال القاتل.

٣٢/ ٣٤ ـ ٤٢: أليس ذلك مكنوزاً عندي؟ مختوماً عليه في خزائني؟ ليَ النِّقمة والجزاء في وقتٍ تزلّ أقدامهم، إنَّ يوم هلاكهم قريب، والمُهيَّآت لهم مسرعة، لأن الربَّ يَدين شعبه، وعلى عبيده يشفق. حين يرى أنَّ اليد قد مضت، ولم يبقَ محجوز ولا مطلق، يقول: أين آلهتهم الصخرة التي التجؤوا إليها؟ التي كانت تأكل شحم ذبائحهم، وتشرب خمر سكائبهم؟لتقم وتساعدْكم وتكنْ عليكم حماية. انظروا الآن، أنا أنا هو، وليس إلـه معي، أنا أميت وأحيي، سحقتُ وإني أشفي، وليس من يدي مُخَلِّص، إني أرفع إلى السماء يدي وأقول: حيٌّ أنا إلى الأبد، إذا سننتُ سيفي البارق، وأمسكتْ بالقضاء يدي، أردّ نِقمة على أضدادي وأجازي مُبغضيّ، أُسْكِر سهامي بدم، ويأكل سيفي لحماً، بدم القتلى والسبايا، ومن رؤوس قواد العدو.

٣٢/ ٤٣: تهلَّلوا أيها الأممُ شعبُه، لأنه ينتقم بدم عبيده، ويرد نقمة على أضداده، ويصفح عن أرضه عن شعبه.

٣٢/ ٤٤ ـ ٤٧: فأتى موسى، ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب هو ويشوع بن نون، ولما فرغ من مخاطبة جميع بني إسرائيل بهذه الكلمات قال لهم: وجِّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم، لكي توصوا بها أولادكم، ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة؛

http://kotob.has.it

لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم، بل هي حياتكم، وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها.

ما في هذا النشيد من مغالطات:

في هذا النشيد من الفضائح ما لا يجوز أن ينسب إلى الله عزَّ وجلّ، منها ما يلي:

١ ـ جاء في ٣٢/ ٦: «أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عملك وأنشأك». وحاشا لله من هذا، وهل مهَّد للنصارى وسهَّل عليهم أن يجعلوا لله ولداً، إلا ما وجدوا في هذه الأسفار المحرَّفة؟!. وليس في العجب أكثر من أن يجعل من هو بهذه الصفات نفسه ابناً لله.

٢ ـ جاء في ٣٢/ ٨ ـ ٩: «حين قسم العليُّ للأمم، حين فرّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوبٍ حسب عدد بني إسرائيل، إن قِسْم الرب هو شعبه». وهذا غير صحيح، لأن بني إسرائيل كانوا اثني عشر، فعلى هذا يجب أن يكون أجناس بني آدم اثني عشر، وليس الأمر كذلك.

٣ ـ جاء في ٣٢/ ١١ ـ ١٢: «كما يحرك النسر عشَّه، وعلى فراخه يرفّ، ويبسط جناحيه، ويأخذها ويحملها على مناكبه، هكذا الرب وحده اقتاده».

وهذا يعني أنَّ الله سبحانه لما قسم الأجناس من بني آدم، واختار بني إسرائيل وجعلهم قسمته وسهمه، حملهم على منكبيه كالنسر الذي يحمل فراخه. وحاشا لله من هذا التشبيه وهذا الادّعاء.

* * *

http://kotob.has.it

[٣]
استبدال العرب ببني إسرائيل

ورد في ذلك النشيد في الفقرات ٣٢/ ١٥ ـ ٢٠ من سفر التثنية ما يلي: فسمن يشورون ورفس، سمنتَ وغَلظتَ واكستبتَ شَحْماً، فرفَض الإلـه الذي عمله، وغَبِيَ عن صخرة خلاصه، أغاروه بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس، ذبحوا لأوثان ليستِ اللهَ، لآلهة لم يعرفوها، أحداث قد جاءت من قريب لم يرهبها آباؤكم، الصخر الذي ولدَك تركتَه، ونسيتَ الله الذي أبدأك. فرأى الرب ورَذَل من الغيظ بنيه وبناته، وقال: أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيلٌ متقلِّبٌ، أولاد لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلـهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم.

فالله سبحانه أنعم على بني إسرائيل بنعم كثيرة، غير أنَّ النعمة أفسدتهم، فبدلاً من الشكر عليها عبدوا الأصنام والأوثان وقرّبوا لها القرابين ونسوا خالقهم ومغيثهم، فأغاروه وأغضبوه، ولذلك فإنَّه سبحانه سَيُغِيرهم باختيار شعب آخر جاهل ومحتقر في أعينهم. فمن الشعب الآخر الذي سيغيظهم به ويفضله عليهم؟ لا ريب أنهم أولاد إسماعيل ـ عليه السلام ـ فإنهم كانوا في غاية الجهل والضلال، ولم يكن عندهم اتجاه إلى أي نوع من العلم، بل كان معظمهم أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، وكانوا قبل بعثة محمد ـ ﷺ ـ يعبدون الأصنام ويئدون البنات ويغير بعضهم على بعض، متمسكين بجانب كبير من مكارم الأخلاق. وكان اليهود يحتقرونهم لأنهم أولاد هاجر جارية إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

وتمت الإغاظة وتمَّ استبدال العرب الأميين ببني إسرائيل، فقد بعث الله فيهم رسولاً منهم أمياً مثلهم، فعلمهم وزكّاهم بالوحي الذي أنزل عليه، فكانوا بحقّ خير أمةٍ أُخرجت للناس، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]، وكان تفضيلهم على سائر الأمم مدعاة لعجب اليهود وإغاظتهم بما أسبغ عليهم من نعمة قابلوها بالشكر والامتنان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

http://kotob.has.it

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ الله عزَّ وجل يقول: يا عيسى، إني باعث بعدك أمةً، إن أصابهم ما يحبون حمِدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. قال: يا ربّ كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: سأعطيهم من حلمي وعلمي». [أخرجه أحمد في المسند والبزار وحسنه والحاكم وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم في الحلية].

شواهد البشارة:

١ ـ جاء في المزمور ١١٨/ ٢٢ ـ ٢٣: الحجر الذي رفضه ـ وعند الكاثوليك: رَذَله ـ البنَّاؤون قد صار رأس الزاوية، من قبل الربِّ كان هذا، وهو عجيب في أعيننا.

وسبب العجب أنَّ اليهود كانوا يحتقرون العرب أولاد إسماعيل غاية الاحتقار، فإذا صار أحد أولاده رأساً للزاوية فهو عجيب في أعينهم، ومدعاةٌ لحسدهم.

١١٨/ ٢٤ ـ ٢٦: هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، نبتهج ونفرح فيه. آه يا ربُّ خلِّص، آه يا رب أنقذ. مبارك الآتي باسم الرب، باركناكم من بيت الربِّ.

٢ ـ ويؤكّد فسادهم وعصيانهم واستبدال العرب بهم ما يلي:

جاء في إنجيل مَتَّى ٢١/ ٤٢ ومرقس ١٢/ ١٠ ـ ١١ ولوقا ٢٠/ ١٧ أنَّ المسيحَ ـ عليه السلام ـ قال لأحبار اليهود: أما قرأتم في الكتب: الحجر الذي رفضه البنَّاؤون، هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الربّ كان هذا، وهو عجيب في أعيننا.

متَّى ٢١/ ٤٣: لذلك أقول لكم: إنَّ ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره.

متى ٢١/ ٤٤، لوقا ٢٠/ ١٨: مَنْ سقط على هذا الحجر ترضض، ومن سقط عليه الحجر سَحَقه.

متى ٢١/ ٤٥ ـ ٤٦، مرقس ١٢/ ١٢، لوقا ٢٠/ ١٩: فلما سمع رؤساء

http://kotob.has.it

الكهنة ومعلّمو الشريعة (الفريسيون) هذا من يسوع عرفوا أنّه قال هذا الكلام عليهم، فأرادوا أن يمسكوه، لكنهم خافوا من الجموع، لأنهم كانوا يعدُّونه نبياً، فتركوه وانصرفوا.

وقد نزع الله سبحانه ملكوته من بني إسرائيل بالفعل، وأعطاه لمحمد ـ ﷺ ـ وأمته، تحقيقاً لبركة إسماعيل وزجراً لقَتَلة الأنبياء ومحرِّفي الكتب، فقد شبَّه دعوة الأنبياء بالبناء، وشبَّه محمداً ـ ﷺ ـ بالحجر الذي أخَّره البنّاؤون، فجاء وختم البناء، وكان رأس الزاوية، وأشار إلى أنه يجاهد من يعترض طريقه، ويؤيّده الله بنصره، وإلا فمن هي الأمّة التي دفع الله إليها ملكوته بعد أن نزعه من بني إسرائيل، وكانت محتقَرة في أعينهم؟ ومن الذي تنطبق عليه أوصاف هذا الحجر؟.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسولَ الله ـ ﷺ ـ قال: «إنَّ مَثَلي ومَثَل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً، فأحسنه وجمَّله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلاّ وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين» [أخرجه البخاري ومسلم][1].

تنبيه: يدَّعي النصارى بأن المراد بالحجر هو المسيح ـ عليه السلام ـ وهذا مخالف للنص من الوجوه التالية:

أ ـ قوله: «وهو عجيب في أعيننا»، فأيُّ عجب يكون في أعين اليهود لو كان المسيح ـ عليه السلام ـ هو المراد بالحجر؟ فهم يزعمون أنه من نسل داود ـ عليه السلام ـ وآل داود كانوا معظَّمين عند اليهود غير محتقرين، بخلاف العرب، فإنَّهم كانوا محتَقرين في أعين اليهود، فإذا صار أحدهم رأس الزاوية، فإنه عجيب غاية العجب في أعينهم.

ب ـ قوله: «إنَّ ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره» والمسيح ـ عليه السلام ـ ليس من أمة أخرى، فهو من بني إسرائيل، ويزعمون أنَّ

---

(١) وروى الشيخان أيضاً والترمذي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ نحوه؛ وروى مسلم أيضاً عن أبي سعيد نحوه؛ وكذلك الترمذي عن أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ وقال: حسن صحيح.

http://kotob.has.it

نسبه من جهة خطيب أمه يوسف النجار يعود إلى داود ـ عليه السلام ـ وهذا غير صحيح، بل هو في الحقيقة ينسب إلى أمه مريم، وهي من سلالة هارون ـ عليه السلام ـ فلو كان هو الحجر الذي أخَّره البنّاؤون لما نزع ملكوت الله من بني إسرائيل، لأنه منهم.

جـ ـ قوله: «من سقط على هذا الحجر ترضَّض، ومن سقط عليه الحجر سحقه». ولا يصدق هذا الكلام على المسيح ـ عليه السلام ـ البتَّة، فإنه لم يجاهد، بل كان مُسْتضعفاً يتوارى من أعدائه، وفي زعم النصارى أنَّه قُتل وصُلب وصار لعنة على الخشبة، فهو الذي ترضَّض وهو الذي سُحق حسب اعتقادهم وليس غيره، فكيف يصدق الكلام عليه؟!.

والمنصف يرى أنّ هذا الكلام إنما ينطبق على محمد ـ ﷺ ـ وأمته، فهم المجاهدون، وقد سحقوا من ناوأهم وأراد الوقوف في سبيل دعوتهم.

٣ ـ جاء في سفر إشعياء ٦٥/ ١ ـ ٥: أصغيت إلى الذين لم يسألوا، وُجدتُ من الذين لم يطلبوني، قلت: هأنذا لأمة لم تسمَّ باسمي. بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرّد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره، شعب يغيظني بوجهي دائماً، يذبح في الجنات، وينحر على الآجر. يجلس في القبور، ويبيت في المدافن، يأكل لحم الخنزير، وفي آنيته مرق لحوم نجسة. يقول: قف عندك، لا تدنُ مني، لأني أقدس منك، هؤلاء دخان في أنفي، نار متقدة كل النهار.

فالمراد بالذين لم يسألوني ولم يطلبوني: العرب، لأنهم ما كانوا يسألون عن دين ولا يطلبون البحث عنه بصورة عامة.

أما الشعب المتمرِّد الذي يسير في طريق غير صالح، فلا شك أنهم بنو إسرائيل كما تشهد بذلك أسفارهم في مواضع كثيرة. وقد احتالوا بحيل كثيرة ليتهرَّبوا من الأحكام الشرعية ويأكلوا النجاسات، ويرتكبوا المخالفات، ومع ذلك فقد كانوا يرون مزيَّة لأنفسهم على غيرهم، فيدَّعون أنَّهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحبّاؤه، فردّهم الله سبحانه، واختار محمداً ـ ﷺ ـ وأمته بدلاً منهم، فكان خاتم النبيين، وكانت رسالته عامة، وكان رحمة للعالمين.

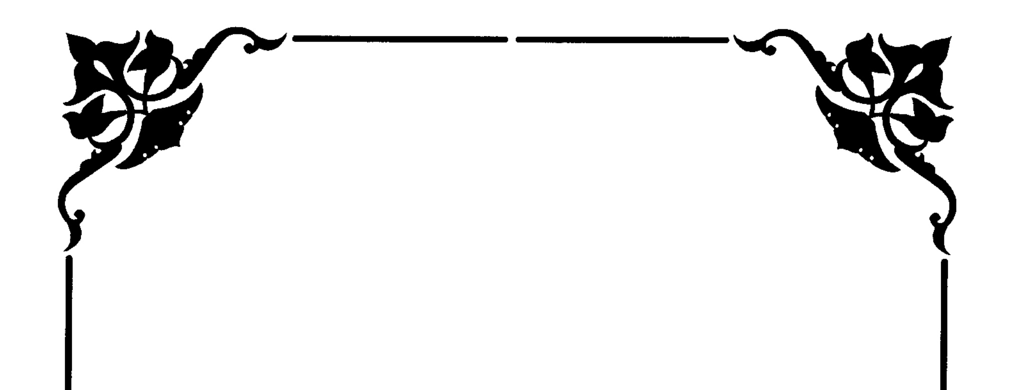
جاء في إنجيل متى ٨/ ١١ ـ ١٢: الحقَّ أقول لكم: ما وجدتُ مثل هذا

http://kotob.has.it

الإيمان عند أحد في إسرائيل. أقـول لكـم: كثيـرون من الناس سـيجيئون من المشرق والمغرب، ويجلسـون مع إبـراهيم وإسـحاق ويعقـوب فـي ملكـوت السموات، وأما من كان لهم الملكوت فيطرحون خارجاً في الظلمة، وهناك البكاء وصريف الأسنان.

* * *

http://kotob.has.it



البَابُ الثَّاني

مغالطة أرض الميعاد

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ الفصل الأول : الأرض المقدَّسة

٢ ـ الفصل الثاني : رحلة إبراهيم إلى بلاد العرب وعودته

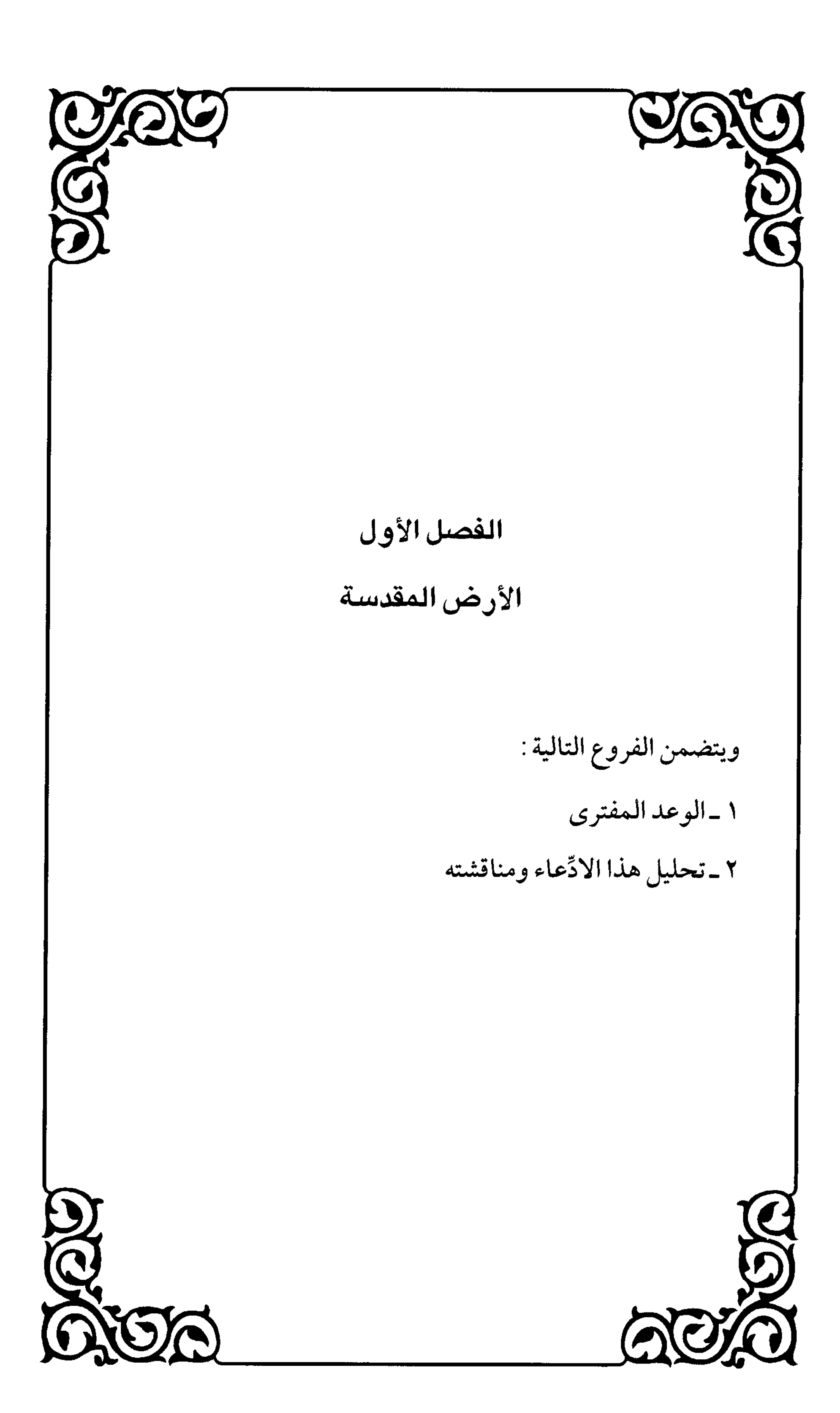
٣ ـ الفصل الثالث : ذرية إبراهيم في أرض كنعان

٤ ـ الفصل الرابع : ليس لليهود حق أبدي موروث في فلسطين

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it



الفصل الأول

الأرض المقدسة

ويتضمن الفروع التالية :

١ ـ الوعد المفترى

٢ ـ تحليل هذا الادّعاء ومناقشته

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
الوعد المُفْتَرى

يزعم اليهود أنَّ الله سبحانه وعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يمنح ذريته من إسحاق ـ عليه السلام ـ، ووعد إسحاق ـ عليه السلام ـ أيضاً أن يمنح ذريته من نسل يعقوب ـ عليه السلام ـ، ووعد يعقوب الذي هو إسرائيل ـ عليه السلام ـ أن يمنح ذريته الأرض المقدَّسة المباركة التي اختارها لهم واختارهم لها ملكاً أبدياً لا ينازعهم فيها أحد، سواء سكنوها أو لم يسكنوها، سيطروا عليها أو أُجْلُوا منها، فلا مكان لغيرهم فيها بمقتضى أوامر الربِّ، لأنه اختارها لسكناه، وقد آثر بها اليهود، واكتفى لنفسه بأورشليم. ويحقُّ لهم ـ بصفتهم شعب يهوه المختار ـ أن يطردوا السكان الآخرين، فإما أن يرحلوا أو يُقتلوا ويبادوا مع أولادهم، من أجل إقامة ما يسمونه الدولة العبرية وتنفيذ مشيئة إلـهـهم يهوه.

النصوص التي يستندون إليها:

● **زعموا أنَّ مبدأ هذا الوعد يرجع إلى زمن نوح** ـ عليه السلام ـ حينما رأى ابنُه حام عَوْرته حال سُكْره، ونادى أخوَيْه الكبيرين ساماً ويافث فستراه، ولما أفاق نوح ـ عليه السلام ـ وعلم بالأمر لعن كنعان بن حام، وبارك ساماً ويافث ودَعَا لهما، وجعل كنعان عبداً لهما.

جاء في سفر التكوين ٩/ ٢٠ ـ ٢٧: وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسَكِر، وتعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عَوْرة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عَوْرة أبيهما، فلما أفاق نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته. وقال: مبارك الرب إلـه سام، وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبداً لهم.

وهكذا اتَّهموا نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ بالإفراط في شرب الخمر حتى

http://kotob.has.it

سكر وأضاع رُشْده، فلم يعد يعي ما يفعل، ولذلك تعرَّى داخل خبائه دون أن يسدَّ المنافذ، فأبصر ابنه حام عورته، ويظهر أنَّ ذلك كان بدون قصد منه، فأخبر أخويه الكبيرين ليتصرفا، وكان منهما ما كان.

وإنَّ الإنسان ليتساءل: إن كان ثَمَّة خطأ يستحق مرتكبه اللعن، فليكن عليه دون أولاده، فلو فرضنا أن حاماً أخطأ عن عمد، ما ذنب ابنه كنعان ليلعنه جدُّه؟!.

ومن ناحية ثانية إنَّ لحام أولاداً آخرين، وهم: كوش ومِصْرايم وفوط كما في سفر التكوين ١٠/٦، فلمَ خصَّ نوح ـ عليه السلام ـ كنعان وحده باللَّعن دون إخوته؟.

من الواضح أن كُتَّاب التوراة إنما أرادوا من افتراء هذه القصَّة أن يثبتوا حقَّ اليهود في أرض بني كنعان، فلوَّثوا بذلك صورة النبي الكريم، واتَّهموه بالسُّكْر والتعرّي، ثم بالظلم في الدعاء واللَّعن، ليحقِّقوا أَرَبَهُمْ. علماً بأن هذا الدعاء واللَّعن لم يتحقق منه شيء البتة فيما بعد على ما ذكرته توراتهم، وحاشا لنبي أن يظلم في الدعاء، وحاشا لله أن يردَّ دعوة نبي.

● **جاء في سفر التكوين ١٥/١٨ ـ ٢٠**: في ذلك اليوم قطع الربُّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القَيْنيّين والقِنِزّيين والقَدْمونيين والحِثّيين والفَرِزّيين والرفائيين والأمُوريين والكنعانيين والجِرْجاشيين واليبُوسيين.

٢٦/١ ـ ٦: وكان جوع في الأرض، فذهب إسحاق إلى أبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جَرار، وظهر له الربُّ وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرَّب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك، لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنّ إبراهيم سمع لقولي ـ ـ فأقام إسحاق في جَرار. وفي السامرية: في الخلوص.

● **وجاء في سفر الخروج ٣٣/١ ـ ٣**: وقال الربُّ لموسى: اصعد من هنا

http://kotob.has.it

أنت والشعب إلى الأرض التي حلفتُ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها، وأنا أرسل أمامك ملاكاً، وأطرد الكنعانيين والأموريين والحثيين والفِرِزّيين والحِوِّيين واليبوسيين. إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً.

٣٤/ ١١ ـ ١٢: احفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قُدَّامك الأموريين والكنعانيين والحِثّيين والفِرِزيين والحِوِّيّين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها، لئلا يصيروا فخاً في وسطك.

٣٤/ ١٥: احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض.

● **وجاء في سفر الأحبار ٢٠/ ٢٤**: وقلت لكم: ترثون أنتم أرضهم ـ أي: أرض الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم ـ وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، أنا الربُّ إلـٰهكم الذي ميَّزكم من الشعوب.

● **وجاء في سفر العدد ٣٣/ ٥٠ ـ ٥٣**: وكلَّم الربُّ موسى في عَرَبات موآب على أردن أريحا قائلاً: قل لبني إسرائيل: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون سكان الأرض من أمامكم ـ ـ تمتلكون الأرض وتسكنون فيها، لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تمتلكوها.

٣٣/ ٥٥: وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تَسْتَبْقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها.

● **وجاء في سفر التثنية ١/ ٦ ـ ٨**: الربُّ إلـٰهنا كلَّمنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعودٌ[١] في هذا الجبل، ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكلّ ما يليه من العَرَبة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعاني ولُبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات. انظر قد جعلت أمامك الأرض، ادخلوا وتملَّكوا الأرض التي أقسم الربُّ لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم.

٤/ ٣٧ ـ ٣٨: ولأجل أنَّ الربَّ أحبَّ آباءك واختار نسلهم من بعدهم

---

(١) هكذا وردت في ترجمة السفر بالضم، تقول: كفاك الشيءُ، أي: حسبك. [القاموس].

http://kotob.has.it

أخرجك بقوته العظيمة من مصر، لكي يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك، ويأتي بك ويعطيك أرضهم.

٦/ ١٠ ـ ١٣: ومتى أتى الربُّ إلـٰهك إلى الأرض التي حلف لآبـائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك، إلى مدنٍ عظيمة جيّدة لم تبنها، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها، وآبار محفورة لم تحفرها، وكروم وزيتون لم تغرِسها، وأكلتَ وشبعتَ، فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، الربُّ إلـٰهك تتقي وإياه تعبد، وباسمه تحلف.

٧/ ١ ـ ٢: متى أتى بك الربُّ إلـٰهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك: الحِثيين والجِرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفِرزيين والحِوّيين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الربّ إلـٰهك أمامك، وضربتهم فإنك تُحَرِّمُهُم ـ أي: تبيدهم وتهلكهم ـ لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.

٩/ ١ ـ ٥: اسمع يا إسرائيل، أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدناً عظيمة ومحصّنة، قوماً عظاماً وطوالاً بني عَنَاق الذين عرفتهم، فاعلم اليوم أنّ الربَّ إلـٰهك هو العابرُ أمامك ناراً آكلة، هو يبيدهم ويذلُّهم أمامك فتطردهم وتُهلكهم سريعاً كما كلَّمك الرب، لا تقل في قلبك حين ينفيهم الربّ من أمامك لأجل بِري أدخلني الربُّ لأمتلك هذه الأرض، ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الربّ من أمامك. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الربّ إلـٰهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الربّ عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

١١/ ٢٢ ـ ٢٥: لأنه إذا حفظتم جميع هذه الوصايا التي أوصيكم بها لتعملوها ـ ـ يطرد الربُّ جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم، لا يقف إنسان في وجهكم، الربُّ إلـٰهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كلّ أرض تدوسونها.

http://kotob.has.it

٢٠/ ١٠ ـ ١٧ : حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك وفتحت لك فكلُّ الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمكَ بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الربُّ إلـٰهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلـٰهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك التي ليست مدن هؤلاء الأمم، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلـٰهك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمة ما، بل تُحَرِّمها تحريماً، الحثّيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحِوّيين واليبوسيين، كما أمرك الربّ إلـٰهك.

● **وجاء في سفر يشوع بن نون ١/ ١ ـ ٥** : وكان بعد موت موسى أنّ الربَّ كلَّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، الآن قُمْ اعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كما كلّمتُ موسى، من البرية ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحِثّيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم.

١٣/ ١ ـ ٦ : وشاخ يشوع، فقال له الربُّ: أنت شِخْت، وقد بقيت أرض كثيرة للامتلاك، هذه هي الأرض الباقية، كل دائرة أرض الفلسطينيين وكل الجَشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عَقْرون شمالاً تُحسَب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة: الغَزّي والأشدودي والأشقلوني والجِتي والعَقْروني والعَوِيين، من التَّيْمَن كلُّ أرض الكنعانيين ومَغارةُ التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين، وأرضُ الجِبْلِيين وكلُّ لبنان نحو شروق الشمس من بعلِ جاد تحت جبل حَرْمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مِسْروفوت مايمَ جميع الصيدونيين، أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل.

● **وجاء في سفر حِزْقيال ٤٧/ ١٣ ـ ٢١** : هكذا قال السيّد الرب: هذا هو التخم الذي تمتلكون به الأرض بحسب أسباط إسرائيل الاثني عشر، وتمتلكونها أحدكم كصاحبه، التي رفعت يدي لأعطي آباءكم إياها، وهي تقع لكم نصيباً. وهذا هو تخم الأرض، نحو الشمال من البحر الكبير ـ ـ وتخم حماة، وهذا جانب

http://kotob.has.it

الشمال، وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجاماد وأرض إسرائيل عند الأردن من التخم إلى البحر الشرقي، وجانب الجنوب يميناً من ثامار إلى مياه قادَش ومن النهر إلى البحر الكبير، وجانب الغرب البحر الكبير إلى مقابل حماه، فتقتسمون هذه الأرض لكم أسباط بني إسرائيل.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
تحليل هذا الادِّعاء ومناقشته

يَهْوَه يأمر شعبه بالإرهاب:

تبيَّن من تلك النصوص أن إلـه العبرانيين يَهْوه ينحاز إلى شعبه المختار انحيازاً دَمَوياً مطلقاً، فيقرّر لهم سَلْب الأراضي من الشعوب التي استقرّت بها منذ القديم وزرعتها وعمرتها، ويأمرهم بتوزيعها بين الأسباط دون وجه حق، ويأمرهم أيضاً بالمجازر وجرائم الحرب، بدلاً من التعايش مع تلك الشعوب والعمل على هدايتهم ونصحهم، كما ذكر في سفر التثنية ٧/ ١ ـ ٢ : متى أتى بك الربُّ إلـهك إلى الأرض ـ ـ وطرد شعوباً كثيرة ـ ـ ودفعهم أمامك وضربتهم فإنك تُحرِّمهم ـ أي : تبيدهم ـ لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.

وفي ٩/ ٣ : فاعلم اليوم أنّ الربّ إلـهك هو العابر أمامك ناراً آكلة، هو يبيدهم ويذلّهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلَّمك الربّ.

وفي ٢٠/ ١٠ ـ ١٧ : حين تقترب من مدينة استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك فكلُّ الشعب فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك فحاصرها، وإذا دفعها الربّ إلـهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتغتنمها لنفسك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ـ ـ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلـهك نصيباً فلا تستبقِ منها نسمة ما، بل تُحَرِّمها تحريماً.

ولذلك فإنّ الحركة الصهيونية في العصر الحديث استهدفت جمع اليهود من كل بلاد العالم وتوطينهم في أرض فلسطين بعد طرد شعبها وارتكاب المجازر، لإقامة دولتهم.

حدود الأرض المزعومة:

مَن تأمَّل النصوص التي يحتجّون بها على حقّهم في أرض الميعاد ويزعمون أنّها تبيِّن حدودها وجدها مضطربة في تحديدها، بل متضاربة يُسقط بعضها

http://kotob.has.it

بعضاً، وحاش لله أن يكون هذا وحياً أوحاه الله إلى أنبيائه. وإليك بيان ذلك:

في سفر التكوين ١٥/ ١٨_٢٠ حدودها من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

وفي سفر التثنية ١/ ٢ _ ٧: ادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرضَ الكنعاني ولُبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات.

وفي التثنية أيضاً ١١/ ٢٤ _ ٢٥: كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم. لا يقف إنسان في وجهكم.

وفي سفر يشوع بن نون ١/ ٢ _ ٤: قُمْ اعبر هذا الأردن إلى الأرض التي أنا معطيكها ـ ـ كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته، من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات.

وفي سفر يشوع أيضاً ١٣/ ٢ _ ٦: هذه هي الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عفرون شمالاً، من التَّيْمَن ومَغارة إلى أفيق، إلى تخم الأمُّوريين وأرض الجِبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بَعْل جاد تحت جبل حَرمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مِسْرَفوت مايم.

وفي سفر حزقيال ٤٧/ ١٥ _ ٢٠: وهذا تخم الأرض نحو الشمال من البحر الكبير ـ ـ وتخم حماة، وهذا جانب الشمال، وجانب الشرق بين حوران ودمشق وجلعاد وأرض إسرائيل الأردن من التخم إلى البحر الشرقي، وهذا جانب المشرق، وجانب الجنوب يميناً من ثامار إلى مياه النهر إلى البحر الكبير، وجانب الغرب البحر الكبير من التخم إلى مقابل حماة، وهذا جانب الغرب.

وبما أن تلك النصوص مضطربة بل متنافرة، تتسع فيها الحدود تارة وتضيق أخرى، اختلفت أقوال زعمائهم، فمنهم من يرى أن رقعة دولتهم الجديدة ستكون في أرض كنعان ـ أي: فلسطين كلها بما فيها الضفة والقطاع ـ ومنهم من يرى أنها تمتد من النيل إلى الفرات، فهي أرض التوراة التي وعدهم بها يَهْوه. وفي قاموس الكتاب المقدّس للدكتور بوست: «الأرض الموعود بها إبراهيم

http://kotob.has.it

الموصوفة في كتاب موسى تمتد من جبل هور إلى مدخل حماة، ومن نهر مصر العريش إلى النهر الكبير نهر الفرات، وأكثر هذه الأراضي كانت تحت سلطة سليمان»، ولذلك فإنّ اليهود منذ اغتصابهم الأرض عام (١٩٤٨م) إلى الآن لم يصدروا خريطة تحدِّد حدود دولتهم بصورة قطعية، ويحرصون على أن تظل عبارة (إسرائيل الكبرى) غامضة، غير أنّ من تتبّع مخطَّطاتهم السياسية وأحوالهم لم يَبْقَ لديه غموض، فالدائرة الكبرى من النيل إلى الفرات هدف استراتيجي بعيد لهم، والتوسع الإقليمي عند الكثير منهم يبتلع بلاد الشام والعراق جميعاً وأطرافاً من تركية ودلتا مصر وشمال جزيرة العرب بما فيها الكويت والمدينة المنورة، غير أنّ الهدف الأول لهم هو أرض الشام، وقد بدؤوها باغتصاب فلسطين عام (١٩٤٨م) بمساعدة الأوروبيين، ثم توسَّعوا بتواطؤ معروف عام (١٩٦٧م) فاستولوا على مساحات واسعة من مصر وسورية ولبنان والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة، وما إن صارت القدس تحت سيطرتهم حتى شرعوا بتهويدها وإزالة معالمها، فأزالوا المباني المحيطة بالمسجد الأقصى، ونزعوا ملكيتها قسراً من أصحابها تحت سمع العالم وبصره.

ومما يدلّ على هدفهم الاستراتيجي عَلَمهم ذو الخطين الأزرقين، فإنهما يرمزان إلى النهرين، أما النجمة السداسية التي يسمُّونها نجمة داود، والتي يتطابق مثلثاها بحيث تظهر ستة الرؤوس، فيزعمون أنها تدلّ على تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان الوضع في زمن داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وقد رسموا على العُمْلة النقدية التي يتعاملون بها خريطة لتلك الأرض من النيل إلى الفرات، فكل يهودي يؤمن بتوراتهم وتلمودهم يعتقد بما جاء فيهما عن أرض إسرائيل الكبرى، وهو هدف راسخ في أذهانهم، لا بدَّ من الوصول إليه عبر المراحل الزمنية، وقد كتبوه على مدخل مجلسهم الكنيست.

ولتنمية التعصب لهذه الفكرة ورسوخها في نفوس الناشئة فقد قرّروا تدريس النصوص التوراتية والتلمودية التي تذكر حقَّ اليهود في فلسطين والأردن ولبنان وأجزاء من سورية حتى حماة، ويؤكدون في كتبهم أنّ الشعب اليهودي سيعود بأسره إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد من النيل إلى الفرات. وعدد اليهود في العالم قرابة ستة عشر مليوناً، وفي الأرض المحتلة قرابة أربعة

http://kotob.has.it

ملايين، وهم يرون أنها مرحلة زمنية، فقد جاء في التلمود: «واجب على كل يهودي أن يعيش في أرض إسرائيل»[1].

هذه هي عقيدة اليهود وسياستهم، يصرّحون بها تارة، ويخفونها أخرى، وقد أظهر أحبارهم باستمرار حماسة جنونية لتوسيع حدود دولتهم، ودعوا بإلحاح إلى إقامة المجازر وإبادة تلك الشعوب إبادة كاملة، لتنفيذ أمر الربّ المزعوم كما جاء في تلك النصوص.

تفنيد هذا الادّعاء:

مَن تَتَبَّعَ نصوص الأسفار جميعها، وقابلها بتلك التي احتجّوا بها على أرض الميعاد وحدودها، وتتبَّع ما جرى لبني إسرائيل على امتداد التاريخ القديم والحديث، وأنعم النظر في ذلك كلِّه تبيَّن له أنَّ عبارة: «من نهر مصر إلى النهر الكبير الفرات» المذكورة في سفر التكوين ١٥ / ١٨ ليست من صلب النص، بل هي مضافة إليه دخيلة عليه، وتبين له أيضاً أنَّ التحديد الذي جاء في غيرها من النصوص لا أصل له البتة، وهذا ما سيظهر لنا إن شاء الله من خلال مقابلة النصوص وتحليلها وموازنتها ومما بعد ذلك أيضاً.

أ ـ إنَّ النصَّ الوارد في سفر التكوين يتضمن عبارة: «هذه الأرض» أي: الأرض المعهودة في الذهن والمذكورة سابقاً، ولم يأتِ في توراتهم نَصٌّ آخر حدَّد فيه الأرض بهذين النَّهْرَيْن، ولا سيما نهر مصر، فإن لم يرد له ذكر في غير هذا الموضع، بل وردت نصوص أخرى تحددها ببعض أرض فلسطين، وتربط بقاءهم فيها باستمرار صلاحهم كما سنرى إن شاء الله، فهل تكرَّر الوعد لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بأرضين مختلفتين؟!.

ب ـ جاء في سفر التكوين ١٥ / ١٣: فقال الله لأبرام: اعلم يقيناً أنَّ نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويُستعبدون لهم فيذلُّونهم أربعمئة سنة.

فهذا النص دليلٌ صريحٌ على أنّ أرض مصر ليست لهم كلاًّ أو بعضاً.

جـ ـ إنّ ادّعاءهم هذا لم يتحقق مُطْلقاً، لا في زمن إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولا بعده قديماً وحديثاً.

---

(١) التلمود تاريخه تعاليمه، لظفر الدين خان، ص٦٦.

http://kotob.has.it

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ: «فما ملكوا قطّ من نهر مصر ولا على نحو عشرة أيام منه شبراً واحداً، وذلك من موقع النيل إلى قرب مدينة القدس، وفي هذه المسافة الصحارى المشهورة الممتدة والحَضار، ثم رفح وغزة وعسقلان وجبال الشَّرَاة التي لم تزل تحاربهم طول مدة ملكهم، وتذيقهم الأمرَّيْن إلى انقضاء دولتهم، ولا ملكوا قطّ من الفرات ولا عشرة أيام منه، بل بين حَوْز بني إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات إليهم نحو تسعين فرسخاً، فيها قنسرين وحمص التي لم يقربوا منها قط، ثم دمشق وصور وصيدا التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم»[1].

وكل ما هنالك أنَّ الله سبحانه مكَّنهم حال صلاح أكثرهم من بعض بلاد فلسطين، ثم اتّسعت رقعة المملكة في عهد داود وابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ غير أنها كانت بعيدة كل البعد عن الحدّ الذي ذكروه، فلما فسدوا وطغوا وارتدّوا سلَّط الله عليهم عبيداً له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وأذلُّوهم وأسروهم وسبوهم إلى بابل مرتين، وأصبحت فلسطين شبه خالية منهم، فإذا لم يتحقق الوعد بهذه الحدود إلى اليوم، فمتى يتحقق؟ .

د ـ إنَّ السباق والسياق في نصوص جميع الأسفار يدلاَّن على أن المراد بالأرض إنما هو بعض فلسطين فقط، ثم إن النص في ١٥/ ١٨ ـ ٢٠ يذكر أقواماً كانوا يعيشون في فلسطين كما سيأتي .

النصوص التي تذكر الوعد لإبراهيم:

جاء في سفر التكوين ١٢/ ١ ـ ٢ : وقال الربُّ لأبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة .

١٢/ ٥ ـ ٧: فأتَوا إلى أرض كنعان، واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بَلُّوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض، وظهر الربُّ لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للربِّ الذي ظهر له .

١٣/ ١٤ ـ ١٨ : وقال الربُّ لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفعْ عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأن جميع الأرض التي

---

(١) انظر: توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، طبعة دار القلم ـ دمشق، ٢٠٠٤م، ص٢٣٤ .

http://kotob.has.it

ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد ـ ـ قُمْ امشِ في الأرض طولها وعرضها، لأني لك أعطيها. فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون، بنى هناك مذبحاً للرب.

١٥/ ٧: وقال له: أنا الربُّ الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها.

إذاً فالأرض الموعود بها هي المشار إليها وهي في حبرون، وهي التي نظر إليها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، فهل يمكن أن ينظر إلى النيل والفرات وما بينهما.

١٧/ ٧ ـ ٨: وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً ـ ـ وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً، وأكون إلـههم.

٢٤/ ٧: الربُّ إلـه السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي، والذي كلَّمني وأقسم لي قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض.

فالوعد له إنما كان بكل أرض كنعان، ولم يكن أحد من بني كنعان ساكناً في مصر أو قرب نهر الفرات، فدلَّ على أنّ ما جاء في ١٥/ ٨ ـ ٢٠ من النيل إلى الفرات دخيل على النصّ، قد وضعه أحبارهم في زمن ما إبَّان جمع الأسفار بعد فقدها. ومع ذلك فإنَّ الوعد بجميع أرض كنعان لم يتحقّق، فلم تُعْطَ لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وحده، بل كان الكنعانيون والفَرزيون ساكنين معه إلى جانب ابن أخيه لوط ـ عليه السلام ـ كما في سفر التكوين ١٣/ ٧، وكذلك لم تُعْطَ كلّها لنسله من بعده ملكاً أبدياً، بل كان معهم غيرهم، وبعد حادثة تيطس وتدمير الهيكل الثاني كان بنو إسرائيل بعيدين عنها كل البعد.

النصوص التي تذكر الوعد لإسحاق ويعقوب:

جاء في سفر التكوين ٢٦/ ١ ـ ٣: فذهب إسحاق إلى أبيمالك مَلِك الفلسطينين إلى جَرار، وظهر له الربّ وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن الأرض التي أقول لك، تغرَّب في هذه الأرض، فأكون معك وأباركك، لأني لنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمتُ لإبراهيم أبيك.

http://kotob.has.it

٢٨/ ١ ـ ٤ : فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه ـ ـ والله القدير يباركك ـ ـ ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك لترث أرض غربتك التي أعطاها لإبراهيم.

٢٨/ ١٠ : فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك.

٢٨/ ١٣ : فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك.

فالوعد كان بأرض كنعان، وامتد هنا إلى حاران، مع أنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ هاجر منها إلى أرض الكنعانيين، مما يدلُّ على اضطراب في النصوص.

٢٨/ ١٥ : وها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردُّك إلى هذه الأرض، لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلَّمتك به.

٣٥/ ٩ : وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام وباركه.

٣٥/ ١٢ : والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك.

ولم يعطِ الله سبحانه لإبراهيم ولا لإسحاق ـ عليهما السلام ـ ما بين النيل والفرات. ومن الملاحظ أنَّهم كما خصُّوا إسحاق ـ عليه السلام ـ دون سائر أبناء إبراهيم ـ عليه السلام ـ «لأنه بإسحاق يدعى لك نسل» كذلك خصّوا هنا يعقوب ـ عليه السلام ـ ونسله بالأرض دون سائر أبنائه أبناء إسحاق الآخرين.

وفي ٤٣/ ٣٢ أنَّ إخوة يوسف قالوا له: نحن اثنا عشر أخاً بنو أبينا، الواحد مفقود، والصغير اليوم عند أبينا في أرض كنعان.

٤٨/ ٣ ـ ٤ : وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز أرض كنعان وباركني وقال لي ـ ـ وأعطي لنسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً.

٢٠/ ٢٤ : وقال يوسف لإخوته: أنا أموت، ولكن الله سيفتقدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

http://kotob.has.it

فأسماء الإشارة في النصوص التي خوطب فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ تعود إلى الأرض المعهودة، وهي أرض كنعان المصرّح بها، وقد رأوها وعاشوا فيها بين تلك القبائل التي كانت تسكن في فلسطين، ولم يقل لهم: إنكم ستمتلكون نصف مصر وبلاد الشام كلها ونصف العراق، بل قال لهم: «إنّ اللهَ سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف» وكانوا وقتئذٍ في مصر.

الأرض المقدّسة التي أمرهم موسى بدخولها:

جاء في سفر الخروج ٣/ ٧ ـ ٨: أنَّ الربَّ قال لموسى: إني قد رأيت مذلَّة شعبي الذي في مصر ـ ـ فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم إلى أرض جيدة تفيض لبناً وعسلاً إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفَرِزيين والحِويّين واليبوسيين.

٣/ ١٧: فقلت: أصعدكم من مذلَّة مصر إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحِويِّين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً.

٦/ ٤: وأيضاً أقمتُ معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغرّبوا فيها.

٦/ ٨: وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثاً أنا الرب.

١٢/ ٢٦: ويكون حين تدخلون الأرض التي يعطيكم الرب كما تكلَّم أنكم تحفظون هذه الخدمة.

١٣/ ٥: ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحِوِّيين واليبوسيين التي حَلَفَ لآبائك أن يعطيك أرضاً تفيض لبناً وعسلاً تضع هذه الخدمة في هذا الشهر.

١٣/ ١١: ويكون متى أدخلك الربّ أرض الكنعانيين كما حلف لك ولآبائك وأعطاك إياها أنك تقدّم كل فاتح رحم.

http://kotob.has.it

نكوصهم عن دخول تلك الأرض:

جاء في سفر العدد ١٣/ ١ ـ ٣: ثم كلَّم الرب موسى قائلاً: أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل ـ ـ فأرسلهم موسى من بريَّة فاران حسب قول الرب.

١٣/ ١٧: فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم: اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا الجبل وانظروا الأرض.

١٣/ ٢١ ـ ٢٢: فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى رَحوب في مدخل حماة، صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون.

٣٢/ ١٠: فحمي غضب الرب في ذلك اليوم، وأقسم قائلاً: لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر، من ابن عشرين سنة فصاعداً الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأنهم لم يتّبعوني تماماً.

٣٣/ ٥٠ ـ ٥٣: وكلَّم الربُّ موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: قل لبني إسرائيل: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمسحون جميع تصاويرهم ـ ـ تملكون الأرض وتسكنون فيها.

٣٤/ ١ ـ ٢: قل لبني إسرائيل: إنكم داخلون أرض كنعان، هذه الأرض التي تقع لكم نصيباً، أرض كنعان بتخومها.

إذاً هي أرض كنعان التي وعدوا بها بتخومها، وأمرهم بعبور نهر الأردن إليها فلم يفعلوا وأخبرهم أنها هي الأرض التي أقسم لآبائهم من أجلها.

تأنيبهم على النكوص:

جاء في سفر التثنية ٤/ ٣٧ ـ ٣٨: ولأجل أنه أحب آباءك ـ ـ أخرجك بقوته العظيمة من مصر لكي يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك، ويعطيك أرضهم نصيباً كما في هذا اليوم.

٧/ ١٣: ويحبك ويباركك ـ ـ على الأرض التي أقسم لآبائك أن يعطيك إياها.

http://kotob.has.it

١١/ ٨ ـ ٩ : فاحفظوا كل الوصايا لكي تتشددوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها.

٣٢/ ٤٨ ـ ٤٩ : وكلَّم الرب موسى قائلاً: اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قُبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً.

٣٢/ ٥٢ : فإنك تنظر الأرض من قُبالتها، ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل.

إذاً، كان موسى ـ عليه السلام ـ وبنو إسرائيل شرقي الأردن، ونكصوا عن عبور النهر والدخول إلى أرض كنعان التي وعدهم بها، فأنّبهم وعاقبهم بالتيه كما سيأتي إن شاء الله.

دخول الأرض بقيادة يشوع:

جاء في سفر يشوع ٢١/ ٤٣ ـ ٤٤ : فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها ـ ـ ولم يقف قُدَّامهم رجل من جميع أعدائهم.

٢٤/ ٢ ـ ٥ : وقال يشوع لجميع الشعب: هكذا قال الربُّ ـ ـ فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان، وأكثرت نسله، وأعطيته إسحاق، وأعطيت إسحاق يعقوب وعيسو، وأعطيت عيسو جبل سعير ليملكه، وأما يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر، وأرسلت موسى وهارون وضربت مصر ثم أخرجتكم.

٢٤/ ٨ : ثم أتيت بكم إلى أرض الأموريين الساكنين عبر الأردن فحاربوكم، ودفعتهم بيدكم فملكتم أرضهم وأهلكتهم أمامكم.

٢٤/ ١١ : ثم عبرتم الأردن وأتيتم إلى أريحا، فحاربكم أصحاب أريحا الأموريون والفِرِزيون والكنعانيون والحثيون والجرجاشيون والحويّون واليبوسيون، فدفعتهم بيدكم.

إذاً فقد تمَّ تنفيذ الوعد في زمن يشوع، ولم يسكنوا ما بين الفرات والنيل،

http://kotob.has.it

وإنما استولوا بعد عبور الأردن على أرض كنعان، وكان بقاؤهم فيها مشروطاً بالصلاح.

خلاصة ما دلَّت عليه تلك النصوص:

ويتبيَّن من تلك النصوص ما يلي:

١ ـ الأرض التي أقسم الله أن يعطيها لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وذريَّته هي أرض كنعان ليس غير، ولذلك خرج من أرض الكلدانيين وعبر نهر الفرات ثم عبر نهر الأردن إليها، وأراه الله إياها، ونظر إليها شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وكان كلما هاجر منها عاد إليها.

٢ ـ الوعد الذي تمَّ لإسحاق ويعقوب ـ عليهما السلام ـ إنما كان بالأرض التي أقسم الله أن يعطيها لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وقد عاشا فيها ورُزقا الأولاد، ثم خرج يعقوب وأولاده إلى مصر.

٣ ـ بعد أن عاد موسى ـ عليه السلام ـ ببني إسرائيل من مصر، وأراد دخول الأرض الموعودة أرسل من يتجسَّس له في أرض كنعان، ولما تقاعس بنو إسرائيل عن الدخول عُوقبوا بالتّيه، وعندما حانت وفاة موسى ـ عليه السلام ـ صعد جبل نَبو في أرض موآب، ونظر إلى أرض كنعان التي حرم ذلك الجيل من دخولها، ولو كان المكان الذي يقف فيه منها لما تحسر عليها ودنا منها.

٤ ـ في زمن يشوع ـ عليه السلام ـ تم تنفيذ الوعد، ودخل بنو إسرائيل الأرض التي أقسم الله لآبائهم أن يعطيها إياهم، فاقتسموها وسكنوا فيها كما أوصى موسى ـ عليه السلام ـ وإنما سكنوا أرض كنعان إلا بعضاً منها.

فكل هذه الأمور تدل على أنَّ العبارة التي جاءت في سفر التكوين ١٥/ ١٨ـ ٢٠: «من نهـر مصر إلى النهـر الكبير نهر الفرات» موضوعة مكذوبة أقحمها الأحبار في النص. ويؤيّد ذلك ما جاء في سفر الأحبار ١٤/ ٣٢ ـ ٣٤: «وكلَّم الربُّ موسى وهارون قائلاً: متى جئتم إلى أرض كنعان التي أعطيتكم ملكاً، وجعلتُ ضربة برص في بيت أرض ملككم، يأتي الذي له البيت ويخبر الكاهن».
فما حدود أرض كنعان؟.

http://kotob.has.it

حدود أرض الكنعانيين:

جاء في سفر التكوين ١٠/ ١٥ ـ ١٨ وسفر أخبار الأيام الأول ١/ ١٣: وكنعان ولَد صِيدون بِكره وحِثّا واليَبُوسيَّ والأمُوريَّ والجِرْجاشيَّ والحِوِّيَّ والعَرْقي والسينيَّ والأروادي والصَّماري والحُماتي. وبعد ذلك تفرعت قبائل الكنعاني.

وفي التكوين ١٠/ ١٩: وكانت تخوم الكنعانيين من صِيدون وأنت آتٍ نحو جَرار إلى غزة وأنت آت نحو سَدُوم وعَمُورة وأَدْمة وصَبُوييم إلى لاشَع.

وجاء في سفر العدد ٣٤/ ١ ـ ٥: وكلَّم الرب موسى قائلاً: أوصِ بني إسرائيل وقل لهم: إنكم داخلون إلى أرض كنعان، هذه الأرض التي تقع لكم نصيباً، أرض كنعان بتخومها، تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب أدوم، ويكون لكم تُخْم الجنوب من طرف بحر الملح إلى الشرق، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عقريم ـ عقربيم أو العقارب ـ ويعبر إلى صين، وتكون مخارجه من جنوب قادَش بَرْنِيعَ، ويخرج إلى حصر أدّار، ويعبر إلى عصمون، ثم يدور التخم من عصمون إلى وادي مصر، وتكون مخارجه عند البحر.

٣٤/ ٦: وأما تخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً. هذا يكون تخم الغرب.

٣٤/ ٧ ـ ٩: وهذا يكون لكم تخم الشمال، من البحر الكبير ترسُمون لكم إلى جبل هور، ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة، وتكون مخارج التخم إلى صدَد، ثم يخرج التخم إلى زِفْرون، وتكون مخارجه عند حَصَرِ عينان. هذا يكون لكم تخم الشمال.

٣٤/ ١٠ ـ ١٢: وترسمون لكم تخماً إلى الشرق، من حَصَرِعينان إلى شَفام، وينحدر التخم من شَفام إلى رِبْلَة شرقيَّ عَيْن، ثم ينحدر التخم ويمسّ جانب بحر كِنَّارة إلى الشرق، ثم ينحدر التخم إلى الأردن، وتكون مخارجه عند بحر الملح. هذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليها.

٣٤/ ١٣ ـ ١٥: فأمر موسى بني إسرائيل قائلاً: هذه هي الأرض التي

http://kotob.has.it

تقتسمونها بالقرعة، التي أمر الربُّ أن تعطى للتسعة الأسباط ونصف السبط ــ السبطان ونصف السبط قد أخذوا نَصيبهم في عَبر أردن أريحا شرقاً نحو الشرق.

وعلى فرض صِحَّة هذه النصوص فإنَّ الأرض التي امتلكوها واقتسموها في زمن موسى ـ عليه السلام ـ وبعده في زمن يشوع ـ عليه السلام ـ وسكنوا فيها لا تعادل ربع الأرض التي ادَّعوها، ولا تقارن بتلك الحدود التي ذكروها، وإذا لم يمتلكوا ما ادَّعوا في زمن يشوع فمتى يتم تنفيذ الوعد؟ والله لا يخلف الميعاد، مما يدلّ على أن تلك العبارات مفتراة، وقد أقحمها الأحبار بعد كتابة الأسفار بزمن يعلمه الله.

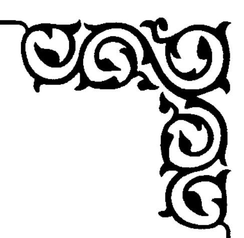
أما وصف الأرض الذي ورد في سفر حزقيال فلا يمكن أن يتحقّق، ولا سيما ما يتعلق منه بقسمة الأرض بين الأسباط من حماة إلى قادَش، إذ لا يمكن أن يُتصور في هذه الأرض اثنا عشر قسماً متساوية على الوجه الذي قسمها الكاتب عليه، حيث جعل إلى شمال أورشليم سبعة أقسام فقط، وإلى جنوبها خمسة، مع أنَّ حدود أورشليم تنتهي بالقرب من فلسطين، ممَّا يدل على وضع هذا التخطيط وعدم دقة الواضع[1].



(١) الحواشي على الكتاب المقدس، ص٧٣.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الثاني

رحلة إبراهيم إلى بلاد العرب وعودته

ويتضمن الفروع التالية :

١ ـ رحلته ببكره إسماعيل إلى الحجاز وبناء البيت

٢ ـ ما ذكرته توراة اليهود عن رحلته بابنه إسماعيل





http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
رحلة إبراهيم بإسماعيل إلى الحجاز وبناء البيت

رُزِقَ إبراهيم ـ عليه السلام ـ من هاجر بابنه البكر إسماعيل ـ عليه السلام ـ فأمره الله سبحانه أن يأخذه وأمه من أرض كنعان إلى واد غير ذي زرع في الحجاز عند موقع البيت المحرَّم، فيما عرف فيما بعد باسم مكة المكرّمة، لحكمة أرادها.

شَبَّ إسماعيل ـ عليه السلام ـ مستسلماً لأمر ربّه بارّاً بأبيه، ثم تزوج من قبيلة جُرْهُم العربية، ولما بلغ سِنَّ النبوة أرسله الله سبحانه إلى قومه من الجراهمة والعمالقة، أعان أباه على بناء البيت المحرَّم: الكعبة المشرفة كما جاء في القرآن الكريم. ومن نسله خرجت العرب المستعربة.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما كان بين إبراهيم وأهله ما كان، خرج بإسماعيل وأمِّه، ومعهم شَنَّةٌ فيها ماء، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنة فيدرُّ لبنها على صبيّها، حتى قدم مكة فوضعها تحت دَوْحة[١]، ثم رجع إبراهيم إلى أهله، فاتبعته أمُّ إسماعيل، حتى لما بلغوا كَداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى مَن تتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله. فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ويَدِرُّ لبنها على صبيها، حتى لما فني الماء قالت: لو ذهبتُ فنظرت لعلّي أحسّ أحداً.

وفي رواية أخرى: ثم جاء بها إبراهيم وابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دَوْحة فوق زمزم في أعلى المسجد[٢]، وليس بمكة يومئذٍ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هناك، ووضع عندهما جِراباً من تمر وسِقاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت ذلك مراراً. وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا، ثم

---

(١) الدَّوْحة: الشجرة العظيمة من أي شجر كان، والجمع: دَوْح. [مختار الصحاح].
(٢) أي: مكان البيت وزمزم والمسجد، لأنه لم يكن حينئذٍ شيء بُني.

http://kotob.has.it

رجعت، فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنيّة حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نَفِدَ ما في السقاء وعطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوّى، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تَرَ أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعتْ طَرْف درعها، ثم سَعَت سَعْي المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً، فلم ترَ أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ـ فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غِوَاث. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه ـ أو قال: بجناحه. شكَّ الراوي ـ حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا[1]، وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف، فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها المَلَك: لا تخافوا الضَّيْعة، فإن ههنا بيتَ الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإنَّ الله لا يضيع أهله.

فمرَّ ناسٌ من جُرْهُم[2] ببطن الوادي، فإذا هم بطير، كأنهم أنكروا ذاك وقالوا: ما يكون الطير إلا على ماء، فبعثوا رسولَهم فنظر فإذا هم بالماء، فأتاهم فأخبرهم، فأتَوا إليها فقالوا: يا أم إسماعيل، أتأذنين لنا أن نكون معك؟.

وفي الرواية الأولى: فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء. قالوا: نعم. فألفَى ذلك أمَّ إسماعيل، هي تبحث عن الأنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم. حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشبّ الغلام، وتعلَّم العربية

---

(١) أي: تجعله بيدها مثل الحوض.

(٢) جُرْهُم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخشذ بن سام بن نوح. وكان جرهم وأخوه قطورا أول من تكلّم بالعربية عند تبديل الألسن. وكان رئيسَ جرهم مضاضُ بن عمرو، ورئيسَ قطورا السميدع، ويطلق على الجميع جُرهم. وقيل: أصلهم من العمالقة. [انظر: فتح الباري: ٦/ ٤٨٧]. ويقال: إنَّ هوداً أوّل من تكلّم بالعربية. [وانظر: قصص الأنبياء، ص١٢٠].

http://kotob.has.it

منهم، وأنفسَهم[1] وأعجبهم حين شَبَّ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم. وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته ـ ـ ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نَبْلاً له تحت دَوْحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إنَّ الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإنَّ الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] [أخرجهما البخاري][2].

ولاية البيت وذريّة إسماعيل:

كانت ولاية البيت ومكة لإسماعيل ـ عليه السلام ـ ثم صارت من بعده لذريته التي كثرت وانتشرت في الحجاز، وكانوا على دين إبراهيم وإسماعيل قروناً كثيرة، ولم يزالوا على ذلك حتى نشأ فيهم عمرو بن لُحَيّ، فابتدعَ الشرك وغَيَّرَ دينَ إبراهيم، فقد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس حباً عظيماً، وظنُّوه من أكابر العلماء وأفاضل الناس، فدانوا له من أجل ذلك حتى ملَّكوه عليهم، فصارت ولاية البيت وملك مكة بيده. ثم إنه سافر إلى الشام فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وظنّه حقاً، لأن الشام محل الكتب والرسل، فرجع إلى مكة ومعه الصنم هُبَل، ووضعه في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه. وكان أهل الحجاز تبعاً لأهل مكة في دينهم، لأنَّهم ولاة البيت وأهل الحَرَم، فتبعوهم على ذلك ظناً منهم أنَّه الحقُّ، فلم يزالوا على ذلك وفيهم بقايا من دين إبراهيم إلى أن بعث الله محمداً ـ ﷺ ـ بدين إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأبطل ما أحدثه عمرو بن لُحَي. ولم يبعث الله سبحانه نبياً من ذرية إسماعيل ـ عليه السلام ـ سوى محمد ـ ﷺ ـ غير أنَّه ـ جلَّ جلاله ـ ختم به الرسل، وبعثه للناس كافة، وكان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة،

---

(١) أي: ملأ نفوسهم حباً.

(٢) في كتاب الأنبياء، الباب التاسع، رقم (٣٣٦٤) و(٣٣٦٥).

http://kotob.has.it

فكان ـ ﷺ ـ رحمة للعالمين، وبه تحققت بركة إسماعيل، عليه السلام[١].

أقسام العرب في زمن إسماعيل:

يُقسم العرب بالنسبة إلى زمن إسماعيل ـ عليه السلام ـ إلى قسمين:

أ ـ **العرب العاربة**: وهم الذين كانوا قبل إسماعيل ـ عليه السلام ـ وكانوا قبائل كثيرة، منهم جُرْهُم وطُسَم وجديس وأميم ومدين وعملاق ـ العماليق ـ وعبيل وحاسم وقحطان وبنو يقطن وغيرهم، ومنهم أيضاً عاد وثمود الذين قصهم الله تعالى علينا في القرآن الكريم كما سلف.

ب ـ **العرب المستعربة**: وهم عرب الحجاز من ذريَّة إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وقد أخذ كلام العرب من قبيلة جرهم الذين نزلوا عند أمه هاجر بالحرم، وقد أنطقه الله بها في غاية الفصاحة والبيان. وكذلك كان رسول الله ﷺ فإبراهيم ـ عليه السلام ـ هو الجدُّ الأكبر للعرب المستعربة.

ويعرفون بالعدنانية، لأنهم أبناء عدنان. والمشهور أن بين عدنان وإسماعيل ـ عليه السلام ـ أربعة أجداد أو خمسة. وقيل: أكثر[٢].

* * *

---

(١) مختصر السيرة، لحامد الفقي، ص١٦ ـ ١٧.

(٢) هذا، وقد قسَّم المؤرّخون العرب بحسب السلالات التي ينحدرون منها إلى ثلاثة أقسام:
أ ـ العرب البائدة: وهم أولاد لُود وإرم (أرام) ابني سام بن نوح ـ عليه السلام ـ ولتوغلهم في القدم لم يستطع المؤرّخون الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم.
ب ـ العرب العاربة: وهم أولاد قحطان بن عابر. وينحدرون من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان. والجمهور على أن مهدهم بلاد اليمن، وهم حِمْيَر.
جـ ـ العرب المستعربة. ويعرفون بالعدنانية.
والجمهور على أنَّ العرب ينقسمون إلى قسمين: قحطانية وعدنانية.
فالقحطانية من عرب اليمن وغيرهم شعبان: سبأ وحضرموت.
والعدنانية شعبان: ربيعة ومُضَر ابنا نزار بن معد بن عدنان.
أما الشعب الخامس قضاعة فمختلف فيه، والأكثرون على أنهم عدنانيون.
وانظر: البداية: ١/ ١٢١ و ٢/ ١٥٦؛ قصص الأنبياء، ص ١٠٢؛ فتح الباري: ٦/ ٦٧٥ ـ ٦٥٨.

http://kotob.has.it

[٢]

ما ذكرته توراة اليهود عن رحلة إبراهيم بإسماعيل

تذكر توراة اليهود أنَّ سارة اشتدت غَيْرتها من هاجر بعد أن ولدت إسماعيل ـ عليه السلام ـ فطلبت من إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يطردها وابنها، فأمر الله إبراهيم أن ينفّذ ما طلبته سارة، فأخذهما إلى البرية وتركهما، فمضت وتاهت.

جاء في سفر التكوين ١٦/ ٤ ـ ١١: فدخل على هاجر فحبِلت، ولما رأت أنها حبلت صَغُرت مولاتُها في عينيها، فقالت ساراي لأبرام: ظلمي عليك، أنا دفعت جاريتي إلى حِضْنك، فلما رأت أنها حبِلَت صَغُرتُ في عينيها، يقضي الربُّ بيني وبينك. فقال أبرام: هو ذا جاريتك في يدك، افعلي بها ما يحسن في عينيك. فأذلَّتها ساراي، فهربت من وجهها، فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البريّة، على العين التي في طريق شُور، وقال لها: يا هاجرُ جاريةَ ساراي، من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها. وقال لها: تكثيراً أكثر نسلك. فلا يعدُّ من الكثرة. وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى، فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلّتك.

فقد اتّهموا هاجر بكفر النعمة، واتهموا إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتسليط سارة على هاجر تسليطاً مطلقاً بدلاً من نصحهما والإصلاح بينهما، واتهموا سارة بظلم هاجر وإذلالها، واتهموا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثانية بالسكوت عن الظلم والإذلال حتى هربت هاجر هائمة على وجهها لولا تدخُّل الملاك.

٢١/ ٩ ـ ١٣: ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح، فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله له: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك، في كل ما تقول سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة، لأنه نسلك.

٢١/ ١٤ ـ ٢٠: فبكر إبراهيم صباحاً، وأخذ خبزاً وقِربة ماء وأعطاهما

http://kotob.has.it

لهاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله بعيداً نحوَ رمية قوس، لأنها قالت: لا أنظر موت الولد، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: ما لكِ يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام، قومي احملي الغلام وشدي يدك به، لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القِربة وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام، فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

تحليل النصوص:

١ ـ ورد في الجملتين ٢١/ ٩ ـ ١٠: أنَّ إسماعيل كان يمزح مع أخيه إسحاق ويضحك، مما أثار غضب سارة وغَيْرتها. ولم يذكر السفر كم كان عمر كلٍّ منهما وقتئذٍ. غير أن الجملة ١٦/ ١٦ في السفر تنص على أن إبراهيم كان ابن ست وثمانين سنة عندما ولدت هاجر إسماعيل، وجاء في الجملة ١٧/ ١٧ أنَّ إبراهيم عندما بُشِّر بأن سارة ستحمل وتلد قال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة؟! وتذكر الجملة ١٧/ ٢١ أنَّ سارة ستلد في هذا الوقت من السنة الآتية. وتذكر الجمل ١٧/ ٢١ ـ ٢٦ أنّ إبراهيم كان ابن تسع وتسعين سنة حين خُتن في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن. وفي ذلك اليوم عينه خُتن إبراهيم وإسماعيل ابنه. وتذكر الجملتان ٢١/ ٤ ـ ٥ أنَّ إبراهيم خَتن إسحاق وهو ابن ثمانية أيام، وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق.

ومن ثم يكون عمر إسماعيل عندما كان يمزح مع أخيه إسحاق ويضحك (١٠١ أو ١٠٠ ـ ٨٦ = ١٤) سنة على الأقل، وأنه عاش تلك المدة كلها هو وأمه مع أبيه إبراهيم.

٢ ـ ورد في الفقرة ٢١/ ١٤ أنَّ إبراهيم وضع على كتف هاجر الخبز وقربة الماء والولد وصرفها دون أن يساعدها في حمل شيء، وتركها تمشي دون أن يواسيها بكلمة.

http://kotob.has.it

وإنَّ المتأمّل ليتساءل: هل كان الولد صغيراً أو مراهقاً عمره أربعة عشر عامـاً؟ **وإلا فكيف تسـتطيع هذه المسكينة حمل الخبز والماء والفتى المراهق وحدها وتمشي في البرية؟** هل كان إبراهيم ـ وهو النبي ـ قاسياً؟ ولمَ لمْ يطلب من الفتى حمل القِربة، أو يمشي بجانب أمِّه على الأقل بدلاً من أن تحمله؟!.

ووردت في الفقرات ٢١/ ١٥ ـ ١٨: أنه لما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار وجلست مقابله كي لا تنظر إليه وهو يموت وبكت، وأن الملاك طمأنها وطلب منها أن تحمل الغلام وتشد يدها عليه. وهذا يعني أنه صغير. مما يدل دلالة واضحة على وجود اضطراب وتضارب واختلاف وتناقض في توراتهم، وأنَّ كُتَّاب السفر لم يُحكموا ما كتبوه.

٣ ـ ورد في الجملتين ٢١/ ١٤ ـ ١٥ أنها مضت وتاهت في برية بئر سبع، وأنها لما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت.

وهذا يعني أن البئر كانت موجودة بدليل وجود الأشجار، وأن هاجر لم تكن تعلم بها، ففي الجملة ٢١/ ١٩: وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربـة وسـقت الغلام. مع أنه مخالف لما جاء في قصة إبـراهيم مـع أبيمالك، فقد ورد في الفقرتين ٢٠/ ١٤ ـ ١٥ أن أبيمالك أعطى لإبراهيم غنماً وبقراً وعبيداً وقال له: أرضي قدامك اسكن فيما حسن في عينيك.

وورد في ٢١/ ٢٥ ـ ٣٤ أنَّ إبراهيم عاتب أبيمالك لسبب البئر التي اغتصبها عبيده. فقال أبيمالك: لم أعلم مَن فعل هذا الأمر، أنت لم تخبرني، ولا سمعت سوى اليوم. فأخذ إبراهيم غنماً وبقراً وأعطى أبيمالك، فقطعا كلاهما ميثاقاً. وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. فقال أبيمالك: ما هذه السبع نعاج التي أقمتها وحدها؟ فقال: إنك سبعَ نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر. لذلك دعي ذلك الموضع بئر سبع. فقطعا ميثاقاً في بئر سبع، ثم قام أبيمالك وفيكول رئيس جيشه ورجعا إلى أرض الفلسطينيين، وغرس إبراهيم أثلاً في بئر سبع، ودعا هناك باسم الرب الإلـه السرمدي، وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة.

فهل حفر إبراهيم هذه البئر ثم زرع الأشجار حولها قبل أن يطرد هاجر وابنها، أو فعل ذلك بعد الطرد؟! ومتى سُميت بئر السبع؟ أليس هذا اضطراباً ثانياً كبيراً؟.

http://kotob.has.it

٤ ـ ورد في الجملة ٢١/ ١٤ أنها مضت وتاهت في برية بئر سبع. وورد في الجملتين ٢١/ ٢٠ ـ ٢١: وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران.

فجعل مكوثها وابنها في برية بئر السبع، ثم قال: فكبر وسكن في برية فاران. وقد زعم بعض اليهود أن فاران هي أرض الشام. قال ابن كمونة[١]: «فالتوراة تنطق أن موسى وبني إسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها». وذهب النصارى إلى أنَّ فاران هي إيلات من أعمال الشام[٢]. وفي معجم البلدان لياقوت أنّ فاران من أسماء مكة. وقيل: اسم لجبال مكة أو الحجاز.

ويبدو أن هناك أكثر من موضع سمي بفاران، لكن إطلاق هذا الاسم على الحجاز أكثر وأشهر لما يلي:

أ ـ جاء في تحفة الأريب[٣]: وفاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض، فكان الحجاز وتخومه لفاران، فتسمَّى القطر كله باسمه.

ب ـ بقي اسم فاران يطلق على الجبال المحيطة بمكة إلى ما بعد القرن الثامن الهجري. وقد ذكر بعضهم أنه وجد هذا الاسم بالخط الكوفي في كتاب منازل مكة[٤].

جـ ـ لا يشك أهل الكتاب في أن فاران هي مسكن آل إسماعيل، وأنَّ إسماعيل هو جدُّ النبي محمد ـ ﷺ ـ وقد عُلم بالتواتر واتفاق الأمم أنَّ إسماعيل إنما رُبِّي وعاش بواد غير ذي زرع حيث مكة المكرّمة اليوم، وأنَّه بنى مع أبيه البيت بذلك الواد، فعُلم قطعاً أنَّ فاران هي أرض الحجاز، وقد تفجَّر فيها لهاجر وابنها بئر زمزم، ولا زال ماؤها غزيراً يروي الملايين إلى اليوم.

٥ ـ ورد في الجملة ٢١/ ٢١: وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

---

(١) في تنقيح الأبحاث، ص٩٧.

(٢) كما في قاموس الكتاب المقدس.

(٣) تحفة الأريب في الردّ على أهل الصليب، ص١٣٥.

(٤) تنقيح الأبحاث، ص٩٤؛ الجواب الصحيح: ١/ ٣٠١. قال ابن تيمية: وذلك المكان يسمى فاران إلى اليوم، والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران.

http://kotob.has.it

وهذا مخالف لما هو ثابت ومعروف في التاريخ مع ما ذكر سابقاً، لا يمكن تجاهله، فقد تزوَّج من قبيلة جُرهُم ونشأ بينهم، ومن ذريته كانت العرب المستعربة الذين سكنوا الحجاز، وكانت له الولاية على البيت ومكة، ثم لذريته من بعده.

فهذا اضطراب وتناقض آخر بين النصوص مع ما فيها من المخالفة للحقائق التاريخية والوقائع، حيث لم تذكر شيئاً عن رحلة إبراهيم إلى الحجاز وبنائه البيت.

وصفوة القول: يظهر من تحليل تلك النصوص أنَّ ما جاء في الجملة ٢١/ ١٠: «لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق» وما جاء في الجملة ٢١/ ١٢: «في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل»، يظهر أن هذه العبارات مقحمة دخيلة على النصوص المضطربة في الأصل. ومن الواضح أنها مزاعم افتروها وملؤوا بها أسفارهم، ليجعلوا من أنفسهم الشعب المختار.

عودة إبراهيم إلى أرض كنعان:

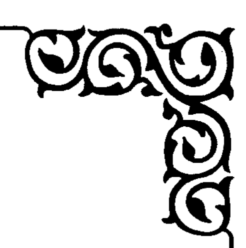
عاد إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى أرض كنعان بعد أن بنى مع ابنه إسماعيل ـ عليه السلام ـ البيت المحرَّم في ذلك الوادي من الحجاز، وأصبحت هذه البقعة من أرض فلسطين مَهْجراً بعد أن رُزق فيها الذرية الطيبة الكثيرة، ومن بكره إسماعيل ـ عليه السلام ـ خرجت العرب المستعربة وسكنوا في الحجاز ثم انتشروا. وأما إسحاق ـ عليه السلام ـ فكان مع أبيه في أرض كنعان، وكان له ابنان: عيسو وهو جَدُّ الأدومين والروم، ويعقوب ـ عليه السلام ـ وهو جدُّ بني إسرائيل كما سنرى إن شاء الله.

❋ ❋ ❋

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it



الفصل الثالث

ذرية إبراهيم في أرض كنعان

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ رحلة يعقوب وأولاده إلى مصر

٢ ـ خروج بني إسرائيل من مصر وما جرى لهم

٣ ـ نكوصهم عن دخول الأرض المقدَّسة وعقوبتهم بالتّيه

٤ ـ من أهم ما حدث في التيه

٥ ـ دخول يشوع بالشعب إلى الأرض المقدَّسة





http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
رحلة يعقوب وأولاده إلى مصر

وعد يعقوب بالأرض عند رحيله إلى حاران:

بعد أن استغلَّ يعقوب ـ عليه السلام ـ جوع أخيه عيسو ـ حسب زعمهم ـ واشترى منه حَقَّ البكورية بطبق من الطعام واستخلفه على بَيْعه إياها، وبعد أن تآمر مع أمه فسرق من أبيه البركة التي كان سيمنحها والده الكفيف لأخيه عيسو، فكذب وخدعه مدّعياً أنه عيسو، وانتزعها منه دون أن يشعر إلا بعد أن منحها له ـ حسب ادّعائهم ـ حقد عيسو على يعقوب، فخاف أبواه وأشارا عليه أن يهرب من وجه أخيه إلى خاله لابان في حاران ويمكث عنده ويتزوج من بناته وبعد ذلك يعود إلى أرض كنعان ـ كما سلف في الباب الأول ـ، ثم باركه وبشَّره بالأرض وودعه.

جاء في سفر التكوين ٢٨/ ٣ ـ ٤ أنّ إسحاق قال ليعقوب وهو يودّعه: والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثِّرك، فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك، لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم.

٢٨/ ١٠ ـ ١٥: فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك ـ ـ ورأى حلماً ـ ـ فقال: أنا الربُّ إلـه إبراهيم أبيك وإلـه إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ـ ـ وهٰأنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض.

٢٨/ ١٦ ـ ١٩: فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقّاً إنّ الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم، ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء. وبكَّر يعقوب في الصباح، وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عموداً، وصبَّ زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولاً كان لُوز.

عودة يعقوب وتذلُّله لأخيه عيسو:

عاد يعقوب من أرض خاله لابان بأزواجه وأولاده وأمواله بعد أن أقام عنده

http://kotob.has.it

عشرين سنة، تبادلا خلالها المكر والخديعة والغش والاتهامات ـ كما في الفصول (٢٩ ـ ٣١) من سفر التكوين ـ، وعاد أيضاً باسمه الجديد إسرائيل الذي اكتسبه بعد المصارعة التي تمّت في الطريق بينه وبين الله ـ كما يزعمون ـ حيث اعترضه رب العالمين وصارعه حتى الصباح، ولم يتركه حتى انتزع منه البركة بالقوة، ثم أضفى عليه هذا اللقب ـ كما في سفر التكوين ٣٢/ ٢٢ ـ ٣١ ـ.

وفي الطريق أيضاً أرسل إلى أخيه عيسو بالهدايا يسترضيه ويستعطفه، فخرج لاستقباله فرحاً به متجاوزاً عما سَلَف، فسجد له إلى الأرض سبع مرات، وسجدت له أزواجه وأولاده، وخاطبه بالعبودية معترفاً بسيادته عليه خوفاً منه أو مكراً به كما في سفر التكوين ٣٣/ ١ ـ ١٦، ثم ارتحل إلى شكيم وأقام مذبحاً.

جاء في سفر التكوين ٣٣/ ١٧ ـ ٢٠: وأما يعقوب فارتحل إلى سُكُّوتَ وبنى لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلّات، لذلك دُعي اسم المكان سكوت. ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان حين جاء من فدان أرام، ونزل أمام المدينة، وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يَدِ بني حَمُور أبي شكيم بمئة قسيطة، وأقام هناك مذبحاً ودعاه إيلَ إلـٰهَ إسرائيل.

تأكيد الوعد بالأرض ليعقوب:

جاء في سفر التكوين ٣٥/ ١: ثم قال الله ليعقوب: اصعد إلى بيت إيل، وأقم هناك واصنع مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك.

٣٥/ ٦ ـ ٧: فأتى يعقوب إلى لُوزَ التي في أرض كنعان، وهي بيت إيل، هو وجميع القوم الذين معه، وبنى هناك مذبحاً، ودعا المكان إيلَ بيت إيل، لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه.

٣٥/ ٩ ـ ١٥: وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان أرام وباركه، وقال له: اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل. وقال له: أنا الله القدير، أَثْمِر واكثُر، وجماعة أمم تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها، ولنسلك من بعدك أعطي الأرض، ثم صعد الله عنه، فنَصَب عموداً من حجر في المكان الذي فيه تكلم معه، وسكب عليه سكيباً وصبّ عليه زيتاً، ودعا اسم المكان بيت إيل.

http://kotob.has.it

٣٧/ ١ : وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان.

يوسف وإخوته:

نزغ الشيطان بين يوسف ـ عليه السلام ـ وبين إخوته العشرة من أبيه فكادوا له، ثم أقنعوا أباهم بأخذه معهم إلى المرعى، وهناك تآمروا عليه، وألقوه في غيابت الجب، ثم جاءت قافلة من التجار فأخرجوه.

بيع يوسف ـ عليه السلام ـ في مصر، واشتراه عزيز من وجهائها، فعاش في بيته، وكان جميل الصورة، فراودته التي هو في بيتها عن نفسه، لكنه استعصم وأبى خيانة سيده الذي أحسن مثواه، فعملت على سجنه، ولبث في السجن بضع سنين.

ودخل معه السجن فتيان يعملان في خدمة الملك، رأى كل منهما رؤيا، فعبَّرهما يوسف ـ عليه السلام ـ لهما ودعاهما إلى الله، ثم جاءه الفرج، فقد رأى الملك رؤيا تدل على حدوث سبع سنوات خصب وسبع سنوات قحط كما عبرها يوسف ـ عليه السلام ـ فحاز على ثقة الملك وجعله على خزائن الأرض.

ومن الجدير بالذكر أنَّ قصة يوسف ـ عليه السلام ـ وإخوته مذكورة في الفصول (٣٧ و٣٩ و٤٠ و٤١) من سفر التكوين بتفصيلات مضطربة وتعليلات غير مقبولة، وقد ذكرت أيضاً في القرآن الكريم مع تدارك وتصويب لما في السِّفْر.

بنو إسرائيل في مصر:

بعد حلول سنوات الجدب وعمومها على سائر البلاد وحدوث القحط والجوع في الأرض قدم إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ إلى مصر يمتارون طعاماً، فدخلوا على يوسف ـ عليه السلام ـ فعرفهم ولم يعرفوه، لأنهم لم يخطر ببالهم ما صار إليه من المكانة. ثم عرَّفهم بنفسه فيما بعد المرة الثانية، وطلب منهم أن يأتوا بأبيهم وأهلهم أجمعين ويستقرّوا معه في مصر، كما في الفصول (٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦/ ١ ـ ٧) من سفر التكوين.

استقرَّ يعقوب ـ عليه السلام ـ وأولاده في مصر معزَّزين مكرَّمين، فقد

http://kotob.has.it

أقطعهم الملك أرضاً في أخصب البقاع، وكان عددهم سبعين، كما في الفصول (٤٦/ ٨ و٣٤ و٤٧ و٤٨)[1].

الوعد بالأرض ووفاة يعقوب ثم يوسف:

جاء في سفر التكوين ٤٨/ ٣ ـ ٤: وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شيء ظهر لي في لُوز في أرض كنعان وباركني، وقال لي: هأنا أجعلك مثمراً وأكثرك وأجعلك جمهوراً من الأمم، وأعطي لنسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً.

٤٩/ ٣٣: ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضمَّ رجليه إلى السرير، وأسلم الروح.

٥٠/ ١٣: حمله بنوه إلى أرض كنعان، ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل مُلْكَ قبر من عِفْرون الحِثي أمام ممرا.

٥٠/ ٢٤: وقال يوسف لإخوته: أنا أموت، ولكن الله سيفتقدكم ويُصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب.

* * *

(١) كان ذلك في القرن السابع عشر قبل الميلاد إبان حكم الهكسوس. ويرى الباحثون الغربيون أنَّ الهكسوس الذين حكموا مصر ما بين عامي (١٧٣٠ ـ ١٥٨٠ق. م) كانوا من الأعراب، فإنَّ موجات من القبائل العربية السامية الرحَّل هاجرت من جزيرة العرب نحو الشمال بسبب القحط، فاستقرَّ بعضهم في أرض كنعان، وواصل آخرون سيرهم إلى مصر، ثم طردوا منها عام (١٥٨٠ق. م) على يد الملك أحمس. وسبق الكلام عن ذلك لدى رحلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى مصر.

http://kotob.has.it

[٢]
خروج بني إسرائيل من مصر وما جرى لهم

إساءة المصريين معاملتهم:

ظلَّت سلالات بني إسرائيل تنعم بكرم المصريين واحترامهم في عهد العرب الهكسوس حتى وصل بعضهم إلى مناصب عالية، وتملَّكوا وأثمروا كما في الفصلين (٤٦ و٤٧) من سفر التكوين، وبعد أن طُرد الهكسوس من الحكم تغيّر موقف المصريين منهم لأسباب كثيرة، يعود معظمها إلى طبيعة بني إسرائيل وسوء سلوكهم مع الناس، فأصبحوا موضع مَقْت المصريين، يسومونهم سوء العذاب، ويسخّرونهم بأشقّ الأعمال، فلاقوا عنتاً شديداً كما في سفر الخروج ١/ ٨ ـ ٢٢، وازداد الأمر سوءاً مع رمسيس الثاني الذي حكم مصر بين عامي (١٣٠٤ ـ ١٢٣٧ق.م)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤][١].

خروجهم من مصر:

ظلَّ بنو إسرائيل على تلك الحالة من الذلّ والاضطهاد إلى أن بعث الله سبحانه موسى ـ عليه السلام ـ وهو من سبط لاوي كما في سفر الخروج ٢/ ١ ـ ٤ وأخبار الأيام الأول ٦/ ١ ـ ٣، فأرسله إلى فرعون وبني إسرائيل، كما في الفصل الثالث من سفر الخروج، وشدّ عضده بأخيه هارون ـ عليه السلام ـ كما في الفصل الرابع منه، وكان لهما مع فرعون تحدِّيات كما في الفصول من (٥ ـ ١١) منه، إلى أن يسَّر الله لهم الخروج كما في الفصلين (١٢ ـ ١٣)، فجازوا البحر قاصدين بلاد الشام، ونجاهم الله من فرعون وعمله، وأغرقه وجنوده أمام أعينهم[٢].

---

(١) يذكر المؤرِّخون أنَّ أوراق البردي سجَّلت تسخير العمال العبرانيين في الإنشاءات في عهد رمسيس الثاني.

(٢) وهل كان خروجهم يتوافق مع عهد منفتاح الثاني أو تحوتمس الثالث؟! اختلف الترجيح.

http://kotob.has.it

تذمّرهم في الطريق على موسى وهارون:

ارتحل بنو إسرائيل فرحين متفائلين بدخول الأرض المقدّسة بعد أن شاهدوا الأعاجيب من المعجزات التي أجراها الله سبحانه على يد موسى ـ عليه السلام ـ لكن ما إن مرّت بهم بعض الشدائد حتى تبرّموا وتذمّروا من موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ وكان الله يفرّج عنهم ويكرمهم بمعجزات عجيبة أخرى؛ لكن دون جدوى، ومنها ما يلي:

١ ـ تحلية الماء المرّ:

جاء في سفر الخروج ١٥/ ٢٢ ـ ٢٥: ثم ارتحل بنو إسرائيل من بحر سُوف، وخرجوا إلى برية شُور، فساروا ثلاثة أيام، ولم يجدوا ماء، فجاؤوا إلى مارة، ولم يقدروا أن يشربوا من مائها، لأنه مر، لذلك دُعي اسمها مارة، فتذمّر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب؟ فصرخ موسى إلى الرب، فأراه شجرة، فطرحها في الماء، فصار عذباً.

١٥/ ٢٧: ثم جاؤوا إلى إيليم، وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون نخلة، فنزلوا هناك عند الماء.

٢ ـ إطعامهم المنّ والسلوى:

جاء في سفر الخروج ١٦/ ١ ـ ٣: ثم ارتحلوا من إيليم ـ وفي السامرية: من أَيْلة ـ إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء ـ وفي السامرية سينين ـ في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من مصر، فتذمَّروا كلّهم على موسى وهارون في البرية وقالوا لهما: ليتنا متنا بيد الرب في مصر ـ ـ فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتانا بالجوع.

١٦/ ٨: وقال موسى ذلك بأنَّ الربَّ يعطيكم في المساء لحماً لتأكلوا، وفي الصباح خبزاً لتشبعوا لاستماع الرب تذمركم الذي تتذمرون عليه.

١٦/ ١١ ـ ١٦: فكلَّم الربُّ موسى قائلاً: سمعتُ تذمُّرهم، قل لهم: في العشية تأكلون لحماً، وفي الصباح تشبعون خبزاً. فكان في الصباح أنَّ السَّلْوى صعدت وغطت المحلَّة، وفي الصباح كان سقيط الندى حوالي المحلة، ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شيء دقيق مثل قشور، دقيق كالجليد على

http://kotob.has.it

الأرض ـ ـ فقال لهم موسى: هو الخبز الذي أعطاكم الرب ـ ـ التقطوا منه، كل واحد على حسب أُكْله على عدد نفوسكم، تأخذون كل واحد للذي في خيمته.

١٦/ ١٩ ـ ٢١: وقال لهم موسى: لا يُبقِ أحدٌ منه إلى الصباح. لكنهم لم يسمعوا لموسى، بل أبقى منه أناس إلى الصباح، فتولد فيه دود وأنتن، فسخط عليهم موسى. وكانوا يلتقطونه صباحاً فصَباحاً، وإذا حميت الشمس كان يذوب.

والمنُّ: كل طل نزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً، ويجف جفاف الصمغ. فهو ضرب من الحلوى سهل الهضم. والسلوى: طائر كالسُّماني، واحدته سَلْواه. وقيل: هو السماني[١].

فقد أنزل الله عليهم حال شدّتهم في الأرض التي ليس فيها زرع ولا ضرع منّاً من السماء، يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم، فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من الغد، ومَن ادَّخر أكثر من ذلك فسد، ومن أخذ قليلاً كفاه، أو كثيراً لم يفضل عنه، فيصنعون منه مثل الخبز، وهو في غاية البياض والحلاوة، فإذا كان آخر النهار غشيهم طير السلوى، فيقتنصون منها بلا كلفة ما يحتاجون إليه حسب كفايتهم لعشائرهم[٢].

٣ ـ اعتراضهم على المنّ والسلوى:

ومع كل تلك النِّعَم بدرت منهم المخالفات والاعتراضات، فنالهم التوبيخ والتقريع كما في ١٦/ ٩ ـ ٣٠، بل إنهم تذمَّروا من هذا الطعام.

جاء في سفر العدد ١١/ ١: وكان الشعب كأنهم يشتكون شرّاً في أذني الرب، وسمع الرب فحمي غضبه.

١١/ ٤ ـ ٦: واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة، فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا: من يطعمنا لحماً؟ فقد تذكّرنا السمك الذي كنّا نأكله في مصر مجاناً والقِثّاء والبِطيخ والكُراث والبصل والثوم، والآن قد يبست أنفسنا، ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن.

---

(١) القاموس، ومفردات الراغب.

(٢) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٣٧١.

http://kotob.has.it

وفي ٢١/ ٤ ـ ٥: وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سُوف ليدوروا بأرض أدوم، فضاقت نفس الشعب في الطريق، وتكلَّم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر؟ لنموت في البرية؟ لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف.

وقد جاء في القرآن الكريم تذكير وتبكيت للخَلَف بما فعل سلفهم، لأنهم ساروا على نهجهم في المراوغة وإنكار النعم وطمس الحقائق. قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

فهم قد سئموا من المنِّ والسَّلْوى، ويريدون أن يأكلوا مما تُخرِج الأرض كالبصل والعدس، ولذلك تعجَّب منهم موسى ـ عليه السلام ـ وقال: ويحكم أتستبدلون الخسيس الذي فيه كلفة ومشقة بالنفيس الذي يأتيكم بدون كلفة ولا مشقة؟! ادخلوا أي مصر من الأمصار لتجدوا مثل هذه الأشياء. فما هذا المصر القريب من الأرض المقدسة والمتميز بخصوبة أرضه ووفرة مائه[1]؟.

جاء في سفر الخروج ١٦/ ٣٥ ـ ٣٦: وأكل بنو إسرائيل المنَّ أربعين سنة حتى جاؤوا إلى أرض عامرة، أكلوا المنَّ حتى جاؤوا إلى طرف أرض كنعان.

فلا بد أن يكون شرقي نهر الأردن، ورجَّح بعض الباحثين أن يكون في السفوح الغربية للجبال المطلّة على فلسطين، بل ذكر بعضهم أنه مَدْين؛ تلك

---

(١) المصر: اسم لكل بلد ممصور، أي: محدود، وجمعه أمصار، ولا بد أنه عنى بلداً من البلدان. أما مصر بدون تنوين فهي المدينة المعروفة، تذكَّر وتؤنَّث. وانظر: مفردات الراغب، والقاموس، ومختار الصحاح.

http://kotob.has.it

المدينة التي يعرفها موسى ـ عليه السلام ـ من قبل[1].

تنبيه وتصويب: ذكر كاتب السفر أنَّ بني إسرائيل عاشوا في سيناء أربعين سنة يأكلون المنَّ والسلوى حتى جاؤوا إلى تخوم أرض كنعان العامرة، أي: إلى مشارف أرض فلسطين، وقبل أن يطلب منهم دخول الأرض المقدَّسة، وقبل أن يمتنعوا فتحرم عليهم ويُحكم عليهم بالتيه أربعين سنة. والصحيح أن ذلك إما كان في بادئ الأمر خلال مسيرهم في الصحراء، وهي مدة قصيرة قبل التيه والتحريم، ثم تذمَّروا ولم يصبروا على طعام واحد حتى أتوا إلى أرض عامرة، أما سنين التيه الأربعين فلم يكن ينزل عليهم شيء، بل كانوا يأكلون البصل والعدس ونحوهما. وقد ضلَّل هذا الادّعاء اليهود أنفسهم، مما اضطر الباحثين منهم مؤخَّراً إلى الشكّ بمعظم روايات توراتهم ونشر الكثير من آرائهم.

٤ ـ إخراج الماء من الصخرة الصماء:

جاء في سفر الخروج ١٧/ ١ ـ ٧: ثم ارتحلوا من بريَّة سين ونزلوا في رَفيديم، ولم يكن ماء ليشربوا، فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطنا ماء لنشرب. فقال لهم: لماذا تخاصمونني؟ لماذا تجرِّبون الربَّ؟ وعطش هناك الشعب، وتذمَّروا على موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر؟ لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟ فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد

---

(١) جاء في قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٢١٢: «مَدْين قرية من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة لوط، وأهلها من بني مَدْين بن مديان بن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ، وكانوا بعد قوم لوط بمدة طويلة». وحدَّد بعضهم فقال: تقع شرقي نهر الأردن في السفح المطلّ على فلسطين قبالة أريحا، حيث المكان المسمَّى بوادي شُعَيب حالياً في جبال محافظة البلقاء الأردنية. قال: ومما يؤيد ذلك قوله تعالى على لسان شعيب مخاطباً قومه: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، والمراد البعد المكاني، لأن المسافة بين قرية شعيب والبحر الميت (بحيرة لوط) لا تتجاوز عشرين كـ. م، بخلاف البعد الزماني، فإنه يُقدَّر بمئات السنين، فإنَّ لوطاً عاصر إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وشعيباً عاصر موسى ـ عليهما السلام ـ وبصورة عامة فإنّ أرض مدين تمتد من رأس خليج العقبة بإزاء الشاطئ من الشرق إلى الشمال في أرض الحجاز. وانظر: سقوط إسرائيل، لعبد الواحد، ص٦٥.

http://kotob.has.it

قليل يرجمونني. فقال الرب: مُرَّ من قدَّامهم، وخُذْ معك من شيوخ إسرائيل وعصاكَ التي ضربتَ بها النهر -- فتضرب الصخرة التي في حوريب، فيخرج منها ماء ليشرب الشعب.

ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخهم، ودعا اسم الموضع مَسَّةَ ومَريبة، من أجل المخاصمة وتجربتهم الرب.

وجاء في سفر العدد ٢٠/ ٢ ـ ٥: ولم يكن ماء للجماعة، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا: ليتنا فَنِينا فناء إخوتنا أمام الرب، لماذا أتيتما بنا إلى هذه البرية؟ لكي نموت فيها نحن ومواشينا؟ ولماذا أصعدتمانا من مصر؟ لتأتيا بنا إلى هذا المكان الرديء؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان، ولا فيه ماء للشرب.

٢٠/ ٦ ـ ١٣: فأتى موسى وهارون إلى باب خيمة الاجتماع، وسقطا على وجهيهما. وكلَّم الربّ موسى قائلاً: خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهارون أخوك، وكلِّما الصخرة أمام أعينهم أن تعطي ماءها. فأخذ موسى العصا من أمام الرب، وجمع هارون الجمهور أمام الصخرة، وقال لهم: اسمعوا أيها المَرَدة، أَمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء. ورفع يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين، فخرج منها ماء غزير، فشربت الجماعة ومواشيها. فقال الرب لموسى وهارون: من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدّساني أمام أعين بني إسرائيل؛ لذلك لا تُدخِلانِ هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إياها. هذا ماء مَريبة حيث خاصم بنو إسرائيل الرب، فتقدَّس فيهم.

إذاً فقد رأوا سابقاً تحلية الماء الملح في مارة، حيث طرح موسى ـ عليه السلام ـ الشجرة التي أراه الله في الماء المر فصار عذباً بإذن الله. وكان عليهم أن يستسلموا إلى الله ويصبروا على ما قدَّره عليهم بعد تلك الآيات، لكنهم لم يصبروا وتذمَّروا ثانية عندما عطشوا في رَفيديم، حتى ضرب موسى ـ عليه السلام ـ الصخرة التي في حوريب، فخرج منها الماء بإذن الله.

تنبيه: في سِفْر العدد أنَّ هذا حدث في قادَش، وأنَّ الذي ضرب الصخرة بالعصا هو هارون ـ عليه السلام ـ فإن كانت القصة واحدة، فقد وقعت المصيبة على بني إسرائيل في أسفارهم، وإن كانت قصة أخرى وفي مكان آخر فالمصيبة في طبعهم أعظم.

http://kotob.has.it

تنبيه آخر: جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: ٦٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، أي: حتى لا يتزاحموا على الماء، وهذا من تمام النعمة عليهم.

ومن الملاحظ أنَّ تحلية الماء المرِّ كان في مارَّة حسب ما ذكر في ١٥/ ٢٢ ـ ٢٥ من سفر الخروج، ثم جاؤوا إلى إيليم، وكان هناك اثنتا عشرة عيناً وسبعون نخلة حسب ما ذكر في ١٥/ ٢٧ من السفر، وأنَّ موسى ـ عليه السلام ـ ضرب الصخرة في حوريب بعصاه التي ضرب بها النهر، فخرج منها الماء وشرب الشعب حسب ما ذكر في ١٧/ ١ ـ ٧، ولم يذكر كاتب السفر اسم النهر الذي ضربه موسى ـ عليه السلام ـ بعصاه سابقاً، ولم يذكر عيناً تفجَّرت من الصخرة. أما ما جاء عن نزولهم في إيليم حيث كان ثمة اثنتا عشرة عيناً وسبعون نخلة فلا نصدّقه ولا نكذّبه، كما أمرَنا نبينا محمد ـ ﷺ ـ لأنَّ توراتهم التي بين أيديهم اليوم ليست هي التي أنزلها الله سبحانه على موسى ـ عليه السلام ـ بإقرارهم، وإنما هي من جمع أحبارهم بعد موسى ـ عليه السلام ـ بزمن طويل، جمعوها من الروايات الشفوية بعد أن ضاع الأصل، وقد أطلقوا العنان لأقلامهم فيها، ولا يعرف متى كُتبت ولا مَن كتبها، لأنها عارية عن الأسانيد الصحيحة، وتفتقر إلى التوثيق.

٥ ـ بدء الجهاد والنصر على الوثنيين:

جاء في سفر الخروج ١٧/ ٨ ـ ١٣: وأتى عماليق وحارب إسرائيل في رفيديم، فقال موسى ليشوع: انتخب رجالاً وحارب عماليق، وغداً أقف على رأس التلة وعصا الله في يدي. ففعل يشوع ـ ـ فهزم يشوع عماليق بحد السيف.

١٧/ ١٥: فبنى موسى مذبحاً ودعى اسمه (يهوه نِسّي) الرب رايتي.

٦ ـ أخذ الميثاق واستلام الألواح والشريعة:

جاء في سفر الخروج ١٩/ ١ ـ ٢ وفي سفر العدد ٣٣/ ١٦: في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من مصر ارتحلوا من رَفِيديم وجاؤوا إلى برية

http://kotob.has.it

سيناء. ونزلوا مقابل الجبل.

وفي الخروج ١٩/ ٣ ـ ٩: وأما موسى فصَعِد إلى الله، فناداه من الجبل قائلاً: هكذا تقول لبيت يعقوب: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين، وأنا حملتكم وجئت بكم إليّ، فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصَّة من بين جميع الشعوب، فإنّ لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدَّسة. فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب، ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب. فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل. فردَّ موسى كلام الشعب إلى الرب، فقال الرب لموسى: هأنا آتٍ إليك في ظلام السحاب.

١٩/ ١٨ ـ ٢٠: وكان جبل سيناء كلُّه يُدخّن، لأنّ الربَّ نزل عليه بالنار، وارتجف كل الجبل جداً ـ ـ ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى.

٢٤/ ١٢ ـ ١٣: وقال الربُّ لموسى: اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعلّمهم. فقام موسى ويشوع خادمه، وصعد موسى إلى جبل الله.

٢٤/ ١٨: ودخل موسى في وسط السحاب وصعد الجبل، وكان هناك أربعين نهاراً وأربعين ليلة.

وقد ذكر كُتَّاب التوراة إنزال الوصايا وسائر التعاليم الدينية في الفصول (٢٠/ ٢٣ و٢٥ ـ ٣١) من سفر الخروج.

٧ ـ عبادتهم العجل:

ولما رأى شعب إسرائيل أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ أبطأ في النزول جمعهم رجل منهم اسمه السامري، وصنع لهم من حلي نسائهم عجلاً له خُوار، تدخل الريح من دبره وتخرج من فمه فيخور، وقال لهم: هذا إلـٰهكم وإلـٰه موسى. ثم بنى له مذبحاً، فقرَّبوا القرابين وطافوا حوله عراة. وقد أنكر عليهم هارون ـ عليه السلام ـ ذلك ونصحهم وحذَّرهم، فلم يسمعوا له، فما كان منه إلا أن اعتزلهم. ومن العجيب أنَّ توراة اليهود تنسب إليه صناعته وعبادته وبناء مذبح له!!.

http://kotob.has.it

جاء في سفر الخروج ٣٢/ ١ ـ ٦: ولما رأى الشعب أنَّ موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمعوا على هارون وقالوا له: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن موسى الذي أصعدنا من مصر لا نعلم ما أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وائتوني. ففعلوا، فأخذ ذلك وصوّره بالإزميل عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر. فبنى هارون مذبحاً أمامه ونادى: غداً عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات، وقدَّموا ذبائح سلامة، وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب.

وقد ذكر الله سبحانه قصة عبادتهم العجل فقال: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥١ ـ ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٨٣ ـ ٩١].

٨ ـ عمل قبة العهد ووضع التابوت فيها وتكليف هارون وبنيه بالكهانة:

وفي أول الشهر الأول من السنة الثانية تم عمل قبة العهد أو خيمة الاجتماع أو المقدس كما يسمّونه، وتم أيضاً صنع التابوت حسب ما ذكر في الفصول (٢٥ و٢٧ و٣٦ ـ ٣٧) من سفر الخروج، وتم وضعه فيها.

جاء في ٤٠/ ١ ـ ٥: وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: في الشهر الأول في اليوم الأول من الشهر تقيم مسكن خيمة الاجتماع، وتضع فيه تابوت الشهادة، وتستر

http://kotob.has.it

التابوت بالحجاب، وتدخل المائدة، وترتب ترتيبها، وتدخل المنارة وتصعد سرجها، وتجعل مذبح الذهب للبخور أمام تابوت الشهادة، وتضع سِجْف الباب للمسكن.

٤٠/ ١٢ ـ ١٥: وتُقدِّمُ هارونَ وبنيه إلى باب الخيمة وتغسلهم بماء، وتُلبِس هارون الثياب المقدسة، وتمسحه وتقدّسه ليكهن لي، وتُقدّم بنيه وتُلبسهم أقمصة وتمسحهم ليكهنوا لي، ويكون ذلك كهنوتاً أبدياً في أجيالهم.

٤٠/ ١٦ ـ ١٧: ففعل موسى كلَّ ما أمره الربّ هكذا فعل، وكان في الشهر الأول من السنة الثانية في أول الشهر أنّ المسكن أقيم.

جحودهم النعم:

ما ذكر من إطعامهم المنَّ والسَّلْوى بلا كلفة ولا سعي، وإنباع الماء الزلال لهم من الحجر الأصم، ليشربوا ويسقوا دوابهم ويدّخروا كفايتهم من الماء وغير ذلك من الآيات هو غيض من فيض من إنعام الله عليهم وإحسانه إليهم. فهل رَعَوا هذه النعم حقَّ رعايتها؟ وهل اعتبروا برؤية تلك الآيات العظام التي أجراها الله سبحانه على يد موسى؟ تلك هي طبائعهم وعاداتهم جيلاً بعد جيل، مكابرة وقسوة قلب وعمى بصيرة. ومن العجيب الغريب ما ذكره القرآن عنهم حيث قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ ـ ١٤٠]، مع أنهم رأوا بأنفسهم موسى يضرب البحر فينشق!.. تلك طبائع أكثرهم، فثمة أمة منهم طيبة آمنت بالمسيح ـ عليه السلام ـ حين بُعث، وآمن بعضهم بمحمد ـ ﷺ ـ حين أُرسل رحمة للعالمين. قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. وقال سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

* * *

http://kotob.has.it

[٣]
نكوصهم عن دخول الأرض المقدّسة وعقوبتهم بالتيه

الأمر بدخول الأرض المقدَّسة:

عندما نزل بنو إسرائيل في برية سيناء مقابل الجبل وكلَّم الربّ موسى ـ عليه السلام ـ في الجبل كما سلف، طلب منه أن يوصي بني إسرائيل بالالتزام بالتعاليم الدينية والثبات عليها عند دخولهم الأرض التي وعدهم بها، فوعدوا بذلك، ثم تابعوا سيرهم إلى برية فاران كما يروي السفر.

جاء في سفر الأحبار ٢٥/ ١ ـ ٢: وكلَّم الربُّ موسى في جبل سيناء ـ وفي السامرية: سينين ـ قائلاً: كلِّم بني إسرائيل وقل لهم: متى أتيتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم تَسْبِت الأرض سبتاً للرب.

وفي سفر العدد ١٢/ ١٦: وبعد ذلك ارتحل الشعب من حَضَيْروت ونزلوا في برية فاران. زاد في السامرية: وقال موسى لبني إسرائيل: أتيتم إلى جبل الأموري الذي إلـٰهنا معطينا، انظر، جعل إلـٰهك بين يديك الأرض، اصعد رِث كما وعد الله إلـٰه آبائك لك، لا تخف ولا تجزع. فدنوا إلى موسى وقالوا: نرسل رجالاً بين أيدينا حتى يروموا لنا الأرض ويعودوا لنا بخبر الطريق التي نصعد فيها والمدن التي ندخل عليها. فحسن الأمر عند موسى.

إرسال مستطلعين وتثبيط الهمم:

جاء في سفر العدد ١٣/ ١ ـ ٤: ثم قال الربّ لموسى: أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل، رجلاً واحداً لكل سبط.

١٣/ ١٧ ـ ١٨: فأرسلهم موسى وقال: اصعدوا من هنا إلى الجنوب واطلعوا الجبل وانظروا الأرض ما هي؟ والشعب الساكن فيها، أقوي أم ضعيف؟ قليل أم كثير؟.

١٣/ ٢١ ـ ٢٩: فصعدوا وتجسّسوا من برية صين إلى رَحُوب في مدخل

http://kotob.has.it

حماة، صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون ــ وأتوا إلى وادي أَشْكول ــ ثم رجعوا بعد أربعين يوماً ــ وأروهم ثمر الأرض وقالوا: حقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً، غير أنّ الشعب الساكن معتز والمدن حصينة جداً، وقد رأينا بني عَناق هناك، فالعمالقة ساكنون في الجنوب، والحِثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل، والكنعانيون ساكنون عند البحر على جانب الأردن.

١٣/ ٣٠ ـ ٣٣: لكن كالباً أنصت الشعب وقال: نصعد ونمتلكها، لأننا قادرون عليها، وأما من كان معه فقالوا: لا نقدر، لأنهم أشدُّ منا، فأشاعوا مذمّة الأرض قائلين: هي أرض تأكل سكانها، وجميع من رأينا فيها طِوال القامة، وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق، فكنّا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم.

نكوصهم عن الجهاد ودخول الأرض:

جاء في سفر العدد ١٤/ ١ ـ ٤: فرفعت الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمَّر على موسى وهارون، وقال لهما: ليتنا متنا في أرض مصر أو في هذا القفر، لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض؟ لنسقط بالسيف؟ تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة؟ أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟ فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر.

١٤/ ٥ ـ ١٠: فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام بني إسرائيل، ويشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة من الذين تجسسوا مزّقا ثيابهما، وكلّما بني إسرائيل قائلين: الأرض التي مررنا فيها جيدة جداً، إن سُرَّ بنا الرب يدخلنا إليها ويعطينا إياها تفيض لبناً وعسلاً، إنما لا تتمردوا على الرب، ولا تخافوا من شعب الأرض، لأنهم خبزنا، قد زال عنهم ظلهم، والرب معنا، لا تخافوهم. لكن قال كل الجماعة: يرجما بالحجارة.

١٤/ ١٠ ـ ١٢: ثم ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع لكل بني إسرائيل، وقال الرب لموسى: حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدّقونني بجميع الآيات التي عملت في وسْطهم، إني أضربهم بالوباء وأبيدهم، وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم.

وفي سفر التثنية ١/ ١ ـ ٢: هذا هو الكلام الذي كلَّم به موسى جميع بني

http://kotob.has.it

إسرائيل في عَبر الأردن في البرية في العربة قُبالة سُوفٍ، بين فاران وتُوفَل ولابان وحضيروت وذي ذهب، أحد عشر يوماً من حوريب على طريق جبل سعير إلى قادَش بَرْنِيعَ.

١/ ١٩ ـ ٣٢: ثم ارتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذي رأيتم في طريق جبل الأموريين كما أمرنا الرب، وجئنا إلى قادش برنيع، فقلت لكم: قد جئتم إلى جبل الأموريين الذي أعطانا الرب إلـٰهنا، وانظر قد جعل الربُّ إلـٰهك الأرض أمامك، اصعد تَمَلَّك كما كلَّمك الربّ، لا تخف ولا ترتعب. فتقدمتم إلي جميعاً وقلتم: دعْنا نرسل رجالاً قدامنا ليتجسسوا لنا الأرض، فحسن الكلام لديَّ، فأخذت منكم اثني عشر رجلاً، فانصرفوا وصعِدوا إلى الجبل وأتوا إلى وادي أشكول وتجسسوه، وردُّوا إلينا خبراً وقالوا: جيدة هي الأرض، لكنكم لم تشاؤوا أن تصعدوا وعصيتم قولَ الرب، وتمرّدتم في خيامكم، وقلتم: الرب بسبب بغضه لنا أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا، إلى أين نحن صاعدون؟ قد أذاب إخوتنا قلوبنا قائلين: شعب أعظم وأطول منا، مدن عظيمة محصنة إلى السماء، وأيضاً قد رأينا بني عَناق هناك. فقلت لكم: لا ترهبوا ولا تخافوا منهم، الرب إلـٰهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم حسب كل ما فعل معكم في مصر أمام أعينكم، وفي البرية حيث حملك الربُّ إلـٰهك كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان، ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرب إلـٰهكم.

تحريم الأرض عليهم وعقوبتهم بالتيه:

خرج موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ببني إسرائيل من مصر ليعودوا إلى الأرض المقدَّسة التي وعدهم الله بها، ويجاهدوا أهلها الوثنيين، وفي الطريق ظهرت منهم مخالفات رهيبة، وجرى أمامهم حوادث عجيبة، ولما وصلوا إلى برية فاران أرسل موسى ـ عليه السلام ـ اثني عشر رجلاً ليستطلعوا الأرض، فعادوا وفَتُّوا في عضد الناس فخارت عزائمهم، ولم يستمعوا لقول رجلين صالحين من المستطلعين. طلب منهم موسى ـ عليه السلام ـ دخول الأرض وقتال الوثنيين. وأكد لهم أنَّ الله وعدهم بالنصر، لكنهم تقاعسوا ونكلوا عن الجهاد وتمرّدوا على موسى ـ عليه السلام ـ فَعُوقبوا بالتيه في صحراء سيناء أربعين سنة،

http://kotob.has.it

وحُرِم ذلك الجيل من الدخول إلى الأرض المباركة تأديباً لهم.

جاء في سفر العدد ١٤/ ٢٦ ـ ٣٨: وكلّم الربُّ موسى وهارون قائلاً: حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشرِّيرة المتذمِّرة علي؟ قل لهم: حيٌّ أنا، لأفعلنَّ بكم كما تكلَّمتم في أذني، في هذا القفر تسقط جثثكم من ابن عشرين سنة فصاعداً، لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها، ما عدا كالب بن يَفُنَّة ويشوع بن نون، وأما أطفالكم الذين قلتم: يكونون غنيمة، فإني سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احتقرتموها، فجثثكم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاة فيه أربعين سنة، ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم، كعدد الأيام التي تجسّستم فيها الأرض أربعين يوماً، للسنة يوم، تحملون ذنوبكم فتعرفون ابتعادي عنكم، أنا الرب لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتَّفِقَة عليَّ، في هذا القفر يفنون وفيه يموتون. أما الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا ورجعوا وسَجَّسوا عليه كل الجماعة بإشاعة المذمة الرديئة فماتوا بالوباء أمام الرب، وأما يشوع بن نون وكالب بن يفنة فعاشا.

٣٢/ ٦ ـ ١٣: فقال موسى لبني جاد وبني رأوبين: هل ينطلق إخوتكم إلى الحرب وأنتم تقعدون ههنا؟ فلماذا تصدون قلوب بني إسرائيل عن العبور إلى الأرض التي أعطاها الرب؟ هكذا فعل آباؤكم حين أرسلتهم من قادَشَ بَرْنيعَ لينظروا الأرض، صعدوا إلى وادي أشكول ونظروا وصدوا قلوب بني إسرائيل عن دخول الأرض التي أعطاهم الرب، فحمى غضبه وأقسم قائلاً: لن يرى الناسُ الذين صعدوا من مصر من ابن عشرين سنة فصاعداً الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأنهم لم يتّبعوني تماماً، ما عدا كالَب بن يفنة القينزّي ويشوع بن نون، لأنهما اتّبعا الرب تماماً. فحمي غضب الرب على إسرائيل، وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب.

وجاء في سفر التثنية ١/ ٣٤ ـ ٤٠: وسمع الرب كلامكم فسخط وأقسم قائلاً: لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرِّير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لآبائكم، ما عدا كالَب بن يفنة، وله أعطي الأرض ولبنيه، لأنه قد اتّبع الربَّ تماماً. وعليَّ أيضاً غضب الرب بسببكم قائلاً: وأنت أيضاً لا تدخل إلى هناك، يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك، شَدِّده لأنه هو

http://kotob.has.it

يقسمها لإسرائيل، وأما أطفالكم الذين قلتم: يكونون غنيمة، وبنوكم الذين لم يعرفوا الخير والشر فهم يدخلون، ولهم أعطيها وهم يملكونها، وأما أنتم فتحولوا وارتحلوا إلى البرية على طريق بحر سُوف.

٢/ ١ ـ ٣: ثم تحولنا وارتحلنا إلى البرية على طريق بحر سوف كما كلَّمني الرب، ودرنا بجبل سعير أياماً كثيرة، ثم كلَّمني الربّ قائلاً: كفاكم دوران بهذا الجبل، تحولوا نحو الشمال.

٢/ ٧: الآن أربعون سنة للرب إلـٰهك معك، لم يَنْقُص عنك شيء.

٨/ ٢ ـ ٥: وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلـٰهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك، أتحفظ وصاياه أم لا، فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه، ولا عرفه آباؤك، لكي يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان، ثيابك لم تبل عليك، ورجلك تتورم هذه الأربعين سنة فاعلم في قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدّبك الرب إلـٰهك.

وبذلك نشأ جيل جديد في الصحراء، تربى على أيدي موسى وهارون ويشوع ـ عليهم السلام ـ وأصبح مؤهَّلاً لدخول الأرض المقدّسة والعمل بتعاليم التوراة.

ما جاء في القرآن الكريم عن التيه وأسبابه:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦].

http://kotob.has.it

ذكَّرهم موسى ـ عليه السلام ـ بنعم الله العظمى عليهم، فقد بعث فيهم أنبياء وسيبعث فيما بعد، وجعلهم يعيشون كالملوك، وسيكون منهم الملوك، وآتاهم من الإنعام والإكرام والتفضيل في ذلك الوقت ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، ثم طلب منهم الدخول إلى الأرض المقدَّسة التي قضى الله أن تكون لهم إن جاهدوا الوثنيين وأحسنوا واستقاموا، لكنهم خافوا من الجبابرة وأبوا أن يدخلوها. فلما جبنوا حثّهم رجلان من النقباء ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه، وقد أنعم الله عليهما بالثبات على الإيمان على الدخول، وقالا: ادخلوا عليهم باب المدينة، فإذا دخلتموه غلبتموهم بإذن الله، لأنهم كفرة، وحضُّوهم على التوكل على الله، لكنهم أصرّوا على عدم الدخول وعدم الجهاد، وقالوا لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾. وهذا إفراط في العصيان يقتضي الكفر، ولذلك اعتذر موسى ـ عليه السلام ـ إلى ربه وتبرّأ مما قاله السفهاء، فاستجاب الله دعاءَه، وعاقبهم بالتيه في تلك الصحراء، يمشون فيها ولا يهتدون إلى الخروج منها، وطلب منه ألا يحزن عليهم، فإنهم فاسقون مستحقّون للعقوبة.

فكان من حكمة التِّيه أن ينقرض ذلك الجيل الذي تـأصَّلت فيه عقائـد الوثنية، وزالت منه صفات الرجولة، وفسدت نفسه، واعتاد على المشاكسة. وبذلك ينشأ جيل آخر شبَّ على الإيمان وتربّى على أيدي موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ فيستحق أن يدخل الأرض المقدّسة ويجاهد في سبيل الله بقيادة يشوع بن نون ـ عليه السلام ـ وهذا يدل على أنّ الأرض المقدّسة ليست إرثاً لناس معينين من أولاد إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإنما هي لله يورثها الصالحين منهم.

وقال سبحانه واصفاً أحوالهم وطبائعهم: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٣ ـ ١٥٥].

* * *

http://kotob.has.it

[٤]
من أهم ما حدث في التيه

وفي التيه كانوا ينتقلون مع موسى ـ عليه السلام ـ يذهبون ويجيئون ويحلون ويرتحلون مدة أربعين سنة . ومن أهم ما حدث خلال تلك المدة :

١ ـ تمرّدهم على موسى وهارون وعقوبتهم بالخسف والوباء:

جاء في سفر العدد ١٦/ ١ ـ ٥ : وأخذ قُورَحُ بنُ يِصعهار بن قَهات بن لاوي وداثان وأبيرام ابنا أَلِيآب وأُونُ بنُ فالَت بنو رأوبين يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل مئتين وخمسين رؤساءِ الجماعة مدعوين للاجتماع ذوي اسم، فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما : كفاكما ، إنّ كل الجماعة بأسرها مقدَّسة ، وفي وسطها الربُّ ، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب؟! فسقط موسى على وجهه ، ثم قال لقورح وجميع قومه : غداً يعلن الرب مَنْ هُوَ لَهُ ، ومن المقدس حتى يقربه إليه .

١٦/ ١٢ ـ ١٥ : وأرسل موسى ليدعو داثان وأبيرام فقالا : لا نصعد ، أقليل أنّك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا؟ كذلك لم تأتِ بنا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم . فاغتاظ موسى جدّاً .

١٦/ ٢٠ ـ ٢٤ : وكلّم الربّ موسى وهارون قائلاً : افترزا من بين هذه الجماعة فإني أفنيهم في لحظة . فخرّا على وجهيهما وقالا : هل يخطئ واحد فتسخط على كل الجماعة؟ فقال الرب : لتطلع الجماعة من حوالي مسكن قورح وداثان وأبيرام .

١٦/ ٣١ ـ ٣٣ : فلما فرغ موسى من التكلُّم انشقّت الأرض وفتحت فاها وابتلعتهم وبيوتهم مع كل الأموال ، فنزلوا إلى الهاوية ، وانطبقت عليهم الأرض ، فبادوا من بين الجماعة .

١٦/ ٤١ ـ ٥٠ : فتذمَّر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهارون قائلين : أنتما قتلتما شعب الرب . فانصرفا إلى خيمة الاجتماع ـ ـ فقال الرب :

http://kotob.has.it

اطلعا من وسط هذه الجماعة، فإني أفنيهم بلحظة، فخرَّا على وجهيهما، ثم قال موسى لهارون: خُذ المجمرة وضع فيها بَخُوراً واذهب بها مسرعاً إلى الجماعة وكفّر عنهم، لأن السَّخَط قد خرج من قِبَل الرب، قد ابتدأ الوباء. ففعل هارون وركض إلى وسط الجماعة وإذا الوباء قد ابتدأ في الشعب، فوضع البخور وكفّر عن الشعب، ووقف بين الموتى والأحياء، فامتنع الوباء. فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً وسبعمئة، عدا الذين ماتوا بسبب قورَح.

٢ ـ موت مريم في قادَش:

جاء في سفر العدد ٢٠/ ١: وأتى بنو إسرائيل، الجماعة كلّها إلى برية صين في الشهر الأول، وأقام الشعب في قادَش، وماتت هناك مريم، ودفنت هناك.

٣ ـ موت هارون على رأس جبل هور:

جاء في سفر العدد ٢٠/ ٢١ ـ ٢٢: وأبى أدوم أن يسمح لإسرائيل بالمرور في تخومه، فتحوَّل إسرائيل عنه، وارتحلوا من قادش إلى جبل هور.

٢٠/ ٢٣ ـ ٢٨: وكلَّم الربّ موسى وهارون في جبل هور على تخم أرض أدوم قائلاً: يضم هارون إلى قومه، لأنه لا يدخل الأرض، لأنكم عصيتم قولي عند ماء مريبة، خذ هارون وألِعازار ابنه، واصعد بهما إلى جبل هور، واخلع عن هارون ثيابه، وألْبس ألعازار ابنه إياها، فيضم هارون ويموت هناك. ففعل موسى كما أمر الرب ـ ـ فمات هناك هارون على رأس الجبل.

٣٣/ ٣٨ ـ ٤٠: فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب، ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر.

وفي سفر التثنية ١٠/ ٦ ـ ٧: وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير، هناك مات هارون ودُفن. فكَهَن ابنه ألعازر عوضاً عنه. من هناك ارتحلوا إلى الجد جود.

والغريب في الأمر أن توراة اليهود تصوِّر عدم دخول موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ إلى الأرض المقدّسة وكأنه عقوبة لهما، مع أنه عقوبة للذين تمرّدوا عليهما.

http://kotob.has.it

٤ ـ زناهم ببنات موآب وسجودهم لآلهتهن وإصابتهم بالوباء:

جاء في سفر العدد ٢٢/ ١ : وارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب ومن عَبْر أردنّ أريحا .

٢٥/ ١ ـ ٥ : وأقام إسرائيل في شِطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن، وتعلَّق إسرائيل ببعل فَغُور، فحمي غضب الرب على بني إسرائيل، فقال الرب لموسى: خذ جميع رؤوس الشعب وعَلِّقْهم للربِّ مقابل الشمس، فيرتد حُمُوُّ غضب الرب عن إسرائيل، فقال موسى لقضاة إسرائيل: اقتلوا كلُّ واحد قومَه المتعلقين ببعل فغور .

٢٥/ ٦ ـ ٩ : وإذا رجل من بني إسرائيل جاء وقَدَّم إلى إخوته المديانية أمام عيني موسى وأعين جماعة بني إسرائيل وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع، فقام فينحاس بن ألعازار الكاهن، وأخذ رمحاً ودخل وراء الإسرائيلي إلى القبة وطعن كليهما، فامتنع الوباء عن بني إسرائيل. وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً .

٢٥/ ١٠ ـ ١١ : فكلَّم الرب موسى قائلاً : فينحاس قد رد سَخَطي عن بني إسرائيل بكونه غار غَيْرتي حتى لم أفنهم بغيرتي .

٢٥/ ١٤ـ١٥ : وكان اسم الإسرائيلي المقتول زِمري بن سالو من الشِّمعونيين، واسم المرأة المديانية المقتولة كُزْبي بنت صور، هو رئيس قبائل بيت أب في مديان .

٥ ـ إحصاء بني إسرائيل بعد الوباء:

جاء في سفر العدد ٢٦/ ١ ـ ٢ : ثم بعد الوباء كلَّم الربُّ موسى وألِعازار بن هارون قائلاً : خذا عدد كل جماعة بني إسرائيل، من ابن عشرين سنة فصاعداً حسب بيوت آبائهم، كل خارج للجند .

٢٦/ ٦٣ ـ ٦٥ : هؤلاء هم الذين عدَّهم موسى وألعازار حين عَدَّا بني إسرائيل في عربات موآب على أردن أريحا، ولم يكن فيهم إنسان من الذين عدَّهم موسى وهارون حين عدَّا بني إسرائيل في برية سيناء، لأن الرب قال: إنهم يموتون في البرية، فلم يبقَ منهم إلا كالب بن يفنة ويشوع بن نون .

http://kotob.has.it

٦ ـ وفاة موسى دون أن يعبر الأردن:

جاء في سفر العدد ٢٧/ ١٢ ـ ١٣ : وقال الربُّ لموسى : اصعد إلى جبل عباريم وانظر الأرض التي أعطيت بني إسرائيل، ومتى نظرتها تضم إلى قومك كما ضُمّ هارون أخوك .

٣١/ ١ ـ ٢ : وكلّم الربُّ موسى قائلاً : انتقم لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك .

وفي سفر التثنية ٣/ ٢٣ ـ ٢٨ : وتضرّعت إلى الرب في ذلك الوقت ـ ـ دَعْني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان ـ ـ فقال : اصعد إلى رأس الفِسْحة وارفع عينيك إلى الغرب والشمال والجنوب والشرق، وانظر لكن لا تعبر هذا الأردن . وأما يشوع فأوصِه وشدده، لأنه يعبر أمام هذا الشعب وهو يقسم الأرض التي تراها . فمكثنا في الجواء مقابل بيت فَغُور .

وفي التثنية ٣٢/ ٤٨ ـ ٥٠ : وكلّم الربُّ موسى قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب قُبالة أريحا، وانظر أرض كنعان التي أعطيها لبني إسرائيل ملكاً، ومت في الجبل وانضم إلى قومك، كما مات هارون أخوك في جبل هور وضم إلى قومه .

٣٤/ ١ ـ ٤ : وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفِسْحة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومَنَسَّى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرةَ بقعةَ أريحا مدينة النخل إلى صُوغَر وقال له : هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً : لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينك، ولكن إلى هناك لا تعبر . فمات هناك موسى في أرض موآب، ودفن في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : أُرسل ملك الموت إلى موسى ـ عليه السلام ـ فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدّسة رمية بحجر . قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «فلو كنت ثَم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر» [متفق عليه] .

* * *

http://kotob.has.it

[٥]

دخول يشوع بالشعب إلى الأرض المقدَّسة

استخلاف يشوع:

جاء في سفر العدد ٢٧/ ١٨ ـ ٢٠ : فقال الربُّ لموسى : خُذْ يشوعَ بنَ نون رجلاً فيه روح، وضع يدك عليه، وأوقفه قُدَّام ألعازار الكاهن وقُدَّام كل الجماعة وأوصه، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل الجماعة .

٣٤/ ٩ : ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الربُّ موسى .

عبور يشوع ببني إسرائيل إلى الأرض:

في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وبعد وفاة موسى ـ عليه السلام ـ أغار بنو إسرائيل بقيادة يشوع بن نون بن أفرايم بن يوسف فتى موسى وخليفته من بعده على أرض كنعان فاحتلّوها .

جاء في سفر يشوع ١/ ١ ـ ٢ : وبعد موت موسى قال الربُّ ليشوع : اعبر هذا الأردن أنت وكل الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم .

١/ ١٠ ـ ١١ : فأمر يشوع عرفاء الشعب قائلاً جُوزوا في وسط المحلة، وقولوا للشعب : هيئوا لأنفسكم زاداً، لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا، لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض التي يعطيكم الربُّ .

أراد فتح أريحا أولاً، وكانت من أحصن المدن سوراً وأعلاها قصوراً وأكثرها أهلاً، فأرسل جاسوسين ليستطلعا، ثم عَبَر النهر وحاصرها .

جاء في ٢/ ١ : فأرسل يشوع بن نون من شِطّيم رجلين جاسوسين سرّاً وقال لهما : اذهبا وانظرا الأرض وأريحا . فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية، اسمها راحاب واضطجعا هناك .

٣/ ١ : فبكَّر يشوع في الغد وارتحلوا من شِطّيم وأتوا إلى الأردن، وباتوا هناك قبل أن عبروا .

http://kotob.has.it

٣/ ١٧ : فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة في وسط الأردن راسخين، وجميع إسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن.

انقطاع المنّ والأكل من غلة الأرض حسب زعمهم:

جاء في سفر يشوع ٥/ ٦ ـ ٧: سار بنو إسرائيل أربعين سنة في القفر حتى فني جميع الشعب من رجال الحرب الخارجين من مصر الذين لم يسمعوا لقول الربّ، الذين حلف الربّ لهم أنه لا يريهم الأرض التي حلف لآبائهم أن يعطيها لنسلهم، التي تفيض لبناً وعسلاً. وأما بنوهم فأقامهم مكانهم.

٥/ ١٠ ـ ١٢: فحلَّ بنو إسرائيل في الجلجال وعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء في عَرَبات أريحا، وأكلوا من غلَّة الأرض في الغد بعد الفصح فطيراً وفريكاً. وانقطع المنُّ في الغد عند أكلهم من غلة الأرض، ولم يكن بعد لبني إسرائيل مَنّ، فأكلوا من محصول أرض كنعان في تلك السنة[١].

فتح أريحا:

جاء في سفر يشوع ٦/ ٦١: وكانت أريحا مغلقة مقفلة، لا أحد يدخل ولا أحد يخرج. فقال الربُّ ليشوع: قد دفعتُ بيدك أريحا وملكها، تدورون حول المدينة مرة واحدة، هكذا تفعلون ستة أيام، وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت، وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق، ويكون عند امتداد صوت قرن الهتاف عند استماعكم صوت البوق أنَّ جميع الشعب يهتف هتافاً عظيماً، فيسقط سور المدينة، ويصعد الشعب، كل رجل مع وجهه.

٦/ ١٦ : ففعلوا، وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أنَّ يشوع قال للشعب: اهتفوا، لأنَّ الربَّ قد أعطاكم المدينة، فتكون هي وكل ما فيها محرّماً للربّ.

---

(١) انظر اعتراضهم على المنّ والسلوى بعد خروجهم من مصر، وقد سبق ذكره.

http://kotob.has.it

٦/ ٢١ : وحَرِّموا ـ أي أهلكوا ـ كلَّ ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف.

٦/ ٢٤ : وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها.

وهكذا نسبوا إلى يشوع جرائمَ حربٍ وقسوةً طالت النساء والأطفال والبهائم مع أنه نبي.

متابعة الفتح:

جاء في سفر يشوع ١٠/ ١ ـ ٤ : فلما سمع أدوني صادَق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرمها كما فعل بأريحا وملكها ـ ـ أرسل يستنجد بملوك الأموريين.

١٠/ ٥ ـ ١٠ : فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة ـ ـ فصعد يشوع من الجلجال، فأزعجهم الرب أمام إسرائيل وضربهم ضربة عظيمة.

قسمة الأرض وتنفيذ الوعد:

جاء في سفر يشوع ١٣/ ١ ـ ٧ : وشاخ يشوع فقال له الرب: أنت قد شِخْت، وقد بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك، هذه هي الأرض الباقية كلُّ دائرة الفلسطينيين وكلّ الجَشوريين، من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً تُحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة، من التَّيْمَن كلُّ أرض الكنعانيين ومُغارة التي للصيدونيين إلى أفيق إلى تخم الأموريين، وأرضُ الجِبليين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة، جميع سكان الجبل من لبنان إلى مِسْرَفوت مايَم، جميع الصيدونيين أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل، إنما اقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً، والآن اقسم هذه الأرض ملكاً للتسعة الأسباط ونصف سبط مَنَسَّى.

٢١/ ٤٣ ـ ٤٥ : فأعطى الربُّ إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم، فامتلكوها وسكنوا بها، فأراحهم الربُّ حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم، ولم يقف قُدَّامهم رجل من جميع أعدائهم، لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الربُّ بيت إسرائيل، بل الكل صار.

http://kotob.has.it

موت يشوع:

٢٤/ ٢٩ ـ ٣٠: مات يشوع ابن مئة وعشر سنين، فدفنوه في تخم مُلْكِه في تمنة سارَح التي في جبل أفرايم شماليّ جبل جاعش، وعبد إسرائيل الربَّ كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع، والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل.

وجاء في سفر القضاة ٢/ ٧ ـ ١٠: وعبد الشعب الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع الذين رأوا كل عمل الرب العظيم الذي عمل لإسرائيل، ومات يشوع ابن مئة وعشر سنين، فدفنوه في تخم مُلْكِهِ في تمنة حارَسَ في جبل أفرايم شمالي جبل جاعش.

فهل هي تمنة سارَح كما في سفر يشوع أو تمنة حارَس كما في سفر القضاة؟ وسواء كان هذا أو ذاك فقد تحقّق الوعد بكامله وقسم يشوع الأرض كاملة، ولم يملكوا ما بين النيل والفرات، مما يدلّ على أنّ تلك العبارة ملحقة بالنص وليست أساسية. وإذا ظهر الخلل في الكتاب بطل الاستدلال به.

وصفوة القول: إنّه بعد انقضاء سنوات التيه الأربعين دخلوا الأرض المقدَّسة، وهي أرض كنعان في فلسطين من النهر إلى البحر، وليست بلاد الشام عامة، لأن موسى ـ عليه السلام ـ كان مع بني إسرائيل شرقي النهر، ولو كان شرق النهر من الأرض المقدّسة لما قال لهم: ادخلوا الأرض المقدَّسة، ولما سمح الله لهم بالمكث فيها وهي محرَّمة عليهم في فترة الغضب، ولما دفن موسى ـ عليه السلام ـ فيها وإنما سمح له بالدنوِّ منها، والنظر إليها والموت والدفن فيها كما سلف.

* * *

http://kotob.has.it




الفصل الرابع

ليس لليهود حق أبدي موروث في فلسطين

ويتضمن الفروع التالية :

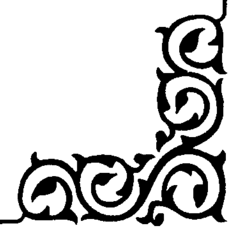
١ ـ الأمم الأخرى التي كانت قبلهم ومعهم

٢ ـ حَصْر الحقّ باليهود ظُلْم لبني إسرائيل غير اليهود

٣ ـ الوعد ببقاء الأرض منوط بالاستقامة

٤ ـ مصادر تاريخ القُدْس تقرُّ بعروبتها وإسلامها

٥ ـ المؤتمر الدولي حول مصادر تاريخ القدس بجامعة القاهرة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
الأمم التي كانت قبلهم ومعهم

يدَّعي اليهود أنَّ لهم حقّاً مُطْلقاً في فلسطين منحهم إيَّاه إلـٰههم يَهْوه من بين ذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ، بناءً على ذلك الاختيار المزعوم بإقصاء إسماعيل بكر إبراهيم وسلب البكورية منه وإعطائها لإسحاق، وبشراء يعقوب حقّ البكوريَّة من عيسو بطَبَق من الطعام استغلالاً لجوعٍ أصابه، ثم بتآمر أمِّ يعقوب معه وسرقة البركة التي كان سيمنحها إسحاق لعيسو كما سلف في الفصل الثالث من الباب الأول. فيحقُّ لهم طَرْد الشعوب الأخرى المستقرّة هناك أو إبادتهم لإقامة دولة يهودية الصيغة تكون وطناً قومياً لهم، ويعتمدون على نصوص أسفارهم التي صاغها أخبارهم كما سلف، ويدعمون ذلك بأنهم سكنوا فيها منذ ما يقارب الألف الأول قبل الميلاد، فهم أحق بها، وهي لهم. ويدحض ذلك ما يلي:

سكان فلسطين الأوائل:

يذكر المؤرِّخون أنَّ موجات من القبائل السامية العربية بدأت بالهجرة نحو الشمال قبل الميلاد بأكثر من ثلاثة آلاف سنة بسبب القَحْط، وتفرَّقت هذه القبائل في بلاد الشام والرافدين، وانتقل قسم منهم إلى مصر، وكان الفينيقيون أسبقهم، فأقاموا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وتطوَّروا حتى أصبحوا أصحاب حضارة. وبعد خمسمئة سنة نزحت قبائل عربية من الفينيقيين إلى الجنوب، وكان من أشهرها الذين استقرّوا على ضفة نهر الأردن الغربية منسابين في سهول فلسطين نحو البحر الأبيض المتوسط، وعُرفوا في ذلك الحين بالكنعانيين وأطلق على هٰذه الأرض اسم أرض كنعان، وكان منهم العرب اليبوسيون الذين استوطنوا مكان القدس قبل بنائها، وكانت تسمّى يَبُوس نسبة إليهم، ثم أطلقوا عليها اسم (أورسالم) أي: مدينة السلام، وكان منهم أيضاً العموريون الذين سكنوا الجبال، وهكذا قسمت أرض فلسطين بين هذه القبائل[١].

---

(١) لا يعرف بالضبط من أول من سكن فلسطين، وأول آثار معروفة فيها تعود إلى الكنعانيين=

http://kotob.has.it

وقبل الميلاد بمئات السنين جاء من جزر البحر الأبيض المتوسط ولا سيما جزيرة كريت قبائل تسمى (بلستِن) سكنوا في الجنوب على الساحل في يافا وغزَّة، وقد جرى اختلاط كبير بينهم وبين الكنعانيين واليبوسيين السكان الأصليين، وعاشوا في تلك المنطقة التي سُمِّيت فلسطين، وشكّلوا مزيجاً يغلب عليه الطابع العربي، ثم ذابوا فيهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً وحضارة.

وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت تعيش قبائل الآراميين الوافدة من حوض نهر الفرات بعد ازدحامه بالوافدين من شبه جزيرة العرب، وهم المعروفون في الكتب المقدَّسة بالسوريين، وكانت عاصمتهم دمشق، وإلى الجنوب من البحر الميت كانت تسكن أيضاً مجموعة أخرى من الآراميين في ثلاث ممالك: عمون وموآب وأدوم(١).

أمم أخرى منحهم الله أرضاً معهم فيها:

إذاً، فثَمَّة أمم أخرى كانت قبلهم، سكن إبراهيم ـ عليه السلام ـ بينهم فاحترموه وأكرموه كما سلف، وثَمَّة أمم أخرى منحهم الله أرضاً في فلسطين، ونهاهم عن التعرُّض لهم.

● جاء في سفر التكوين ١٣/ ٩ ـ ١٢ أنَّ إبراهيم قال للوط بعد مخاصمة الرعاة: أليست كلّ الأرض أمامك؟ اعتزل عني، إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً. فرفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سَقْي قبلما أخرب الرب سَدوم وعَمورة، كجنّة الربِّ حينما تجيء إلى صوغر، فاختار لنفسه كل دائرة الأردن، وارتحل شرقاً، فاعتزل الواحد عن الآخر، أبرام سكن في أرض كنعان، ولوط سكن في مدن الدائرة، نقل خيامه إلى سَدُوم.

٢٥/ ٥: وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي

= والأموريين، فهم مع اليبوسيين أول من استوطن فلسطين بصورة عامة، وحكموها فترة طويلة تعود إلى عام (٢٦٠٠ق.م)، ولذلك تسمَّى أرض فلسطين عند علماء الآثار بأرض كنعان.

(١) قبل الكارثة، ص٨٩؛ اليهود للندوة العالمية، ص٢٠.

http://kotob.has.it

كانت لإبراهيم فأعطاهم عطايا، وصرفهم عن إسحاق شرقاً إلى أرض المشرق.

وبنو عيسو من ذرية إسحاق ـ عليه السلام ـ فدلَّ على وجودهم في تلك الأرض وحقِّهم فيها.

● وجاء في سفر الخروج ١٥/١٣ ـ ١٥: تَرْشُد برأفتك الشعب الذي فدَيْته، تهديه بقوتك إلى مسكن قُدْسك، يسمع الشعوب فيرتعدون، تأخذ الرعدة سكان فلسطين، حينئذٍ يندهش أمراء أدوم، أقوياء موآب، تأخذهم الرجفة، يذوب سكان كنعان.

● وجاء في سفر الأحبار ١٩/ ٣٣ ـ ٣٤: وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء في مصر.

أي: إذا جاء غريب عن تلك البلاد وسكن بينكم فيها، فلا تظلموه، بل أحبُّوه كما تحبُّون أنفسكم، ويكون له حق كحقّكم، وقد ذقتم الظلم عندما كنتم غرباء في مصر، فلا تظلموا أنتم غيركم.

● وجاء في سفر التثنية ٢/ ٤ ـ ٥: وأوصِ الشعبَ قائلاً: أنتم مارُّون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سِعير، فيخافون منكم، فاحترزوا جداً، لا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم، لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً.

٢/ ٨ ـ ٩: فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العَرَبة على أيلة وعلى عَصيون جابر، ثم تحوَّلنا ومررنا في طريق برية موآب، فقال لي الرب: لا تُعاد موآب، ولا تُثِر حرباً عليهم، لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتُ عارَ ميراثاً.

٢/ ١٨ ـ ١٩: أنت مار اليوم بتخم موآب بعارَ، فمتى قَرِبْتَ إلى تُجاه بني عَمّون لا تعادهم، ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتها ميراثاً.

● وجاء في سفر يشوع بن نون ١٣/ ١٣: ولم يطرد بنو إسرائيل الجَشوريين

http://kotob.has.it

والمعكيين، فسكن الجشوري والمعكي في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم.

٢/٢٤ ـ ٥: وقال يشوع لجميع الشعب: هكذا قال الربُّ إله إسرائيل: آباؤكم سكنوا في عِبر النهر منذ الدهر، وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان، وأكثرت نسله وأعطيته إسحاق، وأعطيت إسحاق يعقوب وعيسو، وأعطيت عيسو جبل سعير ليملكه، وأما يعقوب وبنوه فنزلوا إلى مصر، وأرسلت موسى وهارون وضربت مصر.

٨/٢٤: ثم أتيت بكم إلى أرض الأموريين الساكنين في عبر الأردن، فحاربوكم ودفعتهم بيدكم فملكتم أرضهم، وأهلكتهم من أمامكم.

١١/٢٤: ثم عبرتم الأردن وأتيتم إلى أريحا، فحاربكم أصحاب أريحا، فدفعتهم بيدكم.

فبنصِّ أسفارهم كان بنو عيسو يسكنون ميراثهم بساعير، وهي جبال الشَّرَاة، وكان بنو لوط يسكنون ميراثهم بموآب وعمَّان قبل أن يملك بنو إسرائيل ميراثهم على ضفتي الأردن بدهر طويل، وبقي بنو عيسو وبنو لوط في ميراثهم بساعير وموآب وعمَّان بعد سقوط مملكتي إسرائيل كليهما وإخراجهم من تلك الأرض، ثم ملكها بنو إسماعيل.

● وجاء في سفر القضاة ١/ ١٦: وبنو القَيْنيّ حَمِي موسى صَعِدوا من مدينة النخل مع بني يهوذا إلى برية يهوذا التي في جنوبي عَرَاد، وذهبوا وسكنوا مع الشعب.

١/ ١٩: وكان الربُّ مع يهوذا فملك الجبل، لكن لم يطرد سكان الوادي، لأن لهم مركبات حديد.

١/ ٢١: وبنو بَنْيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم.

١/ ٢٧ ـ ٣٦: ولم يطرد مَنَسَّى أهل بيت شانَ وقراها ولا أهل تَعْنَكَ وقراها ولا سكان دُورَ وقراها ولا سكان يِبْلعام وقراها ولا سكان مَجِدُّو وقراها. فعزم الكنعانيون على السكن في تلك الأرض، وكان لمّا تشدّد إسرائيل أنه وضع

http://kotob.has.it

الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً. وأفرايم لم يطرد الكنعانيين الساكنين في جازَر، فسكن الكنعانيون في وسطه، وكانوا تحت الجزية. ولم يطرد أشير سكان تمكّو ولا سكان صِيدون وأَحْلَب، وأكزيب وحَلْبة وأفيق وزحُوب، فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض، فكان سكان بيت شمس وبيت عناة تحت الجزية لهم. وحصر الأموريون بني دان في الجبل، لأنهم لم يدعوهم ينزلون إلى الوادي، فعزم الأموريون على السكن في جبل حارس في أيْلُونَ وفي شُعَلُبِّيم، وقَوِيَتْ يدُ بيت يوسف، فكانوا تحت الجزية، وكان تخم الأموريين من عقبة عَقْرِبيم من سالع فصاعداً.

٣/ ١ ـ ٦: فهؤلاء الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم إسرائيل، كلَّ الذين لم يعرفوا جميع حروب كنعان، إنما لمعرفة أجيال إسرائيل ـ ـ أقطاب الفلسطينيين الخمسة وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويِّين سكان جبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة، كانوا لامتحان إسرائيل بهم ـ ـ فسكن بنو إسرائيل في وَسْط الكنعانيين والحثّيين والأموريين والفِرّزيين والحِوِّيين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم، فحمي غضب الربِّ على إسرائيل، فباعهم بيد كوشان رِشَعْتايِمَ ملك آرام النهرين، فعبد بنو إسرائيل كوشان رِشَعْتايِمَ ثماني سنين.

● وجاء في سفر حَزْقيال ٤٧/ ٢١ ـ ٢٣: فتقسمون هذه الأرض لكم لأسباط إسرائيل، ويكون أنكم تقسمونها بالقُرْعة لكم وللغرباء المتغربين في وسطكم الذين يلدون بنين في وسطكم، فيكونون لكم كالوطنيين من بني إسرائيل، يقاسمونكم الميراث وسط أسباط إسرائيل. ويكون أنه في السبط الذي فيه يتغرّب غريب هناك، تعطونه ميراثه. يقول السيد الرب.

وصفوة القول: إنَّه لم يقم لليهود وجود سياسي في فلسطين إلا على ما يقرب من نصف مساحتها في فترات متقطعة إلى أن شُرّدوا منها، ولم يكونوا وحدهم فيها البتة.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
حصر الحق باليهود ظلم لبني إسرائيل غير اليهود

دخول كثير منهم في المسيحية:

دخل كثير من بني إسرائيل في دين عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ بعد بَعْثته، واتّبعوا دينه واهتدوا بهداه، ولا سيما بعد أن بثّ تلاميذه فيهم، وهو ـ عليه السلام ـ إنما أُرسل إلى خراف إسرائيل الضالّة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وهذه الطائفة من بني إسرائيل آمنت بعيسى ـ عليه السلام ـ لها مثل ما لغيرها من سائر بني إسرائيل، فلماذا يخصّون ادّعائهم باليهود؟.

اعتناق كثير من اليهود دين الإسلام:

كانت بعثة محمد ـ ﷺ ـ رحمةً للعالمين، فقد بُعث إلى الناس كافّة، ودينه عالمي، وقد بشَّرت به الأنبياء، وذُكرت صفاته في الأسفار المقدّسة، فكان أهل الكتاب ينتظرونه، ولما بُعث اعتنق كثير من اليهود دين الإسلام في زمانه وبعده قديماً وحديثاً، ولا سيما فرقة (القرّاؤون) فقد دخلوا دين الإسلام أفواجاً إلى أن لم يَبْقَ منهم إلا نَفَرٌ يسير، لأنهم كانوا أقرب إلى الاستعداد لقبول الإسلام، وذلك لسلامتهم من محاولات الفقهاء الربَّانيين أصحاب الافتراء الزائد والذين شدَّدوا على جماعتهم الإصر[١].

---

(١) انظر: بذل المجهود، ص١٩٨. والقراؤون: فرقة كانت تمثّل القلّة بين اليهود، فلما تدهور شأن الفريسيين ورثوا نفوذهم، وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم، وينكرون التلمود [اليهودية، لأحمد شلبي، ص٢٣١].
أما الفرّيسيون فهم الذين يُسمُّون أنفسهم بالربانيين أو الأحبار، ويكرهون تسميتهم بالفرّيسيين، لأن معناها المنعزلون أو المنشقّون، وهم يرون أنّ التوراة ليست كل الكتاب المقدَّس، بل هناك الروايات الشفوية التي تناقلها الحاخامات جيلاً بعد جيل =

http://kotob.has.it

قال تعالى عن أهل الكتاب بعامة، وعن اليهود بخاصة: ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[آل عمران: ١١٣]

وقال تعالى: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

واليهود يزرعون في قلوب صغارهم بغض الأمم، ويُشربونهم منذ نعومة أظفارهم نظريات عِرْقية دينية، تجعلهم يتعالَون على سائر البشر كما سلف، فينشؤوا عليها، ثم يَشُبُّوا على ذلك ويشيبوا. ومع هذا كلِّه دخل ويدخل عدد كبير من خواصهم في الإسلام، ففي زمن النبي ـ ﷺ ـ بادر عالم اليهود وحَبْرهم عبد الله ابن سلام فأسلم وحَسُن إسلامه ـ رضي الله عنه ـ ثم أسلم غيره، ومنهم صفيّة بنت حُيَيّ رضي الله عنها.

وممن أسلم بعد ذلك من أحبار اليهود الحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي المتوفّى عام (٥٧٠هـ)، وكان من أعاظم الأحبار قبل إسلامه، وهو أيضاً طبيب أتقن كثيراً من العلوم والفنون وتبحَّر فيها كالرياضيات، والتاريخ وغير ذلك، وصنَّف فيها مصنّفات. قَدِم إلى بلاد المشرق مع أبيه الذي كان ينشد المال كشأن سائر اليهود، أما هو فكان يحب العلم ويطلبه بشغف ومثابرة، سكن في بغداد مدّة، ثم انتقل إلى أذربيجان وأقام في مراغة، ولم يزل بها إلى أن مات، ويدلُّ كتابه (بذل المجهود في إفحام اليهود) على واسع علمه وكثرة خبرته، فقد استطاع بما وصل إليه من علم بالتوراة وسعة الاطِّلاع على الكتب متوناً وشروحاً أن يفحم علماء عصره من اليهود، ولا يزال هذا الإفحام قائماً[(١)].

وكذلك الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي الذي ألَّف رسالة ردَّ فيها على سبعة اعتراضات اعترض عليه بها قومه عندما أسلم، سمَّاها: السبيعية الحاوية للضوابط الإرشادية، أو الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية[(٢)].

وفي عهد السلطان بيازيد خان اعتنق حَبْر من أحبار اليهود الإسلام،

= وما أضافوا إليها من شروح، ثم دُوِّنت وسُمِّيت فيما بعد التلمود. [منه، ص٢٢٦ـ٢٢٧].

(١) معجم المؤلّفين: ٤/ ٣٨١؛ الأعلام، للزركلي: ٣/ ٢٠٥، وقد طبعت دار القلم بدمشق هذا الكتاب.

(٢) وقد طبعت هذه الرسالة عدة مرات، وممن طبعها دار القلم.

http://kotob.has.it

وتسمَّى بعبد السلام، ألَّف رسالة سمّاها الهادية، ذكر فيها كثيراً من بشارات التوراة بالنبي الأمي[1].

وفي القرن السابع الهجري أسلم سعيد بن الحسن الإسكندراني أحد علماء اليهود، كان عالماً باللسانين العبري والسِّرياني، نشأ بالإسكندرية ثم انتقل إلى الشام، صنَّف كتاباً سمّاه: مسالك النظر في نبوَّة سيد البشر، تحدّث فيه عن بشارات التوراة وسائر الأسفار بنبوّة سيد المرسلين، استخرجها من اللغتين العبرية والسريانية، وترجمها إلى العربية، وتكلَّم فيها أيضاً عن تحريف التوراة والإنجيل وغير ذلك[2].

قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقد كان لما صنَّفه هؤلاء وأمثالهم أبلغ الأثر في كشف التحريف وإفحام اليهود.

دخول أكثر سكان القدس في الإسلام بعد الفتح:

بعد معاهدة الصلح التي تمَّت بين نصارى القدس، وعلى رأسهم البطريرك صفرنيوس، وبين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأمَّنهم فيها على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وكنائسهم وصلبانهم وأموالهم، اعتنق كثير منهم الإسلام بعد ذلك أفواجاً لما لمسوه من صدق المسلمين وعدلهم وطيب معاملتهم ظاهراً وباطناً، حتى غدا أكثر سكان القدس وسائر مدن فلسطين من المسلمين. ولا ريب أنه كان فيهم كثير من ذرية بني إسرائيل الذين كانوا قد دخلوا في دين المسيح ـ عليه السلام ـ ولم يخرجوا من القدس، ثم اعتنقوا الإسلام بعد الفتح واختاروه.

وصفوة القول: إنَّ الكثيرين من بني إسرائيل أصبحوا تابعين لدين النبيَّيْن عيسى ومحمد ـ صلى الله عليهما وسلَّم ـ ولم يَبْقَ منهم على يهوديته إلا القليل

---

(١) إظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندي، طبعة قطر، ص٥٢٨.

(٢) انظر: مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، للدكتور محمد عبد الله السحيم: ١/ ١٤٣ ـ ١٥٣.

http://kotob.has.it

الذين خرجوا أو أُخرجوا بعد هدم الهيكل، ثم مَنَعهم النصارى من دخول القدس، واشترطوا على المسلمين في المعاهدة ألاّ يدخل اليهود إلى القدس. فهؤلاء الذين تركوا اليهودية ودخلوا في أحد الدينين لهم مثل ما لغيرهم من بني إسرائيل إن كان ثَمَّة حَقٌّ خاص بهم.

* * *

http://kotob.has.it

[٣]

الوعد ببقاء الأرض منوط بالاستقامة

فضَّل الله سبحانه مؤمني بني إسرائيل وصالحيهم على عالمي زمانهم، وجعل ذلك التفضيل منوطاً بالصلاح والتقوى كما سَلَف، ووعدهم بالأرض المقدسة المباركة، وجعل ديمومة ذلك الوعد منوطة بالاستقامة أيضاً.

جاء في سفر التكوين ١٧/ ١ ـ ٢: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الربُّ له وقال: أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثرك كثيراً جداً.

١٧/ ٧ ـ ٨: وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك، عهداً أبدياً، لأكون إلـٰهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً، وأكون إلـٰههم.

إذاً، فالوعد بالأرض منوط بالإيمان بالله تعالى وحده والاستقامة على ذلك الإيمان. وقد أنجز الله سبحانه وعده لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ وَوَفَّوا بالشرط كلُّهم، ثم رحل يعقوب ـ عليه السلام ـ مع أولاده إلى مصر بسبب القحط، ومكثوا فيها زمناً كما سلف، ثم خرج بهم موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ليعودوا إلى تلك الأرض، لكنهم لم يكونوا أهلاً للوفاء بالشرط وتنفيذ الوعد في ذلك الوقت، فعاقبهم بالتيه في الصحراء أربعين سنة دون أن يدخلوها، فلما انقرض ذلك الجيل المشاكس، وظهر جيل صالح، تَمَّ تنفيذ الوعد، فعبر بهم يشوع بن نون نهر الأردن، وفتحوا الأرض وسكنوها.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [1] [الأعراف: ١٣٧].

---

(١) التدمير: الإهلاك. والعرش: رفع المباني، والسقائف: النبات والشجر المتسلق. [مختار الصحاح]. =

http://kotob.has.it

أي: وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر مشارق الأرض التي باركنا فيها بالخيرات وكثرة الثمرات ومغاربها، أي: من جميع جهاتها ونواحيها، تحقيقاً لوعدنا، وبذلك تمَّت كلمتنا الحسنى عليهم بالتمكين لهم في الأرض ونصرهم على عدوّهم.

وتمام الشيء: وصوله إلى آخر حدّه. وكلمة الله: وَعْده سبحانه لبني إسرائيل بإهلاك عدوّهم واستخلافهم، وهو الذي جاء في الآية التالية:

قال سبحانه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥ ـ ٦].

أي: ونريد أن نتفضَّل وننعم على المستضعفين في الأرض، فننجيهم من بأس فرعون وطغيانه، ونجعلهم أئمة يُقتَدى بهم في الخير، ونمكِّن لهم في الأرض التي قضينا أن تكون لهم. غير أن التهديد بسلبها منهم إن فسدوا وأخلّوا بالشرط لا زال قائماً[١].

جاء في سفر الأحبار ١٨/ ٢٤ ـ ٢٨: بكل هذه لا تتنجسوا، لأنَّه بكل هذه قد تنجّس الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم، فتنجست الأرض ـ **لكن تحفظون أنتم فرائضي وأحكامي، ولا تعملون شيئاً من هذه الرجاسات ـ فلا تقذفنكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب التي قبلكم.**

وجاء في سفر التثنية ٤/ ٢٥ ـ ٢٧: إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد، وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتاً، صورة شيء ما، **وفعلتم الشر في عيني الرب إلـٰهكم لإغاظته، أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها، لا تطيلون الأيام** عليها، بل تهلكون لا محالة، ويبدّدكم الرب في الشعوب، فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها.

٦/ ١٠ ـ ١٥: ومتى أتى بك الرب إلـٰهك إلى الأرض التي حلف لآبائك

---

(١) تفسير المنار: ٩/ ٩٧ ـ ١٠١.

http://kotob.has.it

إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك، إلى مدن عظيمة لم تبنها ـ ـ فاحترز لئلا تَنْسَى الرب الذي أخرجك من أرض مصر. الربَّ إلـٰهك تتقي، وإياه تعبد، وباسمه تحلف. لا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم، لأنَّ الربَّ إلـٰهكم إلـٰه غيور ـ ـ **فيبددكم عن وجه الأرض.**

٨/ ٦ ـ ٧: **واحفظ وصايا الرب إلـٰهك** لتسلك في طرقه وتتقيه، لأن الربّ آتٍ بك إلى أرض جيدة، أرض أنهار من عيون وغمار، تنبع في البقاع والجبال.

٨/ ١٠ ـ ١١: فمتى أكلتَ وشبعتَ تباركُ الرب إلـٰهك، لأجل الأرض الجيدة التي أعطاك. احترز من أن تنسى الرب إلـٰهك ولا تحفظ وصاياه وأحكامه وفرائضه التي أوصيك بها اليوم.

١١/ ٨ ـ ٩: فاحفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم؛ لكي تتشددوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها، ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم، أرض تفيض لبناً وعسلاً.

١٦/ ٢٠: العدل العدل تتبع، لكي تحيا وتمتلك الأرض التي يعطيك الرب إلـٰهك.

وجاء في سفر يشوع ٢٣/ ٩: قد طرد الرب من أمامكم شعوباً عظيمة وقوية.

٢٣/ ١١ ـ ١٣: فاحتفظوا جداً لأنفسكم أن تحبُّوا الرب إلـٰهكم، **ولكن إذا رجعتم ولصَقتم ببقية هؤلاء الشعوب الباقين معكم**، وصاهرتموهم ودخلتم إليهم، وهم إليكم، **فاعلموا يقيناً أنَّ الربَّ إلـٰهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم، فيكونون لكم فخاً وشرَكاً وسوطاً على جوانبكم وشوكاً في أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلـٰهكم.**

وفي ٢٤/ ١٣ ـ ١٤: وأعطيتكم أرضاً لم تتعبوا عليها ومدناً لم تبنوها وتسكنون بها، ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون. فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عِبر النهر وفي مصر، واعبدوا الرب.

http://kotob.has.it

٢٤/ ٢٠ ـ ٢٣: **وإذا تركتم الربَّ وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسيء إليكم ويفنيكم بعد أن أحسن إليكم.** فقال الشعب ليشوع: لا، بل الرب نعبد. فقال: أنتم شهود على أنفسكم. فقالوا: نحن شهود.

٢٤/ ٢٥: وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم، وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم.

وجاء في سفر الملوك الأول ٩/ ٦ ـ ٩: **إن كنتم تنقلبون أنتم وأبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي** التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، **فإنِّي أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدّسته لاسمي أنفيه من أمامي**، ويكون إسرائيل مَثَلاً وهُزْأة في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمرُّ عليه يتعجّب ويقول: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون: **من أجل أنهم تركوا الربَّ إلـٰههم، وتمسّكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر.**

ذلك هو الوعد، وذاك هو الشرط، وهذا هو التهديد، لكنهم لفرط جهلهم وقساوة قلوبهم ركنوا إلى الوعد وتمسّكوا به، وتناسوا الشرط والتهديد، فزعموا أن إلـٰههم (يَهْوه) منحاز إليهم انحيازاً مطلقاً ضدّ غيرهم من الشعوب، وقد منحهم هذا الوعد الأبدي وجعله منسحباً إلى يوم القيامة، فحرَّفوا النصوص عندما جمعوا أسفارهم من جديد، لتبقى مرتبطة باليهود ارتباطاً أبدياً، سواء استقاموا أو لم يستقيموا، وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون، فحلَّ بهم الوعيد، وحاق بهم العذاب الذي حذّرهم الله منه، والتاريخ وأسفارهم المقدّسة شاهدان على ذلك شهادة لا لبس فيها.

جاء في سفر إشعياء ٤٨/ ١٨ ـ ١٩: ليتك أصغيتَ لوصاياي، فكان كنهرٍ سلامُك، وبِرُّكَ كلُجج البحر، وكان كالرمل نَسْلُك، وذريةُ أحشائك كأحشائه، لا يباد ولا ينقطع اسمه من أمامي.

وصفوة القول: إنَّ الله سبحانه أنجز وعده لإبراهيم ـ عليه السلام ـ، فأسكنه في الأرض المقدّسة والمباركة التي جعلها له ولنسله من بعده عهداً أبدياً، فكان

http://kotob.has.it

فيها بادئ الأمر آل إسحاق ـ عليه السلام ـ ومنهم يعقوب ـ عليه السلام ـ وأولاده، وبعد هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر بسبب القحط، وبعد مكوثهم فيها فترة عانوا فيها من ظلم فرعون، أخرجهم الله منها بقيادة موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ، وعندما وصلوا إلى مشارف الأرض قال لهم موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١] فأبَوا، فحرَّمها الله على ذلك الجيل وعاقبهم بالتيه أربعين سنة، ثم دخلوها بقيادة يوشع بن نون فتى موسى ـ عليه السلام ـ وقد بين لهم على لسان ذينك النبيين أن بقاءهم فيها مرهون بصلاحهم وتقواهم، لكنهم طغوا وبغوا وعصوا وارتدوا وتمزقوا وقامت بينهم حروب، فسلّط الله عليهم أعداءهم ونزعها منهم قال تعالى في القرآن الكريم واصفاً أحوالهم: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ [المائدة: ١٢ ـ ١٣].

ثم نزع ملكوته منهم نهائياً، وأعطاه لأمة أخرى من ذريَّة إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وجعله يثمر في أيديهم بما أنزله على من ختم به بناء النبيين «الحجر الذي أخره البناؤون». كما جاء في سفر التثنية ٣٢/ ١٩ ـ ٢٣: «فرأى الرب ورَذَل من الغيظ بنيه وبناته وقال: أحجُبُ وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل متقلِّب، أولاد لا أمانة فيهم، هم أغاروني بما ليس إلـهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم، إنه قد اشتعلت نار بغضبي، فتتقد إلى الهاوية السفلى، وتأكل الأرض وغلّتها، وتحرق أسس الجبال، أجمع عليهم شروراً، وأُنفذ سهامي فيهم». وكان بنو إسرائيل يحتقرون العرب، لأنهم أمة أمية، ويبغضونهم ظلماً وعلوّاً، فأغاظ الله سبحانه بني إسرائيل بهم، بأن أعطاهم ملكوته، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس مشترطاً عليهم ملازمة الصلاح والتقوى مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا

http://kotob.has.it

ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

فليتأمل المعتبر في وَعْد الله سبحانه لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يجعل هذه الأرض للمتقين الصالحين من ذريّته، فهو ليس حكراً على بني إسرائيل، بل هو متصل بالأتقياء من ذريّته كما قال سبحانه: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقد أنجز الله وعده له ولذرّيته المتقين، وقد اتصل ذلك بمحمد ـ ﷺ ـ وأمته، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فليس لنسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ جميعاً أن يتمكنوا في الأرض إلا إذا سلكوا سبيل أبيهم في الصلاح والتقوى، إذ ليس الوعد مرتبطاً بنسل ارتباطاً أبدياً مطلقاً، وإنما هو مرتبط بأهل الصلاح . .

ومن الجدير بالذكر أنَّ النَّصارى يعتقدون أن اليهود تَخلَّوا عن وعد الله لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بالأرض حين رفضوا الإيمان بالسيد المسيح ـ عليه السلام ـ وبذلك أضحى الوعد من حق من آمن به، فهم ورثة إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالروح، وليس من حق بني إسرائيل ورثة إبراهيم بالجسد فقط.

قلت: لكن محمداً ـ ﷺ ـ وأمته ورثة إبراهيم بالروح والجسد معاً، فهم أحقّ بالوعد والأرض وهم آل إبراهيم، وكذلك من آمن به.

وقد ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم نقضهم الميثاق وبيّن حالهم بأسلوب وجيز فقال: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠ ـ ٧١].

وصفوة القول: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ خرج من وطنه الأصلي بمدينة أور الكلدانيين (جنوب العراق قرب مدينة البصرة) ليستقر في أرض الكنعانيين،

http://kotob.has.it

وقد بدأ حياته في أرض فلسطين متنقلاً بخيمته بين التلال الواقعة بين شكيم وبيت إيل وحبرون.

لم يمتلك أية قطعة من الأرض حتى ماتت سارة زوجته، فاشترى بعد مفاوضة قبراً لها في مغارة المكفيلة وتملكها، وهذا يعني أنه عندما أخذ الوعد بالأرض لم يفهمه على أنه تصريح من الله باغتصاب الأرض من مالكها وجعلها حقاً له.

وجاء إسحاق بعد إبعاد إسماعيل ـ عليهما السلام ـ ليرث هذه الأرض عن أبيه، ثم جاء يعقوب ـ عليه السلام ـ ليرث إسحاق ـ عليه السلام ـ لكنه ترك الأرض مع أولاده وذهبوا إلى مصر ليعيشوا مع يوسف ـ عليه السلام ـ فقد أصبح في مرتبة الرجل الثاني هناك.

مكث بنو إسرائيل (يعقوب) في مصر أربعمئة سنة، حيث رأوا من الإكرام ما رأوا، ثم عانوا من الظلم ما عانوا إلى أن عادوا مع موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ وبسبب تعنتهم وقساوة قلوبهم حرموا من دخول الأرض المقدسة مدة أربعين سنة، ثم دخلها الجيل الذي بعدهم بقيادة يشوع فتى موسى ـ عليهما السلام.

وإذا كانت الأرض هبة من الله، فإنها مشروطة بطاعته طاعة كاملة، والنتيجة الحتمية أنهم في حالة العصيان والإخلال بالشروط ينفون من الأرض، وهذا ما حدث.

* * *

http://kotob.has.it

[٤]

مصادر تاريخ القدس تقر بعروبتها وإسلامها

لا يكاد ينعقد اجتماع صهيوني صغير أو كبير حتى يذكر اليهود اسم أورشليم وسط الحماسة مرات ومرات، ويترنّمون بما في المزمور ١٣٧/ ٥ ـ ٦ : إن نَسِيتك يا أورشليم تَنْسى يميني، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على فرحي.

ولا يتركون قسماً غليظاً عن عزمهم على تطهيرها من المسلمين والنصارى، وهذه هي حقيقتهم، غير أنهم يتظاهرون أمام الرأي العام بالحفاظ على المدينة المقدَّسة لجميع الملل والنحل متهربين من نقمة من خُدعوا بالعلمانية أو نادوا باللاعنصرية، وهم يستجدون رضا النصارى في أوروبة وأمريكة وغيرهما، ويعطونهم انطباعات بأنهم أصحاب الحق الشرعي والتاريخي الأول في هذه الأرض، وأنهم لا يتكلمون من مركز القوة فحسب، بل من سجلاّت التاريخ أيضاً.

أسماء مدينة القدس تثبت عروبتها:

يدَّعي بعد أحبار اليهود أنَّ سام بن نوح ـ عليه السلام ـ سمّاها (شلم) أي: السلام، وأنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ سمّاها: (يرأة) أي: الخوف، فقرّر الرب أن يسميها بالاسمين معاً: (يرأة شلم) أي: أورشليم، بمعنى الخوف والسلام، وبَنَوا على ذلك عقائد حول السلام المتولِّد من الرعب.

ويقول بعض آخر: إنَّ سام بن نوح ـ عليه السلام ـ هو أول من بناها، وكان ملكاً عليها، وكان يُلَقَّب ملكيصادق، وسمَّاها: (يروشلم) بمعنى: بيت السلام.

وهذان الادّعاءان لا دليل عليهما، كما أن ملكيصادق ليس هو سام بن نوح بنص توراتهم. ثم إن لمدينة القدس أسماء كثيرة في كتب المؤرّخين والجغرافيين، أهمها ما يلي:

http://kotob.has.it

١ ـ يوروسالم:

أقام الكنعانيون ـ وهم من العرب الأوائل الذين سكنوا تلك البلاد ـ جسراً بين مدن الحضارات على الفرات والنيل سنة (٤٠٠٠ق.م) تقريباً، فأسّسوا حضارة ضخمة، وأنشؤوا مدينة أسموها يوروسالم أو يوروساليم. بالسين المهملة تارة وبالشين المعجمة تارة أخرى، وهو أمر مألوف في اللغات السامية.

ويرجّح الباحثون والمحقِّقون أنَّ هذا الاسم مركَّب من كلمتين هما: (يورو) ومعناها: مؤسسة أو منشأة أو مدينة، و(ساليم): اسم إلـه الكنعانيين، وهو إلـه السلام أو السلامة الذي كانوا يعبدونه، فيكون معنى الكلمتين منشأة الإلـه سالم أو مدينة الإلـه سالم.

وذكر بعض المحقِّقين أنّ تفسير هذا الاسم بمدينة السلام غير دقيق من حيث الاشتقاق والتاريخ.

وتذكر معاجم الكتاب المقدَّس أنّ أقدم اسم ورد لهذه المدينة في نصوص الطهارة المصرية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد هو يورساليم. وكانت يومذاك مركزاً لعبادة الكنعانيين.

وأقدم النقوش التي ورد ذكر هذه المدينة فيها موجودة في المتحف المصري بالقاهرة في مجموعات اللوحات المكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية، تتخلّلها شروح باللغة الكنعانية، لغة فلسطين القديمة، وهذه النقوش تُسمَّى تل العمارنة، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد عثر عليها في أوائل القرن العشرين في هذه المنطقة من محافظة أسيوط، وهي وثائق ترجع إلى عهد الفرعون أمنوفيس الثالث وابنه أخناتون اللذين حكما ما بين عامي (١٤١١ ـ ١٣٥٠ق.م)، وقد ورد ذكرها باسم يوروسالم أو أورسالم.

فالاسم كنعاني قديم، والمدينة كنعانية قديمة، وبدء الاسم بالياء مطابق للفظ الكنعاني، وبدؤه بالهمزة مطابق للنطق الآشوري والعربي. فهي تسمية كنعانية وآرامية.

وظلَّ هذا الاسم شائعاً إلى يومنا هذا مع شيء من التغيير علاوة على الأسماء الأخرى، بل كان هو الأشيع منذ أن فتح داود المدينة إلى منتصف القرن

http://kotob.has.it

الثاني الميلادي، فقد ورد اسمها في النقوش الآشورية (أورسليمو) بالسين حيناً وبالشين حيناً آخر، ومنها نقوش الإمبراطور الآشوري سنحاريب (٧٠٠ق.م) تقريباً، وقد ورد بالسين المهملة.

وفي النقوش اليونانية من عهد الإسكندر الأكبر المكدوني (٣٣٠ق.م) تقريباً، ورد بلفظ (هيروسوليما) أو (سوليما) مختصراً.

وأقدم اسم لها في العهد القديم هو (شاليم)، والراجح أنّه اختصار للاسم الكامل يوروشاليم.

جاء في سفر التكوين ١٤/ ١٨ ـ ١٩: وملكيصادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً، وكان كاهناً لله العلي، وباركه وقال: مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض.

وفي التوراة السامرية: والملك العادل ملك ساليم أخرج طعاماً وخمراً ــ.

ومن يوروسالم جاء الاسم الغربي المستعمل في اليونانية واللاتينية وغيرهما (جيروسليم)، ومنه جاء تسمية أورشليم الواردة في العهد القديم أيضاً، فقد تطوَّرت تلك التسمية الكنعانية والآرامية في اللغة العبرية إلى أورشليم.

وقد ورد ذكرها بهذا اللفظ لأول مرة في سفر يشوع ١٠/ ١ ـ ٥: فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي ــ خاف، فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم إلى ــ فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة: ملك أورشليم ــ.

وفي سفر القضاة ١/ ٨: وحارب بنو يهوذا أورشليم، وأخذوها وضربوها بحدِّ السيف، وأشعلوا المدينة بالنار.

وفي سفر صموئيل الثاني٥/ ٤ ـ ٥: كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، ملك أربعين سنة، في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على الجميع.

ومن الكتاب المقدّس انتشر اسمها إلى جميع لغات العالم تقريباً، لكن النطق العبري هو يروشالايم، والظاهر أنهم حرَّفوه وغيَّروه ليتوهم الناس أن المدينة عبرانية الأصل. وقد وجدوا صعوبة في نطقها وكتابتها، فكتبوها بدون الياء الواقعة قبل الميم (٦٥٦) مرة، وست مرات بالياء.

http://kotob.has.it

٢ ـ يبوس أو مدينة اليبوسيين :

كان اليبوسيّون ـ وهم بطن من بطون كنعان ـ يعيشون في تلك المنطقة ويسكنون المدينة، ويسميهم العهد القديم بالإسماعيليين كما في سفر التكوين ٢٧/ ٢٥ و٢٨، فاشتق اسمها يبوس من اسمهم، وظلوا مسيطرين على المدينة، وبقي اسمها يبوس إلى أن فتحها داود ـ عليه السلام ـ في السنة الثانية من حكمه، ثم أبعدهم عنها شيئاً فشيئاً.

جاء في سفر يشوع ١٥/ ٦٣: وأما اليبوسيون الساكنين في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم.

وجاء في سفر القضاة ١٩/ ١٠ ـ ١٢: فلم يرد الرجل أن يبيت، بل قام وذهب وجاء إلى مقابل يبوس، هي أورشليم، ومعه حماران مشدودان، وفيما هم عند يبوس والنهار انحدر قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا.

٣ ـ القدس :

ذكر المؤرِّخ اليوناني هيرودوت (٤٨٤ ـ ٤٢٥ق. م) مرَّتين في الجزء الثاني والثالث من تاريخه مدينة كبيرة في الجزء الفلسطيني من بلاد الشام، سماها (قدتيس). وقال المستشرق اليهودي الفرنسي (سالومون مونك) في كتابه فلسطين: هذا الاسم هو على الأرجح اسم القدس محرفاً عن النطق الآرامي (قديشتا).

جاء في سفر إشعياء ٢٧/ ١٣: ويكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم، فيأتي التائهون ـ ـ ويسجدون للرب في الجبل المقدَّس في أورشليم.

وفي المزمور ٤٨/ ١: عظيم هو الرب، وحميد جداً في مدينة إلـهنا جبل قدسه.

٤ ـ إيلياء :

وهو أول اسم لها بعد عهد بني إسرائيل، واشتقاقه من اسم الإمبراطور

http://kotob.has.it

الروماني أدريانوس أو هدريانوس الذي هدمها للمرة الثانية عام (١٣٥م)، فأكمل ما بدأه تيطس عام (٧٠م)، فحاصر ما كان بقي من المدينة بعد أن تمرَّد اليهود، ثم دمَّر كل شيء في المدينة، وأتى إلى مكان البيت، فأقام عليه معبداً لجوبيتر كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً كالتمثال القائم في معبد الكابيتول، وقرّر تغيير كل شيء حتى اسمها، فسمّاها إيليا كابتوليا، أي: إيليا العظمى، وهذا مكوَّن من اسمه واسم المعبد.

ظلَّ هذا الاسم سائداً نحو مئتي سنة إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين، وهو أول من تنصَّر، فأعاد إليها اسم أورشليم، لكن ظل اسم إيلياء شائعاً ومستعملاً، حتى كُتب في العهدة العمرية المعروفة. ثم أطلق عليها المسلمون اسم القدس أو بيت المقدس، وظل هذا الاسم علماً عليها إلى يومنا هذا. وكان كعب الأحبار يكره اسم إيلياء، فسماها أورشليم وهو يتحدث إلى عمر رضي الله عنه[1].

* * *

(١) ومن أسمائها: مدينة داود، جاء في سفر صموئيل الثاني ٥/٦ ـ ٩: وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض ـ ـ وأخذ داود حصن صهيون هي مدينة داود، وقال في ذلك اليوم: إن الذي يضرب اليبوسيين ـ ـ وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود.

وفي سفر أخبار الأيام الأول ١١/ ٤ ـ ٧: وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم أي: يبوس، وهنالك اليبُوسيُّون سكان الأرض. وقال سكان يبوس لداود: لا تدخل إلى هنا، فأخذ داود حصن صهيون، هي مدينة داود، وقال: إن الذي يضرب اليبوسيين أولاً يكون رأساً وقائداً ـ ـ وأقام داود في الحصن، لذلك دعوه مدينة داود.

وانظر: كتاب القدس مدينة الله أم مدينة داود، لحسن ظاظا، وكتاب مدينة القدس عروبتها ومكانتها في الإسلام، للدكتور إسحاق موسى الحسيني، وكتاب قبل الكارثة، وهو ينقل عن كتاب أهمية القدس في الإسلام، لعبد الحميد السايح وعن موسوعة اليهود واليهودية لعبد الوهاب المسيري.

http://kotob.has.it

[٥]

المؤتمر الدولي حول مصادر تاريخ القدس بجامعة القاهرة

نشرت مجلة المجتمع، العدد (١٣٠٠) خلاصة ما توصَّل إليه المؤتمر الدولي الرابع بجامعة القاهرة حول مصادر تاريخ القدس. وإليك خلاصة ما قام به كل باحث:

خلص المؤتمر الدولي الرابع حول مصادر تاريخ القدس بجامعة القاهرة إلى أنه قد تبين من خلال الأبحاث والدراسات العلمية في المصادر التاريخية القديمة والوسيطة والمعاصرة أن القدس عربية إسلامية من حيث التأسيس والتاريخ المستمر وأن الوجود اليهودي بفلسطين كلها كان طارئاً ولم يستمر.

وقد أجمع المؤتمرون على ضرورة إرسال بيان موقَّع عليه من جميع المؤرّخين العرب الذين شاركوا في المؤتمر متضمناً خلاصة ما توصل إليه المؤتمر ليصل إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان، والأمين العام لجامعة الدول العربية الدكتور عصمت عبد المجيد، حتى يستند في دفاعه عن عروبة وإسلامية القدس بالحقائق العلمية التاريخية الثابتة، وكذلك أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور عز الدين العراقي، وأمين عام منظمة عدم الانحياز، وأمين عام الاتحاد الأوروبي، حتى يدرك الرأي العام العالمي حقيقة القدس التاريخية.

فقد التقى في القاهرة مقرر المؤتمر ومدير مركز البحوث والدراسات التاريخية بجامعة القاهرة الدكتور عطية القوصي، الذي أكد في البداية أن هذا المؤتمر صرخة ترسلها في وجه الصهاينة وأحلافهم حتى يدركوا أنَّ القدس عربية إسلامية إلى الأبد، وأوضح أن رئيس الجامعة الدكتور فاروق إسماعيل قد أجاب عن سؤال مهم في كلمته الافتتاحية للمؤتمر وهو أهمية مناسبة عقد هذا المؤتمر، حيث أكد أن الأمة العربية والإسلامية أحوج اليوم من أي وقت مضى إلى التسلح بالعلم الحقيقي البعيد عن الشعارات الجوفاء التي لا تستند إلى علم أو منطق أو سند من التاريخ، كما هو حال المزاعم الصهيونية حول القدس.

http://kotob.has.it

وأضاف بأن رئيس المؤتمر ورئيس قسم التاريخ الدكتور حامد زيدان الذي أكَّد أن المؤتمر جاء في التوقيت المناسب يدحض محاولات الصهاينة للسيطرة على القدس، ويكذب احتفالاتهم الأخيرة بمرور ثلاثة آلاف عام على ذلك موضحاً أنهم برعوا في تزييف كل شيء، حتى الحقائق التاريخية لم تسلم من تزييفهم.

● قال الدكتور القوصي: إنَّ المؤتمر ناقش أربعين بحثاً من بين مئة بحث تقدّم بها مؤرِّخون من الجامعات المصرية والعربية حول المصادر التاريخية لمدينة القدس في التاريخ القديم قبل الميلاد، وفي العصور الوسيطة والإسلامية والقرون الوسطى. وحول مصادر تأسيس المدينة المقدّسة وحتى طرد الرومان اليهود منها عام (١٣٥ق.م)، استعرض الدكتور سيد الناصري ـ أستاذ التاريخ القديم ـ ورقته التي عالج فيها أهم المصادر الأثرية والأدبية لتاريخ تأسيس المدينة المقدسة منذ أسسها العرب اليبوسيون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد في ضوء الوثائق الآرامية التي عثر عليها في ظلال مدينة أخناتون (تل العمارنة) ومدى ارتباط مدينة أورشليم اليبوسية بمصر.

● **(أورشليم) اسم عربي أصيل**: حول تطور اسمها توضح الدكتورة فايزة صقر ـ أستاذة التاريخ بجامعة القاهرة ـ أن مدينة القدس ورد ذكرها في أقدم النقوش المصرية في عهد (سنوسرت الثالث في القرن التاسع عشر قبل الميلاد (١٨٤٣ ـ ١٨١٨ق.م) من الأسرة الثانية عشرة، حيث ذكرت المدينة المقدسة تحت اسم (أورساليموم)، حيث إنها تتكون من مقطعين وهما: (أور) بمعنى: المدينة المقدسة، و(سالم) أو (ساليموم) هو اسم الإله الذي كان يعبده الكنعانيون واليبوسيون، وحين يطلق اليهود عليها اليوم اسم (أورشاليم) فإنها ليست عبرية على الإطلاق، وهذا اسم عربي أصيل وليس عبرياً.

● يقول الدكتور عبدالحميد زايد ـ أستاذ التاريخ القديم بجامعة الزقازيق ـ: إنه عثر على أوانٍ من الفخار ودُمًى كُتب عليها كتابات هيرطيقية وسجل عليها نصوص وأسماء أشخاص ومدن في (نصوص اللعنة) التي كان يلعن فيها الشخص الذي يعمل شرّاً. . ووجد اسم مدينة (أورشاميم) من بينها وهي مدينة القدس.

أسماء عربية أصيلة: ويقول الدكتور عطية القوصي: أكد جميع الباحثين والمؤرّخين أنَّ كل الوثائق القديمة أجمعت على أنَّ القدس مدينة عربية الأصل

http://kotob.has.it

والمنشأ، وكان آخر هذه الأبحاث لأستاذ التاريخ القديم بجامعة دمشق الدكتور محمود عبد الحميد أحمد، أشار فيه إلى أن تسميات المدن والمناطق الشامية القديمة مصادر أساسية تؤكّد عروبة القدس منذ العصر الحجري الوسيط، حيث أسماء المناطق الجغرافية مثل (النقب، والأردن، وحرمون، وحوران، والليطاني، وبيروت، ويافا، وصيدا، وصور، وأوغاريت، ومجدو، والقدس، ورام الله، والرملة) وهذه توضح أن العرب موجودون في المنطقة منذ آلاف السنين وهم الذين بنوا هذه المدن وأطلقوا عليها هذه التسميات العربية الفصيحة الصريحة، وأن وجودهم سابق.

ويستطرد الدكتور القوصي قائلاً: إن اليوم الثاني من أيام المؤتمر تناول القدس في ظل الحكم الإسلامي وعصر الحروب الصليبية، مشيراً إلى أن العرب المسلمين فتحوا القدس عام (١٥هـ) في عهد عمر بن الخطاب الخليفة الثاني، حين أرسل عمرو بن العاص الذي فتح فلسطين للخليفة عمر بن الخطاب لتسلم مفاتيح بيت المقدس ووقع ما عرف بـ(العهدة العمرية) التي أعطى الأمان فيها لكل سكان القدس، وكان اليهود ممنوعين من دخول هذه المدينة المقدسة بناءً على طلب كبير الأساقفة والذي كان معمولاً به منذ عهد الإمبراطور تيطس في العهد الروماني قبل ميلاد المسيح، وحتى فتحها عمر بن الخطاب، أي ما يزيد على ثمانية قرون.

● أوضح أستاذ التاريخ والأنثربولوجيا بجامعة تونس الدكتور عبد الحميد الأرقش أن جميع المصادر التاريخية بما فيها التوراة التي نالها التحريف تقرّ بعروبة القدس، حيث أشارت التوراة إلى أن هذه مدينة العرب اليبوسيين.

وأوضح أنّ الشعوب العربية فقدت المبادرة لإنقاذ القدس، وانعكس ذلك على أشكال الوعي لدى الشعوب المسلمة، حتى بدا وكأن التاريخ ملجأ للضعفاء.

● واستعرض الدكتور عدنان الحارثي ـ أستاذ الحضارة والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى ـ بحثاً بعنوان: (موضوعات بيت المقدس في مصادر التاريخ المكي حتى نهاية العصر المملوكي) يبرز فيه موقع هذه المدينة المقدسة في المصادر التاريخية التي تعنى بالتاريخ المكي من خلال إيضاح مكانتها الدينية في هذه المصادر وعلاقة ذلك بالمكانة الدينية للمدينتين المقدستين: مكة المكرمة

http://kotob.has.it

والمدينة المنورة، وعلاقة مدينة القدس بتاريخ الحج، من حيث حملات الحج أو قيام الحجاج بزيارتها.

● تناول الدكتور ناصر بن علي ـ الأستاذ بجامعة أم القرى ـ زخارف قبة الصخرة كوثائق تاريخية لإثبات الهوية العربية الإسلامية في القدس سواء زخارف كتابية أو هندسية، أو زخارف نباتية على أعمال الفسيفساء والبرونز والرخام والبلاطات الزخرفية والخشب منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر العثماني بطرزها المختلفة.

● بينما تناول الدكتور أحمد رجب ـ أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة ـ قبة الصخرة في كتابات الرحالة والمؤرّخين حتى نهاية العصر العثماني.

● تناول الدكتور محمد رجائي ريا ـ الأستاذ بجامعة عمان بالأردن ـ القدس في رحلات عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كتابه (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية) عام (١١٠٥هـ) والمصورة على الشريط رقم (٥٩٧) في مركز المخطوطات بالجامعة الأردنية والتي يصف فيها سور القدس وأبوابها ومدارسها والمقدّسات الإسلامية والمسيحية الموجودة بها، في حين استعرض الدكتور سهيل زكار ـ أستاذ التاريخ بجامعة دمشق ونائب رئيس اتحاد المؤرّخين العرب ـ ورقة مفصّلة حول أهم كتاب ألّفه الفرنجة، حول الحروب الصليبية والذي تناول موقعة حطين وحصار القدس وتفاصيل الحملة الصليبية الثالثة، والذي توفي مؤلفه وليم الصوري عام (١١٨٥م).

● تناول الدكتور هشام عبد الراضي ـ الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ـ أهم المصادر الجغرافية والرحلات في القرنين الرابع والخامس الهجريين ودورها في إبراز أهمية القدس، وكان من أبرز المؤلّفات في هذا الموضوع (المسالك والممالك) لأبي القاسم عبيد الله بن خرداذبة (ت٣٠٠هـ)، و(المسالك والممالك)، لأبي إسحاق الاصطخري الكرخي (ت٣٥٠هـ)، و(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، للمقدسي البشاري (ت٣٨٧هـ)، و(صورة الأرض)، لابن حوقل النصيبي (٣٦٧هـ = ٩٧٦م)، و(مختصر كتاب البلدان)، لابن الفقيه الهمذاني (ت٣٤٠هـ) وغيرها من المؤلّفات.

http://kotob.has.it

● أفرد الدكتور علي منصور بحثاً كاملاً حول بيت المقدس في كتابات ابن بطوطة كمصدر أساسي لتاريخ بيت المقدس في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

● استعرض الدكتور إبراهيم زعرور ـ الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق ـ بحثاً مفصّلاً عن المصادر التاريخية لنيابة القدس العربية في عهد صلاح الدين الأيوبي وبعده، حيث استولى عليها الفرنجة واستردّها الصالح أيوب، ولم تعرف الاستقرار إلا في عصر المماليك.

● وقد التقينا الدكتور محمد حسن العيدروسي ـ الأستاذ بكلية الآداب جامعة الكويت ـ الذي قدَّم بحثاً مفصّلاً عن مصادر تاريخ القدس في العصر العثماني، أوضح فيها أنه توصل إلى أن الصهيونية استثمرت التوجيهات الاستعمارية في أوروبة لصالحها للتخطيط لفكرة قيام دولة يهودية، كما أنه في المقابل أرادت الدول الاستعمارية أن تستفيد من الأقلية اليهودية عندها بإيجاد وطن لهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة لتحقيق أهداف استثمارية استعمارية في المنطقة العربية، ولهذا فإن البحث يؤكد نتيجة مهمة هي أن قيام الكيان الصهيوني كان بدافع سياسي وليس لأسباب ومبررات دينية كما تدّعي المصادر اليهودية.

● **الأنس الجليل والقدس**: ستعرضت الدكتورة حياة ناصر حجي ـ أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الكويت ـ دراسة حول الأهمية المصدرية لكتاب: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، في بيان تاريخ القدس وحضارتها، تناولت فيه مزايا المؤرّخ القاضي مجير الدين الحنبلي وعلاقته الإقليمية والدينية بالقدس من خلال تحليل الكتاب من عدة نواحٍ، أهمها: أسباب كتابة هذا المؤلَّف التاريخي القيّم والقيمة العلمية للمؤرّخ والأهمية الإعلامية لما تناوله الكتاب من قضايا تتعلّق بالقدس وسكانها والأنشطة الثقافية والعلمية لها وما حولها من خلال دراسة مستفيضة في هذا الكتاب لكثير من المدارس والأربطة والزوايا، مع بيان الأهمية الوقفية في قيام هذه المؤسسات العلمية والمنشآت الاجتماعية، وكذلك أهمية الوزن الوثائقي الكبير لهذا المؤلف والذي احتوى على أعداد كبيرة من الوثائق الرسمية التاريخية، كما أنّ هذه الدراسة عكست

http://kotob.has.it

بوضوح كيفية تعامل العلماء المسلمين مع الحوادث التاريخية من خلال النظرة الموضوعية لأسبابها، والتحديد العقلاني لنتائجها سواء على مستوى العالم الإسلامي أو على نطاق العلاقات الخارجية مع العالم المعاصر آنذاك، وقد أوضحت أن هذا المؤلِّف كان معاصراً لصلاح الدين الأيوبي وبعد وفاته وأرخ لهذه الفترة باستفاضة.

● **مؤرخ قبطي يكذب ادّعاءات اليهود**: جدير بالذكر أن المؤتمر شهد بحثاً مستفيضاً من أحد المؤرّخين الأقباط المصريين الأستاذ بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة الدكتور شوقي الجمل تحت عنوان القدس في التوراة والإنجيل، استعرض فيه تاريخ القدس من واقع ما جاء بالتوراة من الهجرات العربية إليها وتأسيسها في عهد الأموريين والكنعانيين، ثم استعرض تاريخ القدس في ظل الحكم العربي الإسلامي، وتناول الخطر الصهيوني على الأراضي المقدّسة، مشيراً إلى أن اليهود حاولوا مراراً الحصول على وعد باستيطان أرض فلسطين، إلا أن الدولة العثمانية رفضت ذلك حتى ظهرت الحركة الصهيونية واتجهت أطماعهم منذ مؤتمر بازل عام (١٨٩٧م) إلى الاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها العرب. ويَدْحض مزاعم اليهود بأن فلسطين أرض الموعد، مشيراً إلى أن الوعد الذي أعطي لبني إسرائيل كان مشروطاً بحفظهم وصايا الله، إلا أن الواقع يؤكّد أنهم ليسوا أهلاً لهذا الوعد، واستشهد بالأسفار المختلفة؛ ففي سفر الملوك الثاني وردت قائمة بشرورهم، ورفض الله لهم، وفي سفر أرميا: «هكذا أكْسِر هذا الشعب وهذه المدينة (القدس) كما يُكْسر وعاء الفخار بحيث لا يمكن جبره بعد»، وبولس الرسول يذكر: «أنّ غضب الله حلّ عليهم»، وقال لهم السيد المسيح: «إن ملكوت الله نزع منكم ويعطى لأمة تعطي أثماره».

وهكذا فنّد هذا البحث مزاعم وافتراءات اليهود رغم اختلافنا مع بعض ما جاء فيه.

● استعرض الدكتور محمد عفيفي ـ الأستاذ المساعد بآداب القاهرة ـ المصادر القبطية لتاريخ القدس الحديث والمعاصر من خلال رصد مجموعة حجج الأوقاف القبطية المرصودة على القدس الشريف، ومخطوطات الزيارة

http://kotob.has.it

المقدّسة للقدس، ومنشورات المطرانية للكرسي الأورشليمي، وأوراق رابطة أبناء القدس.

● وقد شهد المؤتمر على مدى يومين جدلاً تزداد حدّته أو تخفّ كلما اقتربنا أو بعدنا عن الاستشهاد بنصوص التوراة والإنجيل. . العهد القديم أو العهد الجديد، إذ إن الغالبية كانت متفقة على أن العهد القديم قد تمّ تحريفه وذلك ثابت بنص القرآن، والاعتماد عليه كمصدر تاريخي غير صحيح، لأنه لا يحتوي على حقائق صحيحة، والكتاب يزيد على (٣٩) سفراً منها (٥) أسفار فقط لسيدنا موسى، وباقي الأسفار مكتوبة بأيدي الحاخامات على فترات زمنية متباعدة للغاية، وأغلبها مترجم عن اللغة اليونانية.

أيضاً العهد الجديد لا يمكن الاعتماد عليه، لأنه يوجد أكثر من مصدر، حيث ذكر الدكتور سهيل زكار ـ المؤرّخ السوري ـ أنه يوجد فقط (٤٪) من إنجيل متّى ربما ترقى إلى عصر المسيح، وعلينا أن نفرّق بين المصادر التاريخية والمراجع التاريخية، وهذه الكتب لا يمكن الاعتماد عليها كلية كمصادر تاريخية.

● هذا، ونشرت صحيفة البيان الإماراتية بتاريخ (٥/ ٣/ ٢٠٠٣م) بياناً أجرته مع عدد من المؤرّخين والأثريين، أكّدوا فيه عروبة القدس والحق التاريخي للعرب والمسلمين فيها، وقرّروا أنّ إسرائيل ليس لها آثار في الأرض المحتلة كما تزعم، وأن المصادر التاريخية والوثائق الأثرية القديمة تؤكّد أنّ هذه الآثار عربية إسلامية.

● قال الدكتور حسنين ربيع ـ أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة ـ: إنَّ القدس عربية، أنشأها الكنعانيون العرب منذ آلاف السنين، وقبل خروج بني إسرائيل من مصر قاصدين فلسطين في عهد الملك (ميرنتاح)، وقد استوطنها اليبوسيون العرب، وأشار إلى وجود أكثر من ألف وثيقة تبرهن على عروبة القدس، وتكشف ادّعاءات اليهود الباطلة في تزييف التاريخ وتشويه الحقائق، أهمها كشف أثري عن حفائر كل من مريدخ في سورية ومجموعة نصوص من القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أطلق عليها علماء المصرية القديمة اسم نصوص اللعنة، وترجع إلى أيام الملك سنوسرت الثالث، إضافة إلى ما ورد في سفر

http://kotob.has.it

التكوين عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وما ورد عن مدينة أورشليم في رسائل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إضافة إلى ما ورد في التوراة من إشارات إلى أن اليهود لم يكن لهم أدنى علاقة بنشأة القدس، وكانوا يرون أنفسهم غرباء عنها.

واستعرض الدكتور ربيع ما تعرَّضت له مدينة القدس بعد استيلاء الصليبيين عليها، وما فعلوه فيها من مذابح رهيبة، أجمع المؤرّخون على بشاعتها وكثرة ضحاياها، مما أدَّى إلى انتشار فكرة الجهاد الإسلامي للقضاء على الوجود الصليبي، ثم كان انتصار صلاح الدين الأيوبي ـ رحمه الله ـ في معركة حطين واسترداد القدس برحمة وحنان يشهد به الأوروبيون إلى اليوم.

● وذكر الدكتور رمضان عبده ـ أستاذ الآثار بجامعة القاهرة ـ أن الحفائر الغربية والصهيونية في الأرض المحتلة اتخذت اتجاهين: الأول حفائر في جميع أنحاء فلسطين والمناطق الأثرية بها، بدأت عام (١٨٩١م)، واستمرت حتى عام (١٩٥٢م) حيث جاءت اثنتان وأربعون بعثة أجنبية، انتشرت في أكثر من (٢٥) موقعاً. والاتجاه الثاني: كان حول مدينة القدس بحثاً عن آثار غير عربية، وقد باءت جميع جهودهم بالإخفاق الذريع، وفي الوقت الذي كانت فيه هذه البعثات تنقّب عن الآثار في أنحاء فلسطين كان آخرون يقومون بالحفائر حول المسجد الأقصى، ثم زادت هذه الحفائر بعد عام (١٩٤٨م) وتصاعدت عام (١٩٦٧م) طمعاً في إثبات آثار لهم، وهم يركزون في القسم الشمالي من الهضبة الشرقية، شمال ما يزعمون أنه حصن صهيون لبناء الهيكل، ويعرف بجبل المريا. وأضاف أنَّ علماء الدراسات الشرقية الأوروبيين قاموا بالبحث عن صحة ما ورد في التوراة من أسماء مدن فلسطينية للعثور على أي شيء يدل على دور اليهود في تاريخ فلسطين أو على أية آثار عبرانية، غير أن جهودهم انتهت بالإخفاق.

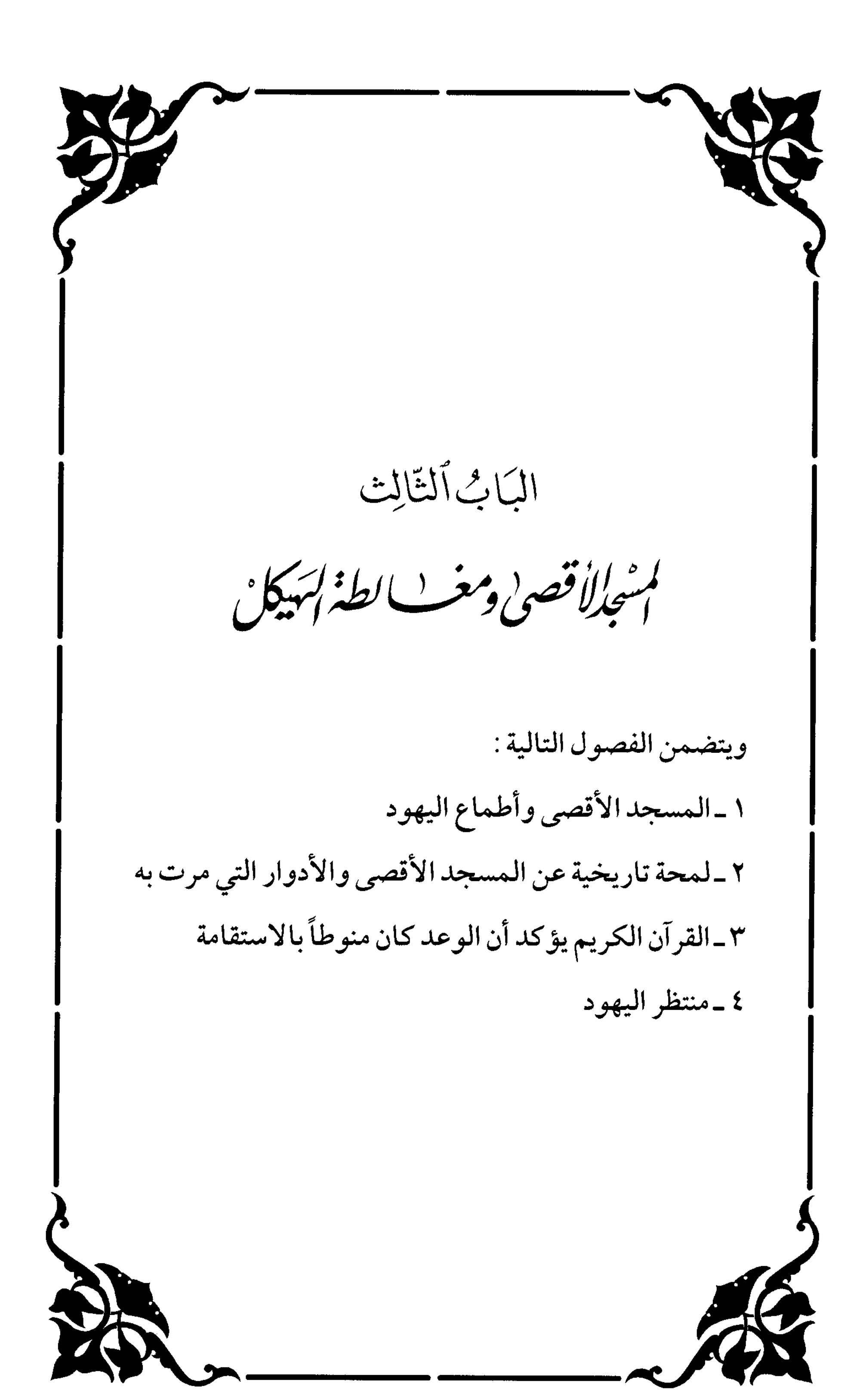
● وقال الباحث الأثري الدكتور خالد عزب: إن مدينة القدس القديمة تبلغ مساحتها ضمن الأسوار كيلاً مربعاً واحداً، يشغل المسجد الأقصى ما يقارب (٣٠٠ ـ ٥٠٠متر مربع) من الناحية الجنوبية، هي البؤرة الرئيسة للمدينة، ويحيط بالمدينة سور حجري مرتفع يحتوي على خمسة أبواب مفتوحة، وأربعة أبواب مغلقة.

* * *

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it



الباب الثالث

المسجد الأقصى ومغالطة الهيكل

ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ المسجد الأقصى وأطماع اليهود

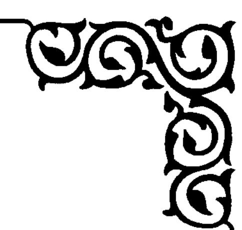
٢ ـ لمحة تاريخية عن المسجد الأقصى والأدوار التي مرت به

٣ ـ القرآن الكريم يؤكد أن الوعد كان منوطاً بالاستقامة

٤ ـ منتظر اليهود

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الأول

المسجد الأقصى وأطماع اليهود

ويتضمن ما يلي:

١ ـ أهمية المسجد الأقصى

٢ ـ أطماع اليهود




http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
أهمية المسجد الأقصى

لم يشهد مَعْبد من معابد البشر جميعاً ما شهده المسجد الأقصى من تنافس بين الأمم وتنازعهم على حيازته وعلى الأرض التي حوله، حتى إنّ التاريخ لم يعرف مدينة تواردت عليها الجيوش من مختلف بقاع الأرض وشعوبها مثلما تواردت على مدينة القدس.

تعريف المسجد الأقصى:

يُطلق اسم الأرض المقدَّسة على فلسطين والطور أو على الشام كلِّها على اختلاف بين الروايات. وتقع مدينة القدس في وسط فلسطين تقريباً، وفيها المسجد الأقصى.

ويُطلق اسم المسجد الأقصى على جميع ما يدور عليه السور حالياً، وفيه الأبواب، ويضم المسجد المعروف في الجهة الجنوبية ومسجد الصخرة وما حولهما من ساحات ومنشآت. وهو الذي كان معروفاً عندما أسرى الله سبحانه بعبده ورسوله محمد ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس ليلاً. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. فإليه كان الإسراء، ومن حِذَاء صخرته كان المعراج. ولم يكن يومئذٍ ذلك البناء الذي يُعرف اليوم، وإنما كان بقايا من بناء مدمَّر، وثَمَّة جزء من السور الغربي.

ومعنى الأقصى: الأبعد، والمراد بعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام. وقيل: لأنه لم يكن وراءه مسجد وقتئذٍ، ثم صار هذا الوصف عَلَماً له[١].

---

(١) فتح الباري: ٦/ ٤٩٥؛ تفسير الماوردي: ٢/ ٤٢١.

http://kotob.has.it

أما لفظ الهيكل (EGGAL) فكملة سومرية الأصل، نقلت إلى اللغة الفينيقية ثم إلى العبرية ثم إلى العربية، ومعناها البيت الكبير، ثم أُطلق هذا اللفظ على كل مكان كبير يُتَّخَذ للعبادة وتُذْبح فيه القرابين. والتصقت تسمية الهيكل عند أهل الكتاب بالبناء العظيم الذي بناه سليمان ـ عليه السلام ـ وأطلقوا عليه اسم هيكل سليمان(١).

ومن الجدير بالذكر أنَّ ذكر هذا البناء في الأسفار المقدَّسة عند أهل الكتاب يأتي في أكثر الأحيان باسم البيت، ويأتي في بعضها باسم الهيكل.

ويعتقد أهل الكتاب أنَّ خيمة الاجتماع التي اتّخذها موسى ـ عليه السلام ـ قبل أن يعبد بنو إسرائيل العجل، وكانت معهم في التِّيه، وكانوا يصلُّون إليها ويتقرَّبون عندها، هي مَسْكن الرب، ولما دخل يشوع بن نون ببني إسرائيل الأرض المقدَّسة نصب هذه الخَيْمة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلّون إليها، فلما بادت صلَّوا إلى محلِّها، وهي الصخرة، فكانت قِبلة الأنبياء، ويرون أنَّ أرض المسجد الأقصى هي أرض الهيكل، وأنَّ مسجد الصخرة هو مكان قُدْس الأقداس داخل الهيكل(٢).

ويزعم اليهود أنَّ داود ـ عليه السلام ـ جعل على الصخرة التي على الهضبة مذبحاً للربِّ، وصاغوا حول ذلك أساطير، فادَّعوا في تلمودهم أنَّ الله خلق الأرض ابتداءً من هذه الصخرة، ويزعمون أيضاً أنّ النجمة السداسية التي يسمّونها نجمة داود قاعدة الهيكل الذي نوى داود أن يقيمه، لأن الهيكل بني في الأصل على هيئة خيمة الاجتماع، ولو وصلت رؤوس هذه النجمة السداسية لكوّنت خيمة سداسية الأضلاع.

وهناك معانٍ أخرى لهذه النجمة عندهم أيضاً، فيقال: إنها تشير إلى تُرْس داود الذي كان يقاتل به. ويقال: إنها ترمز بمثلثيها المتماثلين إلى تطابق السلطة الدينية مع السلطة الدنيوية. ويقال أيضاً: إنها ترمز إلى بزوغ نجم ابن داود، وهو

---

(١) قبل الكارثة، ص١٤٢.
(٢) قصص الأنبياء، لابن كثير، ص٤١٨ ـ ٤١٩.

http://kotob.has.it

مسيحهم المنتظر، ولهذا يطلقون عليها أحياناً نجمة ابن داود. ويردِّد أساطينهم دائماً: لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل. وكانت هذه العبارة محور التحرك السياسي والعسكري[١].

* * *

(١) قبل الكارثة، ص٨٩ و١٤٣، وهو يأخذ عن موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري: ٣/ ٢٢٤.

http://kotob.has.it

[٢]
أطماع اليهود الدينية

غدا بيت المقدس والأرض المحيطة به والتي حوله بؤرة أحداث كبرى جرت منذ أكثر من نصف قرن، ولا تزال تجري ضمن ما أطلقوا عليه اسم أزمة الشرق الأوسط، أو الصراع العربي الإسرائيلي، وأخيراً الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. فقد شهدت المنطقة ولا تزال تشهد تفاعلات كبرى لها خلفياتها الدينية وإن أراد المُغْرِضون إظهارها بمظهر تطورات سياسية. فالحقيقة تقول والواقع يشهد أنه صراع ديني وإن كثرت محاولة طمس الحقائق على المسلمين، مما أدَّى إلى النكبات والنكسات والانكسارات المتتالية التي مرَّت بها الأمة خلال تلك المدة سِلْماً وحرباً.

وهذا الأمر كان واضحاً منذ بداءة القضية كما يظهر من تسلسل الأحداث والمفاوضات، أي: منذ ما يزيد على قرن من الزمان، فاليهود ما قدموا إلى المنطقة إلا للسيطرة على الأرض المقدّسة التي أسموها أرض الميعاد كما سَلَف، وما أرادوا السيطرة على القدس إلا من أجل استعادة ما أسموه جبل الهيكل، وهو الأرض التي يقوم عليها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة بساحاتهما وهم لا يخفون هدفهم في إقامة الهيكل مكان المسجد، بل يَسْعَون سعياً حثيثاً إلى هدم المسجدين وتحقيق حلمهم بإقامة هيكلهم الذي هُدم منذ ألفي عام مكانهما، وقد استولوا على الجدار الغربي للمسجد، وسموه حائط المبكى، وهدموا الحي المجاور له (حي المغاربة)، وجعلوا مكانه ساحة لمبكاهم، كما قاموا بإجراء أحافير كثيرة تحت المسجد وساحته مما أدَّى إلى تصدّع الأساسات وتشقّق بعض الأبنية، بل إنهم حفروا أنفاقاً تحت المسجد مباشرةً، واتّخذوا من أحدها كنيساً لهم، وفتحوا بعضاً آخر أمام السياحة، وهم ماضون في إنشاء مدينة سياحية تحته. وقد كُشف أخيراً عن خُطَّة يهودية تهدف إلى نقل قبة الصخرة إلى باب الخليل تمهيداً لبناء الهيكل مكانها، ومن المقرّر الانتهاء من هذه الخطَّة عام (٢٠٠٨م).

http://kotob.has.it

لقد كانت الأرض المقدَّسة والهيكل هدف الحركة الصهيونية منذ البداءة، وكانت فلسطين هي الاختيار الأول لمكان الدولة، وهم يُسمُّون القدس: مَسْكن الربّ، والأرض الموعودة: أرض الربّ، ويستندون إلى نصوص افتروها ووضعوها في أسفارهم، منها ما يلي:

جاء في سفر الخروج ١٥/ ١٢: أنَّ موسى قال لربِّه: تُرشد برأفتك الشعب الذي فديته، تهديه بقوّتك إلى مسكن قُدْسك.

١٥/ ١٦ ـ ١٨: يعبر الشعب الذي اقتنيته، تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك، المكان الذي صنعته يا ربّ لسكنك، المَقْدِس الذي هَيَّأَتْه يداك يا ربّ، الربُّ يملك إلى الدهر والأبد.

وجاء فيما يسمُّونه نبوءة زكريا ٢/ ١٠ ـ ١٢: ترنَّمي وافرحي يا بنت صِهْيَون، لأني آتي وأسكن في وسطك، يقول الربُّ، فيتصل أمم كثيرة بالربِّ في ذلك اليوم، ويكونون لي شعباً، فأسكن في وسطك، فتعلمين أنَّ ربَّ الجنود قد أرسلني إليك، والربُّ يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدَّسة ويختار أورشليم بعد، اسكنوا يا كلَّ البشر قُدَّام الرب، لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه.

وهذا يفسّر تشبّثهم بالقدس، لأن التفريط بها يساوي التفريط في مسكن الرب، كما أنَّ بيت المقدس عاصمة مسيحهم المنتظر، وعلى أرض فلسطين تقوم دولتهم، والأراضي التي ما بين النيل والفرات محط أطماعهم، والسيطرة على العالم هي غايتهم، وإلا فلماذا استهدفوا هذه المنطقة بالذات مع أن الأرض واسعة، وفي أكثرها من الثروات والكنوز والأمن والاستقرار لهم ما ليس في فلسطين، وعندما تبيّن لهم أنَّ السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ لا يتجاوب البتة مع إغراءات الحركة الصهيونية الكثيرة وتهديداتها الكبيرة، ومنعت حكومته عمليات تملّك الأرض في فلسطين، اتّجهت أنظار بعض زعمائهم إلى أنحاء أخرى من العالم ولو بصورة مؤقتة، فقد عرضت عليهم قُوى الاستعمار أماكن مختلفة في إفريقية وأمريكة الجنوبية، لكنَّ هذا الاقتراح لم يَلْقَ القبول، وأبَوا إلا فلسطين، إنها الصلة الدينية التي ربطت اليهود قديماً بهذه الأرض حتى عدّوها ملكاً لهم، وظنّوها خالدة في ميراثهم، فتجاهلوا حقوق غيرهم من الأمم التي

http://kotob.has.it

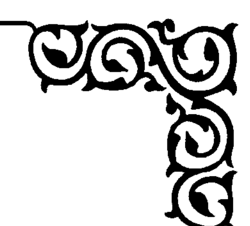
كانت قبلهم وحقوقَ الشعوب الأخرى من ذرية إبراهيم وذرية لوط ـ عليهما السلام ـ التي كانت معهم فيها، حتى إنهم تجاهلوا حقوق غير اليهود من بني إسرائيل الذين آمنوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ يوم بُعث، والذين آمنوا بمحمد ـ ﷺ ـ يوم أُرسل رحمةً للعالمين.

جَدَّ سَعْيهم إلى فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها، فتظلَّموا إلى من ظلموهم، وبالغوا في بعض الأحداث وافتروا غيرها حتى استعطفوهم، وتنكّروا للمسلمين الذين آوَوْهم وأكرموهم، فجحدوا معروفهم وألَّبوا أعداءهم عليهم في أحلك الظروف، وتَزعَّمتْ بريطانية والولايات المتحدة تحقيق هدفهم على مراحل إلى أن صدر وعد بلفور عام (١٩١٧م) بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وكان بعد ذلك ما كان من مجازر ومآسٍ واضطهاد وظلم وتشريد لإقامة مَسْكَنٍ ليَهْوَه إلـهِهم الخاص بهم.

إنَّ الصراع بين المسلمين واليهود صراع ديني عقدي في الصميم مهما لَبَّس المُغرضون والأذناب، وهذا يفسّر رفضهم المطلق لإعادة اللاجئين السابقين واللاَّحقين، فإنهم يريدون فلسطين لهم وحدهم، ولا يريدونها أن تكون وطناً لشعوب مختلفة وأديان أخرى. وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون.



http://kotob.has.it



الفصل الثاني

لمحة تاريخية عن المسجد الأقصى

والأدوار التي مرّت به

ويتضمن الفروع التالية :

١ ـ المسجد الأقصى قبل داود

٢ ـ بناء المسجد في عهد داود وسليمان

٣ ـ التدمير الأول للبيت والسبي إلى بابل

٤ ـ إعادة بناء البيت بعد العَوْدة من السبي ثم التدمير الأخير



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]

المسجد الأقصى قبل داود

بناء البيتين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، أي: أرشدناه وألهمناه مكانه.

وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ مسجد وُضع في الأرض أولُ؟ قال: «المسجد الحرام». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «المسجد الأقصى». قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم أينما أدركتْكَ الصلاة بعدُ فصله، فإن الفضل فيه» [متفق عليه، واللفظ للبخاري][١].

وسبق في الفصل الثاني من الباب الثاني أنَّ الله سبحانه أمر إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يأخذ بِكْره إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأمه هاجر إلى وادٍ غَيْر ذي زَرع بين جبال فاران في الحجاز، وأمره أن يبني هناك بيتاً للعبادة، فبناه مع ابنه إسماعيل.

وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ السابق: ثم أتى إبراهيم بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له... ثم قال له: يا إسماعيل! إنَّ الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربُّك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإنَّ اللهَ أمرني أن أبني ههنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: «ربَّنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم» [أخرجه البخاري].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٦)؛ وأخرجه أيضاً أحمد والنسائي وابن ماجه. وهذا مما خصَّ الله تعالى نبينا محمداً ـ ﷺ ـ بعلمه.

http://kotob.has.it

ويظهر ـ والله أعلم ـ أنَّ الله سبحانه بوَّأ له أيضاً مكان البيت الثاني المسجد الأقصى في أرض كنعان بفلسطين، فجعله مكاناً للعبادة، وكان الكنعانيون يحبونه وأولاده، ويعاملونهم بإكرام واحترام كما سلف، ثم قام ببنائه مع ابنه إسحاق ـ عليه السلام ـ أو بناه إسحاق وابنه يعقوب ـ عليهما السلام ـ ثم رحل يعقوب ـ عليه السلام ـ مع أولاده إلى مصر من أجل القحط واستقروا فيها مع يوسف ـ عليه السلام ـ معزَّزين مكرَّمين، ثم مسخَّرين مضطهدين إلى أن خرج بهم موسى ـ عليه السلام ـ كما سلف.

نصوص أهل الكتاب عمَّا أقامه إبراهيم:

جاء في سفر التكوين ١٢/٦ ـ ٩: واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم، إلى بَلُّوطة مورة، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض، وظهر الربُّ لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للربِّ الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقيَّ بيت إيل ونصب خيمته، وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق، فبنى هناك مذبحاً للرب، ودعا باسم الربِّ، ثم ارتحل ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب.

وفي التوراة السامرية ١٢/٦ ـ ٩: وعبر أَبْرَمُ في الأرض إلى موضع نَابِلْس إلى مرج البهاء، والكنعاني حينئذٍ في الأرض. وتجلَّى ملاك الله لأَبْرَمَ وقال له: لنسلك أعطي الأرض هذه، فبنى هناك مَذْبحاً لله المتجلِّي إليه، وانتقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت القادر، ونصب مضربه، بيت القادر من الغرب، والكُفَيِّر من الشرق، وبنى هناك مَذْبَحاً لله ونادى باسم الله، ورحل أبرم سائراً وراحلاً إلى الجنوب.

وتزعم أكثر طوائف اليهود أنَّ وقفة إبراهيم ـ عليه السلام ـ كانت على جبل المُرِيّا، وعلى الصخرة بالذات، وقد ورد اسم هذا الجبل في قِصَّة الذبيح كما سَلَف، ففي سفر التكوين ٢٢/٢: أنّ الله قال لإبراهيم: خُذ ابنك وحيدك الذي تحبُّه إسحاق واذهب إلى أرض المُرِيّا وأصعده هناك.

وفي ٢٢/١٤: فدعا إبراهيم اسم الموضع يهوَه يرْأَه. حتى إنه يقال اليوم في جبَل الربِّ يُرى.

http://kotob.has.it

وجبل المريا (موريا) هو جبل صِهْيَوْن، فمعنى المريا: مكان رؤية الرب، ومعنى صهيون: الصخرة أو الحجر، وكانت كلمة صهيون تطلق على جبل اليبوسيين في القسم الجنوبي من القدس، وهذا الجبل هو الذي بني عليه المسجد الأقصى وفيه قبة الصخرة.

ويرى السامرة أنَّ وقفة إبراهيم ـ عليه السلام ـ إنما كانت على جبل جِرِزِّيم حيث قام أقدم هيكل لبني إسرائيل، ثم جاء داود ـ عليه السلام ـ فأبطله وعطّله بعد أن نقل عاصمته إلى القدس.

جاء في سفر التكوين ٢٢/ ٢ من التوراة السامرية أنّ الله قال لإبراهيم: خذ الآن ابنك خصيصك الذي أحببتَ إسحاق، وسر ذاهباً إلى الأرض المرشدة، وأصعده هناك على أخصّ الجبال الذي قلت لك.

وفي ٢٢/ ١٤: ودعا إبراهيم اسم ذلك الموضع الله ينظر. الذي يقال اليوم: في جبل الله يستجاب[١].

نصوصهم عما أقامه يعقوب:

جاء في سفر التكوين ٢٨/ ١٠ ـ ١٣: فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران، وصادف مكاناً وبات هناك ـ ـ ورأى حُلُماً، وإذا سُلَّم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الربُّ واقف عليها، فقال: أنا الربُّ إلـه إبراهيم أبيك وإلـه إسحاق.

٢٨/ ١٦ ـ ٢٢: فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقّاً إنَّ الربَّ في هذا المكان وأنا لم أعلم ـ ـ وأخذ الحَجَر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عموداً، وصَبَّ زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان: بيت إيل، ولكن اسم المدينة أولاً كان: لُوزَ، ونذر يعقوب قائلاً: إن كان الله معي وحفظني ـ ـ ورجعت بسلام يكون الربُّ لي إلـهاً، وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله.

---

(١) ذكر مؤرِّخو العبرانيين ـ ومنهم يوسيفوس ـ أنّ الجبل الذي سكنه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأرض كنعان اسمه نبو.

http://kotob.has.it

٣٥/ ١ ـ ٣: ثم قال الله ليعقوب: اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك، واصنع مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو. فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهَّروا، ولنصعد إلى بيت إيل، فأصنع هناك مذبحاً لله.

٣٥/ ٦ ـ ٧: فأتى يعقوب إلى لُوزَ التي في أرض كنعان، وهي بيت إيل، وبنى هناك مذبحاً، ودعا المكان إيل: بيت إيل، لأنه هناك ظهر له الله.

خيمة الاجتماع في عهد موسى وهارون:

خرج موسى ـ عليه السلام ـ ببني إسرائيل من مصر ليعودوا إلى الأرض المقدَّسة ويجاهدوا الوثنيين، لكنّهم تقاعسوا عن الجهاد وعوقبوا بالتيه أربعين سنة كما سلف، وفي تلك المدة أمر الله موسى أن يصنع التابوت ويضعه في خيمة الاجتماع.

جاء في سفر الخروج ٢٥/ ١ ـ ١٠: وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: كلِّم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة: ذهب وفضة ونحاس ـ ـ وخشب سَنْط وزيت للمنارة وأطياب ـ ـ فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم ـ ـ فيصنعون تابوتاً من خشب السنط.

٢٥/ ١٦ و٢١: وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك.

٤٠/ ٢ـ٦: تقيم مسكن خيمة الاجتماع، وتضع فيه تابوت الشهادة، وتستر التابوت بالحجاب وتدخل المائدة وترتب ترتيبها، وتدخل المغارة، وتصعد سرجها، وتجعل مذبح الذهب للبخور أمام تابوت الشهادة، وتضع سِجْف الباب للمسكن، وتجعل مذبح المحرقة قدام باب المسكن خيمة الاجتماع.

٤٠/ ١٦: ففعل موسى بحسب كل ما أمره الربُّ.

وجاء في سفر التثنية ٣١/ ٩ ـ ١٣: وكتب موسى هذه التوراة، وسلَّمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل.

٣١/ ٢٥ ـ ٢٦: وأمر اللاَّويين قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد الربِّ إلـٰهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم.

http://kotob.has.it

وكانت خيمة الاجتماع هذه أو قبة الزمان معهم في التيه يصلُّون إليها ويتقرّبون عندها.

المسجد في عهد يشوع:

بعد موت موسى ـ عليه السلام ـ خَلفه في قيادة الشعب فتاه يشوع بن نون ـ عليه السلام ـ فعبر بهم النهر إلى الأرض المقدسة وفتح أريحا وغيرها، ثم قصد بيت المقدس ففتحها.

جاء في سفر التثنية ٢٧/ ١ ـ ٣: وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشَّعْبَ قائلاً: فيوم تعبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الربُّ إلـهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة، وتشيدها بالشِّيد، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس.

٢٧/ ٤ ـ ٥: حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال، وتكلسها بالكلس، وتبني هناك مذبحاً للربِّ إلـهك، مذبحاً من حجارة.

وفي التوراة السامرية ٢٧/ ٤: ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جِرزِّيم، وتشيدها بشيد.

وفي سفر يشوع ١/ ١ ـ ٢: وكان بعد موت موسى أنَّ الربَّ كلَّم يشوع قائلاً: عبدي موسى قد مات، فالآن اعبر هذا الأردن أنت والشعب إلى الأرض التي أنا مُعْطيها لهم.

٨/ ٣٠ ـ ٣٢: حينئذٍ بنى يشوع مذبحاً للرب في جبل عيبال كما أمر موسى بني إسرائيل، كما هو مكتوب في سفر توراة موسى ـ ـ وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى.

وجبل عيبال هو حيث المسجد الأقصى، ويرى أهل الكتاب أنّ يشوع نصب القبة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يصلّون إليها، فلما بادت صلّوا إلى محلها.

ومن الجدير بالذكر أن اليبوسيين ظلّوا ساكنين مع بني إسرائيل في بيت المقدس.

http://kotob.has.it

جاء في سفر يشوع ١٥/ ٦٣ : وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم.

وفي سفر القضاة ١/ ٢١ : وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم.

المسجد في مستهلّ عهد القضاة:

بعد موت يشوع ظلَّ الشعب مقيماً في تلك الجهات بين الشعوب المحيطة به. وكان ذلك الجيل على شاكلة آبائه في الاستقامة.

جاء في سفر يشوع ٢٤/ ٣١ والقضاة ٢/ ٧: وعبد بنو إسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع، والذين عرفوا كل عمل الرب العظيم الذي عمله لإسرائيل.

يشوع ٢٤/ ٣٠ والقضاة ٢/ ٨ : ومات يشوع فدفنوه في تُخم مُلْكِه في تِمْنَةَ سارَحَ التي في جبل أفرايم شمالي جبل جاعَش.

يشوع ٢٤/ ٣٣: ومات ألعازار بن هارون فدفنوه في جِعبة فينحاس ابنه الذي أعطيت له في جبل أفرايم.

ارتداد إسرائيل وانكسارهم وفقدهم التابوت:

جاء في سفر القضاة ٢/ ١٠ ـ ١٥ : وكل ذلك الجيل انضمَّ إلى آبائه، وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الربّ ولا العمل الذي عمله لإسرائيل. وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إلٰه آبائهم، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها، وأغاظوا الرب، وعبدوا البَعْليم وعَشْتاروت، فحمي غضب الربِّ عليهم، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم، ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم، حينما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلّم الرب وأقسم، فضاق بهم الأمر جداً.

http://kotob.has.it

هذا. وقد ورد ارتداد بني إسرائيل في الفصول (٢، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٦) من سفر القضاة.

ونتيجة لانحرافهم وعصيانهم عاقبهم الله، فمكَّن العماليق الكنعانيين منهم، فساموهم سوء العذاب بألوان من الذل والمسكنة، وأخذوا مقدَّساتهم وأموالهم، ومن ذلك التابوت الذي كان أقدس شيء لديهم، وكان فيه الألواح التي أعطاها الله لموسى، وعصاه وملابسه وملابس أخيه كما يذكرون. وظلُّوا على أسوأ حال إلى زمان الملك الكنعاني جالوت الذي حكم بيت المقدس.

بقي بنو إسرائيل في ضلالهم وارتدادهم وانحسارهم أمام أعدائهم الوثنيين إلى أن خسروا التابوت الذي كانوا يستنصرون به.

جاء في سفر صموئيل الأول ٤/ ١ ـ ٥: وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب، ونزلوا عند حَجَر المعونة، ونزل الفلسطينيون في أفيق، ثم اشتبكوا فانكسر إسرائيل. فجاء الشعب إلى المحلَّة وقال الشيوخ: لنأخذ من شيلوه تابوت عهد الرب، فيدخل وسطنا ويخلّصنا من أعدائنا. فأرسلوا إلى شيلوه وحملوه من هناك.

٤/ ١٠ ـ ١١: فحارب بهم الفلسطينيون وانكسر إسرائيل، وهرب كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربة عظيمة جداً، وأُخذ تابوت عهد الرب.

أسطورة عودة التابوت غانماً:

جاء في سفر صموئيل الأول ٥/ ١ ـ ٤: وأخذ الفلسطينيون تابوت الله إلى أشْدود، وأدخلوه إلى بيت داجون وأقاموه بقربه. وبكَّر الأشدوديون في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه إلى الأرض أمام التابوت فأقاموه في مكانه، وبكروا صباحاً في الغد وإذا بداجون ساقط على وجهه أمام التابوت، ورأسه ويداه مقطوعة على العتبة، بقي كالسمكة.

٥/ ٦ ـ ١٢: فثقلت يَدُ الربِّ على الأشدوديين، وأخرجهم وضربهم بالبواسير، فقالوا: لا يمكث التابوت عندنا، فأرسلوا وجمعوا أقطاب الفلسطينيين، فقالوا: ينقل إلى جَتَّ. وكان بعدما نقلوه أنَّ يد الرب كانت على

http://kotob.has.it

المدينة باضطراب عظيم، وضرب أهلها من الصغير إلى الكبير، ونفرت لهم البواسير. فأرسلوا التابوت إلى عَقْرون، فلما دخل صرخ العقرونيون وقالوا: نقلوه إلينا لكي يميتونا، وأرسلوا وجمعوا كلَّ أقطاب الفلسطينيين، وقالوا: أعيدوه إلى مكانه ولا يميتنا وشعبنا، لأن اضطراب الموت كان في المدينة، والذين لم يموتوا ضربوا بالبواسير.

٦/ ١ ـ ٥: وكان التابوت في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر، فدعوا الكهنة والعرّافين وقالوا: ماذا نعمل بالتابوت؟ كيف نرسله إلى مكانه؟ فقالوا: لا ترسلوه فارغاً، بل ردّوا له قربان إثم لتشفوا، حسب عدد أقطاب الفلسطينيين، خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب، وأعطوا إلـه إسرائيل مجداً لعلّه يخفف يده عنكم وعن آلهتكم.

٦/ ٧ ـ ٨: اعملوا عجلة، واربطوا بقرتين مرضعتين لم يعلهما نِير إلى العجلة، واجعلوا التابوت على العجلة، وضعوا أمتعة الذهب في صندوق بجانبه، وأطلقوه فيذهب.

٦/ ١٠ ـ ١٥: ففعلوا كذلك، فاستقامت البقرتان إلى طريق بَيْتَشمس، وكانتا تجأران، وأقطاب الفلسطينيين يسيرون وراءهما إلى التخم. وكان أهل بيتشمس يحصدون الحنطة، فرأوا التابوت وفرحوا به، فأتت العجلة إلى حقل يهوشع ووقفت، فأنزل اللاويون التابوت والصندوق الذي معه ووضعوهما على حجر كبير كان هناك.

٦/ ١٩ ـ ٢١: وضرب الربُّ أهل بيتشمس، لأنهم نظروا إلى التابوت، ضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً، فناح الشعب وقالوا: من يقدر أن يقف أمام الربِّ؟ وأرسلوا إلى سكان قرية يعاريم أنْ قد رَدَّ الفلسطينيون التابوت، فانزلوا وأصعدوه إليكم.

٧/ ١ ـ ٢: فجاء أهل يعاريم وأصعدوا التابوت وأدخلوه إلى بيت أبيناداب في الأكمة، وقدّسوا ألعازار ابنه لأجل حراسة التابوت. وكان من يوم جلوس التابوت في يعاريم أن المدة طالت وكانت عشرين سنة.

http://kotob.has.it

رَدُّ الكرة لبني إسرائيل:

كان قادتهم الدينيون إبان تلك المدة من بني لاوي، فمنهم الحكماء والربانيُّون، أما رؤساء السياسة فكانوا من القضاة، ولم يكن لهم ملك.

جاء في سفر القضاة ٢/ ١٦ ـ ١٧: وأقام لهم الرب قضاة، فخلَّصوهم من يد ناهبيهم، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا، بل زَنَوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها، حادوا سريعاً عن الطريق التي سار آباؤهم.

وفي ١٧/ ٦ و١٨/ ١ و١٩/ ١ و٢١/ ٥: وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه.

كان صموئيل آخر القضاة، فوعظ بني إسرائيل وأمرهم بالإقلاع عن عبادة الأصنام والعودة إلى الله لينقذهم من يد عدوّهم، فبدؤوا بالاستجابة.

جاء في سفر صموئيل الأول ٧/ ٣ ـ ٧: وقال صموئيل لبني إسرائيل: إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسْطكم، وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين. ففعلوا، فقال: اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة، فأصلي إلى الرب. فاجتمعوا ـ ـ وسمع الفلسطينيون بذلك، فصعد أقطابهم إلى إسرائيل، فخافوا.

٧/ ١٠: وبينما كان صموئيل يُصعد المحرقة تقدَّم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل، فأرعد الربُّ بصوت عظيم على الفلسطينيين وأزعجهم، فانكسروا أمام إسرائيل.

تنصيب طالوت (شاول) ملكاً:

جاء في سفر صموئيل الأول ٨/ ٤ ـ ٦: فاجتمع كل شيوخ إسرائيل إلى صموئيل وقالوا: أنت قد شخت، فاجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب، فصلَّى إلى الرب.

٨/ ٩: فقال الرب: اسمع لصوتهم، وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم.

http://kotob.has.it

بيَّن لهم صموئيل تبعات ذلك وما يترتب عليه وما يمكن أن يصدر منهم تجاهه، فأصروا على أن يكون لهم ملك يخرج أمامهم ويحارب كما في ٨/ ١٠ ـ ٢٢.

٩/ ١٥ ـ ١٦: والربُّ كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم واحد قائلاً: غداً أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين، فامسحه لشعبي فيخلِّصه من يد الفلسطينيين.

١٠/ ١: فأخذ صموئيل قنينة الدُّهْن وصبَّ على رأسه وقبَّله وقال: أليس لأن الربَّ قد مسحك على ميراثه رئيساً.

١٠/ ٢٣ ـ ٢٥: فوقف بين الشعب فكان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق. فقال صموئيل: أرأيتم الذي اختاره الرب؟ ليس مثله في جميع الشعب.

١٤/ ١٨: فقال شاول لأَخِيّا: قدِّم تابوت الله، لأن تابوت الله كان في ذلك اليوم مع بني إسرائيل.

١٤/ ٢٤: وضَنُكَ إسرائيل في ذلك اليوم لأن شاول حَلَّف الشعب قائلاً: ملعون الذي يأكل خبزاً إلى المساء حتى أنتقم من أعدائي، فلم يذق جميع الشعب خبزاً.

١٤/ ٢١: فضربوا في ذلك اليوم الفلسطينيين من مِخْماس إلى أَيَّلون.

١٤/ ٤٧ ـ ٤٨: وأخذ شاول المُلْكَ على إسرائيل وحارب جميع أعدائه حواليه موآب وبني عَمّون وأدوم وملوك صُوبة والفلسطينيين، حيثما توجّه غلب، وفعل ببأس وضرب عماليق، وأنقذ إسرائيل من يد ناهبيه.

غير أنهم يزعمون أنه غار من داود وحاول قتله، وندم الله لأنه جعله ملكاً، ثم مات منتحراً.

جاء في صموئيل الأول ٣١/ ١ ـ ٤: وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فهرب رجال إسرائيل وسقطوا قتلى في جبل جِلْبوع، فشدَّ الفلسطينيون وراء شاول وبنيه، فضربوا أبناءَه، واشتدَّت الحرب فأصاب الرماة بسهم فانجرح جداً ـ ـ فأخذ شاول السيف وسقط عليه.

http://kotob.has.it

وقد جاءت قصة تمليك طالوت (شاول) على بني إسرائيل واعتراضهم عليه، ثم محاربته الوثنيين وانتصاره عليهم وقتل داود جالوت في القرآن الكريم، وفيها تصحيح لما في أسفارهم.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦ - ٢٥٢].

تنبيهان وتصويبان عن عودة التابوت وما فيه:

١ - ذكر سفر صموئيل الأول أنَّ يَدَ الله ثقلت على العدو فضربهم بالبواسير وغيرها حتى اضطرّوا إلى إعادة التابوت بعد سبعة أشهر سالماً غانماً، فلم يشعر بنو إسرائيل إلا بعَجَلة تجرها بقرتان، وعلى العجلة التابوت كما سَلَف، أما

http://kotob.has.it

القرآن الكريم فيذكر أنه قامت معارضة من بني إسرائيل في اختيار طالوت، فأوحى الله إلى ذلك النبي أن يقول لهم لإقناعهم: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وكان ذلك.

وقد وُجد في الآثار صور ورسوم لتابوت تحمله ملائكة لها أجنحة، فيبدو أن أحبارهم قديماً أوحَوا إلى فنّانيهم ليرسموا ذلك، وادَّعوا أنّ تلك الملائكة تحرسه فلا يجوز لمسه ولو من غير قصد، وتُشلُّ يد من لمسه إلا كبار الكهنة.

٢ ـ جاء في تلك الآية القرآنية أنَّ التابوت «فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون»، فليس فيه كل ما أودعه موسى ـ عليه السلام ـ وإنما فيه بقية منه، وفي ذلك إشارة إلى أن التوراة التي ألقاها الله سبحانه إلى موسى ـ عليه السلام ـ وكتبها بخطه قد فُقِدَت، وأنَّ ما بين أيديهم من الأسفار المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ من وضع أحبارهم جيلاً بعد جيل إلى أن استقرَّت وشاعت على هذا الشكل.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
بناء المسجد في عهد داود وسليمان

تمليك داود وفتح القدس:

كان داود ـ عليه السلام ـ من قُوَّاد شاول البارزين، وبعد مقتله مَسَحَهُ رجال يهوذا ملكاً عليهم في حَبرون، وبعد سبع سنوات ونصف أصبح ملكاً على جميع إسرائيل في بيت المقدس.

جاء في سفر صموئيل الثاني ٢/ ١ ـ ٤ : وبعد ذلك سأل داود الربَّ : أأصعد إلى إحدى مدن يهوذا؟ فقال : اصعد إلى حبرون. فصعد مع رجاله، وأتى رجال يهوذا ومسحوه ملكاً على بيت يهوذا.

٥/ ٤ ـ ٥ : كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة : في حبرون على يهوذا سبع سنين وستة أشهر، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا(١).

٥/ ٦ ـ ١٠ : وذهب داود ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض ـ ـ وأخذ حصن صِهْيون ـ ـ وأقام في الحصن، وسمّاه مدينة داود، وبنى مستديراً من القلعة فداخلاً، وكان يتزايد متعظّماً، والربُّ إلـه الجنود معه.

نقل التابوت إلى مدينة داود:

بعد أن فتح داود ـ عليه السلام ـ بيت المقدس عام (٩٩٧ق.م) تقريباً واتّخذها عاصمة له نقل إليها التابوت في احتفال بهيج، حيث أقام له خيمة، وعين اللاّويِّين لخدمته.

جاء في سفر صموئيل الثاني ٦/ ١ ـ ٥ : وجمع داود جميع المنتخبين في إسرائيل، وذهب هو وجميع الشعب الذي معه من بعلة يهوذا ليُصعدوا تابوت الله

---

(١) المجموع أربعون سنة وستة أشهر. وما أكثر الأغلاط الحسابية وغيرها في أسفارهم.

http://kotob.has.it

الذي يُدْعى عليه باسم رب الجنود الجالس على الكروبيم، فأركبوه على عجلة جديدة، وحملوه من بيت أبيناداب الذي في الأكمة، وكان عُـزّةُ وأَخْيُـو ابنـا أبيناداب يسوقان العجلة ـ ـ كان أخيو يسير أمام التابوت، وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات.

٦/ ٦ ـ ١٧ : ولما انتهوا إلى بَيْدر ناخون مَدَّ عُزة يده إلى التابوت وأمسكه، لأن الثيران انشمصت، فحمي غضب الرب عليه، وضربه لأجل غَفَله، فمات هناك لدى التابوت[١] ـ ـ وخاف داود، ولم يشأ أن ينقل التابوت إلى مدينة داود، فمال به إلى بيت عُوبيدَ أدوم الجِتي، وبقي هناك ثلاثة أشهر ـ ـ ثم ذهب وأصعده إلى مدينة داود بفرح، وكان كلما خطا حاملو التابوت ست خطوات يذبح ثوراً وعجلاً معلوفاً، وكان داود يرقص بكل قوته أمام الربِّ، فأصعدوه بالهتاف وصوت البوق ـ ـ فأدخلوا التابوت وأوقفوه في مكانه في وسط الخيمة التي نصبها له داود.

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ١٥/ ١ ـ ٣ : وعمل داود لنفسه بيوتاً في مدينة داود، وأعدَّ مكاناً لتابوت الله، ونصب له خيمة، حينئذٍ قال داود: ليس لأحد أن يحمل تابوت الله إلا اللاويين، لأن الربّ إنما اختارهم لحمل تابوته ولخدمته إلى الأبد، وجمع داود كل إسرائيل إلى أورشليم لأجل إصعاد التابوت إلى مكانه الذي أعدَّه له.

١٥/ ١٤ ـ ١٦ : فتقدس الكهنة واللاويون ليُصعدوا التابوت، وحمل بنو اللاّويِّين التابوت بالعصي على أكتافهم كما أمر موسى حسب كلام الرب. وأمر داود رؤساء اللاّويِّين أن يوقفوا إخوتهم المغنين بآلات غناء مُسَمِّعين برفع الصوت بفرح.

١٥/ ٢٥ : وكان داود وشيوخ إسرائيل ورؤساء الألوف هم الذين ذهبوا لإصعاد التابوت من بيت عوبيد أدوم بفرح.

١٦/ ١ : وأدخلوا التابوت وأثبتوه في وسط الخيمة التي نصبها له داود،

---

(١) هذه من أكذوبات الأحبار لتهويل الأمر على العامة.

http://kotob.has.it

وقربوا مُحرقات وذبائح سلامة أمام الله.

١٦/ ٤: وجعل داود أمام التابوت من اللاويِّين خداماً، ولأجل التذكير والشكر وتسبيح الرب.

الإعداد لبناء البيت والعهد به إلى سليمان:

بعد أن تم نقل التابوت أعدَّ داود ـ عليه السلام ـ مساحة منبسطة فسيحة ليشيد عليها البيت المقدَّس، وجهّز المواد اللازمة للبناء، لكنه علم أنَّ الأجل لن يُمهله حتى يكمل البناء، فعهد به إلى ابنه سليمان عليه السلام.

عن رافع بن عميرة ـ رضي الله عنه ـ أنّ داود ـ عليه السلام ـ ابتدأ ببناء بيت المقدس، ثم أوحى الله إليه: إني لأقضي بناءه على يد سليمان [أخرجه الطبراني، وقال الحافظ: بسند صحيح].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أنَّ المكان الذي اتّخذه إبراهيم ـ عليه السلام ـ للعبادة هو الذي أسسه يعقوب ـ عليه السلام ـ بعد بناء الكعبة بأربعين سنة، ولا بدَّ أن يكون يشوع بن نون ـ عليه السلام ـ سعى إليه بعد فتح أريحا، ثم أوحى الله إلى داود ـ عليه السلام ـ أن يبني فيه محرابه، ثم بدأ بتجديده، لكنه لم يتمه، وأوصى ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ بإتمام بنائه فأتمّه خلال فترة حكمه. فالواقع من إبراهيم ويعقوب ـ عليهما السلام ـ أصلاً وتأسيساً، ومن داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ بناءً وتجديداً[١].

جاء في سفر صموئيل الثاني ٧/ ١ ـ ٦ وأخبار الأيام الأول ١٧/ ١ ـ ٥: ولما سكن الملك داود في بيته وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه قال لناثان النبي: إني ساكن في بيت من أرْز، وتابوت الله ساكن داخل الشقق. فقال ناثان: افعل كل ما في قلبك، لأن الربَّ معك. وفي تلك الليلة كان كلام الرب لناثان: قل لعبدي داود: أأنت تبني لي بيتاً لسكناي ـ وفي أخبار الأيام: أنت لا تبني لي بيتاً للسكنى ـ لأني لم أسكن في بيت منذ أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم، بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن. وفي أخبار الأيام: بل سرت من خيمة إلى خيمة ومن مسكن إلى مسكن.

---

(١) انظر: فتح الباري: ٦/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥.

http://kotob.has.it

صموئيل الثاني ٧/ ١١ ـ ١٤ وأخبار الأيام الأول ١٧/ ١١ ـ ١٣ : متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته، هو يبني بيتاً لاسمي، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد، أنا أكون أباً وهو يكون لي ابناً.

وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢١/ ٢٨ ـ ٢٩ : في ذلك الوقت لما رأى داود أن الرب قد أجابه في بيدر أرنان اليبُوسي ذبح هناك. ومسكن الرب الذي عمله موسى في البرية ومذبح المحرقة كانا في ذلك الوقت في المرتفعة في جِبْعُون.

٢٢/ ١ ـ ١٠ : فقال داود: هذا هو بيت الربِّ الإلـه، وهذا هو مذبح المحرقة لإسرائيل. وأمر داود بجمع الأجنبيين الذين في أرض إسرائيل، وأقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله، وهيّأ حديداً كثيراً ونحاساً كثيراً وخشب أرْز، وقال: إنّ سليمان ابني صغير وغَضّ، والبيت الذي يُبْنى للربّ يكون عظيماً جداً في الاسم والمجد في جميع الأراضي، فأنا أهيِّئ له. فهيأ له كثيراً قبل وفاته. ودعا سليمانَ ابنه وأوصاه أن يبني بيتاً للربّ إلـه إسرائيل، وقال له: قد كان في قلبي أن أبني بيتاً لاسم الرب إلـهي. فكان إليّ كلام الرب قائلاً: قد سفكتَ دماً كثيراً وعملتَ حروباً عظيمة، فلا تبني بيتاً لاسمي، هو ذا يولد لك ولد صاحب راحة وأريحية من جميع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه، هو يبني بيتاً لاسمي وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد.

٢٨/ ١ ـ ٣ : وجمع داود كل رؤساء إسرائيل إلى أورشليم وقال: اسمعوني يا إخوتي وشعبي، كان في قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب ولموطئ قدمَيْ إلـهنا، وقد هيّأتُ للبناء، ولكن الله قال لي: لا تبني بيتاً لاسمي، لأنك أنت رجل حروب، وقد سفكتَ دماً.

٢٨/ ٥ ـ ٧ : إنما أختار سليمان ابني ليجلس على كرسي مملكة الرب على إسرائيل، وقال لي: إنَّ سليمان ابنك هو يبني بيتي ودياري، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون له أباً، وأثبت مملكته إلى الأبد.

٢٩/ ١ ـ ٢ : وقال داود لكل المجمع: إنّ سليمان ابني الذي وحده اختاره

http://kotob.has.it

الله، إنما هو صغير وغضٌّ، والعمل عظيم، لأن الهيكل ليس لإنسان، بل للربِّ الإلـٰه، وأنا بكل قوتي هيأت لبيت إلـٰهي كل ما يلزم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب وحجارة عادية وملونة وغير ذلك.

بناء البيت وصفته:

وورث سليمانُ داودَ ـ عليهما السلام ـ فبنى البيت وأكمله، وكان سياجاً من بناء يضم عدة أجنحة، وهيّأ في وسطه محراباً ليضع فيه تابوت الرب. استغرق بناؤه الأساسي سبع سنوات، أما إكمال العمل فيه مع المنائر والمرافق وسائر الملحقات والتزيين فامتدّ إلى ثلاث عشرة سنة.

جاء في سفر الملوك الأول ٥/ ٢ ـ ٦: فأرسل سليمان إلى حِبرام ملك صور يقول: أنت تعلم أنَّ داود أبي لم يستطع أن يبني بيتاً لاسم الرب إلـٰهه بسبب الحروب التي أحاطت به، والآن قد أراحني الرب من كل الجهات، وهأنذا قائم على بناء بيت لاسم الربِّ إلـٰهي كما كلَّم الربُّ داود أبي قائلاً: إن ابنك الذي أجعله مكانك على كرسيك هو يبني البيت لاسمي[١].

٦/ ١ ـ ٣: وكان في سنة الأربعمئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زِيو، وهو الشهر الثاني، أنه بنى البيت للرب. والبيت الذي بناه طوله ستون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وسُمْكُه ثلاثون ذراعاً، والرواق قُدام هيكل البيت طوله عشرون ذراعاً حسب عرض البيت، وعرضه عشرة أذرع قدام البيت.

٦/ ٥: وبنى مع حائط البيت طِباقاً حواليه مع حيطان البيت حول الهيكل والمحراب، وعمل غرفات في مستديرها.

٦/ ١٩: وهيأ محراباً في وسط البيت من داخل، ليضع هناك تابوت عهد الرب.

---

(١) حين أقدم سليمان ـ عليه السلام ـ على بناء البيت استعان بحورام ملك صور وبالكنعانيين المهرة، كما في أخبار الأيام الثاني ٢/ ١٤ و١٧ ـ ١٨، وكانت فترة حكمه ما بين (٩٩٢ ـ ٩٣٢ ق.م) تقريباً.

http://kotob.has.it

٦/ ٢٣ ـ ٢٤ : وعمل في المحراب كَرُبَين من خشب الزيتون، علو الواحد عشر أذرع، وجناح الكروب الواحد خمس أذرع، عشر أذرع من طرف جناحه إلى طرف جناحه.

٦/ ٣١ : وعمل لباب المحراب مصراعين من خشب الزيتون.

٦/ ٣٣ ـ ٣٤ : وعمل لمدخل الهيكل قوائم من خشب الزيتون مربعة، ومصراعين من خشب السرو.

٦/ ٣٧ ـ ٣٨ : في السنة الرابعة أُسس بيت الرب في شهر زِيُو، وفي السنة الحادية عشرة في شهر بُول، وهو الشهر الثامن أكمل البيت في جميع أموره وأحكامه، فبناه في سبع سنين.

٧/ ١ : وأما بيته فبناه سليمان في ثلاثة عشر سنة، وأكمل كل بيته.

٧/ ٤٠ : وعمل حيرام المراحِض والرفوش والمناضح، وانتهى من جميع العمل الذي عمله للملك سليمان لبيت الرب.

٧/ ٤٨ ـ ٥١ : وعمل سليمان جميع آنية بيت الرب، المذبح والمائدة التي عليها خبز الوجوه من ذهب، والمنائر خمساً عن اليمين وخمساً عن اليسار أمام المحراب من ذهب خالص ـ ـ والوُصَل لمصاريع البيت الداخلي، أي: لقدس الأقداس، ولأبواب البيت، أي: الهيكل، من ذهب، وأكمل جميع العمل الذي عمله سليمان لبيت الرب.

٨/ ١٢ ـ ١٣ وأخبار الأيام الثاني ٦/ ١ : حينئذٍ قال سليمان: قال الرب: إني أسكن في الضباب، وأنا بنيت لك بيت سكنى، مكاناً لسكناك إلى الأبد.

٨/ ١٧ ـ ٢١ : وكان في قلب داود أبي أن يبني بيتاً لاسم الرب إلـه إسرائيل. فقال الرب لداود أبي: من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتاً لاسمي، قد أحسنت بكونه في قلبك، إلا أنك لا تبني البيت أنت، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي، وأقام الربُّ كلامه الذي تكلَّم به، وقد قمت أنا مكان داود أبي، وجلست على كرسي إسرائيل كما تكلّم الرب وبنيت البيت لاسم الرب إلـه إسرائيل، وجعلت هناك مكاناً للتابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع آبائنا عند إخراجه إياهم من مصر.

http://kotob.has.it

وجاء في أخبار الأيام الثاني ٢/ ١ : وأمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيتٍ لملكه .

٣/ ١ ـ ٢ : وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المُرِيَّا حيث تراءى لداود أبيه ، حيث هيأ داود مكاناً في بيدر أُرنان اليبوسي . وشرع في البناء في ثاني الشهر الثاني في السنة الرابعة لملكه .

٣/ ٨ ـ ١١ : وعمل بيت قدس الأقداس[١] ـ ـ وغشاه بذهب جيد ـ ـ وعمل في بيت قدس الأقداس كروبين صناعة الصياغة ، وغشاهما بذهب ، وأجنحة الكروبين طولها عشرون ذراعاً ، الجناح الواحد خمس أذرع يمس حائط البيت .

٤/ ١٨ ـ ٢٠ : وعمل سليمان كل الآنية التي لبيت الله ومذبح الذَّهب والموائد والمنائر وسرجها لتتقد حسب المرسوم أمام المحراب من ذهب خالص .

٥/ ١ : وكَمُل جميع العمل الذي عمله سليمان لبيت الرب ، وأدخل أقداس داود أبيه ، والفضة والذهب وجميع الآنية جعلها في خزائن بيت الله .

وضع التابوت في المحراب:

جاء في سفر الملوك الأول ٨/ ١ ـ ٨ وأخبار الأيام الثاني ٥/ ٢ ـ ٩ : حينئذٍ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الأسباط ورؤساء الآباء في أورشليم لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داود ، هي صهيون . فاجتمع جميع رجال إسرائيل في العيد ، في شهر أيثانيم ، وهو الشهر السابع ، وحمل الكهنة اللاَّويون التابوت ، وأصعدوه وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القُدْس التي في الخيمة ، وكان الملك وكل جماعة إسرائيل المجتمعين إليه أمام التابوت يذبحون من الغنم والبقر ما لا يحصى من الكثرة . وأدخل الكهنة التابوت إلى مكانه في محراب البيت في قدس الأقداس ، إلى تحت جناحَي الكروبَين ، وكانا باسطين أجنحتهما على

---

(١) قدس الأقداس : مكان في الهيكل مخصص لتابوت عهد الرب ، لا يدخله إلا كبار الكهنة . هذا والمؤرّخون يشكّكون في صحة ما روي عن الهيكل ، لأن الكتب المقدّسة كتبت بعد عهد موسى بسبعمئة عام ، تعرَّضت خلالها لكثير من التحريف والتبديل .

http://kotob.has.it

موضع التابوت، وظلّلا التابوت وعِصِيَّه من فوق، وجذبوا العِصِيَّ، فتراءت رؤوسها من القدس من التابوت أمام المحراب، ولم تر خارجاً. وهي هناك إلى هذا اليوم.

المفاجأة أين التوراة؟:

جاء في سفر الملوك الأول ٨/ ٩ ـ ١٠ وأخبار الأيام الثاني ٥/ ١٠ ـ ١٤: لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى في حوريب، حين عاهد الربُّ بني إسرائيل عند خروجهم من مصر وكان لما خرج الكهنة من القدس أنَّ السحاب ملأ بيت الربّ، ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الربِّ ملأ بيت الربّ.

العصر الذهبي لبني إسرائيل:

أول مملكة تأسست لبني إسرائيل في أرض كنعان هي مملكة طالوت (شاول)، وفي عهده قتل داودُ جالوتَ، وكان عمره ست عشرة سنة، وبعد هذا النصر أصبح من قواد طالوت وتزوَّج ابنته، وبعد أن توفي طالوت أو استشهد استقرّ الحكم لداود ـ عليه السلام ـ وفي عهده توسَّعت المملكة لتشمل بعضاً من أرجاء فلسطين، ولم تشملها بالكامل، فقد بقي حكم الساحل للكنعانيين، ثم توفي داود وورثه ابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ وكان عهده أزهر عهد لبني إسرائيل من حيث سعة الملك وقوة الشأن بين الأمم. وبعد موته تمزَّقت المملكة بين أولاده وضعفت، ثم تفرَّق اليهود بعد ذلك وتقطَّعوا في أرجاء الأرض كما سيأتي إن شاء الله.

ما جاء في القرآن والسنّة عن داود وسليمان:

● قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٥ ـ ١٦].

● وقال سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا

http://kotob.has.it

مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٨٢].

● وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١٤].

● وقال سبحانه: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ ـ ٢٠].

● وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [صٓ: ٣١ ـ ٤٠].

لم يملك سليمان ـ عليه السلام ـ مساحات شاسعة من الأرض، واقتصرت مظاهر ملكه على ما منحه الله إياه من القوة والحكمة والممتلكات المذكورة في الآيات وغير ذلك مما تميّز به عن كافة ملوك الأرض الذين أتوا من بعده.

● عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ

http://kotob.has.it

قال: «لما بنى سليمان بيت المقدس سأل الله عزَّ وجلّ خلالاً ثلاثة: سأل الله عزَّ وجلّ حكماً يصادف حُكْمَه فأوتيه، وسأل اللهَ عزَّ وجلّ مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدهِ فأوتيه، وسأل اللهَ عزَّ وجلّ حين فرغ من بناء المسجد ألاّ يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه» [أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم].

كان سليمان ـ عليه السلام ـ ورعاً تقياً عالماً حكيماً فيه شيء من الشدَّة بالحقّ، وكان بنو إسرائيل يرهبونه، ويَخْشَون عقابه إن عَصَوا، ولذلك اتَّهمه أحبارهم في توراتهم بالكفر والسجود للأصنام بتأثير من زوجاته، وزعموا أنه بقي على ردَّته حتى مات كما في الفصل الحادي عشر من سفر الملوك الأول.

* * *

http://kotob.has.it

[٣]

التدمير الأول للبيت
والسبي إلى بابل

بعد موت سليمان ـ عليه السلام ـ افترق بنو إسرائيل، وانقسمت المملكة إلى مملكتين:

١ ـ **جنوبية اسمها يهوذا**: لأن حكامها من نسل داود ـ عليه السلام ـ وهو من سبط يهوذا، وتبعهم بنو بنيامين بن يوسف ـ عليه السلام ـ وقد اتخذت القدس عاصمة لها، واعتقدت بقدسية جبل صِهْيُون، وبقي الملك في بيت داود ـ عليه السلام ـ إلى أن سقطت.

٢ ـ **شمالية اسمها إسرائيل**: وكانت أوسع رقعة من تلك، وتمثل الأسباط العشرة بصورة عامة، وقد اتخذت شكيم في جبل أفرايم عاصمة لها، واعتقدت بقدسية جبل جِرِزّيم، وقد تنقل الملك فيها بين بيوت مختلفة(١).

إغارة ملك مصر على المدينة والبيت إبان حكم رَحَبْعام بن سليمان:

جاء في سفر الملوك الأول ١٤/ ٢٥ ـ ٢٦: وفي السنة الخامسة للملك ـ أي: رحبعام ـ صعِد شيشَق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الربّ وخزائن بيت الملك وأتراس الذهب التي عملها سليمان وكل شيء.

وفي أخبار الأيام الثاني ١٢/ ١ ـ ٢: ولما تثبتت مملكة رحبعام وتشدَّدت ترك شريعة الربّ وكلُّ إسرائيل معه، وفي السنة الخامسة لملكه صعِد شيشَق ملك مصر على أورشليم، لأنهم خانوا الرب.

١٢/ ٩: وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأتراس الذهب التي عملها سليمان.

---

(١) انظر: الفصل الثاني عشر وما بعده من سفر الملوك الأول.

http://kotob.has.it

إغارة ملك إسرائيل على البيت إبان حكم أَمَصيا:

جاء في سفر الملوك الثاني ١٤/ ١٢ ـ ١٤ وأخبار الأيام الثاني ٢٥/ ٢٢ ـ ٢٤ : فانهزم يهوذا أمام إسرائيل، وهرب كل واحد إلى خيمته، وأما أَمَصْيا ملك يهوذا فأمسكه ملك إسرائيل يوآش في بيت شمس، وجاء به إلى أورشليم، وهدم أسوارها من باب أفرايم إلى باب الزاوية، وأخذ كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب وخزائن بيت الملك والرهناء، ورجع إلى السامرة.

سقوط إسرائيل:

في سنة (٧٢١ق. م) تقريباً حاصر محاسرجون ملك الآشوريين مملكة إسرائيل، وأزال شعبها، ولم يبقِ منهم فيها إلا شرذمة ضعيفة، وأسكن غيرهم مكانهم.

جاء في سفر الملوك الثاني ١٧/ ١ ـ ٥ : في السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا ملكَ هُوشَع بن أَيْلة في السامرة على إسرائيل تسع سنين، وعمل الشر في عيني الرب. وصعد عليه شَلْمَنْأَسَرُ ملك أَشُّور فصار له هوشع عبداً ودفع له جزية. ووجد ملك أشور في هوشع خيانة، لأنه أرسل رسلاً إلى ملك مصر ولم يؤدّ جزية لملك أشور حسب كل سنة، فقبض عليه وأوثقه في السجن وصعد ملك أشور على كل الأرض، وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين.

١٨/ ٩ ـ ١٠ : وفي السنة الرابعة للملك حَزَقِيّا، وهي السابعة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل صعِد شَلْمَنْأَسَرُ ملك أشور على السامرة وحاصرها. وأخذوها في نهاية ثلاث سنين، ففي السنة السادسة لحَزَقِيّا، وهي التاسعة لهوشع ملك إسرائيل أخذت السامرة.

١٧/ ٦ و١٨/ ١١ : في السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك أشور السامرة، وسبى إسرائيل إلى أشور، وأسكنهم في حَلَحَ وخابور نهرِ جُوزان وفي مدن مادي.

١٨/ ١٢ : لأنهم لم يسمعوا لصوت الربِّ إلـهِهم، بل تجاوزوا عهدَه وكلَّ ما أمر به موسى عبد الرب، فلم يسمعوا ولم يعملوا.

http://kotob.has.it

التدمير الأول للبيت (الهيكل):

في سنة (٦٠٨ق.م) تقريباً زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلّها، واستمرّ في زحفه حتى احتل مملكة إسرائيل التي استولى عليها الآشوريون، فثار لذلك ملك بابل الجديد بختنصر، وزحف على فلسطين بمملكتيها وهزم جيش فرعون واستولى عليهما، وقتل صدقيا بن يواقيم آخر ملوك يهوذا، ونهب أورشليم ودمّر الهيكل سنة (٥٨٧ق.م) تقريباً، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ففر بعضهم إلى مصر، ومن بقي من الرجال والنساء والأطفال سباه بِذِلَّة إلى بابل. عُرِف ذلك بالأسر البابلي، وكانت مدة بقاء بني إسرائيل في الأرض المقدَّسة منذ دخول يشوع بن نون حتى سقوط مملكة يهوذا قرابة خمسة قرون.

جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤/٨ ـ ١٥: كان يَهْوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم، وعمل الشر في عيني الربّ حسب كل ما عمل أبوه. في ذلك الزمان صعِد عبيد نَبُوخَذْناصَّرَ ملك بابل إلى أورشليم، فدخلت المدينة تحت الحصار، ثم جاء هو إلى المدينة فخرج إليه يهوياكين مع أمه وعبيده ورؤساء جيشه، فأخذه ملك بابل في السنة الثامنة من ملكه، وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وكسر كل آنية الذهب التي عملها سليمان في هيكل الرب، وسبى كل أورشليم، لم يَبْقَ أحدٌ إلا مساكين شعب الأرض. وسبى أيضاً يهوياكين وأمه ونساءه.

٢٤/١٧ ـ ٢٠: وملَّكَ مَتَّنِيّا عمه عوضاً عنه، وغيّر اسمه إلى صِدْقِيا ـ ـ وعمل الشر في عيني الرب، وتمرّد على ملك بابل.

٢٥/١ ـ ٧: وفي السنة التاسعة لملكه جاء نبوخذناصر ملك بابل على أورشليم، وبنى أبراجاً حولها وحاصرها إلى السنة الحادية عشرة للملك صِدقيا، واشتد الجوع في المدينة، فهرب جميع رجال القتال ليلاً ـ ـ فتبعت جيوش الكلدانيين الملك وأدركوه في برية أريحا وأصعدوه إلى ملك بابل، فقتلوا بنيه أمام عينيه، وقيّدوه بسلسلتين من نحاس، وجاؤوا به إلى بابل.

٢٥/٨ ـ ١٣: وفي الشهر الخامس من السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذناصر ملك بابل جاء نيوزَرَدانُ رئيس الشرط إلى أورشليم، وأحرق بيت

http://kotob.has.it

الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم، وهدم أسوار أورشليم، وسبى الشعب الذين في المدينة إلى بابل، وأبقى مساكين الأرض كرامين وفلاحين وكسر أعمدة النحاس والقواعد التي في بيت الرب، وحملها إلى بابل.

٢٥/ ٢١: فسبي يهوذا من أرضه.

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٩ ـ ٢٠: كان يهوياكين ابنَ ثماني سنين حين ملك، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم وعمل الشر في عيني الربّ. وعند رجوع السنة أرسل الملك نبوخذناصر فأتى به إلى بابل مع آنية بيت الرب الثمينة، وملَّكَ صِدْقيّا أخاه على يهوذا وأورشليم ـ ـ وعمل الشر في عيني الرب، ولم يتواضع أمام إرمياء النبي، وتمرّد على الملك نبوخذناصر ـ ـ حتى إنّ جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم، ونجسوا بيت الرب الذي قدّسه في أورشليم، فأرسل الرب إليهم عن يد رسله، لأنه أشفق على شعبه وعلى مسكنه، فكانوا يهزؤون بالرسل، حتى ثار غضبه، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين، فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مَقْدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ، بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله وخزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ورؤسائه أتى بها جميعاً إلى بابل، وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس.

تنبيه: يلحظ الفرق بين السفرين في عمر يهوياكين عندما ملك، ففي سفر الملوك كان ابن ثماني عشرة سنة، وفي أخبار الأيام كان ابن ثماني سنين، والفرق في مدة ملكه، ففي سفر الملوك ملك ثلاثة أشهر، وفي أخبار الأيام ثلاثة أشهر وعشرة أيام، والفرق في نوع القرابة بينه وبين من مَلَّكه بختنصر عوضاً عنه، ففي سفر الملوك هو عمه، وفي أخبار الأيام هو أخوه، بالإضافة إلى الاختلاف في التفاصيل، مما يدلُّ على عدم ضبط الكُتَّاب.

مصير التابوت:

لم تتعرَّض الأسفار لمصير التابوت وما فيه بعد عصر سليمان ـ عليه السلام ـ إبان الاضطرابات والارتدادات قبل السبي وبعده، والظاهر أنه أحرق مع الهيكل

http://kotob.has.it

أو نقل مع الآنية إلى المنفى ثم ضاع هناك مع الألواح.

ويزعم كثير من أهل الكتاب أن إرمياء أخذ التابوت والخيمة ومذبح البخور في أيام مَنَسَّى بن حزقيا، وأخفاها في إحدى مغارات جبل نَبو في موآب مقابل أريحا، وذلك لعلمه بفوات أمرهم، فلم يستطع أحد أن يهتدي إلى مكانه.

جاء في سفر إرمياء ٣/ ١٦: ويكون إذ تكثرون وتثمرون في الأرض، في تلك الأيام يقول الرب: إنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب، ولا يخطر على بال، ولا يذكرونه ولا يتعهدونه، ولا يصنع بعد.

وجاء في سفر المكابيين الثاني ٢/ ١ ـ ٣: قد جاء في السجلّات أن إرمياء النبي أمر أهل الجلاء أن يأخذوا النار كما ذُكر، وكما أمر النبي أهل الجلاء إذ أوصاهم ألا ينسوا وصايا الرب، ولا تغويَ قلوبهم إذا رأوا تماثيل الذهب والفضة وما عليها من الزينة، وحَرَّضهم بمثل هذا الكلام على ألاّ يزيلوا الشريعة من قلوبهم.

٢/ ٤ ـ ٨: وجاء في هذه الكتابة أنَّ النبيَّ بمقتضى وحي صار إليه أَمر أن يُذهب معه بالمسكن والتابوت حتى يصل إلى الجبل الذي صعِد إليه موسى ورأى ميراث الله. ولما وصل إرمياء وجد كهفاً، فأدخل إليه المسكن والتابوت ومذبح البَخُور، ثم سدَّ الباب. فأقبل بعض من كانوا معه ليَسِموا الطريق، فلم يستطيعوا أن يجدوه، فلما أُعلم بذلك إرمياء لامهم وقال: إن هذا الموضع سيبقى مجهولاً إلى أن يجمع الله شمل الشعب ويرحمهم، وحينئذٍ يُبرز الرب هذه الأشياء ويبدو مجد الربّ والغمام كما ظهر في أيام موسى وحين سأل سليمانُ أن يقدِّس الموضع تقديساً بهياً إذ اشتَهَر وأبدى حكمته بتقديم الذبيحة لتدشين الهيكل وتتميمه.

ومن المعلوم أن سِفْري المكابيين الأول والثاني لا يعترف بهما اليهود ولا البروتستانت من النصارى خلافاً للكاثوليك والأرثوذكس، وهما من الأسفار الخفية عند اليهود.

جاء في ٢/ ١٣ ـ ١٥ من السفر نفسه: وقد شُرح ذلك في السجلّات والتذاكر التي لنَحَمْيا وكيف أنشأ مكتبة جمع فيها أخبار الملوك والأنبياء وكتابات داود ورسائل الملوك في التقادِم، وكذلك جمع يهوذا كل ما فقد منا في الحرب

http://kotob.has.it

التي حدثت لنا وهو عندنا، فإن كانت لكم حاجة بذلك فأرسلوا من يأخذه إليكم.

جاء في الحواشي على الكتاب المقدّس، ص٨٧ ـ وهي للكاثوليك ـ عن سفر المكابيين الأول: «كتب هذا السفر بالعبرانية، وفضلاً عما فيه من كثرة أساليب هذه اللغة، فقد ذكر أوريجانس والقديس إيونيس أنهما رأيا أصله العبراني، لكن فقدت نسَخُه الأصلية من عهد بعيد، وبقيت له ترجمة يونانية قديمة جداً، وعنها أخذنا هذه الترجمة. أما مؤلفه فغير معلوم عندنا، وليس في النصوص الإلـٰهية ولا في التقليد ما يدلُّ عليه، إلا أن الراجح في الظن أنه كان يهودياً في عهد يوحنا هركانس».

وعن سفر المكابيين الثاني: «هذا السفر مكتوب في أصله باليونانية. قال القديس إيرونيس: وأسلوبه يدلُّ على ذلك دلالة بيّنة. ومؤلّفه مجهول أيضاً، وكل ما استنبط فيه من الأقوال حَدْسٌ لا يثبت عليه برهان».

وأسفار أهل الكتاب كلها عارية عن الأسانيد الصحيحة المتصلة، وهم يعترفون بذلك كما اعترفوا في تعريفهم بهذين السفرين، فضلاً عما بينهما من الاختلاف الكبير والأغلاط الفاحشة. ولا يعدو ما كتب في سفر المكابيين الثاني عن التابوت والخيمة والمذبح أن يكون من وضع الوضاعين ليريحوا صدور العامة ويقطعوا تساؤلهم.

ومن الجدير بالذكر أن اليهود المعاصرون أعادوا صناعة خيمة الاجتماع (القبة) تمهيداً لنقل التابوت إليها، ويزعمون أنه موجود في إثيوبية[١].

* * *

(١) حمى سنة (٢٠٠٠)، لعبد العزيز مصطفى كامل، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

http://kotob.has.it

[٤]
إعادة بناء البيت بعد العودة من السبي
ثم التدمير الأخير

عودة المسبيِّين:

ظلَّ اليهود تحت الأسر البابلي زهاء سبعين عاماً، ثم تغلَّب ملك الفرس كُورُش سنة (٥٣٨ق. م) تقريباً على البابليين، فتودَّد اليهود إلى الحكم واستعطفوه، فسمح لهم بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل في أورشليم، فعاد أكثرهم، وفضَّل كثير منهم البقاء لاستقرارهم هناك، وهم الذين عُرفوا بيهود الشتات، وعمد العائدون إلى إعادة إعمار المدينة وبناء الهيكل مرة أخرى.

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٢٠ ـ ٢١: وسَبَى ـ أي: نَبُوخَذناصر ـ الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس، لإكمال كلام الربِّ بفم إرْميا، حتى استوفت الأرض سبوتها، لأنها سبتت في كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة.

٣٦/ ٢٢ ـ ٢٣ وفي سفر عزرا ١/ ١ ـ ٣: وفي السنة الأولى لكورُش ملك فارس، لأجل تكميل كلام الربِّ بفم إِرْمِيا نبَّه الرب روح كورُش ملك فارس، فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً: هكذا قال كورُش ملك فارس: إنَّ الربَّ إلـه السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض، وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا، من منكم من جميع شعبه، الرب إلـهه معه، وليصعد.

عزرا ١/ ٣ ـ ٤: ليكن إلـهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا، فيبني بيت الرب إلـه إسرائيل هو الإلـه الذي في أورشليم. وكل من بقي في أحد الأماكن، حيث هو متغرِّب، فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم، مع التبرع لبيت الربّ الذي في أورشليم.

عزرا ١/ ٥ ـ ٨: فقام رؤوس آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويُّون مع كل

http://kotob.has.it

من نبَّه الله روحه ليصعدوا ليبنوا بيت الله الذي في أورشليم، وكل الذين حولهم أعانوهم ـ ـ والملك كورُش أخرج آنية بيت الربِّ التي أخرجها نبوخذناصر من أورشليم وجعلها في بيت آلهته، أخرجها كورُش عن يد الخازن وعَدَّها لشِيشْبَصَّرَ رئيس يهوذا.

عزرا ٢/ ١ ـ ٢ : وهؤلاء هم بنو الكُورة الصاعدون من سبي المسبيين الذين سباهم نبوخَذناصر ملك بابل إلى بابل ورجعوا إلى أورشليم ويهوذا، كل واحد إلى مدينته، الذين جاؤوا مع زَرُبَّابل.

البدء بالبناء:

جاء في سفر عزرا ٣/ ٨ ـ ١٠ : وفي السنة الثانية من مجيئهم إلى أورشليم في الشهر الثاني شرعوا ببناء بيت الربّ، وأقاموا اللاّويين من ابن عشرين سنة فما فوق للمناظرة على عاملي الشغل في بيت الله. ولما أسس البانون هيكل الربّ أقاموا الكهنةَ بملابسهم بأبواق، واللاويين بني أساف بالصنوج لتسبيح الرب على ترتيب داود.

انقضت ستون عاماً قبل أن يعاد بناء الهيكل، ثم أعيد بناؤه بين عامي (٥٢٠ ـ ٥١٥ق. م)، غير أن هذا البناء لم يبلغ عظمة هيكل سليمان[١].

جاء في سِفْر حِجِّي ٢/ ٣: من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول؟ وكيف تنظرون إليه الآن؟ أما هو في أعينكم كلا شيء؟.

اليهود تحت سيطرة المكدونيين:

ظلَّ اليهود زهاء قَرْنين تحت سيطرة الفرس يتمتعون بالحكم الذاتي دون أن يكون لهم كيان سياسي إلى أن هَزم الإسكندر المكدوني الدولة الفارسية واستولى على بلاد الشام عام (٣٣٢ق. م) تقريباً، فدان له جميع اليهود من عبرانيين وسامريين، وبعد موته عام (٣٢٣ق. م) تقريباً تقاسم قواده الإمبراطورية حسب ما أوصاهم، وخضع اليهود لخلفائه من بعده.

---

(١) الحواشي على الكتاب المقدّس، ص٧٨٤.

http://kotob.has.it

هـذا، ولم تذكـر التوراة العبريـة شـيئاً عن أحداث الأزمنـة التـي تلـت أرتحشتا حامي نحميا وعزرا، إلا أن التوراة اليونانية قبلت كتابين ينتميان إلى عهد السلوقيين، وهي فترة مشؤومة على اليهود، سُميا بسفري المكابيين[1].

جاء في المكابيين الأول ١/ ١ ـ ٣: أن الإسكندر بن فِيْلِبْسَ المكدوني بعد خروجه من أرض كِتّيم وإيقاعه بداريوس ملك فارس وماداي ملك مكانه، وهو أول ملك على اليونان، ثم أثار حروباً كثيرة، وفتح حصوناً متعددة، وقتل ملوك الأرض، واجتاز إلى أقاصيها.

١/ ٦ ـ ٨: وبعد ذلك انطرح على فراشه وأحس بالموت، فدعا عبيده الكبراء الذين نشؤوا معه، فقسم مملكته بينهم في حياته، وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ومات.

١/ ١٠ ـ ١١: فكثرت الشرور في الأرض، وخرج منهم جرثومة أثيمة هي أنطيوكس الشهير ابن أنطيوكس الملك.

ولما هاجم بطليموس السادس سورية دَحَره أنطيوكس الرابع، وتبعه إلى مصر، فقتله هناك، وأشيع في القدس العكس، فقام رئيس الكهنة السابق (ياسون) وانقضَّ بمن معه على المدينة فقتل الحراس وذبح معارضيه، وعاد أنطيوكس بجيش ضخم، فدخل القدس وأمر بقتل اليهود، ثم اقتحم الهيكل فاستولى على ما فيه، وأحرق جميع أسفار اليهود، ثم لم يلبث أن قرَّر توحيد الديانة في جميع البلاد الخاضعة له وإلزام شعوبها بعبادة آلهة اليونان، فأمر ببناء مذبح للأصنام في الهيكل وفي كل مدينة يهودية.

جاء في سفر المكابيين الأول ١/ ٢١ ـ ٢٥: ورجع أنطيوكس بعدما أوقع بمصر، فصعِد على أورشليم بجيش كثيف، ودخل المَقْدس بتجبر، وأخذ مذبح الذهب ومنارة النور مع جميع أدواتها، ومائدة التنضيد وغير ذلك مما كان على وجه الهيكل وحطَّمه ـ وأكثر من القتل.

١/ ٣٠ ـ ٤١: وبعد سنتين أرسل رئيس الجزية إلى مدن يهوذا، فوفد على

---

(١) وهما من الأسفار الخفية عند اليهود.

http://kotob.has.it

أورشليم وضربها وأهلك شعباً كثيراً من إسرائيل، وهدم بيوتها وأسوارها، وبَنَوا على مدينة داود سوراً عظيماً وبروجاً، فصارت لهم قلعة، وجعلوا هناك أمة أثيمة فتحصَّنوا فيها ـ كان ذلك مَكْمناً للمقدس وشيطاناً خبيثاً لإسرائيل، فسفكوا الدم حول المَقْدس ونجَّسوه، فهرب أهل أورشليم، فأمست مسكن غرباء وصار مَقْدسها خراباً كالقفر.

١/ ٤٦: وأنفذ الملك كتباً إلى أورشليم ومدن يهوذا أن يتّبعوا سنن الأجانب في الأرض.

ثورة المكابيين:

ظل اليهود تحت سيطرة اليونان في ظل السلالات المنبثقة من فتوحات الإسكندر، ففي البدء كانت فلسطين تحت حكم البطالسة المالكين في مصر، ثم انتقلت إلى حكم السلوقيين المالكين في سورية إلى أن قامت ثورة المكابيين عام (١٦٧ق.م) تقريباً، ثم قوي أمرهم حتى استطاعوا عام (١٦٤ق.م) أن يتسلَّلوا إلى القدس ويصلوا إلى جبل صهيون ويزيلوا معالم الوثنية، ويُعِدّوا الهيكل للعبادة من جديد غير أنهم لم يزالوا في صراع مع اليونان[١].

اليهود تحت سيطرة الرومان:

قرر الرومان ـ وهم من أصل إيطالي ـ التوسع، فشرعوا بأخذ ممالك الإغريق مملكة بعد أخرى حتى احتلوا الشام، وفي عام (٦٣ق.م) تقريباً اقتحموا القدس ودخلوا الهيكل ووطئوا قدس الأقداس، فقضوا على حركة اليهود، وقتلوا الكثيرين منهم، وأخذوا الملك وأولاده أسرى إلى روما.

زار يوليوس قيصر فلسطين، فأذن لليهود ببناء ما تهدم من أسوار القدس، وسمح لهم بإقامة المعبد، وعيَّن عليهم كاهناً اسمه ريسونك، ومنحهم حرية كبيرة، واستمرّ الأمر على هذه الصورة قرابة (٢٣) سنة، تخلَّلها صراع مع الرومان، ومنازعات كبيرة بين الأمراء المكابيين وبعد تمرّد يهودي عام (٣٧ق.م) تقريباً اقتحم الرومان المدينة ثانية، فأشاعوا فيها القتل والدمار، وقتلوا آخر

---

(١) وانظر: تقديم سفر المكابيين الأول، ص٧٦٨.

http://kotob.has.it

ملوكهم أنتيخوس، ثم نقلوا السلطة إلى يهودي من أصل أدومي، اسمه (هيرودس بن أنتيباتز) المعروف بهيرودس الكبير، وقد وافق القيصر أغسطس على تعيينه على القدس والنصف الجنوبي من فلسطين كله، فكان شديد الخضوع للرومان، غير أنّه عمل كثيراً لاسترضاء اليهود، فجدَّد لهم الهيكل ووسَّعه عام (٢٠ ـ ١٨ق . م) تقريباً، وجعله على نسق هيكل سليمان ـ عليه السلام ـ لكنهم ظلوا على كراهيتهم له، لأنه لم يكن من بني إسرائيل، أي ليس من أصل يهودي صرف، فما كان منه إلا أن نكَّل بهم أشدّ تنكيل، غير أنه مات عام (٤ق . م) تقريباً ولم يكتمل بناء الهيكل، ونشأ خلاف كبير بين أبنائه، ثم تمكن ابنه أخيلادوس من الحكم واستمر فيه.

كان أبناء هيرودس عنيفين مع اليهود كأبيهم، فتظلَّم اليهود لدى الإمبراطور الروماني، فما كان منه إلا أن عيّن حاكماً رومانياً على اليهودية والسامرة وأدومية عام (٦م) تقريباً، فكان هذا أول حاكم روماني يتولّى حكم اليهودية مباشرة. وفي عام (٢٦م) عين الإمبراطور الروماني طيباروس حاكماً جديداً على اليهودية، اسمه (بيلاطس بونتيوس)، وهو الذي اشتهر بلقب النبطي، وبقي على حكمها عشرين عاماً، وفي عهده طلب مجلس الكهنة منه إعدام السيد المسيح ـ عليه السلام ـ **ولكن هَمُّوا بما لم ينالوا**.

المسيح يحذِّر معلِّمي الشريعة وينبئ بخراب الهيكل:

ظل الهيكل على تلك الحالة إلى أن أتم بناءه أجريبا عام (٦٤م)، وفي خضمّ تلك السنين بُعث زكريا وابنه يحيى ـ عليهما السلام ـ فأعدمهما اليهود، كان زكريا ـ عليه السلام ـ رئيس الكهنة، فنشروه بالمنشار، ثم قتلوا ابنه يحيى ـ عليه السلام ـ لأنه امتنع عن أن يفتي الملك بجواز نكاح إحدى محارمه. وبعث عيسى المسيح ـ وهو ابن خالة يحيى، عليهما السلام ـ واليهود في أوج الفساد، فقد طمست عقائدهم، ورذلت أخلاقهم، وسيطرت عليهم المادة الصِّرْفة، حتى إنهم اتخذوا من الهيكل سوقاً للصيارفة والمرابين، وملهًى لسباق الحمام، فعمل على إصلاحهم، ودعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وواجه الكهنة وحذَّرهم من مغبّة ظلمهم وجشعهم ووبال أمرهم، وأخبرهم بما علمه الله أن الهيكل سيُهدم ثانية.

http://kotob.has.it

جاء في إنجيل متى ٢٣/ ١ ـ ٢ : وخاطب يسوع الجموع وتلاميذَه، قال: معلِّمو الشريعة والفَرِّيسيون على كرسي موسى جالسون.

٢٣/ ٥ ـ ٧ : وهم لا يعملون عملاً إلا ليشاهده الناس، ويجعلون عصائبهم عريضة على جباههم وسواعدهم، ويطولون أطراف ثيابهم، ويحبّون مقاعدَ الشرف في الولائم ومكان الصدارة في المجامع والتحياتِ في الأسواق، وأن يدعوهم الناس: يا معلِّم يا معلِّم.

٢٣/ ١٣ ـ ١٧ : الويل لكم يا معلِّمي الشريعة وأيها الفريسيُّون المراؤون، تُغلقون ملكوت السموات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون، ولا تتركون الداخلين يدخلون. الويل لكم، تأكلون بيوت الأرامل وتظهرون أنكم تطيلون الصلاة، سينالكم أشد العقاب. الويل لكم، تقطعون البحر والبر لتكسبوا واحداً إلى ديانتكم، فإذا نجحتم جعلتموه يستحق جهنم ضعف ما أنتم تستحقون. الويل لكم أيها القادة العميان، تقولون: من حلف بالهيكل لا يلتزم بيمينه، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم بيمينه. فأيما أعظم أيها الجهّال العميان، الذهب أم الهيكل الذي قدس الذهب؟.

٢٣/ ٢٣ ـ ٣٣: الويل لكم يا معلِّمي الشريعة والفريسيون المراؤون، تُعْطون العُشر من النعنع والصعتر والكمون، ولكنكم تهملون أهم ما في الشريعة: العدل والرحمة والصِّدْق، وهذا ما كان يجب عليكم أن تعملوا به من دون أن تهملوا ذاك، أيها القادة العميان تُصفُّون الماء من البعوضة، ولكنكم تبتلعون الجمل. الويل لكم تُطهرون ظاهر الكأس والصحن، وباطنهما ممتلئ بما حصلتم عليه بالنهب والطمع. أيها الفريسي الأعمى، طهّر أولاً باطن الوعاء، فيصير الظهر مثله طاهراً. الويل لكم، أنتم كالقبور المبيَّضة، ظاهرها جميل، وباطنها ممتلئ بعظام الموتى وبكل فساد، وأنتم كذلك تَظْهَرون للناس صالحين وباطنكم كله رياء وشر. الويل لكم تبنون قبور الأنبياء، وتزينون مدافن الأتقياء، وتقولون: لو عشنا في زمن آبائنا لما شاركناهم في سفك دم الأنبياء، فتشهدون على أنفسكم بأنكم أبناء الذين قتلوا الأنبياء، فتمِّموا أنتم ما بدأ به آباؤكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف ستهربون من عقاب جهنم؟!.

http://kotob.has.it

٢٣/ ٣٥ ـ ٣٦: لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بَرَخِيّا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم: هذا كلُّه سيقع على هذا الجيل.

٢٣/ ٣٧ ـ ٣٨: يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرةٍ أردت أن أجمع أبناءك مثلما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فما أردتم، وها هو بيتكم متروك لكم خراباً.

٢٤/ ١ ـ ٢: وخرج يسوع من الهيكل، فدنا إليه تلاميذه يوجهون نظره إلى أبنية الهيكل فقال لهم: أترون هذا كله؟ الحق أقول لكم: لن يُترك هنا حَجَر على حجر، بل يُهدم كله.

وجاء في إنجيل مرقس ١٢/ ٣٨ ـ ٤٠: وقال لهم في تعليمه: إياكم ومعلِّمي الشريعة، يحبون المشي بالثياب الطويلة والتحيات في الساحات ومكان الصدارة في المجامع ومقاعد الشرف في الولائم، يأكلون بيوت الأرامل وهم يظهرون أنهم يطيلون الصلاة، هؤلاء ينالهم أشد العقاب.

١٣/ ١ ـ ٢: ولما خرج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه: يا معلِّم، انظر ما أروع هذه الحجارة وهذه الأبنية! فأجابه يسوع: أترى هذه الأبنية العظيمة؟ لن يبقى منها حجر على حجر، بل يُهدم كله.

وجاء في إنجيل لوقا ١١/ ٣٩ ـ ٥٢: أنتم أيها الفرِّيسيون تُطهِّرون ظاهر الكأس والصحن، وباطنكم كلُّه طمع وخبث، يا أغبياء، هذا الذي صنع الظاهر أما صنع الباطن أيضاً؟ أعطوا الفقراء مما في داخل كؤوسكم وصحونكم يكن كل شيء لكم طاهراً. الويل لكم، تعطون العشر من النعنع والصعتر وسائر البقول، وتهملون العدل ومحبة الله، فهذا يجب أن تعملوا به دون أن تهملوا ذاك. الويل لكم تحبون مكان الصدارة في المجامع والتحيات في الساحات. الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسيون المراؤون.

أنتم مثل القبور المجهولة، يمشي الناس عليها وهم لا يعرفون ـ ـ الويل لكم، تحمِّلون الناس أحمالاً ثقيلة، ولا تمدون أصبعاً واحدة لتساعدوهم على حملها. الويل لكم، تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم هم الذين قتلوهم. وهكذا

http://kotob.has.it

تشهدون على آبائكم وتوافقون على أعمالهم، ولذلك قالت حكمة الله: أرسل إليهم الأنبياء والرسل، فيقتلون منهم ويضطهدون، حتى أحاسب هذا الجيل على دم جميع الأنبياء الذي سفك منذ إنشاء العالم، من دم هابيل إلى دم زكريا الذي قتِل بين المذبح وبيت الله. الويل لكم يا علماء الشريعة، استوليتم على مفتاح المعرفة، فلا أنتم دخلتم، ولا تركتم الداخلين يدخلون.

٢٠/ ٤٥ ـ ٤٧: وقال لتلاميذه بمسمع من الشعب: إياكم ومعلّمي الشريعة، يرغبون في المشي بالثياب الطويلة، ويحبون التحيات في الساحات، ومكان الصدارة في المجامع، ومقاعد الشرف في الولائم، يأكلون بيوت الأرامل وهم يظهرون أنهم يطيلون الصلاة، هؤلاء ينالهم أشد العقاب.

٢١/ ٥ ـ ٦: وتحدَّث بعضهم كيف أنَّ الهيكل مزين بالحجارة البديعة والتحف. فقال يسوع: سيجيء أيام لن يترك فيها مما تشاهدونه حجر على حجر، بل يُهدم كله.

انقسم اليهود تجاه دعوة عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ إلى قسمين كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

ثم طالب مجلس الكهنة (السنهدرين) الحاكم الروماني بيلاطس بإعدام المسيح ـ عليه السلام ـ وحَرَّضوه وألحُّوا عليه كما في إنجيل متّى ٢٧/ ١ ـ و١١/ ٤، وفي مرقس ١٥/ ١ و٦ ـ ١٥، وفي لوقا ٢٣/ ١ ـ ٣ و١٣ ـ ٢٥، وفي يوحنا ١٨/ ٣٢ و٣٩ و١٩/ ١٦، **ولكنْ هَمُّوا لم ينالوا**، فقد وقاه الله من مكرهم ورَفَعه إلى السماء. قال تعالى: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨][1].

---

(١) جاء في إنجيل برنابا ١١٢/ ١٤ ـ ١٧: وعليه فإني على يقين من أنَّ من يبيعني يُقتل باسمي، لأنَّ الله سيُصعدني من الأرض، وسيُغيِّر منظر الخائن حتى يظنّه كلُّ أحدٍ إيَّاي، ومع ذلك فإنه لما يموت شر ميتة أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم، ولكن متى =

http://kotob.has.it

التدمير الثاني للهيكل:

دأب اليهود على إثارة المشاكل للرومان، فقاموا بعدة ثورات، قتلوا خلالها كثيراً من الرومان ومن اليهود المتعاونين معهم، وضاق الرومان ذرعاً بتمرّد اليهود ودسائسهم ومكرهم؛ فأرسلوا إليهم جيشاً ضخماً بقيادة فسبازيان، فحاصر القدس وضيق الخناق عليهم، وفي هذه الأثناء انتخبه الجيش إمبراطوراً، فعاد إلى روما، وأناب ابنه تيطس فلافيوس، وأوصاه بالقضاء عليهم وحلّ المشاكل كلها، فاستمرّ في الحصار حتى سقطت المدينة في قبضته عام (٧٠م)، فدكَّ أسوارها وأشاع فيها الخراب، وأضرم النار في الهيكل بعد أن سلب ما فيه، ثم هدمه، ولم يُبْقِ فيه حجراً على حجر، وهذا هو التدمير الثاني للهيكل، ثم أخذ يتتبّع اليهود ويقتلهم، وقد فصَّل ذلك المؤرِّخ اليهودي يوسيفوس.

إزالة معالم المدينة وأطلال الهيكل:

اكتفى تيطس بتدمير المدينة والهيكل مع إبقاء الحطام والأطلال في مكانها، كما بقي فيها بعض اليهود، وفي القرن الثاني قامت فتن متلاحقة ما بين عامي (١٣٠ ـ ١٣٥م)، واندلعت ثورة أخرى لليهود مسلَّحة، فقضى عليها الإمبراطور (أدريانوس)، ثم عمد إلى إكمال ما بدأه تيطس، فهدم ما بقي من المدينة وأزال أطلال الهيكل تماماً، فسوَّاه بالأرض ثم حرثها وزرعها، وأراد التخلّص من

= جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة.
وبرنابا من تلاميذ المسيح الذين أخلصوا لدعوته، وكُتب النصارى تَعُدُّه من الرسل الذين يَبْلُغون مكانة الحواريين. والإنجيل المنسوب إليه من الكتب التي لا تعترف بها الكنيسة، ويذكر التاريخ أمراً أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية من سنة (٤٩٢م) إلى سنة (٤٩٦م)، يعدِّد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها، وفي عدادها إنجيل برنابا، وإذا كان محمد ـ ﷺ ـ ولد عام (٥٧١م) تقريباً، وبُعث في الأربعين من عمره، فإن هذا المنع كان قبل ولادة محمد ـ ﷺ ـ بنحو قرنين، وقد اتفق المؤرّخون والباحثون على أن أقدم نسخة لهذا الإنجيل هي النسخة الإيطالية التي عثر عليها (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا في مطلع القرن الثامن عشر، عام (١٧٠٩م)، ثم انتقلت هذه النسخة مع سائر كتب المستشار عام (١٧٣٨م) إلى مكتبة البلاط الملكي في فيينا، ولا تزال محفوظة هناك. وانظر: الكتب السماوية وشروط صحتها، ص٣٤٥ ـ ٣٥٧.

http://kotob.has.it

اليهود نهائياً، فلاحقهم وفتك بهم، ولم يترك أحداً منهم، فهاموا على وجوههم في بقاع الدنيا، منهم من فرَّ إلى مصر، ومنهم من فرَّ إلى قبرص وليبية والجزيرة العربية وغيرها.

إقامة المعبد الروماني مكان الهيكل:

أقام الإمبراطور إيليوس أدريانوس معبداً وثنياً مكان الهيكل، سمَّاه (جوبيتار) باسم ربِّ الآلهة عند الرومان، ووضع له تمثالاً كالتمثال القائم في معبد الكابيتول، وقرَّر تغيير كل شيء في هذه المدينة حتى اسمها، فاختار لها اسماً جديداً يتكون من كلمتين، إحداهما مأخوذة من اسمه (إيليوس) والثانية من اسم معبد الرومان (كابيتول)، فأصبح (إيلياكابيتوليا)، أي: إيليا العظمى. ويقال: إن معنى إيليا: بيت الله.

منع اليهود من دخول المدينة:

منع الإمبراطور أدريانوس اليهود من دخول المدينة، وجعل الموت عقوبة من يُقْدم على ذلك منهم، ثم سمح لهم بالمجيء إليها يوماً واحداً في السنة ليقفوا عند جدار بقي قائماً من السور في الجزء الغربي من المدينة، وهو الذي يسمى حائط المبكى، لكن ظلَّ حظر السكنى بها عليهم قائماً.

كان اليهود يقفون على هذا الجزء من الجدار الغربي باكين طالبين الرحمة والمغفرة لذنوبهم وذنوب أسلافهم التي بسببها دمَّر الله ملكهم مرتين: مرة على يد بختنصر البابلي، وأخرى على يد تيطس الروماني، **بل إن بعض المهووسين منهم إذا مرَّ من جانب هذا الحائط مزَّق ثيابه مبالغةً في إظهار حزنه وألمه**. ويقال: إنَّ تيطس لم يُبْقِ من الهيكل إلا جزءاً من السور في الجهة الجنوبية الغربية. ويزعم بعضهم أنه بقية من سور داود، ويزعم آخرون أنه جزء من حائط سليمان، كما نسبه بعضهم إلى المكابيين أو إلى هيرودوس.

تدمير المعبد الروماني وإنشاء كنيسة القُمامة:

كان من حقد اليهود على المسيح ـ عليه السلام ـ وأتباعه أن جعلوا المكان الذي دُفن فيه المصلوب ـ وهو حسب زعمهم عيسى عليه السلام ـ مزبلة تلقى فيها

http://kotob.has.it

القمامات وما يُستقذر من الخرق، وكذلك فعلوا بالخشبة التي تم الصلب عليها.

وبعد حادثة تيطس كانت المدينة خالية من اليهود، ليس فيها سوى حاميتها الرومانية، وبعد توالي القياصرة والولاة، حدث شيء من التسامح أتاح لأقلية من اليهود العودة، وبدا لبعض المسيحيين أن يعودوا فعادوا، وبقي المعبد الروماني على وثنيته قرابة ستين سنة إلى أن اعتنق الرومان ـ وعلى رأسهم القيصر ـ الديانة النصرانية، فقوي شأن النصارى وظل نجم اليهود آفلاً، ففي سنة (٣٢٥م) تنصَّر الإمبراطور الروماني قسطنطين، وقَبِل بفكرة التثليث والصلب والفداء مخالفاً جمهور المسيحيِّين الموحِّدين ومعادياً إياهم، فقويت بذلك شوكة أهل التثليث، واشتدَّت الوطأة على اليهود، فقتل كثيراً منهم، وفرَّ الباقون خارج فلسطين واختفى من بقي منهم، وحرم عليهم دخول المدينة، فلم يَبْقَ لهم ذكر في الأرض المقدَّسة، ودمَّر أيضاً المعبد من أساسه، فأصبحت أرض المسجد قاعاً صفصفاً لا بناء فيها.

وجاءت هيلانة أم القيصر إلى القدس تريد العثور على الخشبة التي تَمَّ الصلب عليها، فأخبرها القساوسة بما فعله اليهود من رَمْيه إلى الأرض وإلقاء القمامات والقاذورات فوقه، فأمرت باستخراجه وعظَّمته، وبنت في ذلك المكان كنيسة، فسميت كنيسة القمامة، ثم غيَّره النصارى إلى القيامة، اعتقاداً منهم بقيام المصلوب، ثم أمرت بطرح الزبل والقمامات في مكان المسجد وعلى الصخرة المقدَّسة جزاء بما فعل اليهود. وبقيت السيادة للرومان والنصارى على المدينة المقدَّسة والأرض المباركة التي حولها، ليس لليهود فيها من الأمر شيء إلى أن تمَّ الفتح الإسلامي، وسلَّم القساوسة والسكان المدينة لعمر ـ رضي الله عنه ـ كما سيأتي إن شاء الله[١].

المسجد في زمن النبي محمد ﷺ:

وُلد المصطفى ـ ﷺ ـ عام (٥٧١م) تقريباً، وكانت فلسطين تحت حكم الرومان، ثم بعثه الله نبياً عام (٦١٠م) تقريباً، ثم أسرى به ليلاً من المسجد الحرام

---

(١) اليهودية، لأحمد شبلي، ص٩٣ ـ ٩٤؛ اليهود، لزكي شنودة، ص١٩٠ ـ ١٩١ و٢٠٣ ـ ٢٠٤ و٢٠٦ و٢٠٩ ـ ٢١١.

http://kotob.has.it

إلى المسجد الأقصى عام (٦٢٠م) تقريباً، كان المسجد الأقصى مُهَدَّماً، ليس فيه إلا بقايا من السور الخارجي، غير أن قداسة المكان لا تزول بزوال ما فوقها من بناء.

وتذكر كتب السيرة النبوية أنَّه ـ ﷺ ـ ركب البُراق، وكان بصحبته جبريل ـ عليه السلام ـ فنزل هناك، وربط البُراق بباب السور الخارجي، ولذلك يسمى حائط البُراق، وهو بالقرب من باب المسجد الذي يقع على الساحة، ثم صلَّى هناك، ثم عُرج به إلى السموات العُلى، حيث فُرضت الصلاة عليه وعلى أمته، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

تنبيه: في الإسراء من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس ثم العروج من هناك إلى حيث تنقطع علوم الخلائق إشارة واضحة إلى اتصال النبوة في ذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وانصراف التفضيل (ملكوت الله) عن بني إسرائيل بعد أن أثبتوا أنهم غير أهل لذلك ولا جديرين به، إلا من شاء أن يستقيم، ووعد بانتقاله إلى أمة محمد ـ ﷺ ـ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وبذلك يتصل الوعد للمتقين من ذرية إبراهيم.

القبلة الأولى:

كانت الصخرة التي في ساحة المسجد الأقصى قبلة الأنبياء قبل موسى ـ عليه السلام ـ وبعده، وقد صلَّى إليها رسول الله محمد ـ ﷺ ـ قبل الهجرة جاعلاً الكعبة بين يديه، فلما هاجر إلى المدينة المنوَّرة صلَّى إليها ستة عشر شهراً ـ وقيل: سبعة عشر ـ وكان يحب الكعبة التي بناها جَدَّاه إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ فكان ينظر إلى السماء راجياً من الله سبحانه أن يولِّيه شطر المسجد الحرام، فأجابه ربُّه وأمره بذلك، وحُوِّلت القبلة إلى جهة الكعبة في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

http://kotob.has.it

أي: كثيراً ما رأينا تردّد بصرك أيها النبي جهة السماء تشوّقاً لتحويل القبلة، فلنولينك قبلة تحبُّها، وهي الكعبة قبلة أبيك إبراهيم، فتوجَّه في صلاتك نحوها، وحيثما كنتم أيها المؤمنون فتوجهوا في صلاتكم نحوها، وإن اليهود والنصارى ليعلمون أنّ هذا التحويل حق من عند الله، ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء الشبهات، ولا يخفى على الله شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

القبلة الجديدة في أسفار أهل الكتاب:

لا زال في أسفار أهل الكتاب التي يقرّون بها نصوص تذكر بشارات بمحمد ـ ﷺ ـ وتصف بلده مكة المكرمة وقبلته الجديدة الكعبة المعظَّمة، رغم ما اعترى تلك الأسفار من تحريف وتشويه، ومن ذلك ما يلي:

● جاء في سفر إشعياء ٢١/ ١١ ـ ١٣: وَحْي من جهة دُومة، صرخ صارخ من سعير ــ وحي من جهة بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين.

٣٥/ ٨: وتكون هناك سكة وطريق يقال لها: الطريق المقدَّسة، لا يعبر فيها نجس، بل هي لهم. من سلك في الطريق ـ حتى الجهال ـ لا يضلّ.

٤٢/ ١٠ ـ ١٢: سبِّحوا للرب تسبيحة جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض ـ ـ لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قَيْدار، لتترنم سكان سالع، من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً.

٤٩/ ١٨ ـ ٢٣: ارفعي عينيك حواليك وانظري، كلُّهم قد اجتمعوا، أتَوا إليك، حيٌّ أنا يقول الرب، إنكِ تَلبَسين كلَّهم كحلي، وتتنطقين بهم كعروس ــ فتقولين في قلبك: من وَلَد لي هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفية ومطرودة؟ وهؤلاء من ربَّاهم؟ هأنذا كنت متروكة وحدي، هؤلاء أين كانوا؟ هكذا قال السيِّد الربُّ: ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الشعوب أقيم رايتي، فيأتون بأولادك في الأحضان، وبناتُك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك، بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك، فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يُخزَى منتظروه.

http://kotob.has.it

٥٤/ ١ ـ ٣: ترنَّمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنُّم أيتها التي لم تمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل، أوْسِعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك ـ ـ لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً خربة.

فالمراد بالعاقر مكة المكرمة، لأنه لم يظهر فيها نبي بعد إسماعيل ـ عليه السلام ـ إلى زمن إشعياء، فسميت عاقراً، بخلاف بيت المقدس، فإنه كان بيت الأنبياء ومعدن الوحي، ولم تزل إلى زمن عيسى ـ عليه السلام ـ ولاّدة للأنبياء.

● وجاء في إنجيل يوحنا ٤/ ١٩ ـ ٢٦: أنَّ امرأة سامرية قالت للسيد المسيح: يا سيِّدُ أرى أنك نبي آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون: إنَّ في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه؟ قال لها يسوع: يا امرأة صَدِّقيني، إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود.

فدلَّ على أنَّ القبلة ستُنزع من هذا المكان كله، وتتحول إلى مكان آخر. وفي هذا إشارة منه ـ عليه السلام ـ إلى تغيير الاتجاه في أثناء الصلاة والدعاء من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة في المسجد الحرام. وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، والمراد علماء أهل الكتاب.

المسجد بعد الفتح الإسلامي:

ظلَّ مكان المسجد خالياً من البناء إلى أن جاء الفتح الإسلامي عام (١٥هـ = ٦٣٦م) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فبعدَ حصار دام أربعة أشهر أصاب المدينة منه ضنك طلب أهلها الصلح، واشترطوا أن يتولَّى ذلك أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ بنفسه استلام المدينة وألا يدخلها أحد قبله، ليضمنوا العهد والأمان منه شخصياً، وتحرَّك عمر ـ رضي الله عنه ـ من المدينة المنورة إلى القُدْس، ودخلها عن طريق جبل كان يسمى (طور زيتا) وكبَّر عندما أشرف على المدينة من فوق وكبَّر المسلمون معه وهلَّلوا، ولذلك سمي فيما بعد بجبل المكَبِّر.

http://kotob.has.it

التقى عمر ـ رضي الله عنه ـ بالبطريك صفرنيوس، فأحاطه بعنايته، واشترط البطريك عليه في عقد التسليم ألاَّ يدخل المدينة أحد من اليهود، فكتب له عمر ـ رضي الله عنه ـ وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية، وأشهد على ذلك أربعة من قوَّاده، ولا زالت محفوظة إلى اليوم في كنيسة القيامة، وإليك نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصُلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملَّتها، وأنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صُلُبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضارّ أحد منهم، ولا يَسْكُن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلِّي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الجزية التي عليهم». شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان(١).

لم يكن اليهود في المدينة أصلاً قبل الفتح، ومع ذلك طلب النصارى واشترطوا مَنْعهم من دخولها، وذلك لما علموا من شدَّة المصائب التي تأتي من ورائهم.

عمر يصلي في المسجد الأقصى:

دخل عمر ـ رضي الله عنه ـ القُدس وتجوَّل فيها حتى وصل إلى كنيسة

---

(١) أورد المؤرِّخون نصَّ العهدة العمرية، ومنهم الطبري في تاريخه: ٣/ ١٠٥، وهي أيضاً في فتوح البلدان، ص١٨٨، وفي خطط الشام: ١/ ١١٨، وقد نشرت مجلة العربي الكويتية صورتها في شهر يناير عام (٢٠٠٣م).

http://kotob.has.it

القيامة، فأذَّن المؤذن بالصلاة وهو فيها، فقال له البطريرك: صلِّ. فقال: لا، أما إني لو صلَّيت هنا، لأخذها منكم المسلمون فيما بعد، يقولون: صلَّى عمر هنا. مع أنه لو أراد ألا يُبْقي منها حجراً على حجر لفعل ولن يعترض عليه أحد، ولكنها سماحة الإسلام ورحمته. ثم دخل عمر ـ رضي الله عنه ـ مع أصحابه المسجد الأقصى من الباب الذي دخل منه رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة الإسراء، ثم طلب من البطريرك أن يدلَّه على مكان مسجد داود ـ عليه السلام ـ فراوغ في البدء، ثم قال: أهو المكان الذي كان يعظِّمه اليهود؟ قال: نعم. فمضى بهم إليه، لأن المكان كان معروفاً لدى الناس وإن اندثر البناء، ثم دلَّهم على محراب داود وكرسي سليمان ـ عليهما السلام ـ فتقدم عمر ـ رضي الله عنه ـ وصلَّى فيه ركعتين تحية المسجد.

روى الإمام أحمد في مسنده أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أصلّي؟ فقال: إن أخذت عني صلَّيت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: ضاهيت اليهود! لا ولكن أصلِّي حيث صلّى رسول الله ـ ﷺ ـ فتقدَّم إلى القبلة فصلَّى، ثم جاء فبسط رداءه، فكَنَس الكُناسة في ردائه، وكَنَس الناس. كان على الصخرة زبل كثير وقُمامات مما طرحه الروم والنصارى غَيْظاً لليهود، إذ كانت قبلتهم، حتى إنها لم تكد تظهر من كثرة الأوساخ، فجعل ـ رضي الله عنه ـ يكنس وينظف بعد أن بسط رداءه، وحذا المسلمون حذوه، ثم صلَّى بهم صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الركعة الأولى سورة صٓ التي فيها ذِكْر داود ـ عليه السلام ـ وسجوده، فسجد عمر ـ رضي الله عنه ـ وسجد المسلمون معه، وقرأ في الركعة الثانية سورة الإسراء، فكانت هذه أول صلاة جماعة للمسلمين في المسجد الأقصى بعد صلاة النبي ـ ﷺ ـ ليلة الإسراء.

بناء المسجد العُمري:

روى الطبري في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية[1]: أنَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ استشار كعب الأحبار فقال له: أين أضع المسجد؟ فقال: اجعله وراء الصخرة. فقال: ضاهيت اليهود يا كعب! بل نجعله في صدر المسجد. ثم أقامه

---

(١) انظر: تاريخ الطبري: ٧/ ٥٦١؛ البداية والنهاية في التاريخ: ٧/ ٥٦ ـ ٥٧.

http://kotob.has.it

أمام الصخرة وجعلها في مؤخرته. فكأنه لم يرضَ أن يبني المسجد خلف الصخرة حتى لا تُتَّخَذ قبلة بعد نسخ التوجه إليها، وبناه في مكانه القائم اليوم، ويعرف بالمسجد العمري.

إشعياء يبشِّر بدخول المسلمين القدس:

جاء في سفر إشعياء ٢٦/ ١ ـ ٦: في ذلك اليوم يُغنَّى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قويَّة، يجعل الخَلاص أسواراً ومَتْرسة، افتحوا الأبواب لتدخل الأمَّة البارّة الحافظة الأمانة، ذو الرأي المُمكَّن تحفظه سالماً سالماً، لأنَّه عليك متوكل، توكَّلوا على الربِّ إلى الأبد، لأن في ياه الربِّ صَخْرَ الدهور، لأنه يخفض سكان العُلاء، يضع القرية المرتفعة، يضعها إلى الأرض، يُلصقها بالتراب، تدوسها رجلا البائس وأقدام المساكين.

فالأمة البارة هي أمة محمد ـ ﷺ ـ وهي تحفظ الأمانة والذمَّة، وهي التي دخلت أرض يهوذا، لم يدخل غيرها منذ زمن إشعياء حتى الآن، والبائس هو أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ فإنه كان فقيراً شديد التواضع حمل هموم المسلمين حتى اصفرّ لونه، وعندما وصل إلى القدس واستقبله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأهل القدس كان يسوق الجمل وخادمه راكب، لأنها نوبته، والمساكين هم الصحابة والتابعون ـ رضي الله عنهم ـ الذين فتحوا بلاد الشام، سُموا بذلك لتواضعهم واكتفائهم من الدنيا بالقليل.

عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر ـ رضي الله عنه ـ الشام لقيه الجنود وعليه عمامة، وقد خلع خُفَّيه وهو يخوض الماء آخذاً بزمام راحلته، وخُفَّاه تحت إبطه، فقالوا: يا أمير المؤمنين الآن تلقاك الأمراء وبطارقة الشام، وأنت هكذا؟ فقال: إنَّا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العزّة بغيره أذلّنا الله[1].

وقد وجد أهل القدس وغيرهم من المسلمين صدقاً ووفاءً وعَدْلاً، فشرعوا يدخلون في دين الله أفواجاً عن حب وقناعة.

---

(١) مختصر السيرة، لمحمد بن عبد الوهاب، ص٤٨٣.

http://kotob.has.it

تجديد البناء في العهد الأموي:

في العهد الأموي شرع الخليفة عبد الملك بن مروان [٧٣ ـ ٨٦هـ] بإعمار المدينة المقدسة وتجديد بناء المسجد العمري، وشيَّد أيضاً مسجداً آخر فوق الصخرة، وبعد وفاته أتمَّ ابنه الوليد بن عبد الملك [٨٦ ـ ٩٦هـ] بناء المسجدَين، فصار في تلك الساحة مسجدان، أما لفظ الأقصى فيُطلَق على ما يدور عليه السور وفيه الأبواب. وبعض الناس يُطلق لفظ الأقصى على المسجد العمري من باب إطلاق العام على الخاص، ولا ريب أن فضائل المسجد تعم الأرض المباركة التي داخل السور دون تخصيص الصخرة. وظل المسجد في تعهد وحفظ وصيانة في العهود التالية، ففي العصر العباسي حدث زلزال فقام الخليفة أبو جعفر المنصور بتعهده وتوسعته توسعة كبيرة.

وصفوة القول في تاريخ المسجد: إنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ بوَّأ المكان لمن بعده عند الصخرة، ثم أقام يعقوب ـ عليه السلام ـ مسجده عندها، وبعد ذلك نصب يشوع عليها خيمة الاجتماع التي أنشأها موسى ـ عليه السلام ـ ثم بنى داود ـ عليه السلام محرابه عندها أو قريباً منها، وشيَّد سليمان ـ عليه السلام ـ البيتَ حولها، وبعد ارتداد اليهود جاء بختنصر عام (٥٩٧ق. م) تقريباً فدمَّر البيت تدميراً كاملاً، ثم جُدد البناء في العهد الفارسي بعد موافقة الملكين كورش وأرتحشستا، ثم دمَّره تيطس عام (٧٠م) إبان حكم الرومان، وتوالى عليه التدمير حتى سوي بالأرض، ولم يعد لليهود وجود في المدينة بعد ذلك، ثم ظهر الإسلام، وأسرى الله بنبيه محمد ـ ﷺ ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج من فوق الصخرة إلى السموات العُلَى، ثم فتح المسلمون المدينة وكان بناء المسجد من جديد.

سماح المسلمين لليهود بالعودة إلى فلسطين:

انقطعت صلة اليهود بالأرض وبالمدينة والبيت ثمانية عشر قرناً في عهد الرومان الوثنيين ثم النصارى، ثم دخل المسلمون القدس ولم يكن بها أحد من اليهود، ثم استغلَّ اليهود سماحة الإسلام فهُرعوا في أواخر الدولة الأموية إلى طلب زيارة القدس ثم العمل فيها، ثم السكنى والعبادة، وأنشؤوا فيها مراكز دينية

http://kotob.has.it

في طبرية وصفد والخليل وبيت المقدس، ولما طَرَد الإسبانُ اليهودَ عام (١٤٩٢م) ذهب أكثرهم إلى الشرق العربي، لأن لهم ذِمَّة ترعى وتحفظ.

السلطان عبد الحميد يرفض رشوة الصهاينة:

في العصر العثماني جاء السلطان عبد الحميد ـ رحمه الله ـ إلى الحكم على أنقاض ممارسات من سبقه عام (١٨٧٦م)، فحكم دولة قد تآكل جسمها، وبحنكته أخّر سقوط الدولة العثمانية، لكن اتَّسع الخرق على الراقع.

وفي تلك الأثناء عقد اليهود مؤتمراً في مدينة بال بزعامة الصحفي اليهودي هرتزل، ثم صدر له كتاب بعنوان (الدولة اليهودية).

عرض اليهود على الدولة العثمانية قرضاً يبلغ خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية لتسديد ديونها ومليون جنيه لخزانة السلطان الخاصَّة، وبناء أسطول كامل للدفاع عن أرض الدولة مقابل السماح لليهود بإنشاء مستعمرة صغيرة لهم قرب القدس ينزلون فيها، فرفض السلطان ـ رحمه الله ـ رفضاً قاطعاً وشجاعاً، وكان مما قاله لهم: «البلاد ليست ملكي ـ ـ ولست مستعداً أن أتحمَّل في التاريخ وَصْمة بيع بيت المقدس لليهود وخيانة الأمانة التي كلَّفني المسلمون بحمايتها». ثم توالت العروض على السلطان وتلاحقت الإغراءات، لكن لم يجدوا عنده إلا الرفض التام والموقف الصادق. وبعد هذه الإغراءات لجأ هرتزل إلى التهديد، لكنه صادف شخصية لا تلين، فقد أصدر ـ رحمه الله ـ في حزيران عام (١٨٩٨م) أمراً بمنع اليهود الأجانب من دخول فلسطين دون تمييز بين جنسياتهم. وحيكت المؤامرات في الخفاء واشتُريت النفوس الحقيرة، وخُلع السلطان عام (١٩٠٩م) بعد اثنين وعشرين عاماً من محاولات الإصلاح، ثم توفي عام (١٩١٨م)، جزاه الله عن أمته خيراً.

الإنكليز يخونون الأمانة ويصدرون وعد بلفور:

قامت الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤م)، وانتصر الحلفاء على دول المحور، وأسقطت الخلافة الإسلامية، وحلَّ الاتحاديون، وغاب حُرَّاس القدس، وطويت صفحة الدولة العثمانية، وغدت القدس يتيمة. وفي ٩ كانون

http://kotob.has.it

الثاني عام (١٩١٧م) دخل البريطانيون بقيادة الجنرال اللنبي فلسطين، ومكثوا فيها إلى سنة (١٩٤٨م) بعد أن أصدروا وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

اليهود بعد مسرحية حرب حزيران:

في السابع من حزيران عام (١٩٦٧م) وبعد يومين ممَّا خُطط له، توجه حاخام الجيش اليهودي (شلوموغورين) إلى حائط البُراق، ونفخ في البوق، ووجَّه رسالة إلى اليهود قال فيها: أخاطبكم من حائط المبكى آخر أثر لهيكلنا. هذا هو اليوم الذي تاقت نفوسنا إليه، دعونا نفرح ونبتهج.

ثم قام اليهود بعمل حفائر في أساس الحائط، فكان أقصى ما عثروا عليه في الحجارة عبارتين من سفر إشعياء محفورتين بخط يجعل نسبة هذه الحجارة لداود أو سليمان ـ عليهما السلام ـ مستحيلة، ولذلك سكتوا عنها، ولا يزالون يحفرون تحت المسجد.

وفي (٢٢) تموز (١٩٦٩م) أصدر الحاخام الأكبر نداء يُطالب فيه بالمحافظة على أحكام الحداد العام في يوم (٩) آب، وهو يوم خراب الهيكل. وقال: يجب الاحتفاظ بهذا اليوم رغم وجود الحرم بأيدي أعداء اليهود على أرضه ـ ـ ويجب أن نستمر على الصوم والتهليل حتى نسترجع الهيكل من أعدائنا ونعيد بناءه، ولن نمتنع عن ذلك حتى نسمع نغمات أطفال اليهود في أزقة المدينة القديمة، ونسمع أغاني السبت من خلال نوافذ البيوت، ونؤدِّي الصلاة في هيكل سليمان الذي يجب أن نعيد بناءَه

وهكذا وصفوا من آواهم وتسامح معهم بالأعداء، وكل إناء بالذي فيه ينضح[١].

---

(١) مما يجدر ذكره أن هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ سمح للإمبراطور الروماني شرلمان عام (٧٨٦م = ١٦٩هـ) بترميم كنائس القدس، فأرسل البنَّائين والأموال لهذا الغرض، وكان المسلمون يحلُّون الخلاف بين طوائف النصارى، ومقارنة العاقل بين دخول الصليبيين القدس بعد أن أعطوا الأمان وبين دخول المسلمين فيها بقيادة صلاح الدين تعطيه فكرة عن التسامح الحقيقي.

http://kotob.has.it

وصفوة القول: إنَّ اليهود اليوم يبحثون عن الهيكل وينقِّبون عنه، وقد فتَّشوا عنه طويلاً فلم يعثروا له على أثر، ولن يعثروا، فقد جاء في كتبهم وفي كثير من الروايات التاريخية أنه قد هُدِم وأُحرق، ولم يَبْقَ منه حَجَرٌ على حجر.

* * *

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الثالث

القرآن الكريم يؤكِّد أنَّ التوراة أناطت الوعد بالاستقامة وحذَّرت

ويتضمن ما يلي:

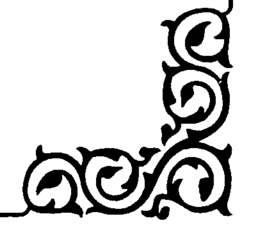
١ ـ تحذير بني إسرائيل في التوراة والقرآن

٢ ـ من المسلَّط عليهم في المرتين

٣ ـ اجتهاد بعض المعاصرين في تفسير الآيات

٤ ـ إنذار الأنبياء المتعاقبين





http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
تحذير بني إسرائيل في التوراة والقرآن

تذكيرهم بالشرط:

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء: ٢ ـ ٣]

أي: وأعطينا نبينا موسى كتاب التوراة هداية لبني إسرائيل، وفيه اشتراط وميثاق عليهم ألا تتخذوا من دوني ربّاً تكِلُون إليه أموركم، يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة عند الطوفان ونجيناهم من الغرق، وقد كان نوح عبداً كثير الشكر.

وفي ذلك تذكير لهم بنعمة الله عليهم حيث نجّاهم من آل فرعون، وفضّلهم على عالمي زمانهم، وحثٌّ لهم على التزام الصلاح ودوام الشكر وفاء بالشرط والميثاق.

العلو والفساد والتشرّد:

قال سبحانه: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٦].

تُبين الآيات أنَّ الله سبحانه أخبر بني إسرائيل في التوراة بما سيكون في المستقبل حسب علمه، فقد منحهم فرصتين ليثبتوا فيهما صلاحهم لحمل الأمانة وأهليتهم للتفضيل، وأعلمهم بأنه ليكونن منكم إفساد في الأرض بمخالفة ما شرعه الله لكم، ولتطغون طغياناً كبيراً بالظلم والعدوان وانتهاك محارم الله والكفر والارتداد. وهل المراد بالأرض الجنس ليشمل الجزء والكل والخاص والعام، فلم يحدّد مكاناً لإفسادهم؟ أو المراد أرض فلسطين وما حولها، ولا سيما بيت المقدس؟.

http://kotob.has.it

فإذا جاء وعد أولى المرَّتين من الإفساد والعلو سلَّطنا عليكم ناساً من عبادنا أشدَّاء أصحاب قوة وبطش في الحروب للانتقام منكم، فطافوا وسط البيوت لطلبكم باستقصاء، يغدون ويروحون للتفتيش عليكم واستئصالكم، هل بقي من أحد لم يقتلوه؟ وكان ذلك التسليط والانتقام قضاءً محتوماً لا خُلْف فيه، ولا يقبل النقض ولا التبديل، ثم لما تبتم وأنبتم إلى الله رددنا لكم الدولة والغلبة، وأعطيناكم الأموال الوفيرة والذرية الكثيرة مكافأة لكم، وجعلناكم أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم لتستعيدوا قوتكم وتبنوا دولتكم بعد ذلك البلاء والجهد الشديدين.

تنبيه: ابتدأ الله سبحانه هذه السورة بالإخبار عن تحذير بني إسرائيل ووجود هذه النبوءة في كتاب موسى ـ عليه السلام ـ أي: كنا قد أخبرنا بني إسرائيل. والهدف من إعادة ذلك في القرآن الكريم هو كشف الغيب الذي لا يعلمه إلا من أنزل الكتب على الرسل، وتذكير لبني إسرائيل المعاصرين للتنزيل ومَن بعدهم، وليصبح أيضاً جميع الناس مساوين لبني إسرائيل في معرفة ذلك.

ثم قال جلَّ جلاله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧ ـ ٨].

اختلف المفسّرون فيمن وُجِّه إليهم هذا الخطاب، هل هم بنو إسرائيل الملابثون لما ذكر في تلك النبوءة؟ أو أن الخطاب موجَّه إلى بني إسرائيل الموجودين في زمن النبي محمد ـ ﷺ ـ والغرض منه إعلامهم بما حلَّ في سلفهم، فليرتقبوا مثل ذلك إن عصوا وكفروا، فيكون في الآية ترغيب وترهيب؟ ولا يبعد أن يكون الخطاب وُجِّه من قبل إلى بني إسرائيل المعاصرين لموسى ـ عليه السلام ـ وأُعيد ذكره في القرآن الكريم بهذه الصيغة تذكيراً ووعيداً لليهود المعاصرين للنبي محمد ﷺ.

ومعنى الآيات: فإذا جاء وقت المرة الأخيرة من إفسادكم وعقوبتكم بعثنا عليكم أعداءكم مرة ثانية ليهينوكم بالإذلال والقهر حتى تظهر آثار المساءة

http://kotob.has.it

عليكم، وتتبين الكآبة في وجوهكم[1]. وليدخلوا المسجد بيت المقدس ويعيثوا فيه كما عاثوا في المرة الأولى التي جاسوا فيها خلال الديار، وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم مدة علوِّهم تدميراً. والتبار: الهلاك، قال الزجاج: كل شيء كسرته وفتتته فقد تبّرته.

تنبيه: في قوله تعالى: ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ إشارة إلى أنه سبحانه جمع عليهم ألم النفس والبدن معاً، فإن إساءة الوجه أن يفعل بهم ما يكرهون فتظهر عليهم معالم الذل والهوان.

وبعد نفاذ الوعد والانتقام في المرة الثانية يوجه سبحانه الخطاب للبقية الباقية التي نجت من العذاب لعلّهم يعتبرون ويعودون إليه فيقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ ويصرف أعداءكم عنكم إن أطعتم واستقمتم بعد ذلك، وهذا وعد منه سبحانه بكشف الضر والعذاب عنهم إن رجعوا إليه، و(عسى) منه سبحانه واجب أوجبه على نفسه، لكن إن عدتم ثالثة إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى عقوبتكم والتنكيل بكم في الدنيا، أما في الآخرة فقد جعلنا جهنم محبساً وسجناً للكافرين لا يقدرون على الخروج منها أبداً[2].

قال أهل السير: ثم إنهم عادوا إلى تكذيب النبي محمد ـ ﷺ ـ بعد بعثته وكتموا ما ورد في أسفارهم من أوصافه والتبشير به، وعملوا على محاربته وحاولوا اغتياله، فعاد الله سبحانه إلى عقوبتهم على أيدي المسلمين، فجرى ما جرى ليهود بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة ويهود خيبر، جزاءً وفاقاً وعقوبةً عادلة على نكث عهودهم وغدرهم.

قال تعالى في أحبار اليهود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُولَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُولَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

---

(١) وحُذف جواب (إذا) هنا لدلالة جواب (إذا) الأولى، والتقدير: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم عليكم ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم.

(٢) أضواء البيان: ٣/ ٤٠٥؛ النكت والعيون، للماوردي: ٢/ ٤٢١ ـ ٤٢٥؛ فتح القدير، للشوكاني: ٣/ ٢٠٦ ـ ٢١٠؛ صفوة التفاسير: ٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣.

http://kotob.has.it

وستكتمل عودتهم هذه إلى الفساد باتّباعهم المسيح الدجال، وتكون نهايته ونهايتهم بإذن الله على مشارف بيت المقدس بباب اللُّدِّ على يدي مسيح الهدى عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ومن معه من المسلمين، فهم الذين حكموا على أنفسهم بالهلاك أولاً وآخراً.

● عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة» [أخرجه مسلم وأحمد].

فاليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ سوف يتَّبعـون الدجَّال عندمـا يظهر ويكونـون جنده وأكثـر أتباعـه، لأنه يأتي موافقاً لأهوائهم، فيظنون أنّه مسيحهم المنتظر. وأصفهان ـ أو أصبهان ـ بلدة فارسية معروفة في إيران، تقع بين شيراز وطهران. وقوله: «سبعون ألفاً» إنما يدل على الكثرة لا على التحديد كما هو معروف في أساليب العرب.

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «ـ ـ فينزل عيسى ابن مريم، فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله بيده، فيريهم دمه في حربته» [أخرجه مسلم].

وفي حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ عند أبي داود وابن ماجه: «وينطلق هارباً، ويقول عيسى: إنَّ لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله جنوده».

ما في توراتهم من بقايا الوحي المحذّر:

ورد تحذيـرهم في الأسفار المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ ومن ذلك ما يلي:

● جاء في سفر التثنية ٣١/ ١٦ ـ ٢١: وقال الرب لموسى: ها أنت تَرْقُد مع آبائك، فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التي هو داخل إليها فيما بينهم ويتركني وينكث عهدي الذي قطعته معه، فيشتعل غضبي عليه في ذلك اليوم، وأتركه وأحجب وجهي عنه، فيكون مأكلة، وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليوم: أما لأن إلـهي ليس في وسطي أصابتني هذه

http://kotob.has.it

الشرور. وأنا أحجب وجهي في ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذي عمله، إذِ التفت إلى آلهة أخرى، فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد، وعلِّم بني إسرائيل إياه، ضَعْه في أفواههم ليكون شاهداً عليهم، لأني أدخلهم الأرض ـ فيأكلون ويشبعون ويسمنون، ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بي وينكثون عهدي، فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد يجاوب هذا النشيد أمامه شاهداً، لأنه لا ينسى من أفواه نسله، إني عرفت فكره الذي يفكّر به اليوم قبل أن أدخله إلى الأرض. فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلَّمه بني إسرائيل.

ولعلَّ هذا من بقايا الوحي، فإنَّ فيه ما يوافق قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

● وجاء في ٢٨/ ١٥: ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلـٰهك، لتحرصَ أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك.

٢٨/ ٢٠: يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذا تركتني.

٢٨/ ٢٥ ـ ٢٩: يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك، في طريق واحدة تخرج عليهم، وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قَلِقاً في جميع ممالك الأرض، وتكون جثتك طعاماً لجميع طيور السماء ووحوش الأرض، وليس من يزعجها ـ يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب ـ ولا تنجو في طرقك، بل لا تكون إلا مظلوماً مغصوباً كل الأيام وليس مُخلِّص.

٢٨/ ٣٢ ـ ٣٧: يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر، وعيناك تنظران إليهم طول النهار فتكِلَّان، وليس في يدك طائلة. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه، فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام ـ يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك، وتعبد هناك آلهة أخرى من خشب وحجر، وتكون دَهَشاً ومثلاً وهُزْأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.

٢٨/ ٤٣ ـ ٥٠: الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعداً وأنت

http://kotob.has.it

تنحط متنازلاً، هو يُقرضك وأنت لا تقرضه، هو يكون رأساً وأنت تكون ذنباً. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك، لأنك لم تسمع لصوت الرب ـ ـ فتكون فيك آية وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد ـ ـ تُستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوع وعطش وعُرْي وعَوَزِ كلّ شيء، فيجعل نِيرَ حديد على عنقك حتى يهلكك، يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النَّسر، أمةً لا تفهم لسانها، أمية جافية الوجه، لا تهاب الشيخ ولا تحِنّ إلى الولد.

٢٨/ ٥٨ ـ ٥٩ : إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة في هذا السفر لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوبَ الربَّ إلـٰهك، يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة راسخة.

٢٨/ ٦٣ ـ ٦٧ : وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح ليفنيكم ويهلككم فتستأصلوا من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر. وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون لك قرار لقدمك، بل يعطيك الرب هناك قلباً مرتجفاً وكَلال العينين وذبول النفس، وتكون حياتك معلَّقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك، في الصباح تقول: يا ليته المساء، وفي المساء تقول: يا ليته الصباح من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنتظر.

● وفي ٢٩/ ١ ـ ٤ : ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم: أنتم شاهدتم ما فعل الربُّ أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون ـ ـ التجارب العظيمة التي أبْصَرَتْها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة، ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم.

٢٩/ ٩ : فاحفظوا كلمات هذا العهد واعملوا بها لكي تفلحوا في كل ما تفعلون.

٢٩/ ١٨ : لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبط قلبه اليوم منصرف عن الرب إلـٰهنا لكي يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم.

http://kotob.has.it

٢٩/ ٢٠ ـ ٢٢: لا يشاء الرب أن يَرْفَق به، بل يُدَخِّن حينئذٍ غضب الرب وغيرته على ذلك الرجل، فتحل عليه كل اللعنات المكتوبة في هذا الكتاب، ويمحو الرب اسمه من تحت السماء.

٢٩/ ٢٤ ـ ٢٩: ويقول جميع الأمم: لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض؟ لماذا حُمُوُّ هذا الغضب العظيم؟ فيقولون: لأنهم تركوا عهد الرب إلـٰه آبائهم الذي قطعه معهم حين أخرجهم من مصر، وعبدوا آلهة أخرى ــ فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض التي جَلَب عليها كل اللعنات المكتوبة في هذا السفر، واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم، وألقاهم إلى أرض أخرى. السرائر للرب إلـٰهنا، والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد، لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة.

ولعلَّ في هذا الكلام بقايا من الوحي، فإنَّ فيه ما يوافق معنى قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾.

● وجاء في ٣٠/ ١ ـ ١٠: ومتى أتت عليك كل هذه الأمور، البركةُ واللعنة اللتان جعلتهما قُدَّامك، فإن رددت في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلـٰهك إليهم، ورجعت إلى الرب إلـٰهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك يرد الرب إلـٰهك سبيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بددك إليهم ــ ويأتي بك إلى الأرض التي امتلكها آباؤك فتمتلكها، ويحسن إليك ويكثرك أكثر من آبائك ــ ويجعل كل هذه اللعنات على أعدائك ومبغضيك الذين طردوك، وأما أنت فتعود تسمع لصوت الرب وتعمل بجميع وصاياه التي أوصيك بها اليوم، فيزيدك الرب إلـٰهك خيراً في كل عمل يدك ــ لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك إذا سمعت لصوت الرب لتحفظ وصاياه وفرائضه المكتوبة في سفر الشريعة هذا.

٣٠/ ١٥: انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر.

٣٠/ ١٧: فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت ــ فإني أنبئكم اليوم أنكم لا مَحَالة تهلكون.

http://kotob.has.it

٣٠/ ١٩ ـ ٢٠: أشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلتُ قدامك الحياة والموت والبركة واللعنة فاختر لكي تحيا أنت ونسلك إذ تحب الربّ إلـٰهك وتسمع لصوته وتلتصق به.

وفي بعض هذا الكلام ما يوافق معنى قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. ويؤيد ذلك ما يلي:

● جاء في ٣١/ ٢٨ ـ ٢٩: اجمعوا إلي كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به، ويصيبكم الشر في آخر الأيام، لأنكم تعملون الشرّ أمام الربِّ حتى تغيظوه بأعمال أيديكم.

وفي ٣٢/ ٢٣ ـ ٢٤: أجمع عليهم شروراً وأُنفذ سهامي فيهم، إذ هم خارجون من جوع، ومنهكون من حُمّى وداء سامّ، أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حُمَةِ زواحف الأرض.

٣٢/ ٢٦ ـ ٢٩: قلت: أبددهم إلى الزوايا وأُبَطل من الناس ذكرهم ـ ـ إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، لو عقلوا لفطِنوا بهذه وتأملوا آخرتهم.

٣٢/ ٣٤ ـ ٣٦: أليس ذلك مكتوباً عندي، مختوماً عليه في خزائني؟ لي النِّقمة والجزاء، في وقتٍ تزِل أقدامهم، إن يوم هلاكهم قريب، والمُهَيّآت لهم مسرعة، لأن الرب يدين شعبه، وعلى عبيده يشفق.

٣٢/ ٤٥ ـ ٤٧: ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع إسرائيل بكل هذه الكلمات قال لهم: وجِّهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أَشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم ليحرِصوا على أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة، لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم، بل هي حياتكم، وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها.

فدلَّ على حتمية فسادهم وعقابهم، وأنه أمر مفعول. ويتضمن هذا وما قبله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـࣳٔـُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا

http://kotob.has.it

دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧ ـ ٨].

وصفوة القول: إنَّ التحذير ورد في التوراة وأخبر عنه القرآن، ومَن تأمَّل تلك النصوص التي نقلتُها من توراة اليهود التي بين أيديهم اليوم وجد كثيراً من التوافق بينها وبين ما جاء في القرآن الكريم، ولو أنَّ التوراة التي أنزلها الله على موسى نقلت إلينا نقلاً صحيحاً لوجدنا التوافق التام بين الكتابين السماويين.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]

من المسلط عليهم في المرتين؟

اختلفت الروايات في تعيين الفساد والعلو الواقع من بني إسرائيل في المرَّتين، وفي تعيين من سلّطه الله عليهم فيهما، وفي كيفية العقوبة والانتقام، وسنقابل ذلك إن شاء الله بالحقائق التاريخية والتفسيرية وما في توراة اليهود.

المرة الأولى:

اتفق المفسّرون على أنَّ المرّة الأولى من الفساد والعلو والانتقام قد مضت وانقضت، غير أنهم اختلفوا في تعيين المسلَّط عليهم:

أ ـ ذهب بعضهم إلى أنهم العمالقة جالوت وجنوده:

وقد روي ذلك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة والحسن[١].

فإنهم لما توفي يشوع تولَّى أمرهم قضاة يدبّرون شؤونهم، وفي ذلك العهد فشا فيهم الفسق والفجور حتى أضاعوا شريعتهم وتسلّلت إليهم الوثنية، فوهنت قوتهم، وذهبت ريحهم، فاستحقوا العقاب، فسلَّط الله عليهم الأمم التي حولهم سكان البلاد الأصليين، يسومونهم سوء العذاب، وتتالت عليهم الهزائم إلى أن جاس أعداؤهم خلال ديارهم أسراً وقتلاً وسبياً وتهجيراً، واستلبوا منهم تابوت عهد الربّ بعد حربٍ ضروس.

---

(١) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة: أرسل الله عليهم جالوت وجنوده فقتلهم، فهو وقومه أولو بأس شديد، ثم أُديلوا بعد ذلك وقتل داودُ جالوتَ.
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت فجاس خلال ديارهم وأذلّهم، فسألوا الله فبعث عليهم طالوت ملكاً، فقاتلوا فنصرهم الله، وقتل داودُ جالوتَ. وانظر: فتح القدير، للشوكاني: ٣/ ٢١١؛ تفسير الماوردي: ٢/ ٤٢٣؛ تفسير الآلوسي وتفسير الطبري وتفسير القرطبي.

http://kotob.has.it

سئموا من تلك الحالة، فأتوا إلى نبي لهم من سبط لاوي اسمه صموئيل كان يدير شؤونهم، وطلبوا منه أن يبعث لهم ملكاً يقودهم في القتال ليستردوا ملكهم ويعيدوا أبناءهم وتابوتهم، فأوحى الله إليه أن يجعل عليهم ملكاً من سبط بنيامين، اسمه طالوت (شاول)، فاستنكروا ذلك، لأنه مغمور ومن سبط ضعيف، وسألوا عن برهان يثبت صدق ذلك، فجعل عودة التابوت آية ظاهرة تدلّ على أنَّ الله قد جعله ملكاً عليهم، فجاء التابوت تحمله الملائكة، وخرجوا لاستقباله، فأذعنوا لطالوت، وكان أول ملك عليهم.

بدأ طالوت بتجهيز الجيش، ولما تهيَّؤوا سار بهم بطريق شاقّ، حتى إذا اشتدَّ ظمؤهم اختبرهم بنهر، فسقط الكثير ونجح القليل، ثم سار بهؤلاء الصفوة وخاض بهم حرباً ضد الوثنيين بقيادة جالوت (جوليات) فهزموهم بإذن الله، وقتل داودُ جالوتَ، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم جاء عهد داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فكان أزهر عهد وأيمنه في تاريخ بني إسرائيل من حيث الحضارة والتدين وقوة الشأن بين الأمم، وقد بُني في هذا العهد البيت العظيم لعبادة الله، فكان مظهر مجدهم الديني. وهذا كله يحمل سمات المرة الأولى بوعيدها ورد الكرة لهم على ما جاء في الآية: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: بعد نهب أموالكم وطردكم حتى عاد أمركم أحسن مما كان، ولذلك حذَّرهم ورغَّبهم فقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

ب ـ وذهب آخرون إلى أنهم أهل بابل المتعاقبون، وآخرهم بختنصر وجنوده:

وهو مروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أيضاً ومجاهد وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وابن إسحاق[1].

---

(١) اختلف أهل التأويل في الذين عَنَى الله تعالى بقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ وفيما كان من فعلهم في المرة الأولى، ومِن الذين بعثوا عليهم في المرة الآخرة. فعن سعيد بن المسيب: أنه بختنصر وجنوده. وعن سعيد بن جبير قال: بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب ملك بابل والد بختنصر، وهو من أهل نينوى بالموصل، فردّ الله لهم الكرة =

http://kotob.has.it

فبعد موت سليمان ـ عليه السلام ـ انقسمت المملكة إلى مملكتين، جنوبية اسمها: يهوذا، وعاصمتها القدس، وبقي الملك فيها محصوراً في بيت داود ـ عليه السلام ـ إلى نهايتها، وشمالية اسمها: إسرائيل، وعاصمتها نابلس (شكيم)، وكان الملك فيها يتنقل بين بيوت مختلفة، وأخذت كل منهما تناوئ الأخرى، وحدث خلال ذلك وبعده أمور عجيبة، فقد عمَّ الفساد وانتشر الكفر، وعكف معظم بني إسرائيل مع ملوكهم على نبذ التوراة وعبادة الأصنام مُدداً طويلة، وكانت الأنبياء تترى إليهم، ويحذّرهم الله نفسه بتسليط بعض أعدائهم عليهم، ولكن هيهات.. كفر مستمر وقتل متواصل للأنبياء، كما في الفصل الثاني عشر وما بعده من سفر الملوك الأول.

كان الكفر والارتداد في مملكة إسرائيل أشدَّ منه في الأخرى، ولذلك هاجر الكَهَنة ومَن بقي معهم على الإيمان إلى مملكة يهوذا. وسلَّط الله عليهم أعداءهم تباعاً، فأغار (شلمناصر) ملك آشور على عاصمتهم وحاصرها ثم دكّها دكّاً، وفي عام (٧٢٠ق.م) تقريباً جاء خليفته (سرجون) فأزال الشعب وأجلاهم وفرَّقهم في مملكته، وأسكن بدلاً منهم وثنيين، ولم يُبْقِ منهم إلا شرذمة قليلة ضعيفة اختلطت بالوثنيين، وتم التزاوج والتوالد، كما في الفصلين السابع عشر والثامن عشر من سفر الملوك الثاني.

وتتالت التحذيرات والنكبات على مملكة يهوذا أيضاً، ففي سنة

= عليهم، ثم عَصَوا وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فقتل وسبى وأخذ ما وجد من أموال بعد أن دخل بيت المقدس. وقال محمد بن إسحاق: المهزوم أولاً سنحاريب، وبعد سبع سنين خلفه بختنصر، وعظمت الأحداث في بني إسرائيل واستحلوا المحارم؛ فجاءهم ودخل بيت المقدس وأفنى بني إسرائيل بين قتل وسبي وتشريد. وقال ابن زيد وغيره: بعث الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملك النبط في الأولى، ثم إنَّ بني إسرائيل تجهَّزوا وغزوا النبط فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم، ثم سلَّط عليهم بختنصر في الثانية. وعن قتادة أيضاً: بعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، فسبى وقتل وخرب. وانظر: تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير والماوردي والشوكاني والآلوسي. ونقل البغوي عن ابن إسحاق أنه قال عن المبعوثين في المرة الأولى: بختنصر وأصحابه، وهو الأظهر.

http://kotob.has.it

(٦٠٨ق.م) زحف فرعون مصر عليها فاحتلّها، ثم تابع زحفه حتى احتل مملكة إسرائيل التي استولى عليها الآشوريون سابقاً، فثار لذلك ملك بابل الجديد بختنصر، وزحف على فلسطين فهزم جيش فرعون، وبسبب ما يلقاه من غدر اليهود ونقض عهودهم اجتاح مملكة يهوذا عدة مرات، إلى أن هاجمها عام (٥٨٨ق.م) تقريباً، فدكَّ أسوار القدس ودمَّر المدينة وأحرق الهيكل، وتتبع الكهنة الهارونيين فقتلهم على دم واحد، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة حتى كاد يفنيهم، ففرَّ بعضهم إلى مصر، ومن بقي من الرجال والنساء والأطفال ساقهم سبايا مقيدين بالسلاسل إلى بابل، ولم يبقَ سوى أفقر الفقراء وأضعف الضعفاء، كما في الفصلين الرابع والعشرين والخامس والعشرين من سفر الملوك الثاني، وفي الفصل السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني.

سقطت مملكتا اليهود، فدالت دولتهم واندثرت أمتهم، كان أكثرهم مشتتاً بين نهري دجلة والفرات وما حولهما، فذابوا بين تلك الشعوب وعبدوا آلهتهم، وكانت قلة منهم مشرّدة في مصر، ولم يبقَ منهم في فلسطين إلا شرذمة قليلة من المعدمين.

وفي هذه المرة خرب المبعوثون بيت المقدس ووقع القتل الذريع والأسر والجلاء فيهم، وضاع ما تبقّى من التوراة.

استمرَّ هذا النفي إلى عام (٥٣٨ق.م) تقريباً، حيث هجم ملك الفرس كورش (كيروس الثاني) على الميديين فأخضعهم، واستولى على آشور وبابل، وبذلك أصبح له السلطان على فلسطين واليهود.

تودَّد اليهود إلى الحكم الجديد وتظلَّموا له واستعطفوه، وما أبرعهم في ذلك، ثم التمسوا منه أن يسمح لهم بالعَوْدة إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل فوافق، وعاد كثير منهم، ثم شرعوا في بناء الهيكل، وبعد إعاقات كثيرة بسبب اختلافهم مع بعضهم أتموا البناء، ثم أقاموا الاحتفالات ودشّنوه بالقرابين، ووضع لهم عَزْرا بتأييد من الفرس نظاماً برئاسة الكاهن الأكبر ومجلس الكهنة دون أن يكون لهم كيان سياسي بأي وجه، وكان نَحِمْيا من المقرَّبين عند الملك الفارسي، فحصل منه على إذن بإصلاح أسوار القدس وتنظيم الشعب اليهودي

http://kotob.has.it

تنظيماً قوياً ضد جيرانه ومنافسيه، وردّ إليهم أموالهم[١].

تلك هي المرة الأولى بوعيدها وما فيه من قتل وجَوْس وتشريد، وردّ الكرة بتسليط الفرس على البابليين وسماحهم لليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل وإصلاح الأسوار وتنظيم الشعب اليهودي، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: بعد نهب أموالكم وسبي أولادكم ونسائكم حتى عاد أمركم كما كان.

تحليل وموازنة:

رأى بعض الباحثين أن القولَ بأنّ العمالقة هم المبعوثون في المرة الأولى يُشْكِلُ من النواحي التالية:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ وهو وصف للهيئة التي نكل بها المبعوثون باليهود يومئذ. قال الفراء: «معناه قتلوهم في بيوتهم» وهو توضيح لما كان قد جيس[٢]. وقوله: ﴿ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ أي: وسطها، ويكون ذلك بالتوسط فيها والتردد بينها طلباً للاستئصال وهذا لم يحصل من العمالقة، وإنما كان منهم قتل ومطاردة وأسر وتشريد. وقد حصل الجوس حقيقة إبان غارات البابليين، ولا سيما بختنصر.

٢ ـ قوله تعالى في الآيات التالية: ﴿ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ والعمالقة لم يدخلوا المسجد، إذ لم يكن داود ـ عليه السلام ـ قد بدأ ببنائه وقتذاك، فلم يكن ثمة مسجد، والذي دخله فعلاً وأحرقه هو بختنصر وجنوده. فهذا كله يحمل سمات المرة الأولى.

---

(١) كما في الفصلين الأول والسابع من سفر عزرا، والفصل الأول من سفر نحميا.

(٢) الجَوْس: طلب الشيء بالاستقصاء، والتردّد خلال الدور والبيوت والطوف فيها كالجَوْسان. قال الزجاج: معناه: طافوا خلال الديار هل بقي من أحد لم يقتلوه؟. وقال الجوهري وأبو عبيدة: أي تخللوها كما يجوس الرجل للأخبار يطلبها. وقال ابن جرير: طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم ذاهبين جائين. وانظر: القاموس واللسان ومفردات الراغب.

تنبيه: لم ترد هذه الكلمة أو أي من مشتقاتها في القرآن إلا هنا، وهي تصف مشهداً كاملاً بإيجاز، فقد وصف سبحانه كل ما فعلوه بكلمة واحدة.

http://kotob.has.it

ويُشْكِلُ القول بأن المبعوثين في المرة الأولى هم بختنصر وجنوده من النواحي التالية:

أ ـ لم ترد الكرة لبني إسرائيل ذاتهم على البابليين أنفسهم البتة، وإنما تغلب الفرس عليهم، فأصبح اليهود تحت حكم الفرس، وهذا ليس برد الكرة.

ب ـ بعد أن استعطف اليهود الفرس وأذنوا لهم بالعودة إلى فلسطين وبناء المسجد، لم يسمحوا لهم بكيان مستقل، بل كانوا منقادين لهم وفي كنفهم وتحت حكمهم. وهذا كله لا يسمى برد الكرة البتة.

والذي يظهر من تتبع الآيات وسرد الأحداث أنَّ عقاب المرة الأولى لفساد اليهود وعلوِّهم كان من جيرانهم العمالقة الوثنيين، فقد كان جالوت وجنوده أولي بأس شديد، وقد أعملوا فيهم القتل والتدمير والمطاردة والأسر والتهجير، ثم ردَّ الله الكرة لبني إسرائيل أنفسهم على العمالقة ذاتهم بعد أن مَلَّكوا عليهم طالوت (شاول) وقتل داود ـ عليه السلام ـ جالوت، ثم كان العصر الذهبي لبني إسرائيل أيام داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وأمدّهم الله بأموال وبنين وجعلهم أكثر نفيراً، وبخاصة في أيام سليمان ـ عليه السلام ـ ولذلك عَقَّب على المرة الأولى بقوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾. ويجاب عما أشكل بما يلي:

١ ـ إن الجوس قد حصل حقيقة، ولا سيما بعد أن دخلوا ديارهم وأخذوا التابوت.

٢ ـ إن حقيقة المسجد هي الأرض وليس البناء، ولذلك قال الآلوسي: «المراد بالمسجد بيت المقدس». وكذلك عندما أسرى الله تعالى بالنبي ـ ﷺ ـ إلى المسجد الأقصى لم يكن بناؤه قائماً.

٣ ـ إنّ المسجد كان موجوداً قبل داود ـ عليه السلام ـ ففي حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ السابق أنه وضع بعد المسجد الحرام بأربعين سنة.

المرة الثانية:

واختلف المفسّرون في تعيين المسلَّط عليهم في المرة الثانية أيضاً:

http://kotob.has.it

أ ـ فمن رأى أن المسلَّط عليهم في المرة الأولى جالوت وجنوده، ومن قال: إنهم بعض الوثنيين قبل بختنصر، ذهب إلى أن المسلَّط عليهم في المرة الثانية هو بختنصر وجنوده، حيث استباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم، وأذلّهم كما فعل من كان قبله بهم، جزاء وفاقاً من الله بسبب استمرار كفرهم وقتلهم الأنبياء.

وهو قول سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة أيضاً.

قال الآلوسي في (روح المعاني): «ظاهر الآيات يقتضي اتحاد المبعوثين أولاً وثانياً، ومن لا يقول بذلك يجعل رجوع الضمائر على حد رجوع الضمير للدرهم في قولك: عندي درهم نصفه». فيكون الضمير راجعاً إلى قيمة الدرهم لا إلى ذاته، ويكون المراد هنا عبيداً لنا نُسَيِّرُهم عليكم.

ب ـ ومن رأى أنَّ المسلَّط عليهم في الأولى بختنصر وجنوده ذهب إلى أن المسلَّط عليهم في الثانية من حكموهم بَعْدَ الفرس على التعاقب، وآخرهم الرومان حيث دمّر تيطس المدينة والهيكل.

فقد ظلَّ اليهود تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين إلى أن هزم الإسكندر الأكبر الدولة الفارسية واستولى على بلاد الشام عام (٣٣٢ق.م)، فدان له اليهود جميعاً، وبعد موته عام (٣٢٣ق.م) تقريباً تقاسم قواده الإمبراطورية حسب وصيته، وخضع اليهود لحلفائه، وفي عهد أنطيوخوس الرابع بدأ اليهود يتشبّهون باليونان ويتعودون بعاداتهم، وكان منهم قوم يتزلفون إلى الملك طمعاً في المكاسب والمناصب، حتى إنّ بعضهم اعتنق ديانة اليونان.

ولما هاجم بطليموس السادس سورية دحره أنطيوخوس الرابع وتبعه إلى مصر فقتله هناك، لكن أُشيع في القدس العكس، فانقضّ رئيس الكهنة السابق (ياسون) على المدينة بمن معه وقتل الحراس وذبح معارضيه، وعاد أنطيوخوس الرابع بجيش ضخم، فدخل القدس وأمر جنوده بقتل كل من يرونه من اليهود، ثم اقتحم الهيكل فاستولى على ما فيه، وأحرق جميع نسخ الأسفار، ثم لم يلبث أن قرّر توحيد الديانة في جميع البلاد الخاضعة له وإلزام أهلها بعبادة آلهة اليونان، فأصدر أمره بالامتناع عن ممارسة العبادات والعادات اليهودية، وأمر ببناء مذبح

http://kotob.has.it

للأصنام في الهيكل وفي كل مدينة يهودية، وتتبع جنوده كل من يخفي سفراً من الأسفار أو يؤدي رسماً من رسوم الشريعة فقتلوه، وكان ينفذ ذلك علناً في كل شهر، فلم يعد أحد يعترف بأنه يهودي أصلاً كما في سفر المكابيين الأول.

قامت ثورة المكابيين بين الجبال في البدء، ثم تمكَّنوا عام (١٦٤ق.م) تقريباً من دخول القدس، فأزالوا معالم الوثنية، وأعدّوا الهيكل للعبادة من جديد، غير أنهم لم يزالوا في صراع مع اليونان ثم مع الرومان، ومضت السنون على ذلك والرومان تارة ينكلون بهم تأديباً، وتارة يغضون عنهم، وفي عام (٦٣ق.م) تقريباً اقتحم الرومان القدس ودخلوا الهيكل حتى وطئوا قدس الأقداس، وأخذوا مَلِكَ المكابيين وأولاده أسرى معهم إلى روما، ثم اقتحموها عام (٣٧ق. م) بعد تمرّد اليهود فقتلوا (أنتيخوس) آخر ملوك المكابيين، وأشاعوا في المدينة القتل والدمار، ثم نقلوا السلطة إلى يهودي من أصل أدومي اسمه (هيرودُس) فعمل على استرضاء اليهود، لكنّهم كرهوه لأنه ليس من أصل يهودي صِرْف، فنكَّل بهم أشد تنكيل، وبعد موته وقع خلاف كبير بين أولاده، وتظلَّم الشعب لدى الإمبراطور الروماني منهم، فما كان منه إلا أن عيَّن والياً رومانياً على اليهودية والسامرة وأدومية عام (٦م)، فكان أول حاكم روماني يتولى حكم اليهودية مباشرة.

وفي سنة (٢٦م) عيَّن الإمبراطور الروماني طيباروس حاكماً على اليهودية اسمه (بيلاطس بونتيوس) وهو الذي اشتهر بلقب النبطي، وفي عهده طلب مجلس الكهنة من الرومان إعدام المسيح ـ عليه السلام ـ لكن هَمُّوا بما لم ينالوا، ولم يلبث الرومان أن ضاقوا ذرعاً بتمرّد اليهود ومكرهم ودسائسهم، فأرسلوا عام (٧٠م) جيشاً ضخماً بقيادة (فسباسيان) فحاصر القدس وضيق الخناق، وفي هذه الأثناء انتخبه الجيش إمبراطوراً، فعاد إلى بلاده، وخلفه في قيادة الجيش ابنه (تيطس) فواصل الحصار حتى اقتحم المدينة، وأشاع فيها الخراب والدمار، وأضرم النار في الهيكل بعد أن سلب ما فيه، ثم طفق يتتبع اليهود ويذبحهم، وقد صمم على أن يفنيهم عن آخرهم، فامتلأت الشوارع بجثث القتلى، وبيع أولادهم رقيقاً في الأسواق، وظلت المدينة خالية من اليهود ليس فيها سوى حاميتها الرومانية. ثم اندلعت ثورة أخرى لليهود عام (١٣٠ ـ ١٣٥م) فقضى عليها

http://kotob.has.it

الإمبراطور الروماني (أدريانوس) وأزال معالم المدينة والهيكل تماماً، فحرث الأرض وزرعها، ولاحق اليهود بشدة للتخلّص منهم نهائياً.

وهكذا دخل العباد المسلَّطون عليهم في المرة الثانية المسجد، كما دخله المسلَّطون عليهم أول مرة، وأساؤوا وجوههم، وألحقوا الدمار والخراب بمدنهم وقراهم على التعاقب بعد أن أبادوا معظمهم ولم يبقَ منهم إلا قليل هاموا على وجوههم في أنحاء الأرض، وظلّوا على مرّ العصور يكرههم من حولهم.

وصفوة القول في المرتين: إنَّ بني إسرائيل أُنذروا بالوعيد قبل أن يدخلوا الأرض المقدَّسة، وبعد موت يشوع وجيله، قام بعدهم جيل آخر لم يعرف الربَّ ولا العمل الذي عمله لإسرائيل، فعملوا الشرَّ، وساروا وراء آلهة أخرى، فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم كما في سفر القضاة ٢/ ١٠ ـ ١٥، واستمرَّت المخالفات فسلَّط عليهم سكان الساحل الكنعاني الأشداء، وكانوا يسمَّون بالفلسطينيين، فأخرجوهم من ديارهم وهزموهم وطاردوهم، وأخذوا منهم التابوت.

وبعد إعلانهم التوبة بعث لهم طالوت (شاول) ملكاً، وكان ردُّ الكرة لهم على أعدائهم، وبعد طالوت شهدوا فترة عظيمة من القوة والغنى والغلبة، ولا سيما في عهد داود وابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ وقد اقتربت فترة الملوك الثلاثة من قرن من الزمن.

ثم تغيَّر الوضع بعد سليمان ـ عليه السلام ـ فخالفوا التوراة، وأتى معظمهم منكر الأفعال، فساد الظلم والبغي والزنى، بل ارتدَّ أكثرهم وقتلوا الأنبياء وسفكوا الدماء، فآن أوان العقوبة الثانية التي توعَّدهم الله بها، وشاءت حكمته تعالى أن يجعلها مجزَّأة على فترات متباعدة، لتكون طويلة الأمد وقاسية، فجاءهم الآشوريون من الشمال وقَضَوا على دولة إسرائيل، ثم جاءهم بختنصر وجنوده من الشرق فقضى على دولة يهوذا وهدم الهيكل، والتقى الطرفان في السبي على أرض بابل، وظلوا فيه قرابة سبعين سنة إلى أن هزم الملك الفارسي كورش البابليين، ثم سمح لهم بالعودة فعادوا دون كيان مستقل.

وجاء اليونان ثم الرومان دون أن يغيروا شيئاً من عاداتهم، فكانوا عرضة

http://kotob.has.it

للتنكيل والقتل، وولد عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ في زمن الرومان، وكانت المدة بين سليمان وعيسى ـ عليهما السلام ـ أكثر من تسعمئة سنة، مما يعني أن علوهم قد زال، ولا سيما بعد حادثة تيطس، حيث خرب الأسوار والدور ودمر الهيكل وشرّدهم في الأرض، فاندثروا في بقاعها. ثم عادوا في القرن العشرين ليفسدوا من جديد.

* * *

http://kotob.has.it

[٣]
اجتهاد بعض المعاصرين في تفسير الآيات

يتبيَّن مما سبق أنَّ أهل التأويل وقُدامى المفسِّرين متفقون على أنَّ كلتا المرّتين قد وقع وتحقق قبل ظهور الإسلام، غير أن بعض العلماء المعاصرين رأوا أنَّ ما تقدَّم من الروايات إنما هي أخبار موقوفة على أصحابها، استنبطوها من الروايات التاريخية ومن أسفار أهل الكتاب، وليست مرفوعة إلى النبي - ﷺ - ولذلك اجتهدوا في تفسير هذه الآيات وجاؤوا بأقوال شتَّى، منها ما وافق أقوال القدماء في جانب وخالف في آخر، ومنها ما خالفها جميعاً، وسأعرض إن شاء الله أهمها مع أدلة أصحابها ووجهة نظرهم، ثم تأتي دراسة الأدلة.

أ ـ ذهب بعضهم إلى أنَّ علوَّهم وفسادهم في الأرض في المرة الأولى قد حصلا، وتم العقاب على يد بختنصر وجنوده، فكانوا أصحاب البأس الشديد المبعوثين عليهم، وبذلك أنجز الله الوعد الأول، وأنَّ المرة الآخرة لم تقع، وإنما ظهر فسادهم وعلوّهم الكبير في الأرض، ونحن في انتظار إنجاز الله وعده بهم، واستدلُّوا بما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، فقد حصل في الكلام التفات من الحديث عن الغائب وهم بنو إسرائيل في زمن موسى ـ عليه السلام ـ إلى الحديث مع المخاطب، وهم بنو إسرائيل المعاصرون لرسالة الإسلام، لأن الأمر يعنيهم أكثر من غيرهم، فلعلهم يرجعون إلى ربِّهم. وعادة ما يُستخدم هذا الأسلوب في إخبار المستمع الحاضر عن حَدَث وقع في الماضي، لكن مجيئه في القرآن بأسلوب المخاطبة يفيد أن هناك جزءاً من هذه النبوءة لم يتحقق، وسيتحقق في المستقبل بعد نزول هذه الآيات، وأعيد النص لتذكيرهم وتحذيرهم، وإلا فلماذا كان إخباراً عن غائب، ثم صار خطاباً موجَّهاً؟ ولـمَ كان التمهيد في مقدِّمة السورة بهذا الشكل المرعب لبني إسرائيل.

٢ ـ فصَّلت الآيات كلَّ مرة على حِدَة وبيَّنت ذلك، فجاءت أفعال المرة الأولى بصيغة الماضي، مثل قوله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ﴾ جاء بصيغة الماضي ليدلّ

http://kotob.has.it

على أنّ هذا الجوس قد وقع وانتهى، وجاءت أفعال المرة الآخرة بصيغة الاستقبال لتدلّ على أنّ البعث الثاني لم يقع، مثل قوله تعالى: ﴿ لِيَسُـٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ﴾.

٣ ـ وقع الاعتراض في موضعين، فالأول قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ وجاء تعقيباً على الوعد الأول لبيان أن هذا قد أنجز قبل نزول هذه الآيات في القرآن الكريم، أي: وكان وعداً قد فُعل فيما مضى من الزمان. والاعتراض الثاني قوله تعالى: ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾، وجاء تعقيباً على العلوّ الكبير لبني إسرائيل، لبيان أنَّ هذا العلوّ ستتم إزالته في المستقبل لا محالة.

٤ ـ جاء التخيير بين الإحسان والإساءة بعد اكتمال مظاهر العلو الثاني وقبل الحديث عن عقاب وعد الآخرة، ولم يأتِ عند الحديث عن وعد الأولى.

٥ ـ عُلُوُّهم في المرة الأولى لم تتضح تفاصيله في سورة الإسراء، لكنها وُضّحت في مواضع أخرى من القرآن الكريم، بخلاف العلو الثاني.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ ففي الآية ثلاثة أفعال، جاءت بصيغة الماضي، وتُحمل على صيغة الاستقبال بمعنى: ونرد لكم، ونمدكم، ونجعلكم. والإمداد أن يرسل الرجل لآخر مدداً، والمدد هم العسكر الذين يلحقون بالغازي، والنفير هم القوم ينفرون معك ويتنافرون في القتال. وهذا يعني الزيادة والكثرة في الأمور المالية والعسكرية وغير ذلك من وسائل الدعم المقدمة.

ويكون المعنى الجُمْلي إنه بعد نفاذ الوعد الأول فيكم بتسليط العباد عليكم قتلاً وقهراً وطرداً وتشتيتاً وأسراً، سنأذن لكم بالعودة إلى الأرض المقدسة، وتعود لكم السيطرة. وليس هذا مكافأة، وإنما من قبيل ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، أوَلم يسلط التتار على فسقة المسلمين؟.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، فقد ربط بين العقاب والمسجد وشبّه الدخول الثاني بالأول، فأفاد أمرين: **الأول**: أن العقاب الذي وعدوا به سيكون في فلسطين في المرتين. **الثاني**: تشابه صفة الدخول في العنوة والقهر.

http://kotob.has.it

٨ ـ قوله تعالى: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾، ومن الملاحظ أنَّ الإفساد سبق العلو في الذكر وحصر في المرتين، أما العلو فلم يحصر في المرتين، بل أفرد ووصف بالكبير، وهذا يوحي بأن الإفساد في المرتين متطابق، وأنَّ العلوّ الثاني أكبر من الأول، ولذلك تأخّر ذكر العلوّ وصفته عن كلمة (مرتين) للاختلاف، مما يدل على أن الأرض التي سيتم علوهم وإفسادهم فيها في المرة الثانية هي الأرض بعامة، وفي فلسطين بخاصة في المرتين، وأنّ عقابهم سيكون في الأرض المقدّسة بخاصة، وزوال علوهم في المرة الثانية سيكون في المرة الثانية من عموم الأرض.

٩ ـ أفاد قوله تعالى: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أنَّهما مرتان لا ثالثة بعدهما، وقد وقعت المرة الأولى وبقيت الأخيرة، فلا يصح أن نضيف إليهما ثالثة.

١٠ ـ ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤]، أي: وقلنا لبني إسرائيل من بعده بعد إغراق فرعون: اسكنوا الأرض المقدسة، فإذا جاء وعد المرة الآخرة جئنا بكم جميعاً وقد انضمّ بعضكم إلى بعض، فقد أخرجت صفة مجيئهم عند وعد الآخرة من النص، وأفردت في نهاية السورة، حيث أعيد ذكر بني إسرائيل مع فرعون، وذكر وعد الآخرة مرة أخرى.

وقوله: ﴿ بِكُمْ ﴾ تغليب للمخاطبين على الغائبين، مما يدل على أنها لم تكن حدثت، وهي في طريق الحدوث، ولذلك تليت على المخاطبين الحاضرين وقت التنزيل ليبلغوه لمن سيأتي بعدهم من الأجيال.

وعليه فإن اليهود سوف يجتمعون في فلسطين منضماً بعضهم إلى بعض حول قضية مصيرهم المحتومة بعد أن كانوا مقطَّعين مشتَّتين في الأرض لا كيان لهم، وهذا ما نراه اليوم، فقد جاؤوا من أطراف الدنيا ليقع عليهم وعد الآخرة.

ب ـ ورأى آخرون أنَّ الأقرب إلى روح النص ودلالته أن يكون ذلك كلُّه في حضانة العهد الإسلامي، أما أولى المرتين فقد تمت نهايتها في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأما أخراهما فلما يأتِ وعدها، ونحن

http://kotob.has.it

في انتظار أن يبعث الله عليهم عباده وينجز وعده.

وأنكروا أن يكون بختنصر وجنوده هم المبعوثين عليهم أولاً، واحتجوا بما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، أي: حكماً جازماً في التوراة لتفسدن ولتعلنّ، وهاتان المرتان لم تقعا عليهم، بل ستقعان على ذريتهم فيما بعد، بدليل مجيء الفعلين بصيغة المضارع.

والعلو هو تجاوز الحد والاستعلاء على وجه الظلم والبغي من خلال امتلاك مقومات مادية تمكّنهم من التحكم في الأرض، والإفساد هو استضعاف الناس والاستخفاف بهم وإثارة الفتن بينهم من قتل وتدمير وإضلال لتفريقهم. فيكون المعنى لتستكبرن عن طاعة الله وتغلبن الناس بالظلم والعدوان، وتفرطن في ذلك إفراطاً.

٢ ـ إنَّ الله تعالى وصف المبعوثين عليهم بقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾، وعباد الله إنما هم المؤمنون، بدليل قوله تعالى عن الخَضِر صاحب موسى ـ عليهما السلام ـ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]، وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣]، وبختنصر وغيره ممن سُلّطوا على بني إسرائيل قبل ظهور الإسلام كفار وثنيون.

قالوا: ولم يعرف التاريخ تتبيراً كاملاً لبني إسرائيل على أيدي عباد مؤمنين إلا في حضانة البعثة الإسلامية، بدءاً من عصر النبوة وانتهاء بالخليفة الراشد عمر ـ رضي الله عنه ـ وقد تجسَّد ذلك كله فيهم يوم أن كانت قبائلهم المشهورة: بنو قريظة وبنو قينقاع وبنو النضير في المدينة المنورة، فعاهدهم رسول الله ـ ﷺ ـ لكنهم غدروا ونقضوا كعادتهم، وتم إفسادهم على مراحل، فجاس رسول الله ـ ﷺ ـ بأصحابه أولاً خلال ديار بني قينقاع، بسبب اعتدائهم على امرأة مسلمة وكشفهم عورتها وقتلهم المسلم الذي سمع استغاثتها وانتصر لها، فحاصرهم النبي ـ ﷺ ـ خمس عشرة ليلة حتى استسلموا، فأجلاهم إلى أذرعات، وبعد ذلك

http://kotob.has.it

أجلى بني النضير، لأنهم همّوا بالغدر به واغتياله عندما كان في حيهم، فكشف الله كيدهم له منهم، فجلى أكثرهم إلى أذرعات أيضاً. وفي غزوة الأحزاب الذين تجمعوا لاجتياح المدينة وإنهاء الوجود الإسلامي نكث بنو قريظة بعهودهم في أحلك الظروف، فأعانوا المشركين على المسلمين، وأرادوا طعنهم في ظهرهم، غير أنَّ الله سبحانه نصر رسوله ـ ﷺ ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ على الأحزاب، فعاقبهم على خيانتهم جزاءً وفاقاً، ثم أجلى الخليفةُ الراشد عمر ـ رضي الله عنه ـ ما تبقّى من يهود الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، ولما تم فتح بيت المقدس، وأعطى السكان العهدة العمرية المعروفة دخل هو وجنده وصلّوا فيه كما دخله قبله رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة الإسراء وصلّى فيه.

وبذلك يكون وعد أولى المرّتين قد تحقَّق في عهد النبي ـ ﷺ ـ وعهد عمر ـ رضي الله عنه ـ فجاء تذليلهم على يد عباد الله المؤمنين، وكانت العقوبة والبطش بهم بوحي من الله، وهذا يتفق مع قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ أولي بأس شديد.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الدولة والغلبة والرجعة. قال الآلوسي: «جعل رددنا مكان نرد، فعبر عن المستقبل بالماضي». وقد تحقق ذلك عندما أعرض العباد عن منهج الحقِّ ولم يستمرّوا على صلاحهم، فردت الكرة لبني إسرائيل عليهم واندحر العباد. ويكون المعنى: إنه بعد نفاذ الوعد الأول فيكم بتسليط العباد عليكم، سنأذن لكم بالعودة إلى الأرض المقدسة لتهزموهم كما هزموا أسلافكم، وتعود لكم السيطرة عليهم، وتلحقوا بهم ما ألحقوه بأسلافكم. وهذا من قبيل مداولة الأيام بين الناس، وليس على سبيل المكافأة.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ وهذان الفعلان أيضاً جاءا بصيغة الماضي ويُحملان على المستقبل: نمدكم ونجعلكم، والنفير من ينفر مع الرجل من عشيرتـه، أو هم القوم يجتمعون للذهاب إلى الحرب. قال أبو عبيدة: «النفير: العدد من الرجال». فالمعنى: جعلناكم أكثر رجالاً من عدوكم.

واليهود قد مُدوا بالمال فصاروا سادة متحكّمين فيه، ومُدوا بالبنين، ومُدوا

http://kotob.has.it

بالنفير وليسوا من جلدتهم، وإنما هم مدد لهم، فالدول الغربية والأمريكية ليست يهودية، غير أن الكلمة النافذة فيها للمتهودين والمتصهينين، فهم بمثابة البنين لهم، وبذلك صاروا أكثر نفيراً، إذ بمقدورهم أن يستنفروا دولاً وشعوباً لا تماثُل بينهم ولا نظير.

٥ ـ ظاهر الآيات يدل على أن المبعوثين عليهم في المرتين من انتماء واحد، فمن تتبع الضمائر الواردة في الآيات للمخاطب والغائب وجد أنها تعود إما على العباد المبعوثين أنفسهم، وإما على بني إسرائيل في مواضع أخرى، ولم يُضف طرف ثالث، مما يدل على وحدة المبعوثين كما ذكر الآلوسي وأكَّد على اتحاد المبعوثين. فالغلبة كانت أولاً للعباد والهزيمة لبني إسرائيل، وردُّ الكرة هو العكس، أي: على العباد أنفسهم دون غيرهم، لأن ضمير الغائبين المتصل في قوله: ﴿عليهم﴾ يعود على العباد المبعوثين الذين سبق ذكرهم، أما ضمائر المخاطبين ﴿كم﴾ في هذه الآية فتعود على بني إسرائيل، والمعنى: أنهم سيوقعون بذرية أولئك العباد ما أوقعه أسلافهم في أسلافهم، وذلك بعد استكمال العلو الثاني الكبير.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ وعبّر هنا بـ(إن) التي تفيد الشك ليدل على أنهم لن يحسنوا، ثم قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ فعبر بـ(إذا) التي تفيد تحقق الوقوع ليدل على أنهم سوف يسيئون، وأن الانتقام واقع بهم لا محالة.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: فإذا جاء وعد المرة الآخرة في الترتيب بعثنا عليكم أولئك العباد ليسوءوا وجوهكم، فواو الجماعة في قوله: ليسوءوا وليدخلوا يعود على العباد المبعوثين أنفسهم، وضمير المخاطبين (كم) يعود إلى بني إسرائيل، وهذا كله مؤشر على أحادية العباد المبعوثين عليهم، فيكون عباد البعث الثاني هم عباد البعث الأول. فكَرَّة اليهود على العباد لن تستمر طويلاً بإذن الله، والعباد سيفيقون من غفلتهم إن شاء الله ويعودون إلى منهج ربهم ويتحقق الوعد الثاني.

قالوا: وبناء على وحدة المبعوثين فإن البابليين لم يدخلوا المسجد ثانية

http://kotob.has.it

كما دخله بختنصر وجنوده أول مرة، فلا يمكن تفسير المرة الأولى به.

٨ ـ واحتج الطرفان على أنَّ المرة الآخرة لم تقع بأحاديث كثيرة تذكر معركة فاصلة بين المسلمين واليهود، منها ما يلي:

● عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود [فيقتلهم المسلمون] حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغَرْقَد، فإنّه من شجر اليهود» [أخرجه مسلم].

وعند البخاري: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله».

● وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ قال: «لتقاتلنّ اليهود فلتقتلنّهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله» [أخرجه الشيخان والترمذي].

وفي رواية أخرى: «تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله». وفي أخرى: «تقاتلكم اليهود فتسلَّطون عليهم».

● عن نَهيك بن صُريم السكوني قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقي النهر وهم غربيه. قال: ولا أدري أين الأردن اليوم». [أخرجه البزار والطبراني. قال الهيثمي: ورجال البزار ثقات].

وهذه الأحداث لم تقع حتى اليوم، وإنما وقع علوّهم الكبير، وسيأتي العقاب بإذن الله.

دراسة وترجيح:

لعلَّ ما ارتآه بعض المعاصرين جاءهم من تجمع اليهود اليوم في فلسطين وإنشائهم دولة إسرائيل، وتعنّتهم وفرضهم نفوذهم على من حولهم، فقد ظهر منهم فساد عريض وعلوّ كبير لم يصلوا إلى مثله من قبل، أعانتهم عليه أمم الغرب، فعادوا إلى الفساد والإفساد في الأرض التي طُردوا منها، فدفع ذلك أولئك المعاصرين إلى التماس الأمل والدليل في الآيات على أنّ أخرى المرّتين

http://kotob.has.it

لما تجئ، وسوف ندرس أهم ما احتجوا به:

أ ـ إنَّ الالتفات من الحديث عن الغائب إلى الحديث مع المخاطب الواقع في أول الآيات يستخدم كثيراً في إخبار المستمع عن حدث وقع في الماضي، وليس من اللازم أن يكون بعضه أو كله لم يتحقق.

ب ـ جاءت الأفعال (ثم رددنا لكم، وأمددناكم، وجعلناكم) بصيغة الماضي، لأن هذه الأمور حصلت بعد المرة الأولى، وليس من الضروري حملها على المضارع والمستقبل وجعلها بمعنى نرد لكم ونمدكم ونجعلكم، وإذا حملناها على ذلك فلأنها سوف تحدث بعد المرة الأولى، وقد حدثت.

جـ ـ إنَّ وصف الله تعالى لمن سيبعثهم عليهم بقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ لا يعني أنه أراد وصفهم بالإيمان أو الصلاح، وإنما أراد وصفهم بالعبودية له والملك والخضوع، ويدل على ذلك ما يلي:

١ ـ إنّ أئمة التفسير متفقون على أنّ الوعيد قد حدث وتحقَّق قبل ظهور الإسلام وإن اختلفوا في التعيين، وجالوت لا شك في كفره، وقد قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما، وهو ترجمان القرآن وبحر الأمة ـ: إن صاحب المرة الأولى كان جالوت. وقد ورد أيضاً عن قتادة وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد وغيرهم من أئمة التابعين ما يفيد أن أصحاب المرة الأولى من الوثنيين، فسنحاريب وبختنصر كلاهما من عبدة الأوثان والكواكب. فهؤلاء كلهم ومعهم قدامى المفسّرين وكبارهم كالطبري وابن كثير والفخر الرازي أقروا وأفادوا أنّ كلمة عباد تُطلق على المؤمن وغيره.

٢ ـ جاءت كلمة ﴿عباد﴾ نكرة، ووصفها بالجار والمجرور لا يعرفها، مما يدل على أن الآية لم تتعرّض لمعتقد أولئك العباد، وإنما أفادت ملكية الله تعالى لهم فقط، وذلك ليعلم بنو إسرائيل أن هذا البعث عقوبة من عند الله وبتمكينٍ منه.

٣ ـ لم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم بهذا الشكل إلا مرة واحدة، وقرأ الحسن وغيره: «عبيداً لنا»[1] والقراءات تتضافر ولا تتنافر.

---

(١) وهي قراءة الحسن كما في: الميسر في القراءات الأربعة عشر، لمحمد فهد خاروف. وفي معجم القراءات القرآنية: ٣/ ٣٠٧ أنها قراءة الأزرق الحسن وزيد بن علي وعلي، =

http://kotob.has.it

٤ ـ تفيد المعاجم أن العبودية هي الذلُّ والخضوع، وأنّ كلمة (عبد) تجمع على عبيد أو أَعْبُد وعباد، فليست كلمة عباد مقصورة على جمع عابد، فالناس كلهم عباد الله بالإيجاد والملك، وإن كان أكثر ما يقال: عباد الله وعبيد الناس[1].

٥ ـ أطلق الله عزَّ وجلّ لفظ: ﴿العباد﴾ و﴿عبادي﴾ و﴿عبادنا﴾ في القرآن الكريم على العبيد بمعنى المملوكين مما يدل على أنها لا تفيد التخصيص بالإيمان والصلاح، سواء كانت نكرة أو معرفة، ومنه ما يلي:

قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨].

وقوله سبحانه حكاية عن عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقوله: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقوله: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقوله: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [إبراهيم: ٣١].

وقوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧]

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

وقوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠].

= وانظر: الكشاف، للزمخشري.

(١) انظر: القاموس والمصباح ومفردات الراغب.

http://kotob.has.it

وقوله: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٨].

وقوله: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٥].

وقوله: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقوله: ﴿ نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ ﴾ [الشورى: ٥٢].

فكلمة (عباد) إنما تفيد الخلق والملك، سواء كانت نكرة أو معرفة، وتطلق على المؤمنين وغيرهم، ولا تفيد معنى آخر إلا إذا وصفت بما يفيد ذلك، مثل قوله تعالى عن نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات: ٨٠ ـ ٨٢].

د ـ إذا كان ظاهر الآيات والضمائر يفيد وحدة العباد المبعوثين على بني إسرائيل أولاً وثانياً، فثمة صوارف معنوية وتاريخية تفيد غير ذلك، منها ما يلي:

١ ـ هل المقصود وحدة القوم، فيكون المراد فيما بعد المرة الأولى أحفادهم؟ أو المقصود سكان الأرض، والمراد خروجهم منها نفسها مرتين ولو كانوا ليس من أحفاد الأوائل؟ وكلا هذين الاحتمالين لم يقع على مدى تاريخهم الطويل في نكباتهم التي عوقبوا بها.

٢ ـ تقرر سابقاً أنَّ كلمة ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ جاءت نكرة، ووصفها بالجار والمجرور لا يصيّرها معرفة، وإنما يجعلها نكرة غير محضة، فيكون رجوع الضمائر على حد رجوع الضمير إلى الدرهم في قولك: «عندي درهم نصفه»، فالضمير راجع إلى قيمة الدرهم أو معناه، وليس في ذاته، ويكون معنى الآيات: «بعثنا عليكم عبيداً لنا نسيرهم عليكم ـ ـ ثم نرد لكم الكرة على عبيدنا الكفرة بعد صلاحكم وتعود لكم القوة والسعة. والمقصود أنهم سيُذَلُّون بين غيرهم من

http://kotob.has.it

الأمم بسبب فسادهم وعصيانهم وكفرهم، ثم يعلو شأنهم بين الناس بعد صلاحهم.

قال الآلوسي: «ونعم ما قيل: إن معرفة الأقوام المبعوثين بأعيانهم وتاريخ بعثهم ونحوه مما لا يتعلق به كبير غرض، إذ المقصود أنه لما كثرت معاصيهم سلَّط الله عليهم من ينتقم منهم مرة بعد أخرى».

هـ ـ إنّ الرسول ـ ﷺ ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ لم يجوسوا خلال ديار اليهود وبين بيوتهم من أجل البحث عنهم وقتلهم واستئصالهم، بل حاصروهم من أجل نقضهم العهود وطعنهم في الظهر ثم أجلوهم، وإنما قتل رسول الله ـ ﷺ ـ المقاتلين من بني قريظة بعد تحكيم اتفقوا عليه، بسبب خيانتهم وغدرهم، وهذا لا يسمى جوساً. وعندما أسرى الله تعالى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وصلى هناك لم يُهن أحداً من سكان بيت المقدس، وكذلك فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ عندما دخل المدينة صلحاً، وكتب لأهلها النصارى الوثيقة المعروفة بالعهدة العمرية، فلم يهن أحداً ولم يدمر شيئاً، بل أحاط البطريرك وأهلها بالرعاية والتكريم، فكان دخوله بحق فتحاً رحيماً، وليس عذاباً أليماً، ومن ناحية أخرى إنما كان دخوله على النصارى، إذ لم يكن في المدينة أحد من اليهود وقتئذٍ.

و ـ إنَّ حبر الأمة ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ صحابي جليل، لازم عمر ـ رضي الله عنه ـ وعرف كل صغيرة وكبيرة من فتوحاته، فلو كان فعل النبي ـ ﷺ ـ باليهود أو عمل عمر ـ رضي الله عنه ـ بهم وفتحه لبيت المقدس هو أولى المرتين أو أخراهما لقرره وبينه، لأنه لا يخفى عليه، لا سيما وقد روي عنه أن صاحب المرة الأولى هو جالوت وجنوده.

هل ثمَّة مرة ثالثة؟:

أخبرنا الله تعالى في القرآن وفي تلك الآيات أنه أعلم بني إسرائيل في التوراة بما يجري لهم وعليهم في المستقبل، وبين أن ذلك سيكون على مرحلتين وخلال مرتين شديدتين، فهاتان المرتان هما اللتان أعلمهم بهما في الكتاب الذي أنزله على موسى ـ عليه السلام ـ ولم ينصّ على أنه لن يكون بعدهما ثالثة،

http://kotob.has.it

وإخباره بالمرتين لا يفيد منع وقوع ثالثة إلى يوم القيامة. يخبر عنها نبي يأتي من بعد موسى ـ عليه السلام ـ فقد أشار بقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى أنّ هاتين المرتين لا ثالثة لهما قبل أن ينزل كتاب آخر على نبي آخر، يكون هو رأس الزاوية، وينزع الله ملكوته من بني إسرائيل، ويعطيه لأمة أخرى تجعله يثمر، ولذلك قال لهم في نهاية الإعلام: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي: وإن عدتم مرة ثالثة إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى عقوبتكم. ثم إنهم عادوا إلى الفساد والإفساد، فكفروا بنبوة محمد ـ ﷺ ـ وكتموا أوصافه والبشارات به المذكورة في أسفارهم، ثم حاربوه وهمُّوا بقتله، فعاقبهم الله على ذلك في صدر الإسلام، ثم ازداد فسادهم وشرهم اليوم، وستكتمل عودتهم إلى الفساد باتباعهم المسيح الدجال، وتكون نهايته ونهايتهم على يد المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ كما سلف. أما قوله تعالى في آخر السورة: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]، فللمفسرين في هذه الآية ثلاثة أقوال: الكرة الآخرة التي سبق الكلام عنها، والدار الآخرة، أي: يوم القيامة والجزاء، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ قبل يوم القيامة[١].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو آمن بي عشرة من اليهود؛ لآمن بي اليهود» [أخرجه الشيخان وأحمد واللفظ للبخاري].

ولفظ مسلم: «لو تابعني عشرة من اليهود؛ لم يبقَ على ظهرها يهودي إلا أسلم».

والمراد: عشرة من أحبار اليهود ورؤسائهم الذين بيدهم الحل والعقد، فإنه نتيجة لغلوّ اليهود في أحبارهم فقد انقادوا طائعين في كل ما يشيرون به عليهم.

وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله عنه ـ قال: انطلق النبي ـ ﷺ ـ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ: «يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله، يحطّ الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب

---

(١) النكت والعيون، للماوردي: ٢/ ٤٦١؛ فتح القدير، للشوكاني: ٣/ ٢٦٣.

http://kotob.has.it

الذي كان عليه». قال: فما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: «أبيتم، فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفي، آمنتم بي أو كذبتم»، ثم انصرف وأنا معه حتى دنا أن يخرج، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: لا نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك من قبلك ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة. قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه شرّاً. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «كذبتم، لن يقبل قولكم، أمَّا آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم». قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا وعبد الله بن سلام، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] [أخرجه ابن حبان والحاكم في المستدرك وقال: على شرطيهما][1].

وصفوة القول في المبعوثين: إنَّ الله عزَّ وجلّ نكَّر كلمة (عباد) لحكمة أرادها، وما من قول ذكره المفسّرون في تعيينهم إلا ويمكن أن يعقب عليه، ويبدو لي أن أنسب الأقوال وأرجحها أن يكون المبعوثون عليهم في المرة الأولى جالوت وجنوده من العمالقة، فكل الدلائل تشير إلى ذلك، وما ذكر في الآيات ينطبق على الأحداث التي جرت بينهما تمام الانطباق، فهم أولو بأس شديد، وقد جاسوا خلال الديار، ودخلوا أرض المسجد، وطاردوهم وأخذوا التابوت، ثم ردّ الله الكرة لبني إسرائيل بعد توبتهم على العمالقة أنفسهم، وردّ لهم التابوت وقتل داود جالوت، ثم كان العصر الذهبي، فأمدّهم الله بأموال وبنين، ولذلك رغَّبهم في المداومة على الإحسان وحذّرهم من الإساءة قبل وقوع المرة الآخرة، غير أنهم لم يحسنوا فكان عقاب المرة الآخرة أشد من عقاب المرة الأولى وأطول، حيث جعله متعاقباً وعلى أيدي عباد مختلفين، ويظهر من سرد الأحداث

---

(١) ورواه أحمد في مسنده وابن جرير في تفسيره، فذكرا سند ابن حبان ومتنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». وعبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ أول من أسلم من اليهود، وكان اسمه الحصين كما في سنن ابن ماجه، فغيَّره رسول الله ـ ﷺ ـ إلى عبد الله.

http://kotob.has.it

التاريخية أن أولهم البابليون على اختلافهم، وأوسطهم اليونان على تنوعهم، وآخرهم الرومان بمحاولاتهم التي ختموها بتشريدهم في الأرض، وهكذا انتهت المرتان بعقوبتيهما، ثم ظهر الإسلام وهم قابعون في عقوبة المرة آخرة الذكر في التوراة، ولذلك جاء في القرآن الكريم وصف حالتهم وما حلّ بهم من تقطيعهم في الأرض أمماً، وضرب الذلّة والمسكنة عليهم، وغير ذلك مما ذكر في سورة الأعراف [١١٢ و١٦٧ ـ ١٦٨] وغيرها.

وقد فتح الله لهم باب التوبة والرحمة باتباع نبي آخر الزمان الذي بشّرتهم به أنبياؤهم، ولا زال في أسفارهم بقايا من هذه البشارات ولا سيما التوراة وحذّرتهم من مخالفته ومعاداته، وهذا ما أشارت إليه الآية التي ذكرت بعد المرة الثانية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ فيهددهم بعقوبتين: عقوبة في الدنيا: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، وعقوبة بجهنم: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، لأنه خاتم النبيين.

وظهر الإسلام، وجاء النبي المنتظر، ولم يؤمنوا به مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وناصبوه العداء، فكانت المرة الثالثة وابتدأت عقوبتها التي تختلف عن المرتين السابقتين، وسوف تنتهي عقوبتها بنزول مسيح الهدى عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وقتله مسيح الضلالة الدجال ومن معه من اليهود في فلسطين عند باب لد قرب بيت المقدس كما سلف. وهذا كله ينسف المشروعية الدينية والقومية لليهود المعاصرين من حيث التفضيل والوعد بالأرض.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذه الشدائد التي نزلت بهم بسبب كفرهم وعنادهم وغرورهم بما افتراه أحبارهم في الأسفار التي جمعوها، سببت لهم الكثير من العقد النفسية التي جعلت منهم شعباً يجمع بين التكبر والخوف، فيؤثر المكر لينفس عن حقده ويعمل الشر.

* * *

http://kotob.has.it

[٤]

إنذار الأنبياء المتعاقبين

كانت الأنبياء ترسل تَتْرى إليهم، وتذكِّرهم بالميثاق الذي أُخذ عليهم، وتحذِّرهم من عواقب المعاصي والارتداد، ولكن هيهات، كُفْر بالله وقَتْلٌ للأنبياء، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ **جاء في سفر الملوك ٩/ ٦ ـ ٩** وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٧/ ١٩ ـ ٢٢: ولكن إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي وفرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها ـ وفي أخبار الأيام الثاني: فإني أقلعهم من أرضي ـ والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه ـ وفي أخبار الأيام الثاني: أطوحه ـ من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهُزأة في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمرُّ عليه يتعجب ويَصْفُر، ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا الربّ إلـٰههم الذي أخرج آباءهم من مصر، وتمسَّكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر.

هذا ما ذكَّرهم به سليمان ـ عليه السلام ـ بعد بناء البيت، وحذَّرهم من عقوبة الفساد والردة. لكنهم لم يَرْعَوا، وعندما حلَّ بهم العقاب وسُبُوا إلى بابل أصبحوا سُخرية، وصاروا يتباكون.

٢ ـ **جاء في المزمور ١٣٧/ ١ ـ ٩**: على أزمار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضاً عندما تذكرنا صِهْيَوْن، على الضفاف علَّقنا أعوادنا، لأنه هناك سألنا الذين سَبَونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين: رنّموا لنا من ترنيمات صهيون. كيف نرنِّم ترنيمة الربِّ في أرض غريبة؟! ـ ـ اذكر يا ربِّ لبني أدومَ يوم أورشليمَ القائلين: هُدُّوا هدوا حتى إلى أساسها. يا بنت بابل المُخْرَبة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا، طوبى لمن يُمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة.

http://kotob.has.it

وهذا يدلّ على شدَّة حقدهم على أهل بابل وذريتهم، وتذكر أسفارهم أنه قد جاءهم أنبياء متعاقبون على نحو أربعة قرون، من عام (٨٣٠ق.م) إلى عام (٤٥٣ق.م) ينڈِّدون بأعمالهم ويحذِّرونهم وينذرونهم وينصحونهم، ولكن دون جدوى، ومنهم ما يلي:

٣ ـ إشعياء: فقد ندَّد في مواعظه برياء ديانة سطحية، وتوقع حدوث محنة شديدة، وراح يوصي الشعب بأن يثق بالله أمام الخطر الآشوري، ويضع أملاً بخلاص نخبة دينية[١].

جاء في ١/ ٢ ـ ٩: اسمعي أيتها السموات، وأصغي أيتها الأرض، لأنَّ الربَّ يتكلَّم: ربيتُ بنين ونشَّأتهم، أما هم فعَصَوا عليَّ، الثَّوْر يعرف قانيه، والحمار مَعْلف صاحبه، أما إسرائيل فلا يعرف، شَعْبي لا يَفْهَم، ويل للأمة الخاطئة، الشعب الثقيل الإثم، نسل فاعلي الشر، أولادِ مفسدين، تركوا الرب، استهانوا بقدُّوس إسرائيل، ارتدوا إلى وراء، علامَ تُضْرَبون بعد؟ تزدادون زيغاناً، كلُّ الرأس مريض، وكلُّ القلب سقيم ـ بلادكم خربة، مدنكم مُحْرقة بالنار، أرضكم تأكلها غرباء قُدَّامكم، وهي خربة كانقلاب الغرباء، فبقيت ابنة صِهْيَوْن كمظلَّة في كرم كمدينة محاصرة، لولا أنّ ربَّ الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سَدُوم، وشابهنا عَمُورة.

ثم يُقَرِّعهم الله لأنهم لا يرفعون إليه إلا عبادة ظاهرية، ويأمرهم باستبدالها بالأعمال الصالحة.

---

(١) في سفر إشعياء وحوادث متباعدة، فالفصول: ١ ـ ٣٩ تسبق سقوط أورشليم، وتُنْذر بالخطر الأشوري فهي ترتقي إلى القرن الثامن، والفصول: ٤٠ ـ ٥٥ تبيِّن أن خراب أورشليم قد تمَّ، والشعب أسير في بابل، والنبوءات تعلن انتهاء السبي عما قريب، مما يشير إلى القرن السادس، والفصول: ٥٦ ـ ٦٦ تفترض رجوع المسبيين وإعادة بناء الهيكل، وقد تمَّ ذلك في نهاية القرن السادس، فهو يوجّه كلامه إلى المسبيين أو الذين أعيدوا إلى بلادهم كأنه يعيش بينهم على الرغم من القرنين أو الثلاثة التي تفصله عنهم، لذا كان من الصعب تحديد موقع هذا السفر في تاريخ إسرائيل، ورأى بعض الباحثين أن لا يسند إلى إشعياء كل الكتاب الحامل اسمه، والمرجح أنه ضُم إليه كتب أخرى لم تذكر أسماء أصحابها. [الحواشي على الكتاب المقدس].

http://kotob.has.it

١/ ١٠ ـ ٢٣ : اسمعوا كلام الربِّ ، اصغوا إلى شريعة إلـهنا ، لماذا لي كثرة ذبائحكم ـ ـ فحين تبسطون أيديكم أستر عينيَّ عنكم ، وإن كَثَرتم الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملآنة دماً ، اغتسلوا تنقَّوا ، اعزلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيَّ ، كفّوا عن فعل الشرِّ ، تعلَّموا فعل الخير ، اطلبوا الحق ، أنصفوا المظلوم ، اقضوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة ـ ـ إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض ، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف ، لأن فم الرب تكلَّم . كيف صارت القرية الأمينة زانية؟ ملآنة حقاً ، كان العدل يبيت فيها ، وأما الآن فالقاتلون ـ ـ رؤساؤك متمرِّدون ولعناء اللصوص ، كل واحد منهم يحب الرِّشْوة ويتبع العطايا ، لا يقضون لليتيم ، ودعوى الأرملة لا تصل إليهم .

ثم يعدهم بعد ذلك بالصفح وردّ الكرَّة بعد الانتقام والعقوبة .

١/ ٢٤ ـ ٢٨ : لذلك يقول السيد ربُّ الجنود عزيز إسرائيل : آه ، إنِّي أستريح من خصمائي ، وأنتقم من أعدائي ، وأردُّ يدي عليكِ ، وأنقِّي زعلك ـ ـ وأعيد قضاتك كما في الأول ، ومشيريك كما في البداءة ، بعد ذلك تُدْعَين مدينة العدل القرية الأمينة ، صِهْيَوْن تُفدَى بالحقّ ، وتائبوها بالبر ، وهلاك المذنبين والخطاة يكون سواء ، وتاركو الرب يَفْنَون .

٣/ ٨ ـ ١٢ : لأنَّ أورشليم عَثَرت ، ويهوذا سقطت ، لأنَّ لسانهما وأفعالهما ضدَّ الرب ، نَظَر وجوههم يشهد عليهم ، وهم يُخبِرون بخطيئتهم كسدوم لا يُخفونها ، ويل لنفوسهم ، لأنهم يصنعون شراً لأنفسهم ، قولوا للصِّدِّيق خيرٌ لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم ، ويلٌ للشريرشر ، لأن مجازاة يديه تعمل به ، شعبي ظالموه أولاد ، ونساء يتسلَّطن عليه ، يا شعبي مرشدوك مضلُّون ، ويبلغون طريق مسالكك .

وفي هذا توبيخ أورشليم على ما فشا فيها من فجور وسفك دماء ومظالم ، ثم يتنبأ بما سيحل بها .

٣/ ٢٥ ـ ٢٦ : رجالك يسقطون بالسيف وأبطالك في الحرب ، فتئن وتنوح أبوابها وهي فارغة تجلس على الأرض .

٥/ ٩ : ألا إنَّ بيوتاً كثيرة تصير خراباً ، بيوتاً كبيرة وحسنة بلا ساكن .

http://kotob.has.it

٥/ ١٣ ـ ١٤ : لذلك سُبي شعبي لعدم المعرفة، وتصير شرفاؤه رجال جوع، وعامته يبست من العطش، لذلك وسَّعَتِ الهاوية نفسها، وفغرت فاها بلا حدٍّ، فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها.

٥/ ٢٤ ـ ٢٥ : لذلك كما يأكل لهيب النار القَش، ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالعفونة، ويصعد زهرهم كالغبار، لأنهم رَذَلوا شريعة ربِّ الجنود، واستهانوا بكلام قُدُّوس إسرائيل، من أجل ذلك حمي غضب الربِّ على شعبه، ومدَّ يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال، وصارت جثثهم كالزبل في الأزقة، ومع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة.

فهذه عقوبات تأتيهم من أمم بعيدة لا يُطاق بأسهم، وذكر بعض أهل الكتاب أن آخرها حصار تيطس وخراب أورشليم على أيدي الرومان[١].

٦/ ١٠ ـ ١٢ : غَلِّظْ قلبَ هذا الشعب، وثَقِّلْ أذنيه، واطْمِسْ عينيه لئلا يبصر ويسمع ويفهم، ويرجع فيشفى. فقلت: إلى متى أيها السيد؟ فقال: إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن، والبيوت بلا إنسان، وتخرب الأرض وتقفر، ويبعد الرب الإنسانَ، ويكثر الخراب في وسط الأرض.

٩/ ١١ : فيرفع الرب أخصام رَصين عليه، ويُهيِّج أعداءَه الآراميين من قدام، والفلسطينيين من وراء، فيأكلون إسرائيل بكل الفم، مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة.

١٠/ ١ ـ ٦ : ويل للذين يقضون أقضية الباطل، وللكتبة الذي يُسَجِّلون جَوْراً ليصدّوا الضعفاء عن الحكم، ويسلبوا حق بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام، وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد؟ إلى من تهربُون للمعونة؟ وأين تتركون مجدكم؟ إمّا يجثون بين الأسرى، وإمَّا يسقطون تحت القَتْلى، مع كل هذا لم يرتد غضبه، بل يده ممدودة بعد. ويل لأشّور قضيب غضبي، والعصا في يدهم هي سخَطي، على أمة منافقة أرسله، وعلى شعب سَخَطي أوصيه، ليغتنم غنيمة وينهب نهباً، ويجعلهم مدوسين كطين الأزقة.

---

(١) الحواشي على الكتاب المقدس.

http://kotob.has.it

١٠/ ١٠ ـ ١١ : كما أصابت يدي ممالك الأوثان، وأصنامها المنحوتة هي أكثر من التي لأورشليم وللسامرة، أفليس كما صنعتُ بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها؟ .

٤٦/ ٨ ـ ١١ : اذكروا هذا وكونوا رجالاً، ردِّدوه في قلوبكم أيها العُصاة، مخبرٌ منذ البدء بالأخير، ومنذ القديم بما لم يُفعل، قائلاً: رأيي يقوم وأفعل كل مسرتي، داع من المشرق الكاسر من أرض بعيدة، قد تكلمت فأجريته، قضيت فأفعله .

وهذا كله تحذير لهم وتهديد بمن يُسلَّط عليهم في المستقبل وما سيحل بهم بسبب أعمالهم السيئة وإعراضهم عن الحق .

٤ ـ إرميا: وكان طوال السنين المفجعة التي تهيأ فيها وحدث خراب مملكة يهوذا لا يفتر يندِّد بمغامرات الملوك السياسية وفساد الشعب الديني ويتنبأ بالبلايا[١] .

جاء في ٢/ ١ ـ ٢ : وصارت كلمةُ الربِّ إليَّ قائلاً: اذهب ونادِ في أذنيّ أورشليم قائلاً: هكذا قال الربُّ: قد ذكرتُ لك غَيْرة صباك محبة خِطبتك، ذهابك ورائي في البرية .

٢/ ٤ ـ ٦ : اسمعوا كلمة الربِّ يا بيت يعقوب وكلَّ عشائر بيت إسرائيل، هكذا قال الربُّ، ماذا وَجد فيَّ آباؤكم من جَوْر حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً، ولم يقولوا: أين هو الربّ الذي أصعدنا من مصر؟ .

٢/ ٩ : لذلك أخاصمكم بعد يقول الرب، وبني بنيكم أخاصم .

---

(١) اختلفت الروايات في زمن إرمياء: فقيل: ولد نحو عام (٧٣٣ق.م) وكان معاصراً لإشعياء. وقيل: ولد بعد انقضاء ما يزيد على قرن من إشعياء، أي نحو سنة (٦٤٥ق.م). وقيل: كان معاصراً لحبقوق نحو عام (٦٣٧ق.م). وقد عاصر أفجع آونة عرفها تاريخ أورشليم، أي: في أثناء الحصار عام (٥٨٧ق.م) تقريباً، فامتهن وزُجَّ به في السجن، غير أنّه بعد سقوط أورشليم يختفي ذكره، وبعد موته جمع تلميذه الوريقات التي تحمل اعترافات معلِّمه الشخصية وأدخلها في السفر. [الحواشي على الكتاب المقدس].

http://kotob.has.it

٢/ ٢٠ : لأنه منذ القديم كسرتُ نِيرَك وقطعت قيودَك وقلتُ: لا أتعبَّد، لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية.

٥/ ١ : طوفوا في شوارع أورشليم وفتِّشوا في ساحاتها، هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها.

٥/ ٦ : من أجل ذلك يضربهم الأسد من الوعر، ذئب المساء يهلكهم، يكمِن النِّمر حول مدنهم، كل من خرج منها يُفترس، لأن ذنوبهم كثرت، تعاظمت معاصيهم.

٥/ ١٠ ـ ٢١ : اصعدوا على أسوارها واخربوا ـ ـ لأنه خيانةً خانني بيت إسرائيل وبيت يهوذا، جحدوا الربَّ وقالوا: ليس هو، ولا يأتي علينا شر ولا نرى سيفاً ولا جوعاً، والأنبياء يصيرون ريحاً، والكلمة ليست فيهم، لذلك هأنذا أجلب عليكم أمة من بعيد، أمةً قويةً منذ القديم، أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به، كلهم جبابرة، فيأكلون حصادك ـ ـ يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التي أنتَ متّكل عليها، ويكون كحين تقولون لماذا صنع الرب إلـٰهنا بنا كل هذه؟ نقول لهم: كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم، هكذا تعبُدون الغرباء في أرض ليست لكم ـ ـ اسمع هذا أيها الشعب الجاهل العديم الفهم، الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون أإياي لا تخشون؟ أَوَلا ترتعدون من وجهي؟!.

٥/ ٢٥ : آثامكم عكست هذه، وخطاياكم منعت الخير عنكم.

٦/ ١ ـ ٢ : اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم واضربوا بالبوق ـ ـ وارفعوا علم نار، لأنّ الشر أشرف من الشمال، وكَسْر عظيم، الجميلة اللطيفة ابنة صهيون أهلكها.

٦/ ١٠ ـ ١٢ : من أكلمهم وأنذرهم فيسمعوا؟ ها إنَّ أذنهم غَلْفاء فلا يقدرون أن يَصْغَوا، إنَّ كلمة الرب صارت لهم عاراً، لا يُسرون بها، فامتلأتُ من غيظ الرب ـ ـ وتتحول بيوتهم إلى آخرين، الحقول والنساء معاً، لأني أمدّ يدي على سكان الأرض.

http://kotob.has.it

٦/ ١٥ : لذلك يسقطون مع الساقطين، وفي وقت معاقبتهم يعثرون.

٦/ ١٩ : اسمعي أيتها الأرض، هأنذا جالب شرّاً على هذا الشعب، ثَمَرَ أفكارهم، لأنهم لم يصغوا لكلامي، وشريعتي رفضوها.

٦/ ٢١ ـ ٢٣: لذلك هأنذا جاعل لهذا الشعب مَعْثَرَات فيعثر بها الآباء والأبناء معاً ـ ـ هو ذا شعب قادم من أرض الشمال، وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض، تمسك القوس والرمح، هي قاسية لا ترحم، صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب، مصطفة كإنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون.

فالفصول من ٢ ـ ٦ فيها تَقْريع وتهديد لهم بعقاب أليم يحلُّ بهم على أيدي شعب بعيد يجهلون لسانه، يأتيهم من ناحية الشمال، وحملة أهل الكتاب على الشعب الكلداني وجيوش بختنصر. وفي الفصول من ٧ ـ ١٠ نراه يُلَطِّفُ هذا الوعيد بوعد رجوع السلامة والغبطة، فيطلب وهو واقف أمام باب الهيكل إصلاح الأعمال، غير أنه يتنبأ بغارة الأمم الشمالية وجلاء اليهود وخراب أرضهم.

٧/ ١ ـ ٧: قف في باب بيت الرب وقل: اسمعوا كلمة الرب يا جميع الداخلين في هذه الأبواب، أصلحوا طرقكم وأعمالكم، فأسكنكم في هذا الموضع، لا تتكلموا على كلام الكذب قائلين: هيكل الرب هو، لأنكم إن أصلحتم إصلاحاً طرقكم وأعمالكم ـ ـ فإني أسكنكم في هذا الموضع في الأرض التي أعطيت لآبائكم من الأزل إلى الأبد.

٧/ ٨ ـ ١٥ : ها إنكم مُتَّكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع، أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتُبَخِّرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها، ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت وتقولون قد أُنْقِذنا؟ هل صار هذا البيت مغارة لصوص في أعينكم؟ ـ ـ والآن من أجل عملكم هذه الأعمال ـ وقد كلمتكم مبكِّراً فلم تسمعوا، أصنع بالبيت الذي دُعي باسمي وبالموضع الذي أعطيكم وآباءكم إياه كما صنعت بشِيلو، وأطرحكم من أمامي كما طرحتُ كلَّ إخوتكم كلَّ نسل أفرايم.

٧/ ١٩ ـ ٢٠ : أفإيَّايَ يغيظون؟ أليس أنفسهم لأجل خِزْي وجوههم؟ لذلك

http://kotob.has.it

ها غضبي وغيظي ينسكبان على هذا الموضع، على الناس والبهائم، فيتقدان ولا ينطفئان.

٧/ ٣٣ ـ ٣٤: وتصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء، ولوحوش الأرض، ولا مزعج، وأُبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الفرح، لأن الأرض تصير خراباً.

٨/ ٣ ـ ٥: ويُختارُ الموتُ على الحياة عند كل البقية الباقية من هذه العشيرة الشريرة الباقية في كل الأماكن التي طردتهم إليها ـ ـ فلماذا ارتدّ هذا الشعب في أورشليم ارتداداً دائماً، تمسكوا بالمكر، أبَوا أن يرجعوا.

٨/ ٩ ـ ١٠: خَزِيَ الحكماء، ارتاعوا وأُخذوا، ها قد رفضوا كلمةَ الرب، فأية حكمة لهم؟ لذلك أعطي نساءهم لآخرين، وحقولهم لمالكين، لأنهم من الصغير إلى الكبير مولعون بالربح.

٩/ ١٥ـ ١٦: لذلك هأنذا أطعم هذا الشعب أَفْسِنْتيناً، وأسقيهم ماءَ العلقم، وأبددهم في أمم لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلق وراءهم السيف حتى أفنيهم.

١٠/ ١٧: اجمعي من الأرض حُزَمك أيتها الساكنة في الحصار.

١٠/ ٢٢: هو ذا صوتُ خبرٍ جاء، واضطراب عظيم من أرض الشمال، لجعل مدن يهوذا خراباً مأوى بنات آوى.

ثم يذكِّرهم بالعهد والميثاق الذي أخذه عليهم وينصحهم بالتوبة، ويحذرهم من العقاب.

١١/ ١ ـ ٥: اسمعوا كلام هذا العهد، وكلموا رجال يهوذا وسكان أورشليم: ملعون الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من مصر قائلاً: اسمعوا صوتي واعملوا حسب كل ما آمركم به، فتكونون لي شعباً وأنا أكون لكم إلـهاً، لأقيم الحَلِف الذي حَلَفْتُ لآبائكم أن أعطيهم الأرض.

١١/ ٨: فلم يسمعوا بل سلك كل واحد في عناد قلبه الشرير، فجلبت

http://kotob.has.it

عليهم كل كلام هذا العهد.

١١/ ٩ ـ ١١ : وقال الربّ لي: توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم، قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين ـــ قد نقض بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدي، لذلك هأنذا جالب عليهم شرّاً لا يستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إلي فلا أسمع لهم.

١١/ ٢٠ : فيا ربَّ الجنود القاضي بالعدل دعني أرى انتقامك منهم.

١١/ ٢٢ ـ ٢٣ : لذلك قال ربُّ الجنود: هأنذا أعاقبهم، يموت الشبان بالسيف، وبنوهم وبناتهم بالجوع، ولا تكون لهم بقية، لأني أجلب شراً.

نبوءة بالجلاء بعد سبعين عاماً ووعيد للشعوب الأخرى:

٢٥/ ٣ ـ ٤ : كلمتكم مبكراً فلم تسمعوا، وقد أرسل الربُّ إليكم الأنبياء قائلين: ارجعوا عن الطريق الرديِّ وعن شر أعمالكم واسكنوا الأرض التي أعطاكم من الأزل وإلى الأبد، ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى، ولا تغيظوني بعمل أيديكم فلا أسيء إليكم فلم تسمعوا ـــ لذلك هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال، وإلى نبوخَذْناصّر عبدي ملك بابل، وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى هذه الشعوب حواليها فأحرقهم وأجعلهم دَهَشاً وصفيراً وخِرَباً أبدية، وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة، وعند تمام السبعين أعاقب ملك بابل وتلك الأمة على إثمهم، وأرض الكلدانيين أجعلها خِرَباً أبدية، وأجلب على تلك الأرض كل ما كتب في هذا السفر، لأنه قد استعبدهم أيضاً أمم كثيرة وملوك عظام، فأجازيهم حَسَب أعمالهم.

رسالة موعظة إلى المسبيين ووعد بالعودة والخير:

٢٩/ ١ ـ ٩ : كلام الرسالة التي أرسلها إرمياء النبي من أورشليم إلى بقية شيوخ السبي وإلى الكهنة والأنبياء وإلى كل الشعب الذين سباهم نبوخذناصر ـــ هكذا قال رب الجنود: ابْنُوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات، وخُذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فَيَلِدْنَ بنين وبنات، واكثروا هناك ولا تَقِلُّوا، واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها، لأنه بسلامها يكون لكم سلام.

http://kotob.has.it

٢٩/ ١٠ ـ ١٤ : عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع ـ ـ أفكار سلام لا شر، لأعطيكم آخرة ورجاء، فتدعونني وتصلُّون إليّ فأسمع كلامَكم، وتطلبونني بكل قلبكم فتجدونني، وأردُّ سَبْيَكم وأجمعكم من كل الأمم ومن كل المواضع التي طردتكم إليها، وأردكم إلى الموضع الذي سبيتكم منه.

٣٠/ ٣ : لأنه ها أيام تأتي وأرد سَبْي شعبي إسرائيل ويهوذا وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم فيمتلكونها.

سجن إرميا وحصار أورشليم ثم هَدْمها وحرقها :

٣٢/ ٢ ـ ٥ : وكان حينئذٍ جيش ملك بابل يحاصر أورشليم، وكان إرميا النبي محبوساً، لأنَّ صدقيا ملك يهوذا حبسه قائلاً : لماذا تنبأت أنَّ الربَّ قال : هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل فيأخذها، وصدقيا لا يفلت من يد الكلدانيين، بل يدفع ليد ملك بابل ويسير به إلى بابل، وإن حاربتم الكلدانيين فلن تنجحوا.

٣٢/ ٣٦ ـ ٣٠ : لذلك هأنذا أدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين وليد نبوخذناصر ملك بابل، فيأخذها، ويشعل الكلدانيون المدينة بالنار، ويحرقون البيوت التي نجَّروا على سطوحها للبعل ـ ـ لأن بني إسرائيل وبني يهوذا صنعوا الشر منذ صباهم.

٣٨ـ٢٨ : فأقام إرميا في السجن إلى اليوم الذي أخذت فيه أورشليم.

٥ ـ حِزْقَيال : عاصر إرمياء، غير أنَّ الدلائل تشير إلى عدم لقائهما، كان مع القافلة الأولى للمسبيِّين إلى بابل بعد غزوة بختنصر الأولى عام (٥٩٨ق.م) تقريباً، فبينما كان إرمياء يرى نزاع أورشليم عن كثب كان حزقيال يعظُ المسبيِّين في بلاد بابل، يعدِّد خطايا أورشليم ويرمز إلى حصارها المقبل، ويعلن خراب يهوذا القريب، وما هي إلا فترة حتى استقبل المسبيِّين الجدد بعد السقوط وهدم الهيكل[١].

(١) الحواشي على الكتاب المقدس.

http://kotob.has.it

جاء في ٢/ ٣ ـ ٥ : فقال لي : يا بن آدم أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمةٍ متمرِّدة عليّ، هم وآباؤهم عَصَوا عليَّ إلى هذا اليوم، والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم ـــ وهم إن سمعوا وإن امتنعوا، لأنهم بيت متمرد .

٣/ ٧ : لكن بيت إسرائيل لا يشاء أن يسمعَ لك، لأنه لا يشاؤون أن يسمعوا لي، لأن كل بيت إسرائيل صِلاب الجباه وقساة القلوب .

٣/ ١٥ ـ ١٧ : فجئت إلى المسبيِّين عند تل أبيب الساكنين عند نهر خابور، سكنت سبعة أيام متحيراً في وَسْطهم، وعند تمام السبعة صارت كلمة الربِّ إلي : يا ابن آدم قد جعلتُك رقيباً لبيت إسرائيل فأنذرهم من قِبلي .

٤/ ١ ـ ٣ : وأنت يا ابن آدم، فخُذْ لَبِنة وارسم عليها مدينة أورشليم، واجعل عليها حصاراً، وابْنِ عليها برجاً وأقِمْ عليها مِترسة واجعل عليها جيوشاً وأقم عليها مجانِقَ حولها، وخُذْ أنت صاجاً من حديد وانصبه سوراً بينك وبين المدينة ـــ تلك آية لبيت إسرائيل .

٥/ ٥ ـ ١٥ : هذه أورشليم في وسط الشعوب أقمتها، وحواليها الأراضي، فخالفتْ أحكامي لأجل ذلك ـــ ها إنِّي عليكِ، وسأجري في وسطك أحكاماً أمام عيون الأمم، وأفعل بكِ ما لم أفعل مثله بسبب كل أرجاسك ـــ من أجل أنكِ قد نجَّستِ مَقْدِسي بكل مكروهاتك وأرجاسك، فأنا أيضاً أجزُّ ولا تشفق عيني ولا أعفو، ثلث يموت بالوباء وبالجوع يفنَون في وسطك، وثلث يسقط بالسيف من حولك، وثلث أُذرّيه في كل ريح، وأستل سيفاً وراءهم ـــ وأجعلك خراباً وعاراً بين الأمم ـــ فتكونين عاراً ولعنة وتأديباً ودَهَشاً للأمم التي حواليك .

فهو يصف بني إسرائيل وينذرهم، ثم يتنبأ بالقضاء المنزل على مدينة أورشليم ومملكة يهوذا، وما سيطرحه على ذلك الشعب وسائر الشعوب الوثنية، ثم يؤكد ذلك وينصحهم بالتوبة، لأنه قد طفح الكيل .

١٨/ ٣٠ ـ ٣١ : من أجل ذلك أقضي عليكم يا بيت إسرائيل، كل واحد كطرقه، توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم، ولا يكون لكم الإثم مهلكة، اطرحوا

http://kotob.has.it

عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة، فلماذا تموتون؟!.

٢١/ ٦ ـ ١٤: أما أنت فتنهَّد أمام عيونهم، وإذا قالوا: علامَ تتنهَّد؟ تقول: على الخبر، لأنه جاء، فيذوب كل قلب، وترتخي كل الأيدي، وتيئس كل روح، وكل الرُّكَب تصير كالماء، ها هي آتية وتكون، قُل: سيف سيف حُدِّدَ وصُقل ليذبح ذبحاً ـ ـ اصرخ وَوَلْوِل، لأنه يكون على شعبي وعلى كل رؤساء إسرائيل أهوال، لذلك اصفِقْ على فخذك، لأنه امتحان ـ ـ واصفق كفاً على كف، وَلْيُعَدِ السيف ثالثة، هو سيف القتلى، سيف القتل العظيم المحيق بهم.

٢١/ ١٩ ـ ٢١: وأنت يا ابن آدم عيِّن لنفسك طريقين لمجيء سيف ملك بابل، من أرض واحدة تخرج الاثنتان، واصنع صُوَّة[1] على رأس طريق المدينة. عَيِّنْ طريقاً ليأتي السيف على ربَّة بني عَمُّون وعلى يهوذا في أورشليم المنيعة، لأن ملك بابل وقف على أم الطريق، على رأس الطريقين ليعرف عِرافة، صَقَل السهام، سأل بالتراقيم، نظر إلى الكبد.

فقد أنذرهم بخراب أورشليم وهَدْم الهيكل ونفي السكان على يد ملك بابل، وبين أن المبعوث عليهم في المرتين من أرض واحدة، وكأنه أشار بقوله: «وليعد السيف ثالثة» إلى خراب أورشليم على يد تيطس الروماني. ثم يعود فيتكلم عن خراب أورشليم ومملكة يهوذا.

٢٢/ ٢ ـ ١٦: وأنت يا ابن آدم هل تدين مدينة الدماء، فَعَرِّفها كل رجاساتها، وقُلْ: أيتها المدينةُ السافكةُ الدم في وسطها ليأتي وقتُها، الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها، قد أثمتِ بدمك الذي سفكت، ونجست نفسك بأصنامك التي عملت، وقربت أيامك، وبلغتِ سنيك فلذلك جعلتك عاراً للأمم وسخرة لجميع الأراضي، القريبةُ إليك والبعيدة عنك يسخرون منك يا نجسة الاسم يا كثيرة الشَّغْب، هوذا رؤساء إسرائيل، كل واحد حسب استطاعته، كانوا فيك لأجل سفك الدم، فيك أهانوا أباً وأماً، في وسطك عاملوا الغريب بالظلم، فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة، ازدريت أقداسي ونجَّست سبوتي، كان فيك

(١) الصُوَّة: الأعلام من الحجارة، والجمع: صُوى. وانظر: مختار الصحاح.

http://kotob.has.it

أناس وشاة لسفك الدم، وفيك أكلوا على الجبال، في وسطك عملوا رذيلة، فيك كشف الإنسان عورة أبيه، فيك أذلوا المتنجسة بطمثها. إنسان فعل الرجس بامرأة قريبة، إنسان نجس كنته برذيلة، إنسان أذلَّ فيك أخته بنت أبيه، فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم، أخذتِ الربا والمرابحة، وسلبتِ أقرباءك بالظلم ونسيتني، فهأنذا قد صَفَّقْتُ بكفّيَّ بسبب خَطفك ودمك الذي كان في وسطك، فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك في الأيام التي فيها أعاملك؟ أنا الرب وسأفعل، وأبددك بين الأمم، وأُذرِّيك في الأراضي، وأزيل نجاستك منك، وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم، وتعلمين أنّي أنا الربّ.

٢٢/ ٢٤ ـ ٣١: قل لها أنت الأرض التي لم تطهُر، لم يُمطر عليها في يوم الغضب، فِتْنَةُ أنبيائها في وَسَطها، كأسد مزمجر يخطف الفريسة، أكلوا نفوساً ـ ـ كهنتها خالفوا شريعتي ونجّسوا أقداسي ـ فتدنَّستُ في وسطهم، رؤساؤها في وسطها كذئاب خاطفة ـ ـ شعب الأرض ظلموا ظلماً وغصبوا غصباً ـ ـ وطلبتُ من بينهم رجلاً يبني جداراً ويقف في الثَّغْر أمامي عن الأرض لكيلا أَخْرِبها فلم أجد، فسكبت سَخَطي عليهم، أفنيتهم بنار غضبي، جلبتُ طريقهم على رؤوسهم.

٢٣/ ٢٢ ـ ٢٤: هأنذا أهيج عليك عُشَّاقك الذين جَفَتْهم نفسُك، وآتي بهم عليك من كل جهة، بني بابل وكل الكلدانيين ـ ـ فيأتون عليك بأسلحة ـ ـ وأُسَلِّم لهم الحكم فيحكمون عليك.

٣٣/ ٢٤ ـ ٢٧: يا ابن آدم، إنَّ الساكنين في هذه الخِرَب في أرض إسرائيل يقولون: إن إبراهيم كان واحداً وورث الأرض، ونحن كثيرون، لنا أُعطيت الأرض ميراثاً، لذلك قل لهم: تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، أفترثون الأرض؟ وقفتم على سيفكم فعملتم الرجس، وكل منكم نجس امرأة صاحبه، أفترثون الأرض. قل لهم: إن الذين في الخِرب يسقطون بالسيف، والذي هو على وجه الحقل أبذله للوحش مأكلاً، والذين في الحصون والمغاير يموتون بالوباء.

٦ ـ **حَبقُّوق**: يرى أهل الكتاب أنَّ حبقوق من معاصرين إرمياء، وهو أحد الأولين الذين عرضوا مشكلة الشر على بساط البحث، غير أنه يضع ثقته بالله ويأمل أن ينتصر العدل في النهاية، ففي الفصل الأول ينوح على آثام يهوذا، ثم

http://kotob.has.it

ينذر بالانتقام الذي سينزله الله بهم على أيدي الكلدانيين[1] . **ويبشر بمحمد** ﷺ .

جاء في ١/ ٢ ـ ٤ : حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع؟ أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تُخلِّص، لِمَ تريني إثماً وتبصر جَوْراً؟ وقدامي اغتصاب وظلم، ويحدث خصام، وتَرْفَع المخاصمة نفسها، لذلك جَمَدَت الشريعة، ولا يخرج الحكم، لأن الشرِّير يحيط بالصدِّيق، فلذلك يخرج الحكم معوجّاً .

١/ ٥ ـ ١١ : انظروا بين الأمم وتحيَّروا، لأنِّي عامل عملاً في أيامكم لا تصدقون إن أُخبر به، فهأنذا مقيم الكلدانيين الأمة المرة القاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها، هي هائلة ومَخُوفة، وخيلها أسرع من النمور وأحدُّ من ذئاب المساء، وفرسانها يأتون من بعيد ويطيرون كالنَّسر، يأتون كلهم للظلم، ويجمعون سَبْياً كالرمل، وهي تسخر من الملوك، والرؤساء ضحكة لها، وتضحك على كل حصن وتكوم التراب وتأخذه .

٣/ ٢ ـ ٦ : يا ربّ قد سمعت خبرك فجزعتُ، يا ربُّ عملك في وَسَط السنين أَحْيِهِ، في الغضب اذكر الرحمة . الله جاء من تِيمان ـ وعند الكاثوليك : من الجنوب ـ والقدُّوس من جبل فاران، جلاله غطَّى السموات، والأرض امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور، له من يده شعاع، وهناك استتار قدرته، قُدامه ذهب الوبَأ، وعند رجليه خرجت الحُمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجَفَ الأمم، ودُكت الجبال الدهرية، وخَسَفت آكام القِدم، مسالك الأزل له .

٣/ ١٣ ـ ١٤ : خرجْتَ لخلاص شعبك لخلاص مسيحك، سحقت رأس بيت الشرير مُعَرِّياً الأساس حتى العنق، ثَقَبْتَ بسهامه رأس قبائله، عَصَفَوا لتشتيتي .

وهذه بشارة بالنبي محمد ـ ﷺ ـ فمجيء الله من تِيمان أو من الجنوب هو مجيء وَحْيه من ناحية الحجاز، فإن أنبياء بني إسرائيل كانوا يظهرون من ناحية الشام، وكانت القدس ولاَّدة للأنبياء، أما محمد ـ ﷺ ـ فقدم من ناحية الحجاز، فهو القُدُّوس، وقد ابتدأه الوحي في غار حراء الواقع في جبل فاران، فذكر أولاً

---

(١) الحواشي على الكتاب المقدس .

http://kotob.has.it

جهة الوحي ثم حدّد مكان نزوله أول مرة على النبي المبشَّر به[1].

٧ ـ **حَجّي**: تبدأ فترة حَجّي بما بعد السبي، فهو يشجع الذين تطهَّروا في المحن، ويحث العائدين على إعادة بناء الهيكل، **ويبشر بمحمد** ﷺ.

جاء في ١/١ ـ ٨: في السنة الثانية لداريُوس الملك كانت كلمة الربّ عن يد حَجِّي النبي قائلاً: هذا الشعب قال: إنَّ الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب. فكانت كلمة الرب: هل الوقت لكم أنتم أن تسكنوا في بيوتكم المغشَّاة، وهذا البيت خراب؟ والآن اجعلوا قلبكم على طُرُقكم، زرعتم كثيراً ودَخَّلْتم ـ استغللتم ـ قليلاً، تأكلون ولا تشبعون، تشربون ولا تروون، تكتسون ولا تدفؤون ـ ـ اصعدوا إلى الجبل وأتوا بخشب وابنوا البيت فأرضى به وأتمجَّد.

وداريوس جلس على ملك فارس عام (٥٢١ق.م) تقريباً، مما يدل على أن نبوءته كانت بعد الرجوع من بابل.

٢/ ٥ ـ ٩: حسب الكلام الذي عاهدتم به عند خروجكم من مصر وروحي قائم في وسطكم، لا تخافوا، لأنه هكذا قال رب الجنود، هي مرة بعد قليل، فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة، وأزلزل كل الأمم، **ويأتي مشتهي كل الأمم**، فأملأ هذا البيت مجداً، لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود، مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود.

٢/ ١٤ ـ ١٥: فأجاب حجي وقال: هكذا هذا الشعب، وهكذا هذه الأمة قدامي، وهكذا كل عمل أيديهم ما يقربونه هناك هو نجس، والآن فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فراجعاً قبل وضع حجر على حجر في هيكل الرب.

٢/ ١٨ ـ ١٩: فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فصاعداً، من اليوم الذي تأسس فيه هيكل الرب، اجعلوا قلبكم ـ وجهوا قلوبكم ـ فمن هذا اليوم أبارك.

ويتضح من النصوص ما يلي: إنَّ الله سيزلزل كل الأمم على يد الذي تشتهيه وتنتظره، ويعود المجد إلى بيت المقدس على يد مُشْتَهى كل الأمم، وإن مجد

---

(١) انظر كتابي: ميثاق النبيين، ص٢٤٨ ـ ٢٥٩.

http://kotob.has.it

البيت الثاني؛ وهو الكعبة، يكون أعظم من مجد البيت الأول، وهو بيت المقدس، وفي هذا المكان، ـ أي: في البيت الثاني الذي هو الكعبة ـ يعطي الله السلام والأمان، وستكون رسالة مشتهى كل الأمم عالمية، ويحدث برسالته ودعوته ودعوة أصحابه وأمته من بعده تغيير جذري في الأرض[١].

٨ ـ **زكريا**: يظهر من الأسفار أنَّ زكريا ـ عليه السلام ـ كان معاصراً لحَجي، وقد دعا إلى إصلاح الباطن وحض على إعادة بناء الهيكل.

جاء في ١/١ ـ ٤: في السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب إلى زكريا بن بَرَخِيّا بن عِدّو النبي قائلاً: قد غضب الربُّ غضباً على آبائكم، فقل لهم: ارجعوا إلي أرجع إليكم، لا تكونوا كآبائكم الذين ناداهم الأنبياء الأولون فلم يسمعوا.

١/ ١٢ ـ ١٦: فقال ملاك الربّ: يا رب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدنَ يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة؟ ـ فقال: غِرت على أورشليم وعلى صهيون غَيْرة عظيمة، وأنا مغضِب بغضب عظيم على الأمم المطمئنين، لأني غضبت قليلاً وهم أعانوا على الشر، لذلك رجعتُ إلى أورشليم بالمراحم، فبيتي يبنى فيها ويُمد المِطْمار على أورشليم.

١/ ١٨ ـ ١٩: فرفعت عيني ونظرت وإذا بأربعة قرون، فقلت للملاك الذي كلمني: ما هذه؟ فقال: هذه هي القرون التي بدّدت يهوذا وإسرائيل وأورشليم.

ويبدو أن القرون الأربعة رمز إلى الممالك الأربع التي نثرت شمل شعب إسرائيل في أوقات مختلفة، وهي مملكة الكلدان ومملكة الفرس ومملكة اليونان ومملكة الرومان.

٢/ ٦: اهربوا من أرض الشمال يقول الرب، فإني قد فرقتكم كرياح السماء الأربع، تَنَحَّبِيْ يا صهيون الساكنة في بنت بابل.

هذا الكلام موجَّه إلى من بقي في بابل من المسبيِّين.

٩ ـ **يوئيل**: بشَّر يوئيل في وقت تَمَّ فيه رجوع المسبيِّين إلى فلسطين، وتمَّ

---

(١) انظر كتابي: ميثاق النبيين، ص٣٦٨ ـ ٣٧٠.

http://kotob.has.it

ترميم مدينة أورشليم وتجديد بناء الهيكل، وكأنَّ الأمور عادت إلى نصابها، غير أنَّ الجراد اجتاح أرض يهوذا، فرأى في ذلك علامة مؤذنة بحكم عتيد لله[1].

جاء في ١/ ٢ ـ ٤: اسمعوا أيها الشيوخ، واصنَعوا يا سكان جميع الأرض، هل حدث هذا في أيامكم وفي أيام بنيكم؟ أخبروا بنيكم عنه، وبنوكم بنيهم، وبنوهم دوراً آخر. فَضْلة القَمَص أكلها الزحّاف، وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء، وفضلة الغوغاء أكلها الطيار[2].

١/ ٥ ـ ١٠: اصحوا أيها السُّكارى، وابكوا وولولوا يا جميع شاربي الخمر على العصير، لأنه انقطع عن أفواهكم، إذ قد صعِدَتْ على أرضي أمةٌ قويَّةٌ بلا عدد، أسنانها أسنان الأسد، ولها أضراس اللَّبوة، جعلت كرمي خربة وتينتي متهشمة، نُوحي يا أرضي كعروس مؤتزرة بِمَسْحٍ من أجل بعل صباها، انقطعت التقدمة والسكيب عن بيت الرب، ناحت الكهنةً خدام بيت الرب، تلف الحقل ناحت الأرض.

١/ ١٥: آه على اليوم، لأن يوم الرب قريب، يأتي كخراب من القادر على كل شيء.

ويظهر أن الجراد المذكور رمز لأعداء اليهود، فهو ينذرهم ويرغبهم في التوبة.

٢/ ١٢ ـ ١٣: ولكن الآن يقول الرب: ارجعوا إلي بكل قلوبكم، وبالصوم والبكاء والنوح، ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم، وارجعوا إلى الرب إلـٰهكم، لأنه رؤوف رحيم.

وهي علامات سبقت خراب أورشليم الثاني.

وصفوة القول: إنّ ظاهر الأسفار التي وضعها الأحبار تفيد أنَّ المبعوث

---

(١) الحواشي على الكتاب المقدس.

(٢) القَمَص: ذباب صغير يكون فوق الماء، أو البق الصغار على الماء الراكد، والجراد أول ما يخرج من بيضه. [القاموس]. والجملة في ترجمة الكاثوليك «فضلة الزحَّاف أكلها الجراد، وفضلة الجراد أكلها الجندب، وفضلة الجندب أكلها الدَّبى».

http://kotob.has.it

عليهم أولاً بختنصر وجنوده من أهل بابل، وكان في زمن إرمياء، وقد أنذرهم مجيئه بصراحة بعد أن نهاهم عن الفساد كما سلف، ثم إن أسبيانوس قيصر الروم وجّه وزيره تيطس فخرب بيت المقدس، فيكون بين البعثين قرابة (٤٩٠) عاماً.

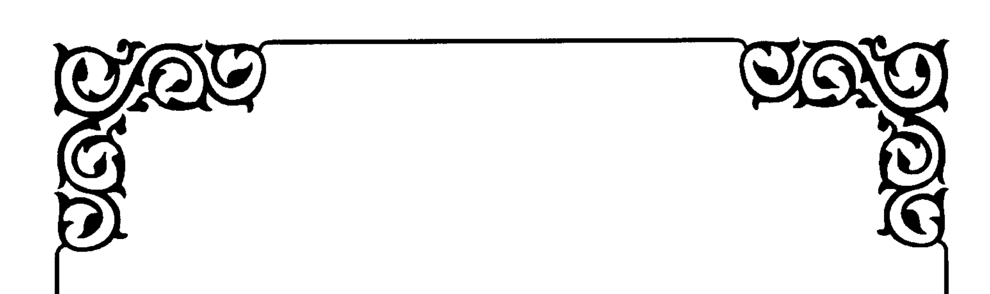
تنبيه: يرى اليهود أنَّ الفلسطينيين الحاليين هم ورثة الكنعانيين القدماء، وأن العراقيين الحاليين هم ورثة الكلدانيين والآشوريين وسائر سكان العراق القدماء، فبابل تقع في وسط العراق إلى الجنوب من بغداد، وأشور مدينة تقع في الشمال، وملك أشور أول من افترس قطيع بني إسرائيل، ونبوخذناصر هشَّم عظامه، ولذلك فإن أحقادهم ومشاعرهم بالانتقام من كلا الشعبين قد أفرغها الكهنة في أسفارهم عندما أعادوا جمعها ونسخها تحت وطأة انفعالات نفسية، ثم رتَّبوها وفق أهوائهم فيما بعد، ولذلك تراهم دائماً يخططون لإبادة الشعبين كليهما بطرق ملتوية ومختلفة.

جاء في سفر إشعياء ١٣/ ١٩ ـ ٢٢: وتصير بابل ــ لا تُعمر إلى الأبد ولا تُسكن إلى دور فدور، ولا يخيم هناك أعرابي، ولا يُربِض هناك رعاة، بل تربض هناك وحوش القفر، ويملأ البومُ بيوتهم، وتسكن هناك النعام، وترقص معز الوحش، وتصبح بنات آوى في قصورهم، والذئاب في هياكل التنعّم، ووقتها قريب المجيء، وأيامها لا تطول.

* * *

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الرابع

منتظر اليهود

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ مسيحهم المنتظر وأدعيتهم الملفَّقة

٢ ـ التيار الديني الصهيوني والمخلِّص

٣ ـ الصهيونية النصرانية

٤ ـ مفهوم الشعب المختار وأرض الميعاد عند النَّصارى

٥ ـ تزاوج المعتقدات بين اليهود والبروتستانت



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
مسيحهم المنتظر وأدعيتهم الملفَّقة

الشريعة والوعد:

بينما كان اليهود يتحرَّقون في بابل دون أن يستطيعوا المقاومة تفتَّقت عبقرية الشر عند زعمائهم عن فكرتي الشريعة والوعد، وغايتهم من ذلك المحافظة على أنفسهم عرقاً متميزاً عن غيره، منطوياً على نفسه غير قابل للاندماج، ومنظَّماً تنظيماً سرِّيّاً. ويرى بعض الباحثين أنَّ هذه الفكرة إنما برزت بعد سقوط دولتهم، وفي أثناء سَبْيِهم، ثم تبلورت بعد خضوعهم للفرس[١].

جاء في الموسوعة اليهودية: وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين منظَّمة حسب تعليمات الفرِّيسيين ـ أي: علماء اليهود ـ كما أُعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فرِّيسية، وأعطي وجه جديد للتشريعات السابقة (السنهدرين)، وحلَّت سلسلة جديدة من التقاليد محلَّ القديمة، وكيَّفت الفريسية طبيعة اليهود وتفكيرهم للمستقبل[٢].

مسيحهم المنتظر:

تأتي فكرة المسيح المنتظر عندهم مقترنة بفكرة تجديد العهد مع إلٰههم

---

(١) بعد أن فُقدت توراة موسى ـ عليه السلام ـ في فلسطين، بدأ اليهود بجمع توراتهم وسائر أسفارهم المقدَّسة من الأذهان والروايات الشفوية في أثناء النفي، أي: بعد موسى ـ عليه السلام ـ بفترة تقدَّر بـ(٧٠٠) سنة، ولم يكن تدوينها دفعة واحدة، بل كتبت على أجزاء متفرّقة وبدون نظام، وكلٌّ منهم يكتب على حِدَة، مما أفسح المجال للكثيرين منهم بالتلاعب والتحريف فيما يكتبه وإضافة ما يريد من أقاويل وتأويل دون رقيب أو حسيب. واستغرق التدوين زمناً طويلاً، قدَّره المؤرّخون بأربعمئة سنة، الأمر الذي أدخل في عقيدتهم وشريعتهم أموراً ليست من شريعة موسى ـ عليه السلام ـ ولا ممَّن عاصره من الأنبياء ولا ممَّن أتى بعده منهم، ولكنها محض افتراء اختلقه أحبارهم لتبرير طغيانهم، ومن ذلك فكرة الشريعة والوعد بالمسيح المنتظر. وانظر كتابي: الكتب السماوية وشروط صحتها.

(٢) عن: التوراة تاريخها غاياتها، ترجمة سهيل ديب، ص١٦ ـ ١٧ و٢٠ ـ ٢٥ و٣٩.

http://kotob.has.it

(يهوه) وحينئذٍ تتجدَّد أمتهم لتصبح جديرة بحبِّه. وساد الاعتقاد لدى اليهود بأنَّ الله سوف يبعث لهم في آخر الزمان من يخلِّصهم من الظلم والعذاب والتشرّد، ويجمع أشتاتهم في فلسطين، ويعيد بناء الهيكل، وتصبح مدينة أورشليم لا مثيل لها، يقيم فيها الربُّ على جبل صهيون، فيتحقَّق مجد إسرائيل، وتكون لهم الدولة، ويكون هو ملكاً عليهم، فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك، ويبلغ سلطانه البر والبحر، وتسير معه الأنهار، ويجعل من الأقليَّة اليهودية النُّخبة التي ترث العالم وتسوده وتحكمه، ويزعمون أنَّه إذا حرّك شفتيه بالدعاء ماتت جميع الأمم، ولا يبقى إلا اليهود، فيخلوا العالم من سواهم، ويحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة(١).

ومن الجدير بالذكر أنَّ العبرانيين يزعمون أنه من نسل داود ـ عليه السلام ـ ويطلقون عليه اسم النبي المنتظر أو المسيح المنتظر، بينما يزعم السامريون أنه من نسل يوسف الصديق، عليه السلام.

النصوص التي استندوا إليها:

١ ـ **جاء في سفر صموئيل الثاني ٧/ ١٠**: وعيَّنتُ مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته، فسكن في مكانه، ولا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذلُّونه كما في الأول.

٢ ـ **جاء في سفر إشَعياء ١/ ٢٤ ـ ٢٨**: يقول ربُّ الجنود: عزيز إسرائيل، آه، إني أستريح من خصمائي، وأنتم من أعدائي، وأردّ يدي عليكِ، وأُنقِّي زَغَلكِ ـ ـ وأعيد قضاتك كما في الأول، ومشيريك كما في البَدَاءة، بعد ذلك تُدعَيْن مدينة العدل القرية الأمينة، صهيون تُفدى بالحق، وتائبوها بالبِر.

٢/ ٢ ـ ٥: ويكون في آخر الأيام أنَّ جبل بيت الربِّ يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير إليه شعوب كثيرة، ويقولون: هُلُمَّ نصعد إلى جبل الربِّ إلى بيت يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك في

---

(١) بذل المجهود، ص١٠٤ ـ ١٠٥؛ محمد في الكتاب المقدس، ص١٠٦ ـ ١٠٧؛ العقيدة اليهودية، لحسن ظاظا، ص٩٨ و١٠٠؛ الخطر اليهودي، ص١٧.

http://kotob.has.it

سبله، لأنه من صِهْيَوْن تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الربِّ، فيقضي بين الأمم، ويُنصف لشعوب كثيرين ـ ـ لا ترفع أمةٌ على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد، يا بيت يعقوب هَلُمَّ فنسلكُ في نور الربِّ.

٢/٤ ـ ٣: في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجداً، وثمر الأرض فخراً وزينة للناجين من إسرائيل، ويكون أن الذي يبقى في صهيون والذي يُترك في أورشليم يسمى قُدُّوساً، كل من كتب للحياة في أورشليم.

١/١١ ـ ١٢: ويخرج قضيب من جِذع يَسّى، وينبت غصن من أصوله، ويحلُّ عليه روح الرب، روحُ الحكمة والفهم، روح المشُورة والقوَّة، روح المعرفة ومخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأمم بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البر مِنْطقةَ متنيه، والأمانة منطقة حَقْويه، فيسكن الذئب مع الخروف، ويربُض النَّمِر مع الجدي، والعجل والشبل والمسمَّن معاً، وصبي صغير يسوقها، والبقرة والدُّبةُ ترعيان، تربض أولادهما معاً، والأسد يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على سَرَب الصِّل، ويمدُّ الفطيم يده على جُحر الأُفعوان، لا يسوءون ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطِّي المياه البحر، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يَسَّى القائم راية للشعوب، إياه تطلب الأمم، ويكون محلَّه مجداً، ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت ـ ـ ويرفع راية الأمم، ويجمع منفيي إسرائيل، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض.

١/١٤ ـ ٥: لأنَّ الربَّ سيرحم يعقوب، ويختار أيضاً إسرائيل، ويريحهم في أرضهم، فتقترن بهم الغرباء، وينضمّون إلى بيت يعقوب، ويأخذهم شعوب ويأتون بهم إلى مواضعهم، ويمتلكهم إسرائيل في أرض الربِّ عبيداً وإماءً، ويَسْبُون الذين سَبَوهم، ويتسلَّطون على ظالميهم، ويكون في يوم يريحك الرب من تعبك وانزعاجك ومن العبودية القاسية التي استُعبدتَ بها على أنك تنطق بهذا الهجو على ملك بابل وتقول: كيف باد الظالم، بادت الغطرسة، قد كسر الرب عصا الأشرار، قضيبَ المتسلِّطين.

http://kotob.has.it

وهذا يدلّ على مدى حِقْدهم على أهل بابل، ونية الانتقام من أحفادهم.

٦١/ ١ ـ ٣: روح السيِّد الربِّ علي، لأنَّ الربَّ مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيِّين بالعِتْق، وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب، وبيوم انتقام لإلٰهنا، لأعزِّي كل النائحين، لأجعل لنائحي صهيون، لأعطيهم جمالاً عوضاً عن الرماد، ودهنَ فرح عوضاً عن النوح.

٣ ـ وجاء في سفر إرميا ٣/ ١٧ ـ ١٨: في ذلك الزمان يُسمُّون أورشليم كرسيَّ الرب، ويجتمع إليها كل الأمم، إلى اسم الربّ إلى أورشليم، ولا يذهبون بعد وراء عناد قلبهم الشرِّير، وفي تلك الأيام يذهب بيت يهوذا مع بيت إسرائيل، ويأتيان معاً إلى أرض الشمال، إلى الأرض التي مَلَّكْتُ آباءهم إياها.

٣٢/ ٢٦ ـ ٤٢: والآن قال إلـه إسرائيل عن هذه المدينة التي دفعتُ ليد ملك بابل: هأنذا أجمعهم من كل الأراضي التي طردتهم إليها بغضبي، وأردُّهم إلى هذا الموضع، وأسكنهم آمنينَ، ويكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلـٰهاً، وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام، وأقطع لهم عهداً أبدياً أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم، وأجعل مخافتي في قلوبهم، فلا يحيدون عني، وأفرح بهم، وأغرسهم في هذه الأرض بالأمانة بكل قلبي، لأنه كما جلبت على هذا الشعب الشر العظيم، أجلب عليهم الخير الذي تكلَّمتُ به إليهم.

٣٣/ ١٤ ـ ٢٢: ها أيام تأتي ـ يقول الرب ـ وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلَّمتُ بها إلى بيت إسرائيل وبيت يهوذا، في تلك الأيام أنبت لداود غصنَ البِر، فيُجري عدلاً وبراً في الأرض، في تلك الأيام يَخْلُص يهوذا وتسكنُ أورشليم آمنة، لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على كرسي بيت إسرائيل، ولا ينقطع للكهنة اللاّويين إنسان من أمامي يُصعِد مُحرقة، ويحرق تقدمة، ويهيِّئ ذبيحة كل الأيام ـ ـ إن نقضتهم عهدي مع النهار والليل حتى لا يكون نهار ولا ليل، فإنّ عهدي أيضاً مع داود ينقض، فلا يكون له ابن مالك على كرسيه، ومع اللاّويين الكهنة خادمي.

٣٣/ ٢٥ ـ ٢٦: هكذا قال الربُّ: إن كنت لم أجعل عهدي مع النهار والليل

http://kotob.has.it

فرائض السموات والأرض، فإني أيضاً أرفض نسل يعقوب وداود عبدي، فلا آخذ من نسله حكاماً لنسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأني أردّ سبيهم وأرحمهم[1].

٤٦/ ٢٧ ـ ٢٨: لا تَخَفْ يا يعقوب ولا ترتعب يا إسرائيل، لأني هأنذا أخلّصك من بعيد، ونسلَك من أرض سَبْيهم، فيرجع يعقوب ويطمئن ولا مخيف، أما أنت يا عبدي يعقوب فلا تَخَفْ لأني معك، أُفني كل الأمم الذين بدَّدتك

---

(١) جاء في سفر الملوك الأول ٢/ ١ ـ ٤: ولما قربت وفاة داود أوْصى سليمان ابنه قائلاً: ـ ـ لكي يقيم الربُّ كلامه الذي تكلَّم به عني قائلاً: إذا حفظ بنوك طريقهم وسلكوا أمامي بالأمانة من كل قلوبهم وكل أنفسهم، لا يعدم لك رجل عن كرسي إسرائيل. وجاء في سفر أخبار الأيام الأول ١٧/ ١١ ـ ١٤ و٢٢/ ٧ ـ ١٠ و٢٨/ ٦ ـ ٧: أنَّ الربَّ قال لداود: متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك، وأثبت مملكته، هو يبني لي بيتاً، وأنا أثبت كرسيه إلى الأبد.

فهل تحقق الوعد ودام الملك في ذرية داود ـ عليه السلام ـ إلى الأبد، ولم ينقطع رجل منها عن ذرية إسرائيل؟.

زعموا في سفر الملوك الأول ١١/ ١ ـ ٤: أنَّ سليمان أحب والتصق بنساء غريبة، فحملنه على عمل الشر والارتداد عن دين الله، فهدَّده بتمزيق المملكة بعد موته كما في ١١/ ٩ ـ ١٣، والظاهر أنه مات مرتداً، لأن المملكة انقسمت بعد موته إلى جنوبية اسمها يهوذا، وعاصمتها القدس، سميت بذلك لأن حكّامها من ذريّة داود، من سبط يهوذا، وشمالية اسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (نابلس) وكانت أوسع رقعة من أختها، وتمثّل غالبيَّة الأسباط، وتنقَّل الملك فيها بين بيوتات مختلفة، كما في الملوك الأول ١٢/ ١ ـ ٢٠ وأخبار الأيام الثاني ١٠/ ١ ـ ١٩، وكان بينهما حروب متقطعة إلى أن سقطت مملكة إسرائيل على يد الآشوريين، واستمرَّ ملك ذريَّة داود في مملكة يهوذا، فكان التحقُّق جزئياً في مملكة صغيرة فيها سبط ونصف، ثم خرج الملك عن بيت داود بعد مقتل أخزيا قرابة سبع سنوات، حكمت فيها أمة عَثَلْيا بنت عُمري، وهي ليست من ذرية داود ولا من سبط يهوذا، كما في الملوك الثاني ١١/ ١ ـ ١٦ وأخبار الأيام الثاني ٢٣/ ١ ـ ١٢، ثم عاد إلى بيت داود عودة مُخْزِية، حيث كان الارتداد والكفر، فتسلَّط عليهم ملوك بابل يأسرون ويعزلون ويولُّون الملوك ويغيّرون أسماءهم إلى أن دُمِّرت أورشليم وقُتل معظمهم، وسُبي من بقي على يد بختنصر. فكانت مدة التحقق الجزئي للوعد (٤٢٧) سنة وستة أشهر وعشرة أيام كما في السفرين. فهل هذا وعد وبشرى أو حضٌّ على الصلاح وإنذار وتحذير من الفساد؟!.

http://kotob.has.it

إليهم، أما أنت فلا أفنيك، بل أؤدبك بالحق، ولا أُبرِّئك.

٤ ـ **وجاء في سفر حِزْقِيال ١١/ ١٦ ـ ٢٠**: قل لهم: هكذا قال السيِّد الربّ: وإن كنتُ أبعدتهم بين الأمم، وإن كنت قد بدَّدتهم في الأراضي، فإني أكُون لهم مَقْدِساً صغيراً في الأراضي التي يأتون إليها، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب: إني أجمعكم من بين الشعوب، وأحشركم من الأراضي التي تبددتم فيها، وأعطيكم أرض إسرائيل، فيأتون إلى هناك، ويزيلون جميع مَكْرُهاتها وجميع رجاساتها منها، وأعطيهم قلباً واحداً، وأجعل في داخلكم رُوحاً جديداً، وأنزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم قلب لحم، لكي يسلكوا في فرائضي ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها ويكونوا لي شعباً، فأنا أكون لهم إلـٰهاً.

٣٦/ ٢٤ ـ ٢٨: وآخذكم من بين الأمم، وأجمعكم من جميع الأراضي، وآتي بكم إلى أرضكم، وأرشّ عليكم ماءً طاهراً، فَتُطَهَّرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهّركم، وأعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحي في داخلكم، وأجعلكم تسلكون فرائضي وتحفظون أحكامي وتعملون بها، وتسكنون الأراضي التي أعطيت آباءكم، وتكونون لي شعباً وأنا أكون لكم إلـٰهاً.

٣٧/ ٢١ ـ ٢٨: وقل لهم: هكذا قال السيِّدُ الربّ: هأنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها، وأجمعهم من كل ناحية وآتي بهم إلى أرضهم، وأصيِّرهم أمة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل، وملك واحد يكون ملكاً عليهم، ولا يكونون بعد أمتين، ولا ينقسمون بعد إلى مملكتين، ولا يتنجسون بعد بأصنامهم ولا برجاساتهم ولا بشيء من معاصيهم، بل أخلّصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطؤوا وأطهرهم، فيكونون لي شعباً، وأنا أكون لهم إلـٰهاً، وداود عبدي يكون ملكاً عليهم، ويكون لجميعهم راعٍ واحد، فيسلكون في أحكامي، ويحفظون فرائضي ويعملون بها، ويسكنون في الأرض التي أعطيت عبدي يعقوب إياها، التي سكنها آباؤكم، ويسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد، وعبدي داود رئيس عليهم إلى الأبد، وأقطع معهم عهدَ سلام، فيكون معهم عهداً مؤبّداً، وأُقِرّهم وأكثّرهم، وأجعل مَقْدِسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني فوقهم، وأكون لهم إلـٰهاً، ويكونون لي شعباً، فتعلم الأمم أني أنا الربُّ مُقدِّسُ إسرائيل، إذ يكون مَقْدِسي في وسطهم إلى الأبد.

http://kotob.has.it

٣٩/ ٢٥ ـ ٢٩ : لذلك هكذا قال السيد الرب : الآن أردُّ سَبْي يعقوب، وأرحم كل بيت إسرائيل وأغار على اسمي القُدُّوس، فيحملون خزيهم وكل خيانتهم التي خانوني إياها عند سكنهم في أرضهم مطمئنين ولا مخيف، عند إرجاعي إياهم من الشعوب وجمعي إياهم من أراضي أعدائهم وتقديسي فيهم أمام عيون أمم كثيرين، يعلمون أني أنا الربُّ إلـٰههم بإجلائي إياهم إلى الأمم، ثم جمعهم إلى أرضهم، ولا أترك بعد هناك أحداً منهم، ولا أحجب وجهي عنهم بعد، لأني سكبتُ روحي على بيت إسرائيل.

٤٣/ ٧ : وقال لي : يا ابن آدم، هذا مكان كرسيِّي، ومكان باطن قدميّ حيث أسكن في وسط بني إسرائيل إلى الأبد، ولا يُنَجِّس بعدُ بيتُ إسرائيل اسمي القُدُّوس، لا هم ولا ملوكهم، لا بزناهم ولا بجثث ملوكهم في مرتفعاتهم.

٥ ـ وجاء في سفر يوئيل ١/ ١٥ : آه على اليوم، لأنَّ يوم الربّ قريب، يأتي كخراب من القادر على كل شيء.

٢/ ١ : اضربوا بالبوق في صِهْيَون، صَوِّتوا في جبل قدسي ليرتعد جميع سكان الأرض، لأن يوم الرب قادم، لأنه قريب.

٢/ ٣٠ ـ ٣٣ : وأُعطي عجائب في السماء والأرض، دماً وناراً وأعمدة ودخاناً، تتحوَّل الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء يومُ الربِّ العظيم المخوف، ويكون كل من يدعو باسم الرب ينجو، لأنه في جبل صهيون وأورشليم تكون نجاة.

٣/ ١ ـ ٣ : وفي ذلك الوقت عندما أردُّ سبي يهوذا وأورشليم أجمع كلّ الأمم وأُنزّلهم إلى وادي يهوشافاط، وأحاكمهم هناك على شعبي وميراثي إسرائيل الذين بدَّدوهم بين الأمم، وقسموا أرضي، وألقوا قرعة على شعبي، وأعطوا الصبيَّ بزانية، وباعوا البنت بخمر ليشربوا.

٣/ ١٦ ـ ١٧ : والربُّ من صهيون يزمجر، ومن أورشليم يُعطي صوته، فترجُف السماء والأرض، ولكن الرب ملجأ لشعبه، وحصن لبني إسرائيل، فتعرفون أني أنا الرب ساكناً في صهيون جبل قدسي، وتكون أورشليم مقدسة، ولا يجتاز فيها الأعاجم فيما بعد.

http://kotob.has.it

٣/ ٢٠ ـ ٢١: ولكن يهوذا تسكن إلى الأبد، وأورشليم إلى دور فدور، وأُبرِّئ دمهم الذي لم أبرّئه، والرب يسكن في صهيون.

٦ ـ وجاء في سفر ميخا ٤/ ١ ـ ٥: ويكون في آخر الأيام أنَّ جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه شعوب، وتسير إليه أمم كثيرة، ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الربِّ، وإلى بيت إلـٰه يعقوب فيُعَلِّمنا من طرقه، ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمةُ الربّ، فيقضي بين شعوب كثيرين، ينصف لأمم قوية بعيدة، فيطبعون سيوفهم سَلَكاً، ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلَّمون الحرب فيما بعد، بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته، ولا يكون من يرعب، لأنَّ فم ربّ الجنود تكلَّم، لأنّ جميع الشعوب يسلكون، كل واحد باسم إلـٰهه، ونحن نسلك باسم الرب إلـٰهنا إلى الدهر والأبد.

٧ ـ وجاء في سفر زكريا ٢/ ١٠ ـ ١٣: ترنَّمي وافرحي يا بنت صهيون، لأني آتي وأسكن وسطكِ يقول الربُّ، فيتصل أمم كثيرة بالربِّ في ذلك اليوم، ويكونون لي شعباً، فأسكن في وسطك، فتعلمين أنَّ ربَّ الجنود قد أرسلني إليك، والربُّ يرث نصيبه في الأرض المقدّسة، فيختار أورشليم بعد، اسكنوا يا كلَّ البشر قُدَّام الرب، لأنه استيقظ من مسكن قدسه.

٦/ ١٢ ـ ١٣: قال رب الجنود: هو ذا الرجل الغصن اسمه، ومن مكانه ينبت، ويبني هيكل الرب، فهو يبني وهو يحمل الجلال، ويجلس ويتسلَّط على كرسيه، ويكون كاهناً على كرسيه، وتكون مشورة السلام بينهما.

٨/ ٧: هكذا قال رب الجنود: هأنذ أخلص شعبي من أرض المشرق، ومن أرض مغرب الشمس، وآتي بهم، فيسكنون في وسط أورشليم، ويكونون لي شعباً، وأنا أكون لهم إلـٰهاً بالحق والخير.

٨/ ٢٢: فتأتي شعوب كثيرة وأمم قوية ليطلبوا ربَّ الجنود في أورشليم، وليترضَّوا وجه الرب.

دراسة النصوص وتحليلها:

مَن تَتَبَّع أسفار الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب وما فيه من بشارات

http://kotob.has.it

بتمحيص وتدقيق وموضوعية، وأنْعَمَ النظرَ فيها، وجد ثلاث بشارات لا يمكن أن تكون لشخص واحد في وقت واحد:

الأولى: بَعْثة المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فقد بشَّر به أنبياء بني إسرائيل ووصفوه بأنّه يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الثانية: بعثة محمد ـ ﷺ ـ فقد بشَّرت الأنبياء جميعاً بنبي من ذرية إسماعيل ابن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ يُبعث في آخر الزمان إلى الناس كافَّة بشريعة عامة شاملة عادلة، هو خاتم الأنبياء، وشريعته خاتمة الشرائع، يؤمر بالجهاد ويؤيده الله بنصره، فيمتد دينه في أنحاء الأرض، وتسود شريعته، ويُحفظ كتابه.

الثالثة: عَوْدة المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ إلى الأرض بإذن الله قبل قيام الساعة، وإيمان أهل الكتاب به، ومحاربته الكفار وقضاؤه عليهم، وتثبيته حكم الله في الأرض وفق الشريعة المحمَّدية.

وبسبب فُقْدان التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ وضَياع الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ـ عليه السلام ـ وانعدام سائر الأسفار الحقيقية التي أنزلها الله على الأنبياء، والتي فيها جميعاً هُدَىً ونور أولاً، وبسبب تحريف علماء أهل الكتاب ما استطاعوا جمعه من الروايات الشفوية بعد ذلك بمئات السنين، مما أفسح المجال لكثير منهم بالتلاعب فيما جمعوه من إضافة ما يريدون من أقاويل وتأويلات، وحذف ما لا يوافق أهواءهم بغية طمس الحقائق ثانياً، وبسبب افتقار أسفارهم إلى التوثيق بالأسانيد الصحيحة المتَّصلة عند التدوين ثالثاً؛ التبس الحق بالباطل وانعدمت الثقة بتلك الأسفار، فما من سفر منها يُعرف مَن كتبه على وجه اليقين كلاًّ أو بعضاً، ولا متى كتب، ولا بأية لغة كتب.

ولذلك أنكر اليهود بَعْثَة المسيح عيسى عليه السلام، ثم أنكروا هم والنصارى بَعْثَة محمد ﷺ، فالتبست على أكثرهم النصوص، وخلطوا بين مهمة المسيح ـ عليه السلام ـ الأولى، وبين مهمة النبي الخاتم وأوصافه ـ ﷺ ـ، وبين مهمة المسيح ـ عليه السلام ـ الأخرى بعد عودته إلى الأرض بإذن الله، مما جعل اليهود بسبب مغالطات أحبارهم ينتظرون مسيحاً سياسياً عسكرياً، يعبئ طاقاتهم، ويُدمِّر أعداءهم، ويقيم لهم مملكة الربِّ، فألصقوا جميع البشارات وحملوها

http://kotob.has.it

عليه، وزعموا أنّهم سوف يقومون بأحكام الله وفرائضه متى جاء، ولكن هيهات، فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك عندما كانت الأنبياء تَتْرى بينهم، بل أتعبوا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ وخاصموا يشوع بن نون ـ عليه السلام ـ وذبحوا زكريا وابنه يحيى ـ عليهما السلام ـ فكيف يحفظون الفرائض والأحكام في آخر الزمان إبَّان كثرة الفتن؟!.

أما النصارى فقد ألصقوا تلك البشارات بعيسى ابن مريم عليه السلام، واستقرَّ الرأي عندهم على أنه سيعود إلى الأرض قبل يوم القيامة لينقذ أتباعه ويجازي أعداءه، غير أنَّهم غيَّروا حقيقته وحقيقة مهمته (الرجاء المبارك)، وجعلوه فوق مكانته، فزعموا أنّه ابن الله (إلـه تام من إلـه تام)، وركَّبوا لمن يزعمون أنه خطيب أمه ـ وهو يوسف النجار ـ نسباً جعلوه ينتهي إلى داود عليه السلام، ثم ألصقوه بالمسيح عليه السلام[١]، وطفقوا ينادونه في كتبهم (يا بن داود) لتنصرف إليه نصوص أسفار العهد القديم التي وضعها أحبار اليهود، مع أنهم يعتقدون أنها عذراء، وأن نسبها يعود إلى هارون ـ عليه السلام ـ فهي من سبط لاوي، وليست من سبط يهوذا الذي منه داود ـ عليه السلام ـ وإذا كان يوسف النجار قد خطبها حقيقة، فيجب أن يكون هو الآخر من سبط لاوي حسب حكم شريعتهم ألا يتزوج أفراد السبط من سبط آخر.

قال البروفيسور عبد الأحد داود[٢]: لا تجد في أقوال كبار الأنبياء مثل

---

(١) أول ما يلقاك من اختلاف الأناجيل في الأمر الذي لا يقبل إلا حقيقة واحدة اختلافها في نسب المسيح عليه السلام، فقد ورد نسبه في إنجيلي متى ١/ ١ ـ ١٧ ولوقا ٣/ ٢٣ ـ ٣٨ بطريقتين تعارض إحداهما الأخرى، ويظهر الخلاف بينهما من الأوجه التالية: يذكر متَّى أنَّ يوسف بن يعقوب، ويذكر لوقا أنه ابن هالي. يُعْلَم من متَّى أن يوسف من أولاد سليمان بن داود، ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود. يُعْلَم من مَتَّى أنَّ جميع آباء يوسف من داود إلى جلاء بابل ملوك مشهورون، ومن لوقا أنهم ليسوا كذلك سوى داود وناثان ـ في متَّى أن شألتئيل بن يكنيا، وفي لوقا أنّه ابن نيري. في متَّى أن اسم ابن زربابل أبيهود، وفي لوقا اسمه ريا. من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلاً على ما ذكر متَّى، وواحد وأربعون جيلاً على ما ذكر لوقا. وعلى ما بين متّى أيضاً يكون من إبراهيم إلى المسيح ـ عليه السلام ـ اثنان وأربعون جيلاً، غير أنّ لوقا يصعد بهم إلى ستة وأربعين جيلاً.

(٢) في كتابه: محمد في الكتاب المقدَّس، ص١٠٦ ـ ١٠٨.

http://kotob.has.it

إلياس وإليسع وغيرهما ممن عُرفوا في السامرة خلال حكم الملوك الطغاة في إسرائيل أية كلمة أو نبوءة حول سلالة داود، ولم يبدأ أنبياء اليهود بالتنبّؤ بقدوم أمير من سُلالة داود يَسْعَى في إعادة شمل الأمة وإخضاع أعدائها إلا بعد سقوط مملكتي إسرائيل ونقل الأسباط إلى بلاد أشور.

نياحة اليهود ودعاؤهم للتعجيل بالعودة:

كثيراً ما منع الفرس اليهود من الصلاة لمعرفتهم بأنّ معظم صلواتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى العالم بالخراب سوى بلادهم أرض كنعان، فلما رأوا الجِدَّ من الفرس في منعهم من الصلاة اخترعوا أدعية، زعموا أنها فصول من صلاتهم سمّوها الخزانة، وصاغوا لها ألحاناً عديدة، وصاروا يجتمعون في أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها.

والفرق بين الخزانة وبين الصلاة أن الصلاة بغير لحن، وأن المصلّي يتلو الصلاة وحده لا يجهر معه غيره، بخلاف الخزانة، فيشاركه جماعة في الجهر بها ويعاونونه في الألحان، فإذا أنكر الفرس ذلك منهم زعموا أنهم يغنون أحياناً وينوحون أحياناً على أنفسهم فتركوهم، مع أنهم خالفوا بذلك ما جاء صريحاً في سفر التثنية ٤/ ١ ـ ٢: فالآن يا إسرائيل، اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلِّمكم لتعملوها، لكي تَحْيَوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي الربُّ إلـٰه آبائكم يعطيكم: لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلـٰهكم التي أنا أوصيكم بها.

ومن العجيب أنَّ دَوْلة الإسلام جاءت مُقِرَّة لأهل الذمّة على ديانتهم، وصارت الصلاة مباحة لهم، ومع ذلك ظلَّت الخزانة عندهم من السنن المستحبة في الأعياد والأفراح وسائر المواسم، يجعلونها عوضاً عن الصلاة، ويستغنون بها عنها من غير ضرورة[1].

نماذج من الأدعية الملفَّقة:

مما كانوا يدعون به في صلاتهم إبان السبي ما يلي:

---

(١) بذل المجهود، ص١٤٥ ـ ١٤٦.

http://kotob.has.it

اللهمَّ اضرب ببوق عظيم لِعِتْقنا، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الأرض إلى قُدْسك، سبحانك يا جامع تشتيت بني إسرائيل.

ويقولون أيضاً: رُدَّ حكامنا كالأولين، ومسراتنا كالابتداء، وابْنِ أورشليم قرية قُدْسك في أيامنا، وأعزّنا ببنائها، سبحانك يا باني أورشليم[١].

ويقولون كل يوم في صلاتهم: الدهرَ أحببتنا يا إلـٰهنا، اردُدْنا إلى شريعتك، يا أبانا يا ملكنا يا إلـٰهنا، أنت الله أبونا مُنْقذنا، وجميع الذين اقتفوا أثر نبيِّك وأعداء جماعتك، كلهم غطاهم البحر، ولم يبقَ منهم واحد. ويسمُّونها محبة الدهر[٢].

ويقولون كل سنة في العشر الأوائل من الشهر الأول في صلاتهم: يا إلـٰهنا وإلـٰه آبائنا، املك على جميع أهلِ الأرض، ليقول كل ذي نسمة: الله إلـٰه إسرائيل قد مَلَك، ومملكته في الكلّ متسلِّطة. ويقولون فيها أيضاً: وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً. ويعنون بذلك أنَّ الملك لا يظهر أنه لله إلا إذا صارت الدولة لهم، لأنهم أمته وصفوته، وما دامت الدولة لغيرهم فالله مَطْعون في ملكه مشكوك في قدرته[٣].

وهم يردِّدون كثيراً: فليتمجَّد وليتقدَّس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته، وليتحقق ملكه في أثناء حياتكم وخلال أيامكم، وفي أثناء حياة كل بني إسرائيل بسرعة وبالقريب العاجل. آمين[٤].

قال ابن حزم في الفَصْل[٥]: واعلموا أنَّ اليهودَ يقومون في كنائسهم أربعين ليلة متصلة من أيلول وتشرين الأول، فيصيحون ويولولون بمصائب؛ منها قولهم: لأيِّ شيء تسلمنا يا الله هكذا ولنا الدين القيم والأثر الأول؟ لِمَ يا الله تتصمَّم عنا

---

(١) المصدر السابق، ص٣٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص١١٠ ـ ١١١.

(٤) التوراة، تاريخها وغاياتها، ترجمة سهيل ديب، ص٤٣، وهو ينقل عن كتاب الصلاة للسبت والأعياد.

(٥) ص٣٢٨.

http://kotob.has.it

وأنت تسمع؟ وتعمَى وأنت مبصر؟ هذا جزاء من تقدَّم إلى عبوديتك، وَبَدَر إلى الإقرار بك؟ لم يا الله لا تعاقب من يكفر بالنعم؟ ولا تجازي بالإحسان؟ ثم تبخسنا حظنا وتسلمنا لكلِّ مُعْتدٍ، وتقول: إن أحكامك عادلة!.

اهتزازهم عند الدعاء وأسبابه:

قال الحكيم السموءل في بذل المجهود[1]: وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهَذَيانات والكُفْريات من شدَّة الضَّجَر من الذل والعبودية والصَّغار وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بُعْداً، فتجرّؤوا على الله بهذه المناجاة كأنهم يَنْخونه بذلك لينتخي لهم ويَحْمَى لنفسه، فترى أحدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعرّ جلده، ولا يشك في أنَّ كلماته تقع عند الله تعالى بموقع عظيم، وأنه يؤثِّر في ربِّه ويحرّكه بذلك ويهزّه، وهؤلاء ينبغي أن يُرحم جهلهم وضعف عقولهم.

وذكر ابن كثير في قصص الأنبياء[2]: أنّ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيره من السَّلَف قالوا: لما جاءهم موسى عليه السلام بالألواح وفيها التوراة، أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة، فقالوا: انشرها علينا، فإن كانت أوامرها ونواهيها سَهْلة قبلناها. فقال: بل اقبلوها بما فيها. فراجعوه مراراً، فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار كأنّه ظُلَّة ـ أي: غمامة ـ وقيل لهم: إن لم تقبلوها بما فيها وإلاّ سقط هذا الجبل عليكم، فقبلوا ذلك، وأُمِروا بالسجود فسجدوا، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشِقِّ وجوههم، فصارت سُنَّة لليهود إلى اليوم، يقولون: لا سجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب.

وقال سنيد بن داود عن حَجَّاج بن محمد عن أبي بكر بن عبد الله قال: فلما نشرها لم يَبْقَ على وجه الأرض جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتزّ، فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتزَّ ونفض لها رأسه.



---

(١) ص١١٢.

(٢) ص٣٨٩.

http://kotob.has.it

[٢]
التيار الديني الصهيوني والمخلِّص

أثر فكرة المخلِّص في نفوسهم:

تهيأ الرأي العام اليهودي لهذه الفكرة وطال الانتظار، فمنذ العَوْدة من السبي وإلى اليوم لا يزالون ينتظرون وَعْدَ الله بإقامة الدولة اليهودية على يد المسيح المنتظر، وكانت عقيدتهم به تتجدَّد كلما ألمَّت بهم النوائب وحاقت بهم المحن. وقد أخذت هذه الفكرة في عقليتهم أشكالاً مختلفة بحسب العصور والظروف التي عاشوا فيها، فكل جيل يجعل منتظره ومهامه وفق هواه.

جاء في التلمود: سيأتي المسيح ويحصل النصر، ويقبل هدايا الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيِّين، وتكون الأمة اليهودية في غاية الثروة، لأنها قد حصلت على جميع أموال العالم[١].

ويعتقدون أيضاً أنَّه بعد أن تتبوَّأ إسرائيل مركزها العالمي الذي أعدَّه الربُّ لها سيحاول كثير من الغرباء الانضمام إلى اليهودية، لكن يجب رفضهم لعدم الإخلاص.

جاء في البروتوكول الثالث: وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها: أن نستغل الغوغاء كي نحطِّم كل شيء يثبت أنه يقف عقبة في طريقنا.

ومن نظر إلى تاريخ اليهود بعين التمحيص الموضوعي وجد أنَّه يتعاور نفوسهم أمران:

أولهما: **الغُرور** الذي أصابهم من النصوص التي افتراها أحبارهم، فهم شعب الله المختار، وهم فوق سائر الشعوب روحاً وعقلاً وحضارة.

ثانيهما: **الذلَّة والمسكنة** التي ضُربت عليهم، وهم يزعمون أنَّ الله ندم على

---

(١) التلمود تاريخه وغايته، لظفر الدين خان، ص٥٨، دار النفائس.

http://kotob.has.it

ما أنزله بهم، لأنهم شعبه، ولذلك كانوا وما زالوا يعتقدون أنَّ الله سيصلح خطأه معهم بإرسال المسيح المخلِّص الذي سينتصر على العالم، ويعيدهم إلى المكان الذي طُردوا منه.

ولما طال الانتظار ولم تتحقق لهم السيادة على العالم، بل حدث العكس، ولا سيما في العصور الوُسْطى، امتلأت نفوسهم بالحقد على الأمم، ففي كل مكان يدخله اليهود يجب أن يكونوا هم المتسلِّطين فيه، وما داموا بعيدين عن تحقيق هذه الفكرة، فهم منفيون وغرباء، ولذلك احترفوا فنون التآمر والخداع، وطفقوا يحيكون المؤامرات للإفساد بين الناس والسيطرة المادية والمعنوية على الشعوب والأمم.

الحركة الصهيونية وإقامة الدولة:

كان للإيمان بالمسيح المخلِّص المنتظَر وحركات الإحياء الديني التي ظهرت بين اليهود منذ القرن السابع عشر مساهمة هامة في نشوء الحركة الصهيونية، وهي حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الديني اليهودي النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود. والتيار الديني الصهيوني هو الذي يحرك المجتمع اليهودي بما فيه المؤسسة الحاكمة وفق معتقداته العدوانية. وقد وصفت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها ذي الرقم (٣٣٧٩) الصادر بتاريخ (١٠/ ١١/ ١٩٧٥م) الحركة الصهيونية بأنها شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، غير أنها تحت تأثير ضغوط غربية وأمريكية عدلت عن قرارها السابق وقامت بإلغائه متمثلة بقول برنارد لويس السابق: «ليست الصهيونية حركة عنصرية في الأساس، ولكنها حركة تحرير وطني بالمصطلح الحديث، وأهم ما فيها هو الديانة اليهودية بتأكيدها المستمر على صهيون والقدس والأرض المقدّسة».

وقد أصدر الكاتب اليهود العلْماني تسْفي راكولفسكي كتاباً سماه (حمار المسيح) ينتقد فيه الجماعات الدينية المتطرّفة، ومما ذكره فيه عن عقيدة اليهود التلمودية أنَّ المسيح المخلِّص، وهو يهودي حقيقي، ينزل إلى الأرض على حمارَيْن: صغير وكبير؛ لإقامة الدولة اليهودية العالمية من النيل إلى الفرات،

http://kotob.has.it

ومركزها القدس[1]. وذلك يكون بعد أن ينتشر سفك دماء المسلمين واليهود على حدّ سواء. ويرى بعضهم ـ ومنهم يهوذا عتصبون، وهو أحد مفكّري تنظيم سري ـ أنّ تدمير المسجد الأقصى ومسجد الصخرة هو السبيل الوحيد لقدوم المسيح على الفور، لأنه سوف يشعل حرباً بين المسلمين واليهود تسفك فيه دماء الطرفين. ولذلك يعارض اليهود المتشدِّدون السلام مع العرب، لأنه يعرقل الخلاص ويمنع مجيء المخلِّص الذي بات قدومه على الأبواب. ولذلك أقدم يهودي على إحراق المسجد الأقصى. وفي أواخر السبعينيات اعتقلت السلطات اليهودية مجموعة تنتمي إلى عصابة (غوش أمونيم) المتطرفة بتهمة التخطيط لهدم المسجد الأقصى، واعترفوا في التحقيق بأنهم إنما يهدفون إلى سفك دماء المسلمين واليهود للتعجيل بقدوم المخلص. ولذلك أيضاً دفع تيار المتدينين إيغال عامير إلى قتل رئيس وزرائهم رابين عام (١٩٩٥م)، وكان ذلك بناء على فتاوى الحاخامات الذين اتهموه بالخيانة، واعتقدوا أنَّ مقتله يمهّد الطريق لقدوم المخلِّص، من أجل ذلك لم يَلْقَ الحادث ردود فعل دينية حقيقية، فلم تُتْلَ صلوات الغفران على روحه، ولم يُدْعَ إلى صيام، ولم يعلن الحداد في دولتهم، ولم يجر تمزيق الثياب في الشوارع.

لقد خططوا بمكر ودهاء لتحقيق مأربهم في قيام دولتهم وتعجيل ظهوره، فرأوا أنه لا بدَّ من الاستيلاء على أرض فلسطين كلها، وتفريغ شعبها منها، وهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه، ليتسنَّى له تقديم القربان المقدَّس على مذبحه، وهو أول عمل يقوم به في اعتقادهم فور ظهوره. ولذلك خططوا لحروب سبقت ولحروب لاحقة، وهيؤوا لذلك الظروف مستعينين بأصدقائهم الظاهرين والمتخفِّين، فمنذ أكثر من مئتي سنة قام اليهود بوضع مخطط طويل الأمد جمعوا فيه بين مطامع أرباب المال اليهود في السيطرة الاقتصادية، وبين أحلام الحاخامات التوراتية في فلسطين، وكان الهدف النهائي ولا زال هو السيطرة الكاملة على الأرض من خلال حكم يتخذ القدس عاصمة له، لتحقيق مطلب الطرفين معاً،

---

(١) عن مجلة المجتمع، العدد (١٣٥٢)، الصادر بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٤٢٠هـ، ١/ ٦/ ١٩٩٩م، وذكرت المجلة أنَّ البروفيسور إسرائيل شاحاك صاحب كتاب (التاريخ اليهودي) كشف كل ما جعلته الجماعات الدينية أصولاً ومحرَّمات تلمودية.

http://kotob.has.it

ومن أمعن النظر في تسلسل الأحداث عرف ذلك .

انقسام اليهود تجاه الدولة الحالية:

لا يزال اليهود حتى يومنا هذا ينتظرون مسيحهم الذي يجعل بالقوة من أورشليم محور العالم، ويقيم الموتى ويرعى الشعوب بقضيب موسى ـ عليه السلام ـ وقد تعدَّاهم السعد، فلهذا إذا ظهر الدجَّال ـ الذي يضل الناس بحيله الكاذبة وبما استدرجه الله به من بعض القدرات الخارقة ـ اتّبعوه وكانوا جنده وخدمه إلى أن يحكم الله فيه وفيهم على يد مسيح الهدى .

ومن الجدير بالذكر أنَّ كثيراً من اليهود المعاصرين ـ ومنهم مقيمون في الأرض المحتلة ـ يعتقدون أنّ دولة اليهود قد انتهت بعد خراب الهيكل ، ولن تقوم لها قائمة إلا بمجيء المخلِّص، ولا يؤمنون بأن الدولة الحالية هي الدولة الموعودة، فلا يعترفون بها ولا بالحروب التي شنَّتها، لأن المخلِّص لم يأتِ بعد، ولذلك فهم لا يشاركون في احتفالات ذكرى قيامها، ولا يقفون حداداً على أرواح قَتْلَى حروبها كما يفعل سائر اليهود، بل يدعون بصراحة إلى مقاطعة تلك الاحتفالات وانتظار قدوم المخلِّص، ويرون أن الحركة الصهيونية شيطاناً شرّيراً، تكفر بالله وبالتوراة، وقد أسسوا حركة سمّوها (أجودات يسرائيل) ملأ أعضاؤها سياراتهم بملصقات كتب عليها «استعدوا لمجيء المخلّص». وكان الكاتب اليهودي الأمريكي الشهير ألفرد ليليننال من أوائل من عارض إنشاء وطن قومي لليهود[1] .

إيمان النصارى بعودة المسيح:

إن عودة المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ إلى الأرض أمر ثابت ، غير أن الله سبحانه قد استأثر بعلم ذلك الوقت، فلا يعرف أحد موعده، والنصارى جميعاً يؤمنون بعودته إلى الأرض، إلا أنهم يختلفون في كيفية هذا المجيء وفي تفاصيله، واستغل الصهاينة هذه الاختلافات، فكانت هي الثغرة التي نفذوا منها

---

(١) عن جريدة الشرق الأوسط، العدد (٧١٠٧)، تاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٩٨م .

http://kotob.has.it

لإقناع بعضهم بأن دولة إسرائيل الحالية هي إحدى علامات المجيء الثاني للمسيح، مستغلين كون التاريخ اليهودي هو الخلفية الأصلية للنصرانية، مما أدى إلى ظهور الصهيونية النصرانية كما سنرى.



http://kotob.has.it

[٣]
الصهيونية النصرانية

تعريفها:

ليست الفكرة الصهيونية مقصورة على اليهود فحسب، بل هناك نصارى استغلَّ الصهاينة إيمانهم بأسفار العهد القديم، وأثَّروا فيهم بدهاء، فاعتنقوا فكرتهم، وأصبحوا يفخرون بأنهم صهاينة. ويتبنَّى أصحاب هذه العقيدة نظرية الحتمية التاريخية؛ عقيدة التدبير الإلـٰهي وخطة الدهر التي صوّرها الكتاب المقدّس حسب زعمهم، فتراهم يسوقون النص تلو النص من كتابهم المقدّس بعَهْدَيه لإثبات عقيدتهم التي يجعلون الشعب المختار وأرض الميعاد أساساً لها، وهم يضعون الأراضي المقدَّسة والمنطقة العربية في مركز ما يرون أنه النبوءة المقدّسة وخطة الله في الكون.

ومن ثم يمكن أن نعرّف الصهيونية النصرانية بأنها: مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين النصارى، تسعى إلى قيام دولة صهيونية قوية في فلسطين، تكون هي النواة الشرعية للامتداد الطبيعي لدولة إسرائيل التوراتية الواسعة.

ويرون أنَّ هذا حق شرعي لليهود، ولذلك يتعاطفون مع الدولة الحالية، رغم وضوح ظلمها وسياستها العدوانية، وتهيمن عليهم فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين. فما العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى؟ وما عقيدة التدبير الإلـٰهي وخطة الدهر؟ وما موقف طوائف النصارى منها؟.

العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى:

يشترك اليهود والنصارى في بعض العقائد؛ بسبب اعتقاد النصارى بأسفار العهد القديم، فإنها أول ما تقع عيونهم عليه من كتابهم المقدّس، ومنها يأخذون أكثر التنبّؤات والوعود، فظهور المسيح المخلِّص والمعركة الكبرى التي ستنشب عند ظهوره والمكان الذي سوف يحكم العالم منه من أبرز وأهم العقائد عند الطرفين.

http://kotob.has.it

جاء في التلمود: يجب على كل يهودي أن يسعَى إلى أن تكون السلطة على الأرض لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكموا سائر الأمم نهائياً يجب أن تقوم الحرب على قدمٍ وساق، ويهلك ثلث العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب، وحينئذٍ تصبح الأمة اليهودية في غاية الثراء، لأنها ستكون قد ملكت أموال العالم جميعاً، إذ إنها ستكون الأمة المتسلطة على سائر الأمم.

والنصارى جميعاً يؤمنون بعَوْدة المسيح إلى الأرض وتأسيس مملكته، غير أنهم يختلفون في وقت المجيء، وصفته وتفصيله، وفي معركة هرمجدون المدمِّرة بين الخير والشر.

كان ذلك الاعتقاد من أهم العوامل التي ساعدت الصهيونية على النفاذ لإقناع أكثر النصارى بأن المسيح على وشك المجيء، وسيكون الهيكل منطلقاً لدعوته في المرة الثانية كما كان في المرة الأولى، وهذا ما يحتم عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس دولة إسرائيل ثم دعمها وإعادة بناء الهيكل في مكانه السابق، وسيكون ذلك كله تمهيداً لعودة المسيح إلى الأرض. فكان لليهود أطماعهم المستقلة، وللنصارى الأرثوذكس والكاثوليك نظرتهم الخاصة بهم، وللنصارى البروتستانت تطلُّعهم المنفرد[1]. هذا ما سنراه قريباً إن شاء الله.

خطة الدهر:

استغلّ اليهود أسفار العهد القديم وأدخلوا في رُوع النَّصارى فكرة التدبير الإلـٰهي، وزعموا أنّ خطة الدهر وردت في الكتاب المقدس كما يلي:

١ ـ بسبب خطايا بني إسرائيل الكثيرة والمتكررة، فإنَّ الله سوف يسلِّط عليهم أربعة أمم، يتلو بعضهم بعضاً.

---

(١) الكاثوليك: كلمة يونانية معناها: العام أو العالمي، وتسمى كنيستهم الغربية واللاتينية والبطرسية الرسولية.
الأرثوذكس: كلمتان يونانيتان معناهما: الرأي الحق أو المستقيم، وقد انفصلوا عن الكاثوليك عام (١٠٥٤م) ولهم كنائس مستقلة، منها الشرقية واليونانية والروم الأرثوذكس وغير ذلك.
البروتستانت: وهم المحتجون، وتسمى كنيستهم بالإنجيلية، ولها فروع.

http://kotob.has.it

٢ ـ بعد أن تكتمل أيام الأمميين، سوف يتخذ أحد ملوكهم قراراً بإعمار القدس.

٣ ـ تعود الفتن مرة أخرى ويحصل التشرد، ثم في الأخير يحاول حاكم شرّير القضاء على اليهود، غير أن المسيح يعود ويهزمه، ويجلس على عرش داود(١).

تحليل نصوص خطَّة الدهر:

إنَّ افتقار أسفار أهل الكتاب إلى التوثيق وعدم وجود أسانيد صحيحة متصلة إلى من تنسب إليهم، وتبين الزمان الذي كُتبت فيه واللغة التي كُتبت بها وأسماء المترجمين وأماناتهم، جعلها عُرضة للتحريف وتشويه النصوص، مما أدَّى بالأصوليين من اليهود والنصارى إلى الذهاب لأبعد حدٍّ ممكن إلى تفسير النصوص وفق أهوائهم، وذكرِ نبوءات ليست أصلاً من الكتاب المقدس في شيء كما سنرى قريباً.

قال د.ج كالفن كين الرئيس السابق لقسم الدراسات الدينية في جامعة سانت لورانس في نيويورك: إنَّ النصوص الكتابية التي ترد فيها النبوءات المفترضة قليلة جداً، كما أن نظرة فاحصة لها تدلّ على أنها غامضة جداً في دلالتها وغير مُقْنعة، أو أنها نبوءات لأحداث وقعت بالفعل بعد كتابتها بوقت قصير، أو أنها انتزعت من سياقها وأعطيت دلالات ليست واردة أبداً في ذلك السياق.

وعلماء أهل الكتاب من يهود ونصارى، وزعماؤهم يردِّدون هذه النصوص على مسامع الملايين الذين لا يتسنَّى لهم التحقق من صحتها أو صحة تفسيرها، وهم إنما يرمون إلى إضفاء القدسية على نياتهم وأعمالهم وجعل الدين أداة للسياسة، وكأنهم يقولون لأتباعهم بصورة غير مباشرة: لا تقلقوا ممَّا يحدث للشعوب الأخرى، فقد أراد الله تحقيق وعد قطعه لشعبه المختار، وكان من نتائج ذلك مذابح وتهجير ومآسٍ، وهي أمور لا بدَّ منها لتنفيذ خطة الدهر. وبذلك يُصاب السامع والقارئ والمشاهد بتخدير إيماني، تتجرّد فيه منه مشاعره الإنسانية.

---

(١) كما في سفر دانيال، الفصول (٧ ـ ١٢)، ونحوه في سفر زكريا الفصل الثاني عشر.

http://kotob.has.it

وقد خرجت دعوات من الكنائس تطالب باستكمال مملكة إسرائيل التي تحدث عنها سفر التكوين، وكان مما قالوه: إنّ كل نصراني يقرأ الكتاب المقدّس عليه أن يدعم إسرائيل ويؤمن بقدسية هذا الشعب، أما بالنسبة للشعب الفلسطيني، فقالوا: إنّ لله مقاصد لا بدّ من أن تتحقّق، وقد يسبب ذلك أحياناً الألم والمعاناة.

اضطراب النصارى في تحديد عَوْدة المسيح:

قام كثير من البلبلة والاضطرابات عند النصارى قديماً وحديثاً حول عَوْدة المسيح ـ عليه السلام ـ، فمنذ رفعه الله إلى السماء وإلى يومنا هذا يَدَّعي بعض النصارى أنّ عَوْدته ستكون في أيامهم، حتى إنَّ بعضهم حدَّد نزوله بالشهر والسنة وأعدَّ العدة لتصويره عند نزوله وبثَّ الصور عبر المحطات الفضائية، مع أن ذلك قد اختصَّ الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه كما تذكر نصوصهم، ولذلك صُدِموا بالواقع وعاشوا في حَيْرة.

ويعود سبب ذلك إلى اضطراب النصوص أولاً، وإلى اختلافهم في تفسير العصر الألفي، فالفترة التي مداها ألف عام ذكرت مرَّة واحدة في الكتاب المقدّس في سفر يوحنا ١٠/ ١ ـ ١٠، وتفسير هذه الجمل من الصعوبة بمكان، لأن السفر مملوء بالصور الكلامية والرموز، والأحداث فيه متداخلة، ولذلك انقسم مفسروهم إلى قسمين: القائلون بالمجيء قبل الألف، والقائلون بالمجيء بعد الألف.

أ ـ القائلون بالمجيء قبل الألف:

يرى هؤلاء مستندين إلى بعض التأويلات وأحلام الرهبان وتكهنات الكُهَّان أنّ الشرور ستزداد في العالم، والضيق سيشتدّ على الناس، ولا سيما بعد ظهور الدجال، ثم تُتَوَّج تلك الفترة بعودة المسيح[1]. وسيكون لمجيئه ظاهرتان:

---

(١) نصوص كتابهم المقدَّس مضطربة في تحديد فترة الضيق هذه بين ثلاث سنوات ونصف أو اثنين وأربعين شهراً أو (١٢٦٠) يوماً، وبين سبعةأسابيع واثنين وستين أسبوعاً، وبين (٢٣٠٠) يوماً، وبين (١٣٣٥) يوماً، وبين (١٢٩٠) يوماً كما في سفر دانيال ٧/ ٢٥ =

http://kotob.has.it

● **الظاهرة الأولى: مجيئه لقديسيه (الاختطاف):**

عندما تقترب فترة الضيق من نهايتها يعود المسيح لتجميع أولاده ورفعهم إليه فوق السحاب حتى لا يعاينوا أهوال تلك الحروب ويبتعدوا عن الدجَّال والضيق الشديد، وهو ما يسمّونه بالاختطاف أو الارتقاء أو الصعود (RAPURE)[1]، وآنئذٍ يقوم الموتى بالمسيح، ويتغيَّر النصارى الأحياء، فالذين ماتوا على مرِّ العصور يبعثون من قبورهم أحياء في أجساد إعجازية جديدة، ويصعدون لمقابلة المسيح في الفضاء، أما الأحياء فسيختطفون من الأرض إلى السماء لملاقاته، ويحدث هذا فجأة في كل أنحاء العالم، فيختفي عدد كبير من الناس، وبخاصة الأطفال حتى الأجنّة في بطون الحوامل دون سبب ظاهر كما في رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ٤/ ١٤ ـ ١٧ والرسالة إلى العبرانيين ٩/ ٢٨، وفي فترة الضيق هذه ينصب غضب الله على الأرض ضد القوى المعادية للمسيح، فيبحث الناس عن الموت ولا يجدونه، وفي غضون ذلك يؤمن من بقي من بني إسرائيل، ويصحبون رسلاً للإنجيل كما في سفر زكريا ١٣/ ٧ ـ ٩ حسب تفسيرهم.

● **الظاهرة الثانية: مجيئه مع قِدِّيسيه للمُلْك والدينونة:**

وعندما تشرف فترة الضيق على الانتهاء، يأتي ضيوف السماء، ويعود المسيح مع قدِّيسيه ويسيطر على العالم، ويُقيِّد الشيطان ويدين الأمم، ويملك مع قديسيه لألف عام، ويحكم بالطريقة التي يجب أن يحكم بها لو لم يَعْصِ الإنسان

= و٨/ ١٤ و٩/ ٢٥ ـ ٢٦ و١٢/ ٧ و١٢/ ١١، وفي رؤيا يوحنا ١٢/ ٦ و١٢/ ١٣ و١٣/ ٥.
وأكثر المفسرين يحمل ذلك على اضطهاد الدجَّال وتحالفه مع قوى الوحش كما في دانيال ٧/ ٧ ـ ٨، ثم يأمر بغزو فلسطين، ويرون أن تلك النبوءات تقود إلى عَوْدة المسيح وتأسيس عصره الألفي، ففي اليوم الذي يخرق الوحش فيه الميثاق، ويبدأ في تأسيس كيانه في القدس يبدأ العد العكسي لتلك الأيام. وانظر: هذه عقائدنا، ص١٦٤ ـ ١٦٥؛ حواشي الكتاب المقدّس، ص٨٦؛ مشتهى الأمم، ص٥١؛ وسفر زكريا ٦/ ١٢ و١٢/ ١٠ و١٣/ ٧ ـ ٩ والفصل ١٤.

(١) وهي كلمة نحَتَها مبشرون بروتستانت من قراءة العهد الجديد، واستوحوا الأحداث من رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي.

http://kotob.has.it

ربَّه، وبذلك تبدأ فترة ألف عام من السلم والخير والرفاهية، وهي الجنة الأرضية التي تكون قبل يوم القيامة طبقاً لبعض التفسيرات الحرفية لرؤيا يوحنا، ويحكم المسيح فيها العالم من الهيكل في القدس، فيجلس على عرشه، ويسود العدل والسلام والمحبة في العالم كما في الرسالة الثانية إلى تسالونيكي ٢/ ٣ ـ ٤ ورؤيا يوحنا ١٣/ ٤ ـ ٨ و٢٠/ ١١ ـ ١٥.

ب ـ القائلون بالمجيء بعد الألف:

ويرى هؤلاء أن نصراً تدريجياً سيكون للإنجيل في العالم، يُتَوَّج بفترة صلاح وسلام ورغد، تستمر ألف عام، وعند ظهور المسيح ستكون قيامة عامة للموتى، سواء كانوا أبراراً أو أشراراً، تليها الدينونة. وقد أطلقوا على أنفسهم (من لا يؤمن بحرفية الألف)[١].

ويبدو أن ما وقع فيه أصحاب التحديد القدامى والجدد من الاضطراب جعل هؤلاء يجنحون إلى أن هذا العصر غير محدَّد بوقت، ويمتد من الصلب إلى نهاية العالم.

معركة هرمجدون:

يعتقد النصارى أنَّ معركة عالمية عنيفة كبرى سوف تقع على أرض فلسطين، سمَّاها العهد الجديد (معركة اليوم العظيم يوم الله القدير)، وبالتحديد في وادي مجيدو، قرب تل يسمى تل مجيدو، ولذلك يروق للكثيرين أن يسمّوها هرمجدون (ARMGODON)، وقد اضطربت أقوالهم في تحديد وقتها وتصوّرها وقيادة المسيح لها:

أ ـ ذهب بعضهم إلى أنها تقع في الأيام الأخيرة التي تسبق القدوم الثاني للمسيح ـ عليه السلام ـ ففي نهاية المحنة الكبرى التي يحتل فيها الدجال فلسطين، ويحكم العالم من الهيكل في القدس تأتيه أخبار عن حشود ضده، فيتحرك باتجاه مجدو وتنشب المعركة بين الطرفين، ومع التقاء الجيشين ينزل المسيح من السماء على رأس ملايين من الملائكة، فيظن البشر أن هذا هجوم قادم

---

(١) هذه عقائدنا، ص١٦٥ ـ ١٦٦.

http://kotob.has.it

من الفضاء، ثم يعمدون إلى مهاجمة المسيح.

ب ـ وذكر بعضهم أنّه يظهر مجده، ويقود جيش القديسين والمؤمنين، ويهزم جيوش الشر والشيطان والدجَّال، وبعد انتصار قوى الخير ـ أي: جيش المسيح ـ على قوى الشر تبدأ الفترة الألفية.

جـ ـ وذهب آخرون إلى أنَّ هذه المعركة تحدث في نهاية فترة الألف التي يسود فيها السلم والخير الكثير ـ أي: الجنة الأرضية ـ، حيث يُطلق الشيطان من عِقاله، فتنشب المعركة العظيمة معركة هرمجدون، ويظفر فيها المسيح بنصره النهائي، ويطرح الشيطان في بحيرة النار[1].

المدينة على الجبل أو مملكة الله في القدس:

وهو تعبير النصوص المقدَّسة عندهم، ويقصدون به مدينة القدس الجديدة على تلة صهيون التي منها سيحكم المسيح مملكته الألفية على الأرض، وينشر منها نور الهداية الذي يعمّ البشرية، ويسمّيها كثير من الكتّاب الغربيين والأمريكيين مدينة الملك العظيم، أي: مدينة الملك داود.

جاء في سفر يوئيل ٢/ ٣٠ ـ ٣٢: وأعطي عجائب في السماء والأرض، دماراً وناراً وأعمدة دخان، تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الربِّ العظيم المخُوف، ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو، لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة.

وصفوة القول: اتفق الطرفان على أنَّ المسيح المنتظر سيكون من بني إسرائيل، وأنَّ مدينة القدس ستكون قاعدة ملكه، وسيحكم العالم من الهيكل، ويحقق السلام والعدل، ويظن كل منهما أنهم سيكونون من أتباعه، غير أنهم اختلفوا في التفصيل: فالمسيح المنتظر عند اليهود بشر من نسل داود، يأتي للمرة الأولى، ويقتل المسلمين والنصارى، ويخضع الناس لدولة إسرائيل فيحكم الدنيا بأسرها، ويصبحون هم سادة العالم. والمسيح المنتظر عند النصارى إلـه

---

(١) وانظر: سفر زكريا: ١٢/ ١١ و١٤/ ١ ـ ٧؛ رؤيا يوحنا: ١٦/ ١٣ ـ ١٦ و١٧/ ١١ ـ ١٤ و١٩/ ١٩ ـ ٢١ و٢٠/ ١١ ـ ١٥؛ هذه عقائدنا، ص١٦٤ ـ ١٦٥.

http://kotob.has.it

حق من إلـه حق حلّ في جسد إنسان، وسيعود للمرة الثانية، وسوف يقتل اليهود والمسلمين وكل من لا يدين بدينه في معركة هرمجدون.

وابتدع حاخامات اليهود وزعماؤهم فكرة تأجيل الخوض في التفاصيل حالياً، والاهتمام بالمبدأ الأساسي، وهو التعاون والتخطيط سوية لتهيئة عودته المرتقبة، فالاختلاف في شخصية الآتي لا يعطل العمل المشترك بيننا تمهيداً لمجيئه، وعلى كلٍّ منا أن يعين الآخر في هذا القدر المشترك، وعندما يأتي سيكون له شأن آخر، ونحل القضايا المتبقية سوية. وأقرّهم أكثر النصارى على ذلك، ولا سيما قادة الإنجيليين الألفيين. كما سنرى إن شاء الله.

وقد قطع اليهود شوطاً كبيراً في استغلال المتصهينين واستخدامهم لإقناع سائر النصارى، فثمة تيار واسع داخل أمريكة يؤمن بأن المسيح سيأتي إلى الأرض لمدة ألف عام، تبدأ من معركة هرمجدون، ولا بدَّ أن يجتمع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح، وآنئذٍ سيدعو اليهود إليه، فإما أن يستجيبوا له أو يهلكوا.

وصفوة القول: إنه بتأثيرٍ ماكرٍ من الصهيونية تبنَّت بعض الكنائس النصرانية في أوروبة وأمريكة إقامة دولة إسرائيل الحديثة، تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس، بكونها علامة على قرب عودة المسيح ـ عليه السلام ـ إلى الأرض، وسوف يؤمن به اليهود بعد عودته، مع أن أكثر النصارى يرون أن هذه الفكرة مرفوضة تماماً في الكتاب المقدس، والتعاليم النصرانية تؤكد أن الباب سيغلق بعد المجيء الثاني للمسيح، ولا مجال لقبول أحد لم يعترف مسبقاً بالمسيح ورسالته. وقد أدى هذا الاختراق إلى أن تتحول هذه الطائفة من النصارى إلى طائفة يهودية كإحدى الطوائف التي ظهرت في القرن الأول الميلادي[1].



---

(١) راجع: الاختراق الصهيوني للمسيحية، للقس إكرام لمعي، ص١٤.

http://kotob.has.it

[٤]

مفهوم الشعب المختار وأرض الميعاد عند النصارى

كان البابوات يُعادون اليهود معاداة شديدة، ويقودون حملات التطهير والإبادة ضدَّهم ويذلُّونهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً كما سَلَف.

وقد حافظت الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية إلى عهد قريب على موقف ثابت من اليهود، يقوم على رفض التصالح معهم إلا إذا آمنوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ واعتنقوا النصرانية، ولم تكن أرض الميعاد تعني في الفكر الديني النصراني رقعة جغرافية، بل تعني حقيقة روحية، فهي ممكلة المسيح. ويستشهدون بما في إنجيل لوقا ١٧/ ٢٠ ـ ٢١: «ولما سأله الفريسيون: متى يجيء ملكوت الله؟ أجابهم: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك، لأن ملكوت الله داخلكم». وبما في رسالة بولس إلى العبرانيين ١١/ ٩ ـ ١٠: «بالإيمان تَغرَّب إبراهيم في أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد، لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله». فقد بيَّن المسيح ـ عليه السلام ـ أنَّ مملكته ليست كياناً سياسياً وإنما هي حقيقة روحية موطنها القلب.

وطبقاً لذلك فإنَّ وَرَثَة أرض الميعاد الروحية جميع المؤمنين بالمسيح، لأنهم نسل إبراهيم الحقيقي كما في رسالة بولس إلى غلاطية بصورة عامة، ولا سيما ما جاء في ٣/ ٢٩: «فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم ولكم الميراث حسب الوعد». وشعب الله المختار ليس جنساً بعينه، بل هو شعب عالمي يجمعه الإيمان بالمسيح كما في إنجيل يوحنا ١/ ١١ ـ ١٣: «إلى بيته جاء، فما قَبِله أهلُ بيته، أما الذين قَبِلوه، المؤمنون باسمه، فأعطاهم الله سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، وهم الذين ولدوا لا من دم ولا من رغبة جسد ولا من رغبة رجل، بل من الله».

ونصوص التوراة التي تتحدّث عن عودة اليهود إلى فلسطين أضحت تعني عندهم عودة النصارى إليها، أو عودة اليهود من المنفى في بعض الأحيان، كما أنَّ كلمة إسرائيل أصبحت تعني الكنيسة. ولم تكن أوروبة ترى اليهود الشعب المختار الذي قُدِّر له أن يعود إلى الأرض المقدّسة، بل كانوا يعدّونهم مارقين

http://kotob.has.it

ويصفونهم بقتلة المسيح[1].

التقارب اليهودي الكاثوليكي:

استمرَّ العداء الشديد بين الطائفتين قروناً عديدة، ولم يكن اليهود يجدون الملجأ الآمن إلا في بلاد المسلمين، بل إن بعضهم وصل إلى أرفع الدرجات فيها بسبب سماحة المسلمين، وهو أمر مُسَلَّم به، وآثاره لا تزال ظاهرة حتى اليوم، غير أنَّ العصر الحديث شهد تغيُّراً وانقلاباً جذرياً، فأصبح الأعداء أصدقاء ونصراء، والمتسامحون الذين آوَوْا وعدلوا وأحسنوا أعداء، فقد ألقت الصهيونية بثِقَلها على أبواب الفاتيكان تحاول فتحها وإقامة التلاقي والصداقة، ودسَّت يهوداً متنصّرين ظاهراً في الكهنوت الكاثوليكي تمهيداً للاعتراف بدولتها، وتمَّ لها ذلك، فقد اعترف الفاتيكان بدولة اليهود منذ قيامها، ولعب بابا الفاتيكان دوراً هاماً في ذلك عام (١٩٤٩م)، حيث ألقى بثقله خَلْف الطلب الذي تقدَّمت به إسرائيل لتصبح عضواً في هيئة الأمم المتحدة وإن لم يظهر التبادل الدبلوماسي بينهما وقتئذٍ، ثم ازداد التقارب، ونجحت الصهيونية في تشكيل الجمعيات النصرانية اليهودية، وفي اكتساب عدد من الأصدقاء من بين صفوف أعضاء المجمع المسكوني.

ومنذ ذلك الحين أخذت التنبؤات والوعود المتعلِّقة باليهود تفسيراً جديداً مخالفاً لما كان عليه من قبل، فقد طلب أولئك الأنصار من المجمع أن يستنكر التيارات المعادية لليهود في العالم، وأن يلغي من الصلوات العبارات التي تسيء إلى اليهود[2]، وأن يصدر وثيقة تُبرئهم من مسؤولية صَلْب المسيح، وتلقي

---

(١) اليهود والنصارى، ص١٦٦ ـ ١٦٨.

(٢) وهذا ما يحصل اليوم مع الدول الإسلامية، فقد طلبت منها الدول المتنفِّذة التي تأتمر بأمر الصهيونية أن تمنع المدارس الدينية الخاصَّة وتحدّ من مناهجها وتعاليمها بحجة القضاء على الأصولية والتطرّف، وتبرّعت لها ببعض المال لبناء المدارس وتحديث التعليم، كما طلبت تعديل مناهج التربية الإسلامية واستبعاد آيات الجهاد وكل ما يحض على التشدّد بزعمهم، مع أنَّ المدارس الدينية اليهودية تملأ الأرض المحتلة، ولها ميزانية خاصة كبرى ضمن ميزانية الدولة العامة، ولا يجرؤ أحد أن يتدخل في شؤونها، فضلاً عن طلب تعديل مناهجها الذي يجعل غير بني إسرائيل في مصاف الحيوانات المسخَّرة لخدمتهم.

http://kotob.has.it

بالمسؤولية على الجنس البشري كلِّه، وقد تمَّ لهم ذلك، ففي (٨/ ١١/ ١٩٦٣م) وزَّع المكتب الصحفي في الفاتيكان مشروع وثيقة تظهر موقف الكاثوليك من غير النصارى، وبخاصة اليهود، وبَيَّن المشروع أن جذور الكنيسة تمتد إلى العهد الذي أقامه الله سبحانه مع إبراهيم ـ عليه السلام ـ ونسله، كما أوضح أنَّ مسؤولية صلب المسيح تقع على الجنس البشري الواقع تحت الخطيئة، وأنّ المسؤولية التي دفعت قادة اليهود إلى المطالبة بصلب المسيح لا يبرأ من تبعتها سائر الجنس البشري، وأيضاً فإنَّ جريمة أولئك القادة شخصية، فلا يؤخذ بجريرتها الشعب اليهودي كله في ذلك الزمان، ولا في أي زمان لاحق. وكان مما قاله مُقَدِّم المشروع الكاردينال أوغسطين في اجتماع المجمع المسكوني الثاني: «يبيِّن هذا المشروع النواحي المشتركة بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب اليهودي، فالكنيسة ما هي إلا استطراد لشعب إسرائيل المختار، ثم ذكر أن من دوافع بحث هذه المسألة هو سيطرة العداء لليهودية. وقد نصّ البيان الذي أُذيع من القسم الصحفي في الفاتيكان باللغة الإيطالية على أنّ النصرانية واليهودية قد تصالحتا، وأنَّ الإنسانية جمعاء مسؤولة عن دَم المسيح.

وتأكيداً لذلك أصدر المجمع المسكوني الكاثوليكي في (١٤/ ١٠/ ١٩٦٥م) وثيقة بتبرئة اليهود من دم المسيح، ثم في (٢٤/ ٦/ ١٩٨٥م) أصدرت لجنة الفاتيكان للعلاقات العامة الدينية مع اليهود وثيقة رسمية برَّأت اليهود في الأجيال كلّها[1].

والعجيب الغريب أنَّ الكنيسة تُحمل الإنسانية كلّها مسؤولية دَم المسيح ـ عليه السلام ـ من لدن آدم ـ عليه السلام ـ إلى نهاية العالم، وتبرئ اليهود الذين قذفوا المسيح وأمه بأقبح التهم، فزعموا أنَّ مريم ـ عليها السلام ـ ولدته عن طريق الخطيئة من يوسف النجار، ولما دعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة عادَوه وطاردوه، ولما هاجم الفريسيين وأظهر عيوبهم عملوا على قتله لدى الحاكم الروماني، وأصروا على ذلك رغم محاولته أن يقنعهم بالعدول عن قتله، ولذلك غسل يديه ليظهر براءته من دمه كما رووا القصة في أناجيلهم واضحة صريحة لا لَبس فيها ولا تحتمل التأويل بتاتاً، فأين قداسة أناجيلهم؟ لقد استطاع

---

(١) انظر: اليهود والنصارى، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

http://kotob.has.it

الصهاينة أن يزرعوا الشك في أقدس أسفار النصارى رغم كل ما هو صريح فيها[1].

اعتذار الفاتيكان المذلّ لليهود:

ما انفكّت مرجعيات يهودية عديدة تطلب من الفاتيكان اعتذاراً رسمياً عن أخطاء الكاثوليك حيال اليهود، وبخاصة عمليات الإبادة المزعومة التي تعرَّض اليهود لها على أيدي أدولف هتلر وأتباعه النازيين خلال الحرب العالمية الثانية.

وكان الفاتيكان يروّج لنية البابا الاعتذار عما ارتكبته الكنيسة ورجالها تجاه الكنائس الأخرى والمرأة وعمليات التبشير التي فُرضت بالقوة على الأقليات وبعض الشعوب. وبالفعل سجّل البابا يوحنا بولس الثاني سابقة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، حيث طلب الصفح عن أخطاء الكنيسة التي ارتكبتها خلال ألفي عام بصورة عامة، وتجاه اليهود بصورة خاصة.

وثيقة الندم والتذلل:

كانت فكرة إصدار وثيقة اعتذار قد أخذت طريقها للتنفيذ خلال مؤتمر عقد في روما ما بين ٣٠/ ١٠ إلى ٢/ ١١ عام (١٩٩٧م)، حيث قدَّم البابا وثيقة بهذا الخصوص إلى (٦٠) خبيراً في اللاهوت الكاثوليكي والبروتستانتي ليقوموا بدراستها وإقرارها.

وفي عام (١٩٩٨م) صدرت وثيقة الاعتذار، وعنوانها (التذكر والمصالحة)، وقد عجَّت بعبارات التذلل والتباكي على معاناة اليهود في أثناء الحقبة النازية.

ومما جاء فيها: إنَّ اليهودَ أعزاؤنا وأشقاؤنا المحببون، وهم بحق الشعب الأكبر ـ الكنيسة ترغب في التعبير عن أسفها لتقصير أبنائها وبناتها في كل حقبة، نحن كأعضاء في الكنيسة نتقاسم فعلياً خطايا وحسنات جميع أبنائها، والكنيسة تقف باحترام عميق ورثاء كبير أمام الإبادة التي عانى منها الشعب اليهودي خلال

---

(١) انظر القصة في إنجيل متى: ٢٦/ ١٤ ـ ١٥ و٤٧ ـ ٦٧ و٢٧/ ١ ـ ٢٦ و٤١ ـ ٤٢؛ وفي مرقس: ١٤/ ١٠ ـ ١١ و٤٣ ـ ٤٩ و٥٣ ـ ٦٥؛ وفي لوقا: ٢٢/ ٣ ـ ٦ و٤٧ ـ ٥٥ و٦٣ ـ ٧١ و٢٣/ ٣ ـ ٥ و١٢ ـ ١٥؛ وفي يوحنا: ١٨/ ٣ ـ ١٤ و١٩ ـ ٢٤ و٢٨ ـ ٤٠ و١٩/ ١ ـ ٦.

http://kotob.has.it

الحرب العالمية الثانية ـ ـ إنّ المحرقة التي كانت صنيعة نظام عنصري وثني جديد تجد معاداة السامية فيها جذورها خارج النصرانية ـ ـ لنأسف بعمق على الأخطاء والذنوب التي ارتكبها آباء وبنات الكنيسة، لنعمل على ما يقوله لنا المجمع المسكوني الثاني الذي أكَّد أنَّ الكنيسة تتذكر إرثها المشترك مع اليهود، وبدافع من أسباب ليست سياسية، بل دينية من وحي الإنجيل نأسف للكراهة ومطاردة كل صور السامية الموجَّهة ضدَّ اليهود في كل زمان ومكان ـ ـ نأمل أن يتحول اعترافنا بالخطايا التي وقعت في الماضي إلى موقف ثابت وعلاقة جديدة خالية من المشاعر المضادة لليهود ـ ـ عندما طردت النازية من أراضيها جموع اليهود، وأصابت الحركات الوحشية ناساً عزلاً من السلاح كان هذا يجب أن يحرك الشك بما هو أسوأ، هل قدم النصارى كل مساعدة ممكنة للمطاردين وبخاصة اليهود؟ ـ ـ إنّ هذا الحمل الثقيل الجاثم على ضمائر النصارى بخصوص إخوانهم وأخواتهم خلال الحرب العالمية الثانية يجب أن يكون مدعاة للندم.

أطلق البابا على الوثيقة اسم (نحن نتذكَّر) وأبدَى أسفه لأن الكاثوليك لم يقدِّموا المساعدة لليهود خلال إبادتهم على يد النازية، فقال: أملي كبير في أنَّ وثيقة (نحن نتذكر) تشكِّل إعادة تفكير حول المحرقة، وتساعد حقاً على شفاء الجروح ـ ـ الكنيسة تشجع أبناءها وبناتها على تطهير قلوبهم نادمين على أخطاء الماضي، الكنيسة تنادينا للوقوف بتواضع أمام الله ومراجعة مسؤولياتنا عن الشرِّ الذي وقع في أيامنا ـ ـ في عدة مناسبات خلال بابَوِيَّتي تذكَّرتُ وبشعور عميق بالأسف معاناة الشعب اليهودي خلال الحرب العالمية الثانية في الجريمة التي أصبحت معروفة باسم المحرقة.

الكرادلة يذكرون ويعتذرون:

في احتفال ديني كبير (قُدَّاس) أقيم في الفاتيكان داخل كنيسة القديس بطرس من أجل الصفح عن أخطاء الكنيسة، شارك فيه كبار الكرادلة، وحضره عدد كبير من المسؤولين الإيطاليين ورجال السلك الدبلوماسي وجمهور من الناس، طلب البابا الصفح عن الأخطاء التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية في الماضي، وعن الطريقة التي كانت الكنيسة تعامل بها اليهود والهراطقة والمارقين عن المذهب الكاثوليكي والنساء والسكان الأصليين في بعض البلدان دون أن

http://kotob.has.it

يحدِّد. وقال: بسبب دور كل منا في مثل هذه الآثام التي شوَّهت رجال الكنيسة نطلب المغفرة، وندَّد على وجه التحديد باستخدام العنف في خدمة الحقيقة[١].

ثم تولَّى ستة من الكرادلة ذكر بعض أخطاء الكنيسة التي طلب البابا الصفح عنها.

دعا الكردينال الألماني جوزيف إلى الاعتراف بالأخطاء التي ارتكبت لخدمة الحقيقة.

وذكر الكاردينال الفرنسي روجيه الأخطاء التي خرقت وحدة النصارى، وأعرب عن أمله في تمهيد طريق الصلح.

أما الكاردينال الأسترالي إدوارد كاسيدي فقد طلب إعادة تأكيد اعتذار الفاتيكان لليهود أيضاً بالإضافة إلى الوثيقة الصادرة عام (١٩٩٨م)، وأشار إلى عدم قيام الكنيسة بما يكفي لحماية اليهود من الاضطهاد والإبادة الجماعية التي تعرَّضوا لها على أيدي النازية، ودعا إلى الصلاة عن الأخطاء التي ارتكبت بحق اليهود ومعاناة شعب إسرائيل.

وبعد لحظات صَمْتٍ علَّق البابا يوحنا فقال: حَزِنَّا كثيراً وامتلكنا الحزن إزاء تصرّف أولئك الذين تسبَّبوا خلال مسيرة التاريخ بالأخطاء ومعاناة اليهود، ثم طلب الصفح من الله متعهّداً باسم الكنيسة الكاثوليكية بالعيش بأخوّة صادقة مع شعب العهد القديم.

وَقْع الاعتذار على الناس:

تعرَّض قرار البابا إلى الانتقاد من جهتين:

١ ـ من مسؤولين في الكنيسة، لأنَّ هذه الخطوة سوف تعطي انطباعاً سلبياً عن الكنيسة بأنها لم تكن واقعية ولا عادلة خلال تاريخها الطويل، ثم إنَّ عنوان الوثيقة يُوحي بالرضوخ إلى اليهود، ويتزايد هذا الإحساس عندما يجد القارئ فيها طلب الصفح والمغفرة وإدانة الذات.

---

(١) تستخدم هذه العبارة للإشارة إلى طريقة معاملة الهراطقة وسائر المارقين عن المذهب الكاثوليكي إبَّان محاكم التفتيش وإرغام سكان محليين على التنصُّر ونحو ذلك مما فيه قسوة وعنف.

http://kotob.has.it

وهذا صحيح، فأين كان الروح القُدُس الذي يزعم النصارى أنه يحلُّ في صدور القساوسة ويبقى معهم إلى الأبد، ويسدِّد أقوالهم وأفعالهم؟! بل إن الكاثوليك يعتقدون أن ما يعقده راعي كنيسة بطرس في الأرض معقود في السماء، وما يحلُّه في الأرض محلول في السماء، وهو يصدر العفو عن المخطئين، أو يطرد من الرحمة، فكيف يعتذر مع الكرادلة؟!.

وقد حاول بعض أتباع الكنيسة تبرير تلك الخطوة، لكن دون جدوى.

٢ ـ وتعرَّض إلى الانتقاد أيضاً من اليهود، فبعضهم هاجم الوثيقة بحجة عدم كفايتها، وعدها آخرون خطوة جديدة نحو المزيد من تهويد الكنيسة وتقديم الدعم لإسرائيل كما سنرى.

زيارة البابا الأراضي المحتلة:

إذا كان البابا قد طلب مع كرادلته الغفران بصراحة من شعب إسرائيل، وسعى إلى تطييب خاطر اليهود قبل زيارته المزمعة إلى فلسطين، فإنّ ردود الفعل الأولية من جانب اليهود وحاخاماتهم ومفكِّريهم أظهرت ترحيباً حذراً بذلك الاعتذار وطلب الصفح، وحذّرت البابا من أي موقف أو تصريح يطعن في احتلال القدس أو كونها عاصمة موحدة لإسرائيل.

● أصدر الحاخام الأكبر لليهود الغربيين (الأشكِنازيم) في إسرائيل (مائيرلاو) بياناً جاء فيه: إنني أرحِّب بمبادرة البابا وطلبه الصفح من الشعب اليهودي عن الاضطهاد الذي تعرَّض له منذ ألفي عام، ونبّه إلى أن هذه البادرة تشكّل أمراً حديثاً يتناقض مع مواقف الكنيسة السابقة، وأعرب عن خيبته الشديدة، لأنه لم يتم التطرّق بوضوح إلى المحرقة النازية لليهود خلال الحرب العالمية الثانية، لا في الوثيقة ولا في أثناء الاحتفال، وإنما اكتفي بعمومات عن العلاقة بين اليهود والنصارى، وتَمَّ تجاهل الموقف الشائن للبابا خلال المحرقة، وقال أيضاً: إنّ إبادة اليهود كانت من عمل النازيين، غير أنَّ رئيس الكنيسة في ذلك الحين البابا بيوس الثاني عشر لم يقم بما يلزم للتنديد بالنازيين ومنعهم، فهو بصَمْته مسؤول عن إراقة دمائنا، وأعرب عن أمله في أن يُبْدي البابا رأيه بوضوح في تلك المحرقة، ويقدم اعتذاراً أوضح خلال الزيارة التي سيقوم بها في الأسبوع

http://kotob.has.it

القادم إلى نصب المحرقة التذكاري (يادفاشيم) في القدس المحتلة.

● وقال الباحث اليهودي أفراييم زوروف: كنت أودُّ لو أن الفاتيكان اعترف بأن اللاسامية النصرانية هي التي أدَّت إلى المحرقة ـ ـ المهم أن يكون الفاتيكان واعياً لحجم الجرائم النازية، غير أنّ الوثيقة التي أصدرها تدلُّ على أنه لا يريد تحمّل مسؤولياته، ولا يستطيع أن يفهم مداخل المذبحة ومخارجها.

● حذَّر رئيس بلدية القدس المحتلة إيهود أولمرت الفاتيكان من أي موقف أو تصريح يطعن في سيادة إسرائيل على القدس المحتلة خلال الزيارة المرتقبة التي سيقوم بها البابا إلى إسرائيل، وأعرب عن أمله في أن لا يرى القادة الإسرائيليون أنفسهم في مواقف تضطرهم إلى الرد على بعض الأمور التي يتحسَّس منها اليهود.

فاليهود لم يكتفوا بتبرئتهم من دَم المسيح المصلوب حسب زعم النصارى، ولم تعجبهم تلك الوثيقة ولا كلُّ الاعتذارات الشفوية، وإنما يريدون إلصاق المحرقة المبالغ فيها كثيراً بالفاتيكان أو على الأقل يحمّلونه جزءاً كبيراً من المسؤولية، لأن البابا بيوس الثاني عشر لم يفعل شيئاً إزاءها ولم يندِّد بها، فكان على البابا يوحنا بولس الثاني أن يندِّد بسَلَفه في الوثيقة أو يصدر قراراً بحرمانه لتجاهله حالة اليهود.

وإذا كان الزعيم الألماني هتلر لا يتقيّد بدين، فقد أنكر الله، وكَسَّر أذرعة الصليب، وَدَمَّر أوروبة بما فيها فرنسة الكاثوليكية، وعارض الكنيسة واضطهد أعضاءها، كما جاء في وثيقة الاعتذار التي أشادت بحكمة البابا خلال الحرب العالمية الثانية، وذكرت أنّ جهات يهودية عديدة أثنت على دَوْره في إنقاذ مئات الآلاف من اليهود، وإذا كان الأمر كذلك فأين الذنب الذي اقترفه البابا بيوس الثاني عشر بحق اليهود؟ وهل كان بإمكان العاجز عن حماية أتباعه أن ينقذ اليهود جميعهم بعدما فعل ما بوسعه؟! فلِمَ الاعتذار إذاً؟!.

وإذا كان اعتذار البابا يريح اليهود ويخفف عنهم أثر المحرقة المبالغ فيها دون النظر إلى أسبابها، مع أن الفاتيكان لم يقتل يهودياً واحداً، فلِمَ لا يعتذر اليهود للنصارى عما يعتقدونه في المسيح ـ عليه السلام ـ وأمه، وما سَعَوا إليه من محاكمته وصلبه واضطهاد أتباعه وزرع الملل في الكنيسة الواحدة، وبخاصة الفِرِّيسيون، ومع ذلك كله فقد صرَّح أحد أعضاء لجنة العلاقات الدينية مع اليهود

http://kotob.has.it

في ذلك الوقت بأن المؤتمر سيراجع ويعدِّل عدَّة نصوص دينية في العهد الجديد لتحاملها على اليهود، كما في إنجيل متى وغيره وبعض الرسائل. وهذا هو التحريف المتعمد للنصوص بعينه إرضاء لليهود، سواء كان مادياً أو معنوياً.

إنَّ اليهود ارتكبوا مجازر جماعية وجرائم حرب بحق الشعب الفلسطيني قديماً وحديثاً، وبحق غيره من الشعوب المجاورة، تحت سمع وبصر العالم والأمم المتحدة التي اعترفت بكثير منها، فهل فكَّر اليهود بالاعتذار أو كفُّوا عن مواصلة المذابح والتدمير وجرف الأراضي؟ وهل فكَّر البابا بالتنديد؟.

زار البابا يوحنا بولس الثاني الأراضي المحتلة في شهر آذار، وذكرت الصحافة الإسرائيلية ذاك الخبر بألفاظ جافَّة خالية من المجاملة، كان منها «جاء الذي سيعتذر» ووقف البابا عند جدار المبكى كما يفعل اليهود، وكان من المقرّر أن يلتقي مع الحاخام الأكبر لليهود الغربيين (مائير لاو) ومع الحاخام الأكبر لليهود الشرقيين (إلياهو باكشي) قبل زيارته نُصُبَ المحرقة (يادفاشيم) وقال رئيس النصب: إنَّ طلب الصفح خطوة مهمة وتاريخية، لكن أخشى أن يكون عن أفراد كانوا جزءاً من الكنيسة، لا عن الكنيسة ذاتها[1].

مراعاة اليهود في ميثاق الكنائس الأوروبية:

وقع رئيس مجلس الأساقفة الكاثوليكية في أوروبة ورئيس مؤتمر الكنائس الأوروبية البروتستانتية والإنكليكانية والأرثوذكسية يوم الأحد (٢٢/ ٤/ ٢٠٠١م) في ستراسبورغ ميثاقاً مسكونياً يهدف إلى تعزيز التعاون بين الكنائس في أوروبة، ويركز المؤتمر على الاعتراف بحرية الدين والمعتقد، وأعلنت الكنائس أنها تعارض كل أشكال التعصّب القومي، وسيكافح الموقِّعون كل الأشكال المعادية للسامية واليهودية[2].

أثر اليهود في تلك القرارات:

جاء في البروتوكول السابع عشر: لقد عُنينا عناية عظيمة بالحطِّ من كرامة

---

(١) عن وسائل الإعلام المختلفة ومنها المركز الفلسطيني للإعلان وإيلاف في ١٦ مايو ٢٠٠٥م.

(٢) عن جريدة الأخبار، ٢٤/ ٤/ ٢٠٠١م.

http://kotob.has.it

رجال الدين من الأمميين في أعين الناس، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم ـــ وإن نفوذ رجال الدين ليتضاءل على الناس يوماً بعد يوم، اليوم تسود حرية العقيدة في كل مكان، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار النصرانية انهياراً تاماً ـــ سوف نقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير من الحياة ـــ وبعد ذلك يحين لنا الوقت كي نحطم البلاط البابوي تحطيماً(١).

---

(١) إتماماً للاعتذارات البابوية نذكر ما يلي:

اعتذار البابا للأرثوذكس: طلب البابا يوحنا بولس الثاني الصفح عن ألف سنة من الأخطاء التي ارتكبها الكاثوليك بحق الأرثوذكس.

قابلت الكنيسة الروسية اعتذاره بفتور، فقد نقلت وكالة الأنباء الروسية عن رئيس الكنيسة الروسية قوله: إنّ الكنيسة ستراقب كيف يطبق هذا الاعتذار على أرض الواقع.

ولما عزم البابا على زيارة أوكرانية قام متطرفون كاثوليك بالهجوم على كنيسة أرثوذكسية لتدميرها. وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية أنَّ زيارة البابا المقرَّرة ألهبت مشاعر الكاثوليك مما دعا متطرفيهم إلى القيام بالهجوم ومحاولة التدمير.

قال رئيس كنيسة الروم الأرثوذكس الذي قبل الزيارة على مضض: إنَّ الكاثوليك ألحقوا الضرر بأتباع الكنيسة الأرثوذكسية على مرِّ القرون، وما زالت ترتكب أخطاء بحقِّهم، وأعلن أنَّ الجراح التي سببتها الكنيسة الكاثوليكية لا تزال مفتوحة إلى اليوم. [جريدة الأخبار ٦/ ٥/ ٢٠٠١م].

البابا يرفض الاعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية: تعرَّضت وثيقة التذكر والمصالحة التي أصدرها الفاتيكان إلى الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في أربعة أسطر، وأفردت فصلاً كاملاً لموضوع النصارى واليهود، رغم أنَّ الدراسات التاريخية تؤكّد أنّ الكنيسة الكاثوليكية هي المسؤولة بالكامل عن إطلاق وتوجيه الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ومباركتهما، وفي العام الماضي ٣/ ٢٠٠٣م زار البابا إسرائيل واعتذر معترفاً بالخطايا التي ارتكبت بحق اليهود، لكنه عندما تحدّث عن المسلمين والنصارى دعا إلى مسامحة كل طرف منهم للآخر عما فعله به، وتجاهل الاعتذار عن الفظائع والإبادات التي ارتكبها الصليبيون، وأصرَّ على ذلك فيما بعد، إن البابا قد خصَّ اليهود وحدهم بالذكر والكتابة مراراً، ولم يُشِرْ إلى أي شعب آخر، فهل هذا من قبيل السهو؟ أو هو نتيجة ضغط شديد طلباً للمزيد؟.

الأزهر يطالب بالاعتذار: ثَمَّة وثيقة بين الأزهر والفاتيكان تنصُّ على إجراء حوار وتقارب بينهما، وكانت اللقاءات تجري بين حين وآخر، غير أنّه لم يحدث على أرض الواقع سوى تبادل الكلمات الترحيبية والكلمات الغامضة والعامة، ولما ندَّد البابا باستخدام العنف في سبيل الحقيقة، واعتذر لليهود مراراً عما لحقهم من أضرار، وطلب=

http://kotob.has.it

= الغفران من شعب إسرائيل بصراحة، ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد عما لحق المسلمين من أذى وقتل وتنكيل ودمار بسبب الحروب الصليبية التي حرض عليها الفاتيكان، وأمر بها البابا أوربان الثاني عام (١٠٩٥م) مما أدى إلى اندفاع موجات من الأصولية المسلَّحة قام بها كبار ملوك أوروبة نحو المشرق والقدس، وصل إجمالها إلى ست حملات، استمرّت أكثر من مئتي عام، ارتكبت فيها مذابح فظيعة وكثيرة، وراح ضحيتها شعوب آمنة من المسلمين، ولذلك تقدَّمت اللجنة الدائمة لحوار الأديان بالأزهر رسمياً في ٢٨ آذار عام (٢٠٠٠م) بمذكرة تطالب فيها الكنيسة الكاثوليكية بأن يمتد طلب الندم والغفران إلى المسلمين عما أصابهم من الأضرار في تلك الحروب التي شنّها الغرب على المسلمين في العصور الوسطى بعد تقويم أمين وموضوعي لتلك الحقبة من التاريخ.

صدر بيان عن الفاتيكان بالعمل على دراسة الموضوع، لكن مضى عام تقريباً ولم يحدث شيء، مع أنَّ الاعتذار لا يلزم الدول التي قامت بالحروب وشنَّت الهجمات ولا الفاتيكان بتعويض مادِّي عن الأضرار، وإنما يقتصر على الجانب الأدبي فقط دون التفكير بما تدفعه ألمانية وأوروبة لليهود عن المحارق التي يزعمون أنهم تعرَّضوا لها.

وفي ٢٠/ ١/ ٢٠٠١م طالب عدد كبير من علماء الأزهر بالردِّ على المذكرة التي تقدَّموا بها وتساءلوا عن جدوى الحوار ما دام الفاتيكان يعتذر لغير المسلمين عما لم يتسبب به، ولا يريد الاعتذار للمسلمين عما تسبب هو فيه كلِّه؟ ولم يسمع المتحاورون كلمة حق من جانب الفاتيكان حتى في جلسات الحوار في القضايا الإسلامية المطروحة على الساحة العالمية والتي يذبح فيها المسلمون وتعدّ لهم التصفيات، فما فائدة الحوار؟!.

وعندما زار البابا مصر وزار الأزهر ورحَّب به العلماء واحتَفَوا به كانت كلمته غامضة، حيث قال: إن الإسلام نهض بالعالم العربي وإفريقية. ونسي أنَّ الإسلام دخل عادلاً إلى الأندلس ونهض بأوروبة نفسها، وأقام حضارة مادية علمية لا تزال آثارها شاهدة، وحضارة خلقية ومعنوية بتسامحهم مع أهلها وتعايشهم بعدل ورحمة، ونسي أيضاً أنَّ النهضة الأوروبية التي قامت على أنقاض الكنيسة إنما استفادت في أول أمرها من النهضة الإسلامية، ولم يعتذر. [عن إسلام لاين نت الأربعاء ١٧ مايو ٢٠٠٠م].

البابا يصرُّ على عدم الاعتذار إبَّان زيارته سورية: بمناسبة الألفين لميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ زار البابا أوكرانية ثم اليونان واعتذر للأرثوذكس في أثينة، ثم زار سورية في ٦/ ٥/ ٢٠٠١م، واحتفت به وسائل الإعلام، وعقد بعضهم آمالاً على الاعتذار، ولا سيما بعد زيارته الجامع الأموي وترحيب المفتي العام ووزير الأوقاف به، ولكن لم يحدث شيء من هذا، وإنما ذكر في خطابه في الجامع كلمات عامة، أهم ما جاء فيها: «علينا أن نطلب الغفران من القادر على كل شيء عن كل مرة أهان فيها المسلمون=

http://kotob.has.it

[٥]
تزاوج المعتقدات بين اليهود والبروتستانت

ظهور البروتستانت:

نتيجة لضغط الكنيسة على الناس وتحكُّمها فيهم وشدَّة عقوباتها على المخالفين ظهرت حركات الإصلاح الديني في أوروبة، ولا سيما بعد بيع صكوك الغفران لمن يموت ثم لمن مات، وكان أقواها وأشهرها حركة الإصلاح الإنجيلي التي تزعَّمها (مارتن لوثر)، فقد انشطرت الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر عام (١٥٢٩م) إلى شَطْرين، سمِّي من انشقَّ عنها بالبروتستانت (المحتجُّون) وكانوا عنيفين في نقدهم، فنعتوا البابا بأقبح الألفاظ، وردُّوا بعض الأسفار التي كانت قانونية، ولذلك نُعتوا بالهرطقة[1]، وتأجج الصراع بينهما وطال إلى هذا الوقت، كما ساد العلاقة بين الفاتيكان وسائر الكاثوليك في أوروبة فتور شديد، واقتصرت الحماسة على المتنصرين من العالم الثالث بسبب الفقر والحاجة والإغراء بالوعود.

= والمسيحيون بعضهم بعضاً، كما علينا أن يغفر بعضنا لبعض فيسوع يعلّمنا أنه يجب أن نغفر إهانات بعضنا لبعض إذا أردنا أن يغفر الله خطايانا [متى ٦/ ١٤]. مع أنَّ النصارى عاشوا بين المسلمين بتسامح وحُسن جوار على مدى قرون إلى أن جاء الصليبيون فقتلوا المفاهيم بالنسبة للمسلمين والأرثوذكس، وهل دخول عمر ـ رضي الله عنه ـ القدس في الفتح الأول، ودخول صلاح الدين في الفتح الثاني كاحتلال الصليبيين إياها بمجازرهم ووحشيتهم التي ليس لها مثيل؟! وهل فتح الأندلس كمحاكم التفتيش والإحراق والمطاردة؟!.

ثم زار كنيسة مارجرجس بمدينة القنيطرة في ٧/ ٥/ ٢٠٠١م وتجاهل الاعتذار مع أنه اعتذر قبل أربعة أيام للأرثوذكس في أثينة، ولليهود في العام الماضي قبل زيارته لإسرائيل وفي أثنائها وكرَّر اعتذاره.

(١) وتُسمَّى كنيستهم بالإنجيلية، ومن فروعها الكالفنية، نسبة إلى (جون كالفن)، والإنكليكانية، وهي الكنيسة الرسمية في إنكلترة، وهي أقرب البروتستانت إلى الكاثوليك، والطهوريَّة التي ازدهرت في أمريكة، وكانت تتبع (جون كالفن)، غير أنَّها تخصُّ العهد القديم بمكانة تفوق العهد الجديد، ولذلك أرادت تطهير كنيسة إنكلترة من بقايا الكاثوليكية.

http://kotob.has.it

كان من أهم النتائج لظهور هذه الحركة صياغة العقيدة النصرانية في أوروبة صياغة جديدة، حيث تمَّ إحياء النص التوراتي، واحتل العهد القديم الموقع المركزي في المعتقدات والنبوءات، وأصبح المصدر الأساسي لاستنباط الفلسفة والأحكام الدينية، وبدأ التفسير الحرفي للنصوص المتعلِّقة باليهود يحلُّ محلَّ التأويلات والتفسيرات التي كانت الكنيسة تتبنّاها، بل أصبح العهد القديم هو المرجع الأول والأعلى لفهم العهد الجديد وسائر ما يتعلق بالنصرانية، وكل بروتستانتي حُرّ في دراسة الكتاب المقدَّس بكامله وفهمه واستنباط المعنى والمراد حسب اجتهاده.

وظهرت الطبعة الأولى لنسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس، وهي النسخة الموثوق بها لدى البروتستانت، وتختلف كثيراً عن الفولغاتا المعتمدة لدى الكاثوليك، وأصبحت اللغة العبرية هي المعتمدة في الدراسة الدينية وفي الصلاة في الكنائس وتلاوة الكتاب المقدّس لأنها اللغة التي أوحَى الله بها إلى موسى، وخاطب بها الشّعْبَ المختار، وصار تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية بعد أن كان بأسماء قدِّيسي النصارى، ونقل الاحتفال ببعثة المسيح إلى يوم السبت.

وكانت عيون البروتستانت تقع على التنبؤات والوعود الإلـٰهية، وهي من صياغة الأحبار فيفهمونها بحرفيّتها، ويعتقدون بمضمونها. وحفز ذلك فيهم الكثير من الأسئلة عن مكانة اليهود ومعتقداتهم والإلـٰه الذي يعبدونه، وعن فكرة الشعب المختار وأرض الميعاد وغير ذلك مما ورد من الأساطير عن معتقدات اليهود وما ينسبونه إلى أنبيائهم من تصرّفات.

وبتوجيه خفي حاول أغلبية المفكّرين من البروتستانت رسم رابطة عقدية بين اليهودية والنصرانية، ووضع صيغة للتعايش بينهما، وذلك بإعادة تعريف طبيعة الدين النصراني ومعتقداته على نحو يجعل الرابطة بينهما أمراً لا جدال فيه. وانكبَّ رجال الدين وغيرهم على دراسة أدب الأحبار وما صَنَّفوه، وأعجب كثير من تلك المجموعات والفرق بالمبادئ والقيم اليهودية، ثم تسرَّب الإعجاب إلى صميم العقيدة، وتمخّض عن الأمور التالية:

١ ـ اليهود هم شعب الله المختار، وهم الأمة المفضَّلة على سائر الأمم،

http://kotob.has.it

وهم الشعب المتميز عند الله، لا يشاركهم غيرهم في هذه القدسية، وهي نتيجة لكون المسيح منهم.

٢ ـ ثَمَّة ميثاق إلـهي يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، أعطاه الله لإبراهيم، وهو ميثاق سَرْمدي إلى يوم القيامة.

٣ ـ الإنجيل امتداد للتوراة، والعهد الجديد امتداد للعهد القديم، بل هو المرجع الأعلى لفهمه. ومن ثَمَّ تكون النصرانية امتداداً لليهودية.

٤ ـ الإيمان بعَوْدة المسيح مرتبط بقيام دولة إسرائيل وعَوْدة اليهود إلى فلسطين وتجمعهم فيها.

وكان لهذا التزاوج في المعتقدات أثر كبير في دَعْم التراث اليهودي النصراني في العالم الغربي وتطويره، فقد بدأت النظرة إلى اليهود تتغيَّر تدريجياً، ونما التيار الأصولي النصراني وتلاقى مع الصهيونية ـ كما سنرى ـ بعد تباعد وتنافر، علماً بأنّ (مارتن لوثر) نفسه كان يعبِّر عن كرهه لليهود وخوفه منهم، وهو أمر يدعو إلى النظر وراء الأكمة؟!.

التحالف بين اليهود والحركات الأصولية النصرانية:

عمل اليهود علىتمتين النزعات الصهيونية عند طائفة البروتستانت، وركّزت المنظمات اليهودية على التعاون بين كنائسها، وبخاصة من يُسمَّون بالطائفة الإنكليكانية أو بالمسيحيين الأصوليين، فالإنجيليون يعتقدون بقرب نهاية العالم، ولدى الطرفين قناعة متزايدة بأنهم يعيشون في بداءة الزمن الذي تقوم فيه المعركة الكبرى، ويظهر فيه المسيح، ويقيم مملكة الله في الأرض، وهم يَسْعَون إلى تحقيق تلك النبوءات.

وبناءً على تلك القواسم المشتركة بين الطرفين وغيرها استساغ كثير من قادة النصارى في أوروبة وأمريكة أن ينتسبوا للصهيونية مع بقائهم على النصرانية، ونتيجة لذلك ظهر في نهاية القرن التاسع عشر وبداءة القرن العشرين كثير من الحركات النصرانية الإنجيلية التي لها مؤسسات تخدم غايات الحركة الصهيونية، وهي ما يسمَّى بالصهيونية المسيحية. وكانت السياسة البريطانية أكثر البيئات التي نَمَت فيها الصهيونية غير اليهودية، فقد تعاقب في بريطانية حكومات صهيونية،

http://kotob.has.it

كان منها وزير الخارجية آرثر بلفور الذي تأثّر بدراسة التوراة في الكنائس، وأصدر عام (١٩١٧م) وعده المشؤوم الذي يعترف فيه بأن فلسطين وطن قومي لليهود، وكان يقول: ما زلت أذكر أنني اقتبست في طفولتي أن الدين النصراني والحضارة المسيحية مدينان بالشيء الكثير لليهودية، ويقول أيضاً عن نفسه: أنا صهيوني أكثر من أي صهيوني آخر.

وكان اللورد (أنطوني كوبر) قد سبقه إلى ذلك فقال عام (١٨٣٩م): «إن اليهود سيبقون غرباء حتى يعودوا إلى فلسطين». ورفع شعار «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن».

الحركة التدبيرية وما تَسْعَى إليه:

من أهم الحركات الإنجيلية الأصولية التي تخدم الصهيونية وأخطرها الحركة التدبيرية التي نشأت في الولايات المتحدة بعد قيام إسرائيل، وتعتقد هذه الحركة أنَّ الله قد وضع في الكتاب المقدَّس نبوءات واضحة عن تدبيره لشؤون الكون ونهايته، منها ما يسبق المعركة الكبرى، ومنها ما يكون بعدها، وأهمها ما يلي:

١ ـ قيام دولة إسرائيل ودعمها وحشر اليهود في فلسطين:

وقد كان لهذا الاعتقاد دور أساسي في صناعة القرار بقيام دولة إسرائيل وتهجير اليهود إليها ودعمها. وهذا ما حدث عام (١٩٤٨م) فعدُّوه مصداقاً للنبوءة، ثم كان لانتصار اليهود المخطَّط له في مسرحية حرب حزيران عام (١٩٦٧م) واحتلال القدس أكبر الأثر في تقوية الحركة الأصولية النصرانية المتصهينة.

وقد لعبت الصهيونية النصرانية ولا زالت تلعب دَوْراً محورياً في نقل اليهود إلى فلسطين وحشرهم فيها، مُدَّعين أنَّ الله وعد بها أجدادهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومنحها لبني إسرائيل إرثاً أبدياً، فهي أرضهم على الإطلاق، هكذا يقول الكتاب المقدَّس، وهذا أمر لا نقاش فيه، فليس للعرب والمسلمين أيُّ حقّ فيها، والأقوى هو الذي يحصل على الأرض، ولذلك عملوا على دَعْم هذه الدولة ومساندتها وإعفائها من الانصياع إلى القوانين والمواثيق الدولية، لأن شريعة التوارة وحدها هي التي يجب أن تطبّق على اليهود في فلسطين، لأنَّهم شعب الله المختار.

http://kotob.has.it

وهكذا عمل الفريقان على إقامة الدولة الحالية، والصهاينة وأكثر اليهود مقتنعون بأنها نواة لدولة إسرائيل التوراتية الكبرى[(١)].

٢ ـ إعادة بناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى:

فالخطوة التالية عند الطرفين بعد قيام الدولة واحتلال القدس هي إعادة بناء الهيكل، وهذا يتطلب أن تكون القدس كلها عاصمة موحَّدة لدولتهم وهدم المسجد الأقصى، ولذلك تراهم يسعون جاهدين إلى تهويد المدينة والاستيلاء على المسجد، وقد صنعوا مجسَّماً للهيكل الجديد فيما يتواصل الحفر تحت المسجد الأقصى بحجة البحث عن آثار يهودية. وهم يعتقدون أنّ هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبناء الهيكل مكانهما مطلب إلـٰهي منصوص عليه في أسفارهم المقدسة، والنبوءات التوراتية تتطلب ذلك حسب قانون موسى في جبل مورية، وآنئذٍ ينتظرون مسيحهم، لأن عودته لن تتم قبل بناء الهيكل.

وهذه الرغبة تلقى الدعم المستمر من اليمين النصراني المتطرف في الغرب، وهم لا ينتظرون حدوث الأمور، بل يريدون المبادرة إلى إخراجها، فعلى اليهود أن يعملوا على طرد العرب وهدم المسجد الأقصى وإعادة الهيكل وانتظار المسيح.

جاء في قاموس الكتاب المقدَّس المطبوع عام (١٩٨٩م) عن الهيكل: مسجد إسلامي مع قبة الصخرة، بني على موقع هيكل سليمان، وسيكون مركز حكم المسيح الألفي.

فاليهود هم الأمل في تحديد عودة المسيح، لأن عودته مرهونة بعودة اليهود إلى فلسطين وإعادة بناء الهيكل، ولله إرادة في ذلك، والإنسان قادر على تحقيق إرادة الله، فهاتان العودتان يمكن أن تتحققا بعمل البشر، ولذلك يرفضون فكرة السلام بصورة مباشرة وغير مباشرة، لأنها تتطلّب أن تتنازل إسرائيل عن

---

(١) عرض تشمبرلن على هرتزل الاستيطان في العريش في سيناء فأبَى ورفضت المنظمات الصهيونية ذلك، ثم قدم عرضاً آخر بتحويل أوغندة إلى وطن قومي يهودي فرفضوا أيضاً، لأنهم نَسَوا ما اشترطه الله عليهم من الصلاح لتبقى لهم، ويردّدون أنَّ فلسطين كانت لهم قبل أن يسمع الناس عن محمد ـ ﷺ ـ بوقت طويل.

http://kotob.has.it

حقّها بأرضها، وهذا يتعارض مع خطة الله في الكون، لأن بني إسرائيل هم شعب الله المختار.

لقد قدَّمت لهم عقيدة الشعب المختار وفكرة إقامة إسرائيل الكبرى تبريراً لأكبر الجرائم وأكثر الأعمال وحشية وعاراً في معاملة الآخرين، وهم يصفون من يعارضهم بأنهم جيش الشيطان، ويتّهمونهم بالإرهاب، لأن أعداء إسرائيل هم أعداء الله، وأحبَّاءَها هم أحباء الله.

٣ ـ معركة هرمجدون المدمِّرة وظهور المسيح المخلّص:

ويعتقدون أنَّ ظهور المسيح مسبوق بحرب مدمّرة بين إسرائيل وأعدائها، تحصد ما لا يعد ولا يحصى من البشر، وتنتهي بخراب الأرض، وهي المعركة الأخيرة بين الخير والشر ويسمّونها معركة أو محرقة هرمجدون، فأعداء الله أو قوى الشر من العرب والمسلمين وغيرهم من الوثنيين وسائر من لا يؤمن بألوهية المسيح يهجمون على إسرائيل، فتنشب حرب نووية بمقتضى الخطة الإلـٰهية، ويكون معظم ضحاياها من المسلمين والوثنيين في الشرق، وعلى النصارى المخلصين أن يرحّبوا بهذه الحرب التدميرية، لأنه ما إن تبدأ المعركة حتى يظهر المسيح فوق الغيوم ويرفع المؤمنين به لملاقاته لينقذهم من هذه المحرقة، ولن يواجهوا شيئاً من المعاناة التي تجري تحتهم كما سلف.

والنصارى المتعلّقون بنظرية هرمجدون في تزايد مستمر، والرسالة التي يرسلها قساوستهم على الدوام هي أنه لن يكون سلام حقيقي في الشرق الأوسط حتى يأتي اليوم الذي يجلس فيه المسيح على عرش داود في القدس.

قال المبشّر (التلفازي) بات روبيسون في افتتاح مؤتمر جمهوري وطني: «لن يكون هناك سلام حتى يعود السيد المسيح، وإنَّ أي تبشير بالسلام قبل عودته هرطقة وكفر، لأنه ضدّ كلمة الله التي جاءت في الكتب المقدّسة، وما يطمئن قليلاً هو أن نهاية العالم لن تبدأ حتى يتجمع اليهود في إسرائيل، وهو ما لن يحدث بسبب شتاتهم، حتى لو طرد الفلسطينيون من بقية فلسطين».

فهم أصحاب عقيدة لا تكتمل إلا بخراب العالم، وإيمانهم بعودة المسيح المخلّص يعني أنّ السلام قبله غير ممكن، لأن الحروب المدمّرة هي التي ستؤذن

http://kotob.has.it

بنهاية العالم وصعود المؤمنين لملاقاة المسيح في منتصف الطريق إلى الجنة.

٤ ـ إيمان من بقي من اليهود بالمسيح بعد المعركة:

قالوا: وعندما تصل الحرب إلى مستواها الأخير من الشدة والتدمير ومقتل الملايين ينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل. فعلى جميع اليهود أن يؤمنوا بالمسيح أو يقتلوا في معركة هرمجدون، وسوف يتحول اليهود الذين نجوا من الدمار بعد المعركة وبقوا على قيد الحياة إلى المسيحية، وهم يستشهدون بأقوال حزقيال.

قالوا: ونحن الآن علينا أن ندعم إسرائيل، ونحشد كل الأصدقاء لدعمها، وعندما يأتي المسيح فسوف نفكّر في خياراتنا آنذاك، أما الآن فدعونا نصلّي ونرسل الأسلحة والدعم لتمكينهم من السيطرة الكاملة والمنفردة على القدس، ونحن نؤخر مجيء المسيح إذا لم نساعد اليهود على مصادرة مزيد من الأراضي في فلسطين.

٥ ـ انتشار السلام في مملكة المسيح:

بعد نزول المسيح مع قِدِّيسيه للملك والدينونة، تبدأ فترة ألف عام من السلم والرفاهية في مملكة المسيح على أرض جديدة وتحت سماء جديدة.

هذه أهم عقائد الحركة التدبيرية التي نشأت في الولايات المتحدة، ومهمتها تدبير وتهيئة كل الأمور التي يمكن أن تعجل بعودة المسيح.

دور الكنائس ورجال السياسة:

على الرغم من العلمانية الظاهرة في الحياة الغربية، فإن الكنائس تظل مصدراً هاماً للمؤثرات الخلقية والثقافية والسياسية في تلك المجتمعات، وهي تمارس نفوذها من خلال وسائل الإعلام المتنوّعة والمتعدِّدة والقوية التي تصل إلى الملايين من الناس، ومن خلال برامج الدراسة أيضاً، فالكنائس تدير مئات الجامعات وعدداً من المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ولهم نشاطات واسعة الانتشار يقيمون من خلالها الندوات والمسرحيات وغير ذلك. ومع مرور الزمن استطاع اليهود من خلال منظماتهم المتعددة أن يكيفوا الأوضاع مع الكنائس وغيرها على نحو يستفيدون منه، ولا سيما في الدول ذات الأغلبية

http://kotob.has.it

البروتستانتية. وقد أثّرت الدعاية القوية والمركّزة التي يبثّونها في شعوب تلك الدول، وأوجدت شعوراً عاماً بأن حدثاً عظيماً للإنسانية سيحدث قريباً، وأصبح التشويق بعودة المسيح يشمل الملايين العديدة من الناس.

ويقيم الإنجيليون وغيرهم في الدول ذات الأغلبية البروتستانية تحالفاً معلناً مع إسرائيل، وأبلغ دليل على ذلك ما صدر عن المجمع الثاني للكنائس الذي انعقد في أفانستون عام (١٩٥٤م)، فقد قدَّمت له اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة تقريراً جاء فيه: إن الرجاء النصراني بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم، بل فيما نراه من عون إلـهي لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك.

وأصدر أيضاً مجموعة من الأساقفة في المؤتمر المذكور البيان التالي: إننا نؤمن أن الله اختار إسرائيل ـ أي: الشعب المختار ـ لكي يتابع خلاصه للبشرية، ومهما كان موقفنا فإننا لا نتمكن من نكران أننا أغصان قد تطعمت على الشجرة القديمة التي هي إسرائيل، لذلك فإنَّ شعب العهد الجديد لا يمكن أن ينفصل عن شعب العهد القديم ــ إنّ انتظارنا لمجيء المسيح يعني أملنا القريب في اعتناق الشعب اليهودي للمسيحية، وفي محبتنا الكاملة لهذا الشعب المختار.

وقد ظهر من خلال تنامي التيار الأصولي الغربي، وبخاصة في الولايات المتحدة زعماء دينيون وسياسيون كثيرون من المتصهينين، يتحكّمون في قطاع كبير من الناس ومصالحهم، ويرون أنَّ نشر الدين ضرورة ملحّة، ويقيمون علاقات قوية للعمل سوية، ولا سيما المعنية ببناء الهيكل، فمؤسسة الهيكل المقدس اليهودية أُنشِئت بدعم وأموال من تلك الكنائس، وهي تنظم رحلات دورية سياحية دينية إلى مدينة القدس لزيارة الأماكن المقدسة اليهودية والنصرانية، ومما صرّح به أولئك الزعماء ودَعوا إليه قديماً وحديثاً ما يلي:

قال رجل الدين الأمريكي هيمان همفري: من أجل صهيون لن نلزم الصمت، ومن أجل القدس لن نخلد إلى الراحة.

وقال الواعظ النصراني الشهير جون هاجي: إن اليهود يتمتعون بعلاقة خاصة مع الله نتيجة العهد الذي أعطاه الله لإبراهيم.

http://kotob.has.it

وقال الكاهن البروتستانتي جيري فالويل: إنَّ إسرائيل تحتل الآن مكان الصدارة في نبوءات الكتاب المقدس، وإن عصر الوثنيين ـ يقصد العرب والمسلمين ـ قد ولَّى بسيطرة اليهود على القدس عام (١٩٦٧م)، وسينتهي في القريب العاجل.

مؤتمرات الحركات المتصهينة:

أسس اليهود حركات متصهينة تأتمر بأمرهم وتخدم مصالحهم، منها ما يلي:

١ ـ في عام (١٩٨٨م) عُقد في الأراضي المحتلة المؤتمر النصراني الأول، وبنى دعوته لتعضيد إسرائيل على فكرتين رئيستين؛ هما:

أ ـ علاقة شعب إسرائيل الخاصة بالله.

ب ـ عودة اليهود إلى فلسطين وتأسيس الدولة يعجِّل بالمجيء الثاني للمسيح، ليحكم العالم من أورشليم لمدة ألف عام سعيد.

٢ ـ في مطلع عام (٢٠٠٤م) تمخض الاتصال المتزايد بين السياسيين الإسرائيليين والنصارى المتصهينين عن تأسيس تجمع الحلفاء المسيحيين في الكنيست، وهو أول تجمع في البرلمان الإسرائيلي يهدف إلى تعزيز العلاقات مع التبشيريين في العالم كله[١].

قال نورتن ميزفينسكي: لقد عقدت الأصولية اليهودية التي تحتقر من هو غير يهودي حلفاً مع أولئك النصارى الذي يعتقدون أن دعم الأصولية اليهودية ضروري للتعجيل بالمجيء الثاني للمسيح.

وصَفْوة القول في التصهين: إنَّ كلاًّ من اليهود والنصارى ينتظر المسيح الخاص به؛ فاليهود يعتقدون أنه لم يبقَ إلا القليل حتى يهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وكنيسة القيامة، وحينئذٍ يقوم الهيكل حيث حلَّت الغمامة، وينتصب

---

(١) عن صحية الحياة، العدد (١٥٢٥٣)، تاريخ ٣ كانون الثاني ٢٠٠٥م ـ ٢٢ ذي القعدة ١٤٢٥هـ.

http://kotob.has.it

العمودان على يمين بابه ويساره، ويحكم المسيح العالم، وهم يستغلّون غيرهم لتحقيق أهدافهم وإقامة دولتهم، فقد أسسوا حركات متنوعة علنية الظاهر وسرية الحقيقة تأتمر بأمرهم، يحركون من خلالها كبار المتنفذين في العالم من غيرهم لخدمة مصالحهم.

أما النصارى ـ وبخاصة المتصهينون ـ فيرون أنّ اليهود جند الله، والفلسطينيين جند الشيطان ومحور الشر، فيجب أن يسيطر اليهود على فلسطين سيطرة كاملة، ويتخذوا القدس عاصمة لها، ويقيموا الهيكل مقام الأقصى ليأتي المسيح، وما لم تأخذ هذه الأمور مجراها على أرض الواقع فإنها ستعطل مجيء المسيح!.

فالطرفان متفقان على أن قيام الدولة اليهودية (إسرائيل الكبرى) أمر يريده الله، لأنه يمهّد لظهور المسيح حسب تفسير كل منهما لمسيحه، فالتحالف بينهما ديني عقائدي قبل كل شيء، غير أنهم اتفقوا على تأجيل الخوض في التفاصيل ومصير الإنسانية إذا نزل، إذ المهم الآن هو الانشغال بالمبدأ الذي هو نزول المسيح والتعاون سويّة لتهيئة ذلك، ويطمع النصارى في أن يدخل اليهود في دينه هذه المرة عندما يعود، ومن لا يؤمن بدينه فسوف يقتل مع سائر أعدائه.

وبناء على ذلك خرجت دعوات من داخل الكنائس الأمريكية تطالب باستكمال مملكة إسرائيل الكبرى التي تحدث عنها سفر التكوين.

بم قابل الصهاينة والمتصهينون معروف المسلمين؟:

عاش أهل الكتاب من يهود ونصارى في ظل المسلمين آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم ومعابدهم التي لا زالت باقية حتى يومنا هذا، فكانت شاهداً على عدل المسلمين ورحمتهم.

وفي العصور الوسطى ساءت العلاقة بين اليهود والنصارى، حيث قام الأوروبيون بالتنكيل باليهود وطردهم من بلادهم بعد افتضاح أمرهم في تدبير الفتن الكبرى والمؤامرات الفتّاكة، ولم يجد اليهود الأمان إلا في بلاد المسلمين، فكانوا يتوافدون عليها هرباً من ظلم النصارى، وقد منحهم المسلمون سماحة وحرية لم يكونوا يحلمون بها، وإن المسلم ليعتزّ بتلك المعاملة العادلة الحسنة

http://kotob.has.it

التي قدَّمها الأجداد لهم، فهذه تعاليم ديننا وشرعنا لا نحيد عنها إن شاء الله، غير أنَّه يتألم من إفراط كثير من المسلمين في التسامح ووضع ثقتهم في غير مكانها، الأمر الذي أدّى باليهود إلى التمادي في التطاول على الإسلام وأهله.

كان اليهود ينتظرون مسيحهم المخلِّص ليقيم لهم مملكة الله، وطال انتظارهم حتى وصل إلى حدِّ اليأس، وظهرت الحركة الصهيونية التي تسعَى إلى إقامة الدولة قبل ظهور المسيح تمهيداً لمجيئه، فعرضوا على السلطان العثماني عبد الحميد ـ رحمه الله ـ شراء بعض فلسطين على أن يقدموا له عشرات الملايين من الليرات الذهبية، ولخزينة الدولة أكثر من ذلك، فأبى عليه دينه ومروءته أن يبيع أرض المسلمين، وزادوا الثمن فأبى مع أن الدولة كانت في ضائقة، ولجؤوا إلى التهديد فأصر، وكان ما كان.

كانت بريطانية بعد الحرب العالمية الأولى أكثر البيئات التي نمت فيها الصهيونية غير اليهودية، فأثر ذلك على سياستها، وتعاقب عليها حكومات إنجيليَّة صهيونية، كان منها وزير الخارجية آرثر بلفور الذي أصدر عام (١٩١٧م) وعده المشؤوم بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، وبعد الحرب العالمية الثانية وانتصار الحلفاء تمت المؤامرة بين سايكس وبيكو وزيري خارجية بريطانية وفرنسة على تقاسم البلاد العربية، فأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وتظلَّم اليهود فأظهروا المسكنة واستعطفوا العالم، وخانت بريطانية ميثاق الأمم المتحدة القاضي بالمحافظة على أراضي الدولة التي تحت الانتداب، فسهَّلت هجرة اليهود إلى فلسطين، بل ساعدتهم بطرق خسيسة شتى على طرد السكان الأصليين، وغضَّت الطرف عن المذابح والجرائم والمصادرات إلى أن تم تأسيس الدولة رسمياً عام (١٩٤٨م) واعترف الأوروبيون وغيرهم بها. كان بقاء هذه الدولة مرهوناً بحماية الدول الأوروبية ومساعداتها، فعملت المنظمات الإنجيلية عملها لتأمين الدعم المادي والمعنوي لتقوية الدولة واستمرار الهجرة، فكان هذا من أهل الكتاب ـ وبخاصة اليهود ـ رداً لمعروف المسلمين السابق في الإيواء والحماية، إذ كلٌّ يعمل على شاكلته.

كان اليهود ولا يزالون يهوِّلون من خطر المسلمين في البلدان المحيطة بهم وغيرها، ويبثُّون الكثير من الوشايات الكاذبة، ويدبجون المؤامرات لإيقاع

http://kotob.has.it

المواجهة المستمرة بينهم، لما في نفوسهم من رعب حقيقي من كل ما يمتُّ إلى الإسلام بصلة، وهم يبادرون مع صنائعهم للتضييق على المسلمين وقلع التمسك بالإسلام من نفوسهم بأية طريقة، ليصبحوا أشباحاً، ليس لهم وجود حقيقي، ولقد سلك المتصهينون أيضاً سبيل الصهاينة في معاداة الإسلام، وطفقوا يصفونه بالإرهاب مدَّعين أنَّ الربَّ الذي يعبده المسلمون غير الرب الذي يعبدونه هم، بل إنَّ المبشِّرَيْن: فرانكلن غراهام وبات روبرتسون، والمفكرَيْن: صموئيل هنتنغتون وبرنارد لويس جعلوا الإسلام نفسه عدواً، وهاجمه بات بأقذع العبارات[1].

اتخاذهم أمريكة مطية لإقامة إسرائيل الكبرى:

في السبعينيات من القرن العشرين ظهرت داخل الكنائس الأمريكية تيارات تَسْعَى إلى الإسراع بعودة المسيح من خلال العمل على تجميع اليهود في فلسطين، وتقديم الدعم المادي والسياسي لإقامة الدولة وبناء الهيكل، وفي الولايات المتحدة ما يقارب خمسين مليون أمريكي متصهين يريدون شحن اليهود إلى الضفة الغربية والقدس الشرقية لتقريب عودة المسيح، ويرون أن هذا لن يحدث قبل حشر آخر يهودي في فلسطين وطرد العرب والمسلمين منها، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا إذا حكم أقصى اليمين في أمريكة وإسرائيل. وهؤلاء هم القاعدة الانتخابية لكل رئيس أمريكي، فما على المرشح للرئاسة إلا أن يخطب ودهم ليفوز، ولذلك تقام في البيت الأبيض هذه الأيام صلاة صباح تبشيرية يجري الحديث فيها عن إعادة أمريكة إلى المسيح[2]، وفي كل مرة يجتمع مجلس الأمن

---

(١) وقد أسس المبشِّر (بات روبرتسون) شبكة الإذاعة المسيحية، وفاز عام (٢٠٠٢م) بجائزة صداقة إسرائيل، منحته إياها المنظمة الصهيونية الأمريكية تقديراً لخدماته الجلى لإسرائيل. عن جريدة الحياة، العدد (١٥٢٥١)، تاريخ ٣/١٢/٢٠٠٤م، ١٩/١١/١٤٢٥هـ.

(٢) وبوش رئيس أمريكة يرسم سياسته الخارجية على هذا الأساس، فهو يرى هذه السياسة بمنظار إيمانه المبني على مفهوم ضيق لسفر يوحنا ورسالة بولس إلى أهل تسالونيكي ـ سالونيكا في اليونان ـ حيث ذكر المسيح الدجَّال ومعركة هرمجدون، أو المعركة النهائية بين الخير والشر، وهي معركة يسبقها قتال في وادي الفرات حسب ما جاء في سفر الرؤيا، وهذا ما يوضح حماسته لحرب خاسرة في العراق ناتجة ومدفوعة من أحقاد صهيونية قديمة. =

http://kotob.has.it

القومي في البيت الأبيض لاتخاذ قرار يتعلَّق بالشرق الأوسط يعمل ممثل الكنيسة الإنجيلية ليأتي القرار متفقاً مع الإيمان بالنبوءات الدينية الواردة في التوراة حسب التفسير الحديث الذي وضعته هذه الكنيسة لها .

نصارى مفكّرون يحذّرون من الصهيونية والتصهين:

حذَّر كثير من المفكِّرين الغربيين قديماً وحديثاً من فساد اليهود وإفسادهم ومكرهم بالناس عن طريق التظلُّم والاستعطاف ثم وضع السم بالدسم، كما أن

= ولد بوش في الكنيسة المنهجية، إلا أنه اعتنق بعد ذلك دين زوجته الأسقفية، وهي النوع الأمريكي من الطائفة الإنكليكانية أو كنيسة إنكلترة. له كتاب عنوانه (رحلتي إلى البيت الأبيض)، صدر عام (١٩٩٩م) يحكي فيه قصة تحوُّله إلى الدين بعد أن بلغ أواسط العمر على يد المبشِّر بيلي غراهام، ثم توثق ارتباطه باليمين المسيحي في أواسط الثمانينيات عندما كان يقوم بحملة والده الانتخابية بينهم. وهو يصرِّح بأنه وصل إلى البيت الأبيض بتكليف من الله، فقد ذكَّره القس مارك كريغ بحديث الله مع موسى في سفر الخروج، وقال له: إن أمريكة عطشى لقيادة مؤمنة بالله، وقالت له والدته: إنَّ الله يحبك. فتأييده لإسرائيل ناتج من منطلق ديني عن فهم النصوص على مذهب المتصهينين.

أشار في خطابه بعد حادثة ١١/ ٩/ ٢٠٠١م إلى وقت صعب ومأساة وطنية، ودعا الأمريكيين إلى الصلاة في وجه الكارثة متوكئاً على المزمور (٢٣) مختاراً منه: «إذا سرت في ظل وادي الموت لا أخاف شراً، لأنك معي». وقال في شهر حزيران عام (٢٠٠٣م): إنَّ الله أمره بقتال طالبان ففعل، وأمره بمحاربة صدام حسين ففعل. وبما أنه يحكم حسب دينه وإيمانه لا بمصلحة بلده وشعبه، قال للمبشِّر بات روبرتسون: إنه لا يتوقع إصابات في العراق. وقد قدَّمت القيادة إلى الجنود في العراق خلال الاحتفال بعيد الشكر الطعام التقليدي المعروف، بما فيه الديك الرومي والحلوى والكعك على شكل توراة مفتوحة.

عن جريدة الحياة، العدد (١٥٢٥١)، تاريخ ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٤م، ١٩/ ١١/ ١٤٢٥هـ، والعدد (١٥٢٥٢)، تاريخ ١/ ١/ ٢٠٠٥م، ٢٠/ ١١/ ١٤٢٥هـ.

وقال بوش في خطاب القسم ٢٠/ ١/ ٢٠٠٥م: أمن أمريكة هو الهدف الصعب ــ الحرية من تقاليد هذه الأمة، عشرات الملايين تحرَّروا، بالإضافة إلى ملايين سوف يتحررون بجهودنا، وسنشعل النار في عقول الرجال، سيشعر بدفئها الذي يحس بها، وستحرق الذي يقف أمامها، وفي يوم ما ستصل النار الشعواء إلى الزوايا المظلمة من العالم.

وهو كلام مبطَّن يشير فيه إلى ما يبيته في نفسه ضد أعداء معتقده مستغلاً اسم الحرية والديمقراطية.

http://kotob.has.it

ثمة معارضة واضحة لفكر الصهيونية والمتصهينين وخلطهم الدين بالسياسة. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ قال الرئيس الأمريكي الأسبق بنيامين فرانكلين في خطاب له لدى اجتماع لمجلس تأسيس الولايات المتحدة بعد استقلالها: إنَّ هؤلاء اليهود يدخلون البلاد بصفة دُخلاء مساكين، ثم ما يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدّراتها، ثم يتعالَوْن على أهلها ويحرمونهم من خيرات بلادهم ـ ـ إنهم أبالسة الجحيم وخفافيش الليل ومصاصو دماء الشعوب، أيها السادة، اطردوا هذه الطغمة الفاجرة من بلادنا ـ ـ وإلا فإنكم سوف ترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكّرون، وستجدون أنهم سيطروا على الدولة والأمة ـ ـ وثقوا أنهم لن يرحموا أحفادنا، بل سيجعلوا منهم عبيداً في خدمتهم بينما هم يقبعون في مكاتبهم ويتندرون بسرور بالغ بغبائنا ـ ـ أيها السادة، ثقوا أنكم إن لم تتخذوا هذا القرار فوراً، فإن الأجيال الأمريكية القادمة ستلاحقكم بلعناتها وهي تئن تحت أقدام اليهود[١].

ومن نظر اليوم إلى الولايات المتحدة وتحكُّم اليهود في انتخاباتها وتسخير رجالها وجيشها وأموالها والتضحية بمصالحها وأبنائها وفق أهوائهم ومصالحهم علم صدق فراسة ذلك الرجل الملهم ومصداقية ما توقّعه.

٢ ـ نشر الصحفي البريطاني ماكس هاستنغر مقالاً في (الغارديان) تحت عنوان (اللهمَّ أنقذنا من السياسيين الذين يعتقدون أنَّ الله إلى جانبهم) جاء فيه: إنَّ تشويه التعليم التوراتي كما يمارسه المسيحيُّون الأصوليون لدعم دعاوى الإمبريالية الإسرائيلية في الضفة الغربية يزيد صعوبة بالوصول إلى تسوية في الشرق الأوسط، والأرجح أن النفوذ السياسي للأصوليين في الولايات المتحدة المعارض لتسليم أي جزء من أرض التوراة إلى المسلمين سيزيد في المستقبل بدلاً من أن ينقص، كلُّنا يدرك أنَّ القيام بجهد إيجابي لإنقاذ الفلسطينيين سيفيد أمن الغرب على المدى الطويل، ومع ذلك لا يوجد سياسي غربي واحد يجرؤ على دور الأصوليين الأمريكيين[٢].

---

(١) عن كتاب: اليهودية العالمية، ص٧٤.

(٢) عن مقال لجهاد الخازن، نشره في جريدة الحياة، العدد (١٥٢٥٢)، تاريخ =

http://kotob.has.it

أليس هذا ما يحدث على أرض الواقع؟ ألم تضحِّ الولايات المتحدة بمن يعدُّون أنفسهم أصدقاءها وتجني منهم خيرات طائلة؟ ألم تتحمل عداوة شعوب كثيرة وكبيرة من تنفيذ رغبات الصهاينة في حرب خاسرة؟ .

٣ ـ صنَّفت القسِّيسة اللوثرية بربارة روسنغ كتاباً عنوانه (كشف الصعود رسالة الأمل في سفر الرؤيا)، استهلته بالجملة التالية: «الصعود عملية نصب»، ثم بيَّنت فيه أن الصعود ـ أي: إلى الغمام لملاقاة المسيح ـ تشويه للدين المسيحي، وأساسه التوراتي ضعيف، وأكَّدت أنَّ هدف سفر الرؤيا يختلف تماماً عن مزاعم قرب نهاية العالم الذي يتشدَّق به المتصهينون، وأوضحت أنه إنما كان يحفز البشرية على التوبة والعدالة.

٤ ـ قررت الجمعية العامة للكنيسة المشيخية الأمريكية، وهي تضم ثلاثة ملايين عضو، سحب استثماراتها من إسرائيل ومنع الاستثمار فيها. كما قرَّرت الجمعية أيضاً عدم الاكتفاء بإدانة الاحتلال الإسرائيلي، بل يجب اتخاذ خطوات عملية ضده.

٥ ـ قالت كورين ويتلاك المديرة التنفيذية لمجموعة الكنائس العاملة في الشرق الأوسط: إنها تعرف أنَّ طوائف بروتستانتية أخرى تفكِّر في موقف مماثل، مثل الكنيسة المنهجية والكنيسة المتحدة والكنيسة الأسقفية.

٦ ـ قال أنطونيوس كيروبولس المسؤول في مجلس الكنائس الوطني: إنَّ ستّاً وثلاثين طائفة بروتستانتيةوأرثوذكسية شرقية ترفض فكرة المتصهينين.

٧ ـ زار القَس نايل هاربر من الكنيسة المشيخية دمشق وأعلن منها أنَّ الاحتلال الإسرائيلي خاطئ، ويدمِّر الشعب الفلسطيني، وأضاف أن كنيسته قررت سَحْب استثماراتها من أية شركة تتعامل مع إسرائيل.

٨ ـ حمل القس جايلز فريز رئيس كنيسة لندنية ومحاضر في الفلسفة، حمل على التبشريين المتطرفين الذين يروجون لمعاداة الإسلام والخوف منه.

= ١/١/٢٠٠٥م = ٢٠/١١/١٤٢٥هـ.

http://kotob.has.it

٩ ـ دعا مؤتمر السبيل المتصهينين إلى الكف عن توقع المعركة الأخيرة بين الخير والشر، وطالب كنائس العالم بالصلاة من أجل الفلسطينيين، وذكر ما يعانيه الشعبان الفلسطيني والإسرائيلي، فهما ضحية سياسة الاحتلال، وانتقد ما تقوم به إسرائيل من بناء ما تسميه الجدار الأمني، وأكّد على أنَّ جميع الشعوب متساوون أمام الله، ثم دعا الناس الطيبين في كل مكان إلى نبذ لاهوت المسيحية الصهيونية وكل الإيديولوجيات التي تفضِّل شعباً على حساب شعب آخر، وأوضح أنَّ إيديولوجية المتصهينين تهدف إلى إقامة إمبراطورية استعمار وتفرقة عنصرية.

١٠ ـ أصدر القس ستيفن سايرز رئيس كنيسة المسيح في بلدة فرجينيا ووترز في إنكلترة، أصدر كتاباً بعنوان (المسيحيون الصهيونيون على طريق هرمجدون) أبرز فيه ثلاثة أمور:

الأول: أن الجذور التاريخية للنزاع الإسرائيلي سببها مسيحيون في بريطانية في القرن التاسع عشر، خلطوا أفكارهم التوراتية بمصالح سياسية للسيطرة على الشرق الأوسط.

الثاني: أن انتقال هذه الحركة من بريطانية إلى الولايات المتحدة مطوَّرة لاهوتياً تجعل اليهود فوق غيرهم من الشعوب والقدس عاصمة لهم وحدهم سيؤدي في المستقبل إلى نهاية فظيعة للعالم.

الثالث: دراسة العواقب السياسية لمثل هذا التفكير.

وهو يرى أن المتصهينين كفرة بالمفهوم المسيحي، ويعدّهم أكثر الجماعات المسيحية تدميراً في العالم اليوم[١].

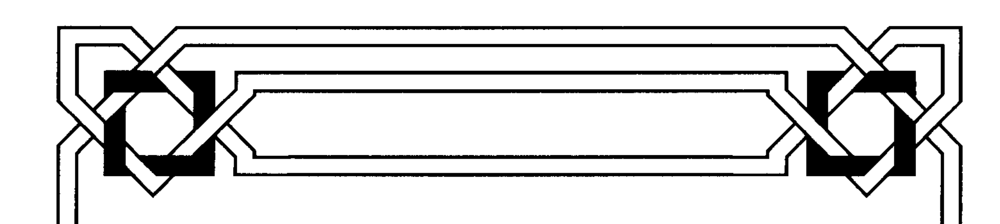
* * *

---

(١) عن جريدة الحياة، العدد (١٢٥٦)، تاريخ ٦/ ١/ ٢٠٠٥م = ٢٥/ ١١/ ١٤٢٥هـ.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



القِسْمُ الثَّاني

أسفار اليهود والسّمو الرّوحيّ والخلقيّ

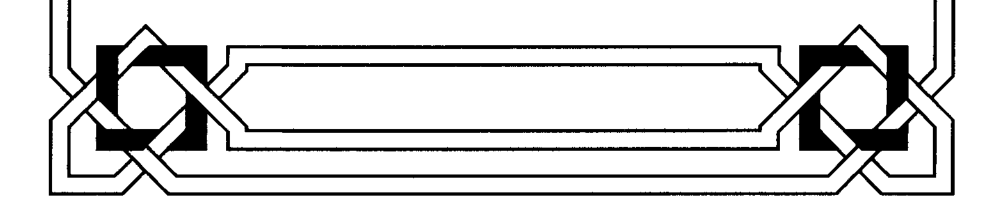
ويتضمن ما يلي :

١ ـ توطئة هامة بين يدي القسم

٢ ـ الباب الأول : مجانبة أسفارهم للسمو الروحي والخلقي

٣ ـ الباب الثاني : افتراؤهم على الأنبياء

٤ ـ الباب الثالث : فضائح حكمائهم



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

توطئة هامة

بين يدي القسم

المعروف من أخلاق اليهود وطبائعهم حرصهم على الانتفاع من غيرهم وعدم نفعه بشيء إلا إذا كان وسيلة لمنفعة أكبر، أو لدفع ضرر، فقد طُبعوا منذ نعومة أظفارهم على الانحراف بسبب غرورهم بما افترته أحبارهم، فلا تستجيب جبلَّتهم لدواعي الخير ولا تستقيم على الهدى، ولذلك جحدوا كلَّ فضل قدَّمه إليهم غيرهم، وقابلوه بالطمع وقساوة القلب، فكرهتهم الأمم واضطهدتهم في كلّ مكان كما سلف في القسم الأول.

قال (أرنست بيفن) وزير الخارجية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية: إنَّ العهد القديم هو أشد الكتب بُعْداً عن الأخلاق.

وقال (برنارد لارا): اليهودي حافَظَ دينياً على فكرة الاستعلاء والتفوُّق والنظر بأنفةٍ واحتقارٍ إلى جميع الغرباء عن شريعته.

إنَّ نظرة واعية في أسفارهم تبين لنا أن أمرهم كلَّه من أساسه مبني على التآمر والخداع؛ فقد مارسوه أولاً فيما بينهم ضدَّ أبيهم يعقوب وأخيهم يوسف ـ عليهما السلام ـ فكان هذا أول فسادهم وإفسادهم في الأرض، ثم استمرّوا عليه منذ نشأتهم كما سنرى إن شاء الله حتى نهاية مملكتهم في فلسطين، وازداد بعد السَّبْي، وأوغل بعد الشتات، فصار يحاك ضدَّ الشعوب التي يقيمون فيما بينها، وكان تطلُّعهم دائماً إلى الملك والقوة والغنى، لتحقيق عقيدتهم في الأفضلية، وسبيلهم إلى ذلك جمع المال من أي طريق كان، والتقرُّب من السلطات وأصحاب النفوذ بالإغواء والإغراء حتى باستخدام النساء، لتحريكهم والتلاعب بهم من وراء ستار من أجل إيقاع الفتن والحروب بين الشعوب لضمان مصالحهم.

لقد احترف اليهود التآمر وأتقنوا فنونه، فما من فن من فنون الخداع والاستغلال إلا ولهم في أسفارهم مستند يجوِّزه لهم ويحببه إليهم، وقد بيَّن

http://kotob.has.it

القرآن الكريم هذا بأوجز عبارة حيث قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، فماذا نتوقع من شعب تربَّى منذ المهد على تلك الأسفار وعلى التلمود المليء بالعصبية الضيقة والضارة؟!.

وفي العصر الحديث بعد قيام دولتهم انتشرت فتاوى الحاخامات العنصرية، ولا سيما فتاوى ابن مَيْمون، وهو من أهم أحبارهم، فقد حدَّد ثلاثة أوامر يجب فعلها:

١ ـ لا تُثْنِ على الكفار حتى لا يظنهم اليهود طيّبين.

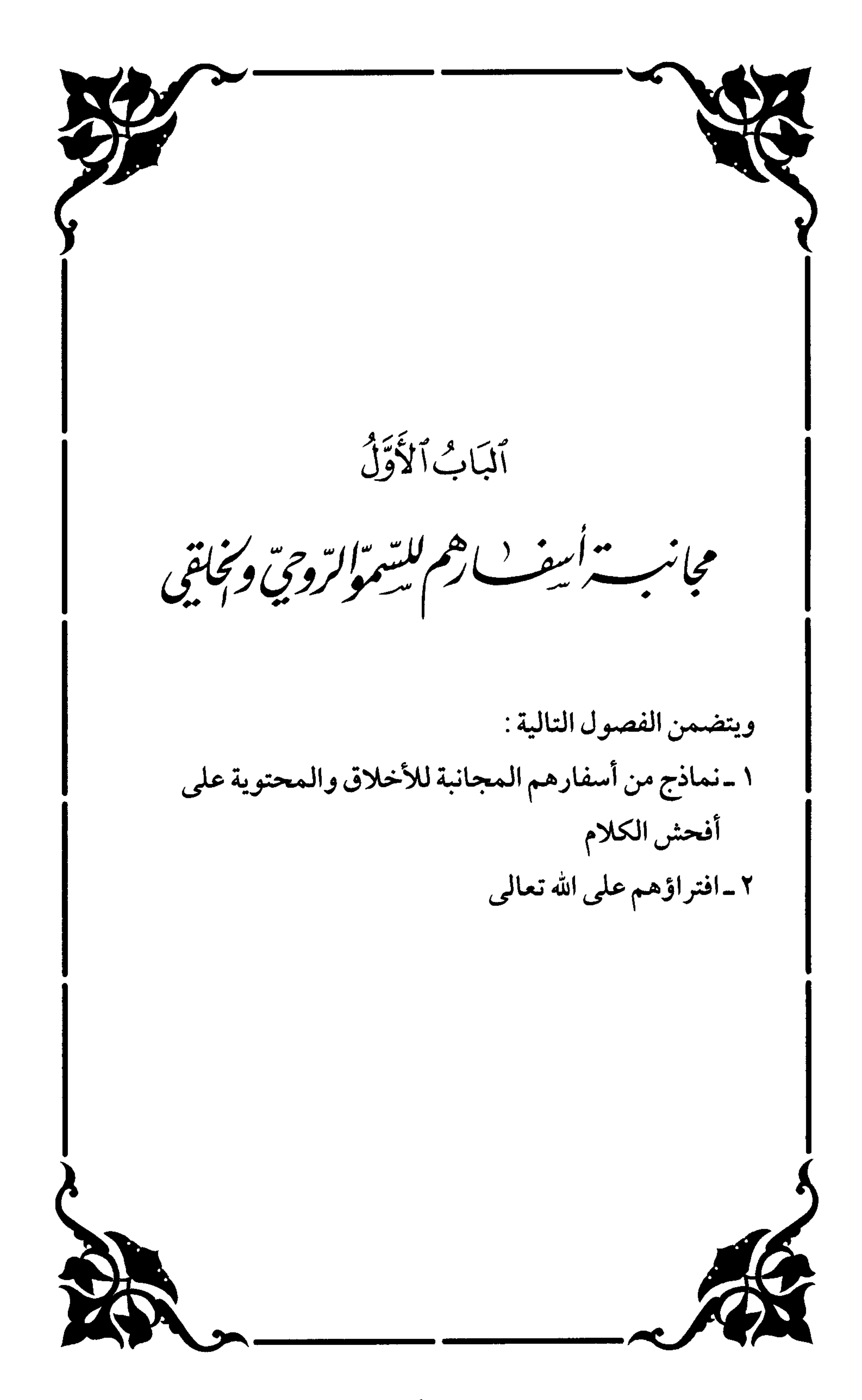
٢ ـ لا تصفح عن غير اليهود ولا تعطف عليهم ولا ترحمهم.

٣ ـ لا تمنح غير اليهود مكاناً للاستقرار في الأرض المقدَّسة.

وهكذا دفعهم حاخاماتهم إلى استخدام أساليب المكر والخداع والتآمر مستندين إلى ما في أسفارهم من أمثلة وشواهد، فهل يمكن تسمية توراتهم وسائر أسفارهم كتاباً مقدَّساً؟! وهل يمكن تسمية حاخاماتهم بالحكماء؟! أين هذه الأسفار من القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة؟ وأين هذه الأخلاق من أخلاق المسلمين؟ وأين تعاليم الحاخامات من تعاليم علماء المسلمين الخلقية والاجتماعية؟ وكان مما اشتهر وشاع منها بين المسلمين على مرّ التاريخ: «ثلاثة المسلم والكافر فيها سواء: من عاهدته فوفِّ بعهده مسلماً كان أو كافراً، فإنما العهد لله. ومن كانت بينك وبينه رَحِم فصِلْها، مسلماً كان أو كافراً. ومن ائتمنك على أمانة فأدِّها إليه، مسلماً كان أو كافراً». إنها تعاليم مُسْتقاة من روح القرآن الكريم والسنَّة المطهَّرة. وسوف نرى في هذا القسم مجانبة الأسفار التي جمعها الأحبار للسموّ الروحي والخلقي إن شاء الله.

* * *

http://kotob.has.it



ٱلبَابُ ٱلأَوَّلُ

مجانبة أسفارهم للسمو الروحي والخلقي

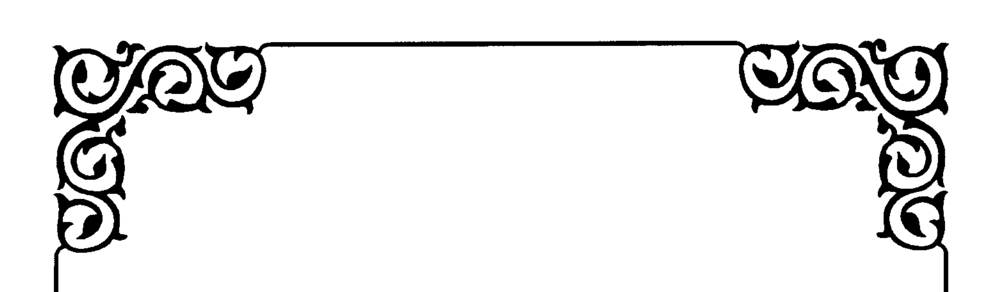
ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ نماذج من أسفارهم المجانبة للأخلاق والمحتوية على أفحش الكلام

٢ ـ افتراؤهم على الله تعالى

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الأول

نماذج من أسفارهم المجانبة للأخلاق والمحتوية على أفحش الكلام

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ الإغراء بالنساء

٢ ـ احتواؤها على أفحش الكلام





http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
الإغراء بالنساء

أولاً: سفر أستير:

يحاول كاتب السفر أن يظهر أنه رواية مأساوية تاريخية مرَّ بها الشعب اليهودي في أيام الملك أَحَشْويروش الذي ملك من الهند إلى كوش ـ الحبشة ـ على مئة وسبع وعشرين إقليماً، وكانت مدينة شُوشَن عاصمة مُلكه كما في ١/١ ـ ٢ من السِّفْر، لكن من تأمل فيه علم أنَّ الغاية من كتابته حضُّ اليهود على استخدام كافَّة الوسائل والأساليب، ومنها النساء في سبيل الوصول إلى أهدافهم:

ففي ١/١٠ ـ ١٢: أنَّ الملك طاب قلبه بالخمر، فأمر رجاله أن يأتوا بالملكة وعليها التاج ليرى الزعماء والناس جمالها، فأبَتْ واضطرم غضب الملك.

١/١٣ ـ ٢١: شاور الملك جلساءه في أمرها، فأشاروا عليه بطردها وإعطاء مُلكها لمن هي خيرٌ منها. حتى لا تحتقر النساء أزواجهن، فحسنت المشورة في عين الملك وفعل.

٢/١ ـ ٤: أشار عليه الذين يخدمونه بأن يجمع الأبكار الحسان ويختار ففعل.

٢/٥ ـ ٩: وكان في شوشَن رجل يهودي، اسمه مَرْدخاي بن يائير، أخذ من أورشليم مع أهل الجلاء، وكان حاضناً لابنة عمه اللطيمة هَدَسَّة، أي: أسْتير، فقد تبنَّاها بعد موت والديها وكانت جميلة الصورة حَسَنة المنظر. فلما سمع بأمر الملك أدخل هَدَسَّة مع الداخلات، فحسنت في عيني الملك، ونالت حظوة عنده.

٢/١٠ ـ ١١: ولم تُخبِر أستير عن شعبها وجنسها، لأنَّ مردخاي أوصاها أن لا تخبر.

٢/١٧ ـ ١٨: استطاعت أن تصل إلى قلب الملك رويداً رويداً، فأحبَّها

http://kotob.has.it

أكثر من جميع النساء، ووضع التاج على رأسها وملكها مكان زوجته الأولى.

٢/ ٢١ ـ ٢٣: وفي تلك الأيام بينما كان مردخاي بباب الملك اضطرم غيظ اثنين من حراس الأعتاب، وقصدا أن يمدَّا أيديهما إلى الملك، وعلم مردخاي بالأمر، فأخبر أستير، فأخبرت الملك، وذكرت اسم مردخاي صاحب الخبر، ثم تحقَّق الملك من الأمر، فصلب الحارسين.

وهكذا استطاعت بتدبير ابن عمها مردخاي أن تصل إلى قلب الملك، وتتحول من محظية إلى ملكة ملكت عقله بجمالها وذكائها حتى تحكَّمت فيه كما سنرى.

٣/ ١ ـ ٤: عظَّم الملك هامانَ ورقَّاه، وجعل كرسيّه فوق جميع الرؤساء الذين معه، فكان عبيد الملك الذين بالباب يجثون ويسجدون لهامان حسب وصية الملك، إلا مردخاي فلم يكن يجثو ولا يسجد، فطلبوا منه مراراً أن يسجد ولا يتعدَّى أمر الملك فأبَى، وأخبرهم أنه يهودي. فأخبروا هامان بذلك فامتلأ غضباً.

وكان هامان عدوّاً لليهود لما رآه من كثرة جرائمهم وطباعهم، فكان ينكل بهم وسعى لاستصدار أمر من الملك بإعدام كثير منهم بتهمة التآمر ضد العرش.

جاء في ٣/ ٨ ـ ١٠ من السفر: قال هامان للملك: يوجد شعب منتشر بين الشعوب في جميع أقاليم مملكتك، سنتهم مخالفة جميع الشعوب، ولا يحفظون سنن الملك، فلا يليق بالملك تَرْكهم، فإن حَسُن عند الملك فليكتب في تدميرهم. فنزع الملك خاتمه من يده ودفعه إلى هامان.

٣/ ١٣ ـ ١٥: وبعثت الرسل إلى جميع الأقاليم في إهلاك وقَتْل وإبادة جميع اليهود في اليوم الثالث عشر من الشهر الثاني ـ أي: آذار ـ وأن يسلبوا غنائمهم.

٤/ ١ ـ ٢: ولما علم مردخاي بذلك مَزَّق ثيابه، وألقى عليه مِسْحاً ورماداً، وخرج إلى وسط المدينة، وصرخ صراخاً عظيماً، ثم جاء إلى قُدَّام باب الملك.

٤/ ٤ ـ ٩: أخبرت الجواري أستير بذلك، فأرسلت إليه رجلاً ليسأله عن السبب، فأعطاه صورة كتابة الأمر لتطَّلع عليها، وأوصاها بأن تدخل إلى الملك وتتضرع إليه.

http://kotob.has.it

٥/١ ـ ٥ : وفي اليوم الثالث عشر لبست أستير ثياباً ملكيّة ووقفت مقابل بيت الملك وهو جالس على كرسيه مقابل مدخل البيت، فلما رآها أذن لها وأبدى استعداده لإجابة طلبها ولو طلبت نصف المملكة، فأخبرته أنها عملتْ وليمة، فإن رأى الملك أن يأتي إليها معه هامان، فقبل دعوتها.

٧/١ ـ ١٠ : جاء الملك وهامان ليشربا عند أستير في اليوم الثاني، ثم قال لها عند الشرب: ما طِلبتك ولو إلى نصف ملكي؟ فقالت: أيها الملك، أنا وشعبي مبيعون للهلاك. فقال: ومن الذي يجرؤ أن يفعل هكذا؟. فقالت: رجل خصم وعدوّ، هو هامان الردي، فارتعد هامان، وقام الملك غاضباً عن شرب الخمر إلى حديقة القصر ثم رجع وكان هامان قد خرَّ على السرير الذي عليه أستير يتوسَّل إليها، لأنه رأى الشرَّ قد تمَّ عليه. فقال الملك: أيُغْضب الملكة معي؟! ثم أمر بصلبه، فصلب على الخشبة التي أعدَّها لمردخاي. ثم سكن غضب الملك.

وهكذا فعلت بتوجيه ابن عمها: دخلت على الملك وأظهرت له أصلها اليهودي، ثم أسكرته واتهمت هامان بالتآمر على الملك وظلم الشعوب فصدَّقها، وحصلت منه على أمر يقضي بإهلاك هامان وأولاده، وعلى أمر آخر يسمح لليهود بإهلاك الشعوب المعادية لهم كما جاء في السفر.

٨/ ١ ـ ٣: في ذلك اليوم أعطى الملك لأستير بيت هامان، وأتى مُرْدخاي إلى أمام الملك، لأن أستير أخبرته بما هو لها، فنزع خاتمه الذي أخذه من هامان وأعطاه لمردخاي، وأقامت أستير مردخاي على بيت هامان، ثم عادت وسقطت عند رجلي الملك وبكت، وتضرَّعت إليه أن يزيل شرّ هامان الذي دبَّره على اليهود.

٨/ ٧ ـ ٨: فقال الملك لأستير ومردخاي ـ ـ فاكتبا أنتما إلى اليهود ما يحسن في أعينكما واختماه، لأن الكتابة باسم الملك وخاتمه لا تردّ.

٨/ ١٠ ـ ١١ : فكتب باسم الملك وختم بخاتمه، وأرسل رسائل إلى كل إقليم بما أعطى الملك اليهود من سلطة في أن يجتمعوا ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا كل شعب وإقليم تضادهم حتى الأطفال والنساء، وأن يسلبوا غنائمهم.

٨/ ١٥ ـ ١٧ : وخرج مردخاي من أمام الملك بلباس ملكي وتاجٍ عظيم من

http://kotob.has.it

ذهب، وكان لليهود فرح وبهجة وكرامة وولائم في كل البلاد والمدن التي وصل إليها أمر الملك، وكثير من شعوب الأرض تهوَّدوا، لأن رعب اليهود وقع عليهم.

٩/ ٣ ـ ٦: اجتمع اليهود في مدنهم في كل بلاد الملك ليمدُّوا أيديهم إلى طالب أذيتهم، فلم يقف أحد قدَّامهم، لأن رعبهم سقط على جميع الشعوب، وساعد عمال الملك اليهود، لأن رعب مردخاي سقط عليهم ـ ـ فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك، وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا، وقتلوا في شَوْشَن خمسمئة رجل.

٩/ ١١ ـ ١٩: في ذلك اليوم أُتي بعدد القتلى في شَوْشَن إلى بيت الملك فقال لأستير: قد قتل اليهود وأهلكوا في شوشن خمسمئة رجل وبني هامان العشرة، فما هو سؤلك فيعطى لك؟ فقالت: إنْ حَسُنَ عند الملك فليعطِ غداً أيضاً لليهود الذين في شوشن أن يعملوا كما في هذا اليوم، ويصلبوا بني هامان العشرة على الخشبة. فأمر الملك أن يعملوا هكذا، فصُلبوا ثم اجتمع اليهود الذين في شوشن في اليوم الرابع عشر من شهر آذار، وقتلوا فيها ثلاثمئة رجل، وباقي اليهود الذين في بلدان الملك قتلوا خمسة وسبعين ألفاً في اليوم الثالث عشر من شهر آذار، واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه، وجعلوه يوم شرب وفرح. ولذلك جعل يهود الأعراء ـ أي: الساكنون في المدن غير المسورة ـ اليوم الرابع عشر من شهر آذار للفرح والشرب.

عيد الفوريم (المساخر) الكرنفال:

جاء في السفر ٩/ ٢٠ ـ ٢٣: وكتب مردخاي هذه الأمور وأرسل رسائل إلى جميع اليهود في كل بلدان الملك ليوجب عليهم أن يُعَيِّدوا في اليوم الرابع عشر من شهر آذار والخامس عشر منه في كل سنة حسب الأيام التي استراح فيها اليهود من أعدائهم، والشهر الذي تحول عندهم من حزن إلى فرح، ليجعلوها أيام شرب وفرح. فقبل اليهود.

٩/ ٢٤ ـ ٢٨: ولأنَّ هامان ألقى فُوراً ـ أي: قرعة ـ لإفناء اليهود وإبادتهم، وبعد دخول أستير إلى الملك ارتدَّ تدبيره على رأسه وعلى أولاده، دعوا هذين اليومين فوريم، أخذاً من اسم الفور، لذلك قبل اليهود وأوجبوا على أنفسهم

http://kotob.has.it

وعلى نسلهم وعلى جميع الذين يلتصقون بهم أن يُعيدوا هذين اليومين، وأن يُذكرا ويحفظا في كل جيل وكل عشيرة وكل إقليم وكل مدينة، لا يزولان من وسط اليهود، وذكرهما لا يفنى من نسلهم.

٩/ ٢٩ ـ ٣٢: وكتبت أستير الملكة ومردخاي اليهودي بإيجاب رسالة الفوريم هذه ثانية، وبعث بالرسائل إلى جميع اليهود في المئة والسبعة والعشرين إقليماً من المملكة، لإثبات يومي الفوريم هذين في أوقاتهما، وأوجبوا على أنفسهم وعلى نسلهم أمور الصيام والصراخ، وأثبت أمر أستير أحكام الفوريم هذه، فكتبت في السِّفر.

وهكذا سنت لهم أستير ومردخاي عيد الفوريم، ويبدأ عند اليهود من ليلة اليوم الثالث عشر من شهر آذار من السنة اليهودية، فيصومون اقتداء بأستير، التي نذرت أن تصوم في هذا اليوم، ثم يعيدون في اليومين التاليين، فيقومون فيهما بلبس الأقنعة والملابس التنكرية، ويكثرون من شرب الخمور والفواحش على طريقتهم في شكر النعم.

هذا. وقد اشتهر هذا العيد لدى المسلمين الذين كان اليهود يعيشون بينهم باسم عيد المَسْخَرة.

مدى صحة هذا السفر:

حفظ هذا السفر في التوراة العبرية، ويتكون فيها من عشرة فصول فقط، وهو يقرأ كل سنة في عيد الفوريم الصاخب الذي يعدُّ ذكرى لتلك الحوادث.

تعترض تاريخية التفصيل وجوهر السفر صعوبات جمة، حاك المؤلف حول ذكرها قصة خيالية، وهو حديث دون شك، وربما يرجع تاريخه إلى الجيل الثاني قبل المسيح عليه السلام.

لم يرد في نص السفر ذكر الله البتة، واستدراكاً لهذا النقص ذُيِّل السفر في النص اليوناني وسائر الترجمات بصلوات يرفعها مردخاي وأستير.

فالفصل العاشر في النسخة العبرية مكون من ثلاث فقرات. وقد زيد فيه في اليونانية عشر فقرات أخرى فصار ثلاث عشرة فقرة. وقد جاء بعد الفقرة الثالثة في

http://kotob.has.it

اليونانية ما يلي: «قال القديس إيرونيوس: هذا ما وجدناه في النسخة العبرانية قد ترجمناه مدققاً، وما يليه وجدناه مكتوباً في النسخة العامية المسطورة بالكتابة واللغة اليونانية، وكان بعد ختام هذا الفصل التالي، فضربنا عليه خطاً على مألوف عادتنا».

وزيد فيه الفصل الحادي عشر والثاني عشر، وجاء بعده ما يلي: «إلى هنا كانت المقدمة، وما يلي مُورَد عند قوله في أثناء السفر. وغنموا أملاكهم وأموالهم. ولم نجده إلا في النسخة العامية فقط».

وزيد فيه أيضاً الفصل الثالث عشر، وجاء بعد الفقرة السابعة ما يلي: «إلى هنا صورة الرسالة، وما يلي وجدناه مكتوباً بعد قوله: فمضى مردخاي وصنع جميع ما أمرته أستير. ولا وجود له في العبرانية ولا في نسخة أحد». ثم ذكر بعد ذلك إحدى عشرة فقرة، فصار مجموع الفصل ثماني عشرة فقرة.

وزيد فيه أيضاً الفصل الرابع عشر والخامس عشر، وجاء في أوله ما يلي: «ثم وجدنا هذا مزيداً في النسخة العامية». وبعد ثلاث فقرات فيه جاء: «ثم وجدنا هذا أيضاً»، وذكر بعد هذه العبارة ست عشرة فقرة، فصار مجموع الفصل تسع عشرة فقرة.

وزيد فيه أيضاً الفصل السادس عشر، وجاء في أوله: «ونسخة رسالة الملك أرتحشتا التي كتبها اليهود إلى أقاليم ملكه لا وجود لها في النسخة العبرية»[1].

فلا يعلم ما هو قديم وما هو حديث في هذا الجزء، ويظهر أن هذا السفر من وضع الأحبار، حاكوا هذه القصة وجعلوها سفراً كاملاً ليتعبَّد اليهود بقراءته في عيد الفوريم ربَّهم، ويحاكوه بعد ذلك في أعمالهم، فلا عليهم من استخدام كافة الأساليب بما فيها النساء في سبيل الوصول إلى الدولة وإحكام السيطرة على العالم بوصفهم الشعب المختار.

---

(١) الحواشي على الكتاب المقدس، ص٨٧٧.

http://kotob.has.it

ثانياً: سِفْر يَهُوديت:

وثمة سفر آخر، اسمه سفر يَهُوديت مكوَّن من ستة عشر فصلاً، لا وجود له في التوراة العبرية، وإنما هو في النسخة اليونانية، وهو مشابه في موضوع الرواية لسفر أستير، وهي أنَّ نبوخذنصَّر ملك أشور بعث بجيش قوي ضد أَرْفَكْشاد ملك الماديِّين ليخضعه ويذلّ جميع حلفائه، ومنهم اليهود. كما في الفصل الأول.

ضرب قائد الجيش (أليفانا) الحصار على الحصن اليهودي (بَيْتَ فَلْوي)، وأوشك الحصن أن يسقط، لكن المحاصرين نَجَوا بفعل امرأة أرملة جميلة المنظر جداً، فقد اتفقت مع قومها على أن تتظاهر بالهرب، وقالت لهم: اعلموا أنَّ ما عزمتُ عليه هو من قِبَل الله، ولم تفصح لهم عن قصدها، ثم رسمت معهم خطة لخروجها من باب الحصن كما في الفصل الثامن.

تزيَّنت وتطيَّبت ثم خرجت مع وصيفتها من الباب، ولما نزلت من الجبل أمسكتها طلائع الآشوريين، فقالت: إني بنت للعبرانيين، وقد هربتُ من بينهم، لأنهم في أسوأ حال، وقد أيقنت أنهم سيكونون غنيمة لكم، فعزمت أن أذهب إلى القائد أليفانا لأخبره بأسرارهم، وأعلمه من أي مدخل يستطيع أن يظفر بهم دون أن يُقتل رجل من جيشه، فاندهشوا من حسنها وحديثها، ثم أخذوها إلى القائد، فلما دخلت عليه اصطادته بعينيها وسجدت له، فأمر بإنهاضها كما في الفصل العاشر.

وبعد ذلك اضطرب قلب القائد، لأنَّ شهوته اشتدَّت، فأكل معها، وأغرته فسقته خمراً كثيراً جداً حتى أسكرته كما في الفصل الثاني عشر.

فقدَ وعيه ونام من شدة سُكره، فدنت من سريره، واستلَّت خنجره، ثم أخذت بشعر رأسه، وضربت عنقه مرتين فقطعت رأسه، ونزعت خيمة سريره عن العمد، ودحرجت جثته عن السرير، ثم خرجت إلى وصيفتها فناولتها الرأس، وأمرتها أن تضعه في مزودها ثم انطلقتا واجتازتا المعسكر، ودارتا في الوادي حتى انتهتا إلى باب الحصن، فنادت الحراس وفتحوا لها الباب، ولما صارت بينهم في الحصن أخرجت الرأس من المزود، وأرتهم إياه ففرحوا كما في الفصل الثالث عشر.

http://kotob.has.it

وعندما تبلج النهار علَّقوا الرأس على الأسوار، وأخذ كل رجل منهم سلاحه، ثم خرجوا بجلبة عظيمة وصراخ. جاء بعض حراس القائد أليفانا ليوقظوه، ثم دخلوا فوجدوا جثته بلا رأس. ولما سمع رؤساء الجيش اضطربوا وملكهم الخوف فهربوا. سعى اليهود في أعقابهم، فأهلكوا من أدركوه، وأخذوا الغنائم فأثروا جميعاً. وأتى الكهنة من أورشليم فباركوا يهوديت، وأعطوها كل ما كان لأليفانا من ذهب وفضة وجواهر وأمتعة كما في الفصل الرابع عشر والخامس عشر.

مدى صحة هذا السفر:

يظهر أنَّ السفر حديث التأليف، وضعه أحبارهم ليَحُضُّوهم على استخدام كافَّة الأساليب بما فيها الإغراء بالنساء لتحقيق أهدافهم. ويصعب إثبات صفته التاريخية، بل هو مستحيل لما فيه من أخطاء تاريخية ووقائع بعيدة الاحتمال[1].

* * *

(١) الحواشي على الكتاب المقدس، ص٨٥٢.

http://kotob.has.it

[٢]

احتواؤها على أفحش الكلام

ورد في أسفارهم كلمات قبيحة، مخلَّة بالآداب، لا تليق بكتاب سماوي مقدَّس، سواء كانت حقيقة أو مجازاً. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ جاء في سفر حِزْقيال ١٦/ ١ ـ ٣: وكانت كلمة الرب إليَّ قائلة: يا ابن آدم عرِّف أورشليم برجاستها وقل: هكذا قال السيد الربُّ لأورشليم.

١٦ ـ ٢٧ ـ ٣٤: فهأنذا قد مددتُ يدي عليكِ، ومنعتُ عنكِ فريضتك، وأسلمتك لمرام مبغضاتك بنات الفلسطينيين اللواتي يخجلن من طريقك الرذيلة. وزنيتِ مع بني أَشُّور، إذ كنت لم تشبعي فزنيت بهم ولم تشبعي أيضاً، وكَثّرتِ زناك في أرض كنعان إلى أرض الكلدانيين، وبهذا أيضاً لم تشبعي. ما أمرضَ قلبك إذ فعلتِ كلَّ هذا فعلَ امرأة زانية سليطة، ببناء قُبتك في رأس كل طريق، وصنعِك مرتفعتك في كل شارع، ولم تكونوا كزانية بل محتقرة الأجرة. أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيِّين مكان زوجها، لكل الزواني يعطون هدية، أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هدايا، ورشيتيهم ليأتوك من كل جانب للزنى بك، وصار فيك عكس عادة النساء في زناك، إذ لم يُزن وراءك، بل أنت تعطين أجرة، ولا أجرة تعطى لك، فصرت بالعكس.

١٦/ ٣٥ ـ ٣٨: فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب: من أجل أنه قد أُنفق نحاسك وانكشفت عورتك بزناك بمحبيك، وبكل أصنام رجاساتك ولدماء بنيك الذين بذلتيهم لها، هأنذا أجمع جميع محبيك الذين لَذَذْت لهم، وكلَّ الذين أحببتيهم مع كل الذين أبغضتيهم، فأجمعهم عليك من حولك، وأكشف عورتك لهم، لينظروا كل عورتك، وأحكم عليكم أحكام الفاسقات السافكات الدم، وأجعلك دم السَّخْط والغَيْرة.

٢ ـ وجاء في ٢٣/ ١ ـ ١٠ من السفر نفسه: وكان كلام الربِّ إليَّ قائلاً: يا بن آدم، كان امرأتان ابنتا أم واحدة، وزنتا بمصرَ، في صباهما زنتا، هناك دُغْدِغتْ ثديُّهما، وهناك تزغزغت ترائب عِذْرتهما، واسمهما: أُهولةُ الكبيرة، وأهوليبَةُ

http://kotob.has.it

أختها، وكانتا لي، وولدتا بنين وبنات، واسماهما السامرة أهولة، وأورشليم أهوليبة. وزنت أهولة من تحتي، وعشقت محبيها أشّور الأبطال، اللابسين الأَسْمانْجونيَّ ولاة وشِحناً، كلهم شبان شهوة، فرسان راكبون الخيل، فدفعَتْ لهم عُقرها لمختاري بني أشور كلهم، وتنجستْ بكل من عشِقَتْهم بكل أصنامهم، ولم تترك زناها من مصر أيضاً، لأنهم ضاجعوها في صباها، وزغزغوا ترائب عِذْرتها، وسكبوا عليها زناهم، لذلك سلمتُها ليد عشاقها، ليد بني أشور الذين عشقتهم، هم كشفوا عورتها، أخذوا بنيها وبناتها، وذبحوها بالسيف، فصارت عبرة للنساء، وأجروا عليها حكماً.

٢٣/ ١١ ـ ٢١: فلما رأت أختها أُهوليبة ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها، وفي زناها أكثر من زنى أختها، عشقت بني أشور الولاةَ والشِّحَن الأبطال اللابسين أفخر لباس، فرساناً راكبين الخيل كلهم شبان شهوة. فرأيتُ أنها قد تنجست، ولكلتيهما طريق واحدة. وزادت زناها، ولما نظرت إلى رجال مصوَّرين على الحائط، صور الكلدانيين ـ ـ عشقتهم عند لمح عينيها إياهم، وأرسلت إليهم رسلاً إلى أرض الكلدانيين، فأتاها بنو بابل في مضجع الحب، ونجسوها بزناهم فتنجست بهم، وجَفَتْها نفسها، وكشفت زناها، وكشفت عورتها، فجفتها نفسي كما جفت نفسي أختها، وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر، وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير، ومنيُّهم كمني الخيل. وافتقدتِ رذيلة صِباك بزغزغة المصريين ترائبك، لأجل ثدي صباك.

سبحانك هذا بهتان عظيم حاش لله أن يقول مثل هذا، بل إنما لا يقوله ولا يعرفه إلا من احترف ترتيب عمليات الزنى.

٣ ـ وجاء في سفر هوشع ١/ ٢ ـ ٣: أولُ ما كلم الرب هوشع قال: خُذْ لنفسك امرأة زنى، وأولاد زنى، لأن الأرض قد زَنَت تاركة الرب. فذهب وأخذ جُومَرَ بنت دِبْلايِم، فحبلت وولدت ابناً. فقال له الرب: ادعُ اسمه يَزْرَعيل.

حاش لله أن يأمر نبياً بالزواج من زانية، ثم يختار هو له أسماء الأولاد منها.

٤ ـ وفي ٢/ ١ ـ ٥: قولوا لإخْوتكم عمِّي ولأخواتكم رُحامة: حاكموا أمكم، لأنها ليست امرأتي، وأنا لست رجلها، لكي تعزل زناها عن وجهها،

http://kotob.has.it

وفسقها من بين ثدييها، لئلا أجردها عُريانة وأوقفها كيوم ولادتها، وأجعلها كقفر، وأصيِّرها كأرض يابسة، وأميتها بالعطش، ولا أرحم أولادها، لأنهم أولاد زنى. لأن أمهم قد زنت، التي حبلت بهم صنعت خزياً.

٥ ـ **وفي ٣/ ١ ـ ٢ من السفر نفسه**: وقال الرب لي: اذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبةَ صاحب، وزانية كَمَحبَّة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى، ومحبُّون لأقراص الزبيب، فاشتريتها لنفسي وقلت لها: تقعدين أياماً كثيرة، لا تزني ولا تكوني لرجل، وأنا كذلك لك.

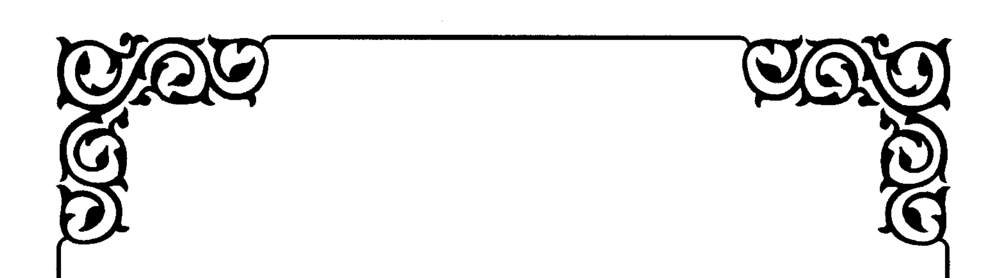
فهل هذا الكلام يدلُّ على سمو روحي أو خلقي مهما كان المراد به؟! وإذا تذكرنا القول المعروف: «كل إنسان تغلب عليه مهنته فَيُشَبِّه بها» عرفنا مهنة صاحب هذا الكلام.

ولو فرضنا أنَّ هوشع وجَّه هذا الكلام إلى مواطنيه في عهد آخر ملوك السامرة، وجعله رمزاً لتصرف يَهْوه تجاه شعبه، فشبه الشعب المختار الذي عبد الآلهة الوثنية بزوجته الخائنة التي تألم من خيانتها، ثم سامحها بعد أن امتحنها، لأن نفسه متعلِّقة بحبها، ومقتضى ذلك أن الله لا يزال يحب شعبه، وسوف يعاقبه ليرده، ولو فرضنا أنَّ هذا هو مقصود الكاتب، أما وجد أمثلة أخرى وعبارات مهذبة وألفاظاً غير بذيئة ليضعها في كتاب مقدَّس؟! ومن ناحية ثانية أهذه هي مقومات الاختيار وصفات الشعب المختار؟!.



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الثاني

افتراؤهم على الله تعالى

ويتضمن الفرعين التاليين :

١ ـ نسبة الضعف والنقصان إليه

٢ ـ نسبة البداء والندم إليه



http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
نسبة الضعف والنقصان إليه

الفِطَر الصافية والعقول السليمة متَّفقة على أنَّ وراء هذه الأكوان والعوالم قوة مدبِّرة حكيمة، خلقت كل شيء وهدته إلى سبيل عيشه وتكاثره، وقد أطلق عليها المفكرون اسم واجب الوجود أو الوجود الحق، واتفقوا على أنَّه قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء قائم بذاته غني عن غيره.

أما الأنبياء والمرسلون فقد أعلنوا أنَّ اسمه (الله)، وبيَّنوا فيما أنزل عليهم وأُوحي إليهم أنَّه حيٌّ قيوم، وأنه الأوَّل والآخر، ليس قبله شيء، وليس بعده شيء.

وقد أجمع العقلاء والعلماء والأنبياء على أنَّه واحد في ذاته وواحد في صفاته، متصف بكل كمال، منزَّه عن أيِّ نقصان، لا تشابه ولا تماثل بينه وبين المخلوقات البتَّة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

غير أنَّ أسفار الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب تُشَبِّه الخالق بالمخلوق، وتنسب إليه سبحانه مشاعر الضعف وصفات النقص وغير ذلك ممَّا تمنعه العقول ويستحيل معه التنزيه، لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ فقد نسبوا إليه التعب والحاجة إلى الراحة:

جاء في سفر التكوين ٢/ ٢ ـ ٣: وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً.

وجاء في سفر الخروج ٣١/ ١٣ ـ ١٧: وكلَّم الرب موسى قائلاً: وأنت تكلّم بني إسرائيل قائلاً: سُبوتي تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم، لتعلموا أنِّي أنا الرب الذي يقدّسكم، فتحفظون السبت، لأنه مقدَّس لكم، مَن دنَّسه يُقتل قتلاً ـ لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفَّس.

http://kotob.has.it

فقد نسبوا إليه الضعف، وجعلوه كالبشر يتعب بعد العمل، ويحتاج إلى الراحة والتنفُّس وقد ردَّ الله سبحانه في القرآن الكريم على زعمهم هذا فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

أي: تعب. أما مقدار اليوم فلا يعلمه إلا الله.

ونتيجة لهذا الافتراء جاء أيضاً في سفر ملاخي ٢/ ١٧: لقد أتعبتم الربَّ بكلامكم، وقلتم: بم أتعبناه؟.

٢ ـ واتهموه بالكذب والمخادعة والجهل:

جاء في سفر التكوين ٢/ ١٥ ـ ١٧: وأخذ الربُّ الإلـه آدم، ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصاه قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها، لأنك حين تأكل منها موتاً تموت.

٣/ ١ ـ ١٤: وكانت الحيَّة أحْيَل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة: من ثمر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسَّاه لئلا تموتا. فقالت الحيَّة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونا كالله عارفَين الخير والشر. فرأت المرأة أنَّ الشجرة جيدة للأكل ـ ـ فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل، فانفتحت أعينهما، وعلما أنهما عُريانين، فخاطا أوراق تين، وصنعا لأنفسهما مآزر وسمعا صوت الربِّ الإلـه ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأا من وجه الرب في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإلـه آدم وقال: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جَعَلْتَها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت: الحية غَرَّتني فأكلتُ. فقال الرب الإلـه للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تَشْقَين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك.

http://kotob.has.it

ففي هذه القصة من الافتراءات على الله ما لا يقرّه عاقل :

● فيها نسبة المخادعة والكذب إلى الله سبحانه، فقد اتَّهموه بأنه كذب على آدم وامرأته، فنهاهما عن الأكل من الشجرة كي لا يموتا، وهو إنما يريد إبقاءهما جاهلين كي لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته، وهي معرفة الخير والشر، لكن الحية كشفت هذه الكذبة والخدعة، فأكلا ولم يموتا.

● وفيها تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات الضعيفة، حيث يسير في الجنة، فيسمع آدم وزوجه وقع مشيته، فيختبئان منه، كأنه لا يراهما إلا إذا ظهرا أمامه.

● رميه بالجهل، فإنه لا يدري ما صنعا، ولا يعلم أين اختبأا، فيناديهما مستفهماً عن مكانهما، ثم يستنتج من أقوالهما أنهما أكلا من الشجرة.

● مخالفة الكلام للحقيقة والواقع، فإن الحية لا تأكل التراب، وإنما تأكل الحشرات وهوام الأرض كل أيام حياتها.

وقد عرض الله سبحانه في عدة سور من القرآن الكريم جوانب من قصة آدم وزوجه وأكلهما من الشجرة التي امتحنهما الله بها، فأزلَّهما الشيطان فأكلا منها، وذكر توبتهما وخروجهما من الجنة دون أن يكون فيها ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته وتنزيهه عما لا يليق بذاته ولا يجوز عليه.

ونتيجة لهذا الافتراء جاء اتّهامه بالمخادعة صراحة في سفر إرمياء ٤/ ١٠ : فقلت : آه يا سيدُ الرب، حقاً إنك خِداعاً خادعتَ هذا الشعب وأورشليم قائلاً : يكون لكم سلام، وقد بلغ السيف النَّفْس.

٣ ـ وادَّعوا أنَّه أكل وشرب مع الملائكة وغسلوا أرجلهم:

جاء في سفر التكوين ١٧/ ١ ـ ٣ : ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الربُّ وقال : أنا الله القدير، سِرْ أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثِّرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه، وتكلَّم الله معه.

١٧/ ٢٢ : فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم.

١٨/ ١ ـ ٥ : وظهر له الرب عند بَلُّوطات مَمْرا وهو جالس في باب الخيمة

http://kotob.has.it

وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فركض لاستقبالهم، وسجد إلى الأرض وقال: يا سيدُ إن كنتُ وجدتُ نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء، واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فآخذ كِسرة خبز فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون، لأنكم مررتم على عبدكم. فقالوا: هكذا تفعل.

١٨/ ٦ ـ ٨: فأسرع إبراهيم إلى سارة وقال: أسرعي بثلاث كيلاتٍ دقيقاً سميذا، اعجني واصنعي خبز مَلَّة، ثم ركض إلى البقر، وأخذ عجلاً رَخْصاً وجيداً، وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله، ثم أخذ زُبداً ولبناً والعجل الذي عمله، ووضعها قُدَّامهم. وإذ كان واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا.

وفي هذه القصة من الأباطيل ما يلي:

● من المحال أن يكون الله تجلَّى له، وإنما تجلَّى ثلاثة ملائكة.

● وضوح القلق والاضطراب في العبارات، فالخطاب كان للرب وحده بصيغة المفرد، ثم صار للجميع بعد أن عرض ضيافته. ولفظه في التوراة السامرية: «يا مواليّ، إن الآن وجدت حظاً عندكم، لا الآن تعبرون عن عبدكم».

● من المحال أن يسجد إبراهيم نبي الله لمخلوق مثله، ويخاطبه بأنه عبده، فإنما السجود لله. ولو كان النص منقولاً بالسند الصحيح المتصل عن أحد الأنبياء لقلنا: إنما سجد للملائكة الذين أتوه بصورة رجال سجودَ تحية كما فعل إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ وكان عادة جائزة في شرعهم، أما سجود العبودية فلا يجوز إلا لله.

● حاش لله تعالى أن يأكل أو يشرب، وإبراهيم ـ عليه السلام ـ يعلم أن الملائكة لا تأكل، ولا تشتد قلوبها بكسرة الخبز ولا بغيره. وإذا أكل الثلاثة فهل صَرَّفوا بعد ذلك كالبشر الضعفاء؟.

أين هذه الأباطيل من نور الحق الذي جاء في القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩ ـ ٧٠].

http://kotob.has.it

فالذين جاؤوا ملائكة، أرسلهم الله إليه في صورة بَشَر لتبشيره بالولد ولإهلاك قوم لوط ـ عليه السلام ـ فسلَّموا عليه، قالوا: سلاماً، فردَّ التحية بأحسن منها قال: سلام. ولما كانوا في صورة بشر لم يعرف حقيقتهم. فصنع لهم طعاماً، فلما رأى أيديهم لا تمتد إليه، لأن الملائكة لا تأكل؛ أوجس منهم خيفة، فبينوا له حقيقة أمرهم، وأخبروه بالمهمة التي أرسلهم الله بها.

٤ ـ وزعموا أنه صارع يعقوب مصارعة حُرَّة بدون تحكيم:

جاء في سفر التكوين ٣٢/ ٢٢ ـ ٣٢: ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشرَ وعبر مخاضة يَبَوق وأجازهم الوادي، وأجاز ما كان له، وبقي يعقوب وحده، وصارعه رجل حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه ـ وفي نسخة الكاثوليك: لمس حق وركه ـ فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال: اطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال: لا يُدعَى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدتَ مع الله والناس وقَدَرت ـ وعند الكاثوليك: لأنك رؤست عند الله، فعلى الناس أيضاً تستظهر ـ وسأله يعقوب وقال: أخبرني باسمك؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم ذلك المكان فَنُوئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجت نفسي. وأشرقت الشمس له إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه، ـ وعند الكاثوليك: وهو يظلع من وركه ـ لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عِرْق النَّسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حُق فخذ يعقوب على عرق النَّسا.

وفي التوراة السامرية: وتبقى يعقوب وحده، وصارعه رجل حتى ارتفع الدُّجَى، ونظر أن ليس يقدر عليه، فدنا بحُق وركه، ووهنت حُقُّ ورك يعقوب بمصارعته، فقال: أطلقني إذ ارتفع الدجى، فقال: لا أطلقك حتى تباركني. فقال: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يعقوب يقال أيضاً اسمك، بل إسرائيل، إذ رأسْت مع الملائكة ومع الناس وقدرت ـ ـ ودعا يعقوب اسم ذلك الموضع (حضرة القادر) إذ نظرتُ الملائكة وجهاً لوجه، وخلصت نفسي.

فالتوراة العبرانية تذكر أنَّ المصارعة كانت مع الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وأنه

http://kotob.has.it

لما رأى أنه لا يقدر أن يصرع يعقوب وقد طلع الفجر، ارتكب مخالفة وضرب حق فخذه فخلعه، ومع ذلك أبى يعقوب أن يطلقه إلا أن يباركه، فأذعن له وباركه وأنعم عليه باسم جديد وانصرف يعقوب يعرج من وركه، لكنه انتزع البركة بالقوة وفاز بلقب جديد. أما السامرية فتذكر أن المصارعة كانت مع الملائكة، وأنَّه رأى الملائكة ولم يرَ الله.

وكلتا التوراتين لم تنص على وجود حَكَم ينظم المصارعة، ولذلك وقع فيها مخالفات تأباها قوانين المصارعة الحرة، واستغرقت وقتاً طويلاً.

ومن العجيب أن يعقوب يصارعه وينتزع منه البركة ثم يسأله عن اسمه! فهل كان يعرفه وهو يصارعه أم لا؟ وإذا كان لا يعرفه فكيف يطلب منه البركة؟ وإذا عرفه فكيف يجرؤ على ذلك؟! ومن أعجب العجائب أن يحرم بنو إسرائيل على أنفسهم أكل عروق الفخذ إلى الأبد من أجل هذا.

ثم إنَّ لعب المصارعة لا يفعله إلا أهل البطالة، أما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة ومصلحة. وهَبِ المصارعة كانت مع الملائكة كما تقول السامرية، أليس من الخطأ تَصَارع نبي وملك لغير معنى، فهذه صفة المتحدين في العنصر، لا صفة الملائكة والأنبياء.

٥ ـ ونسبوا إليه الغفلة والنسيان والنوم:

جاء في سفر الخروج ٢/ ٢٣ ـ ٢٥: وحدث في تلك الأيام الكثيرة أنَّ ملك مصر مات، وتنهَّد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله، فسمع الله أنينهم، فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونظر الله بني إسرائيل وعلم.

إذاً، فالله سبحانه قبل أن يصرخوا لم يكن يسمع أنينهم ولم يكن يعلم بحالهم، وكان ناسياً ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، عليهم السلام.

وجاء في السفر نفسه ١٢/ ١ ـ ٣: وكلَّم الله موسى وهارون في مصر قائلاً ـ ـ ـ كلِّما جماعة إسرائيل في العاشر من هذا الشهر، يأخذ كل واحد شاة بحسب بيوت الآباء، شاة للبيت.

http://kotob.has.it

١٢/ ٦ ـ ٧: ثم يذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل في العشية، ويأخذون من الدم، ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلونه فيها.

١٢/ ١٢ ـ ١٤: فإني أجتاز أرض مصر هذه الليلة، وأضرب كل بكر فيها من الناس والبهائم، وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبُر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر.

١٢/ ٢١ ـ ٢٤: فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم: اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح، وخذوا باقة زُوما واغمسوها في الدم الذي في الطست، ومُسُّوا العتبة العليا والقائمين بالدم الذي في الطست، ولا يخرج أحد منكم من باب بيته حتى الصباح، فإن الربَّ سيجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يَعْبُر عن الباب، ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب، فتحفظون هذا الأمر فريضة لك ولأولادك إلى الأبد.

فالرب حسب زعمهم بحاجة إلى علامة يميز بها بيوت بني إسرائيل من بيوت المصريين، ولولا ذلك لاختلطت عليه البيوت، وآنئذ يترك المهلك يضرب بيوت شعبه لعدم التمييز.

وجاء في المزمور ٧٨/ ٦٥: فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر، فضرب أعداءه.

سبحان الله أما وجدوا أن يشبهوا ربهم سوى بالنائم وبمن لعبت به الخمرة فأفقدته وعيه وأفسدت عقله؟!

وقد أعظم أهل الكتاب الفِرْية على الله بادِّعائهم أنَّه سبحانه أعلن ذاته للإنسان بطرق مختلفة، فتجسَّد له ليراه تارة، وأكل وشرب معه تارة ثانية، وصارعه تارة أخرى. قال سبحانه في القرآن الكريم: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[الشورى: ٥١].

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
نسبة البَداء والندم إلى الله تعالى

تعريف البداء:

البداء **لغة**: الظهور والإبانة. قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: ٤٨].

ويطلق ويراد به تغير الإرادة وتبديل العزم تبعاً لتغيُّر العلم.

واصطلاحاً: له معانٍ كثيرة، منها البداء في العلم: وهو أن يظهر له خلاف ما علم. والبداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم. والبداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بخلافه. وتدور كلها حول تغير الرأي لظهور أمر لم يكن في الحسبان، وإذا تمَّ الأمر وجرى التنفيذ قبل التداول وقع الندم والحسرة.

وهذه المعاني كلُّها لا تليق بذات الله، بل يتنزه عنها، لأنها انتقاص من علمه وإرادته وكماله المطلق. وتوراة اليهود وأسفارهم المقدسة وتلمودهم ملأى بوصف الله سبحانه بالبداء، فقد نسبوا إليه الهم بالفعل ثم العدول عنه، ونسبوا إليه الندم والحزن والبكاء على أفعال كان قد فعلها. وإذا كان علم الله وإرادته وأمره ونهيه مضطربة ومتغيرة على الشكل الذي يصفونه، فليس ثَمَّة شيء أكثر هجوماً على ذات الله، وأكثر هدماً وانتقاصاً لصفاته من أسفارهم.

الفرق بين البداء والنسخ:

النسخ **لغة**: الإزالة أو التبديل مطلقاً، وهو جعل شيء مكان شيء آخر.

واصطلاحاً: بيان انتهاء مدة حكم عملي جامع للشروط، نظراً إلى حال المكلفين والزمان والمكان.

وهذا يعني أنَّ الله سبحانه كان يعلم في الأزل أن الحكم سيكون مقرراً ومعمولاً به لدى المكلَّفين إلى وقت محدد في علمه، ثم سينسخه عند انتهاء هذا

http://kotob.has.it

الوقت. فهو في الحقيقة بيان انتهاء المدة المعينة للحكم الأول، لكن لما لم يكن الوقت المحدَّد مذكوراً معه، تقرر في أوهام الناس استمراره، فلما حان ميعاد انتهائه وابتداء الحكم الثاني وظهر الأمر صار بحسب الظاهر نسخاً وتبديلاً. كما أن الطبيب الحاذق يبدِّل الأدوية والأغذية كمية ونوعاً بملاحظة حال المريض والمراحل التي وصل إليها ونحو ذلك، وفق المصلحة التي يراها له مع الرفق بحاله.

والنسخ جائز عقلاً وواقع شرعاً قديماً وحديثاً بين الشرائع وضمن شريعة واحدة، من لدن آدم إلى أنَّ ختم الله النبوات والشرائع بمحمد ﷺ.

وصفوة القول: إن النسخ كان مشترطاً في التقدير منذ الأزل، بخلاف البداء فإنه تبدل الرأي والانتقال من عزيمة إلى أخرى لأمر لم يكن في الحسبان.

نماذج مما في أسفارهم من نسبة البداء إليه تعالى:

١ ـ نسبوا إليه الندم على خلقه البشر:

جاء في سفر التكوين ٦/ ٥ ـ ٧: ورأى الربُّ أنَّ شرَّ الإنسان قد كثر في الأرض، وأنَّ كل تصور أفكار قلبه إنما هو شر كل يوم، فحزن ـ وعند الكاثوليك: فندم ـ الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسَّف في قلبه. فقال الربُّ: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته مع البهائم والدبابات وطير السماء، لأني حزنت ـ وعند الكاثوليك: ندمتُ ـ أني عملتهم.

وهذا يعني أن الله سبحانه لم يكن يدرك عندما خلق الإنسان أن فساد البشر في الأرض سيكثر بهذا الشكل، فندم على خلقه إياهم بعد أن تفلت الأمر منه، فعزم على إبادتهم، لكن ما ذنب البهائم والطيور؟ هل أرادوا سلب الحكمة عنه بعد أن سلبوا عنه العلم بالغيب واتهموه بسوء التقدير؟.

٢ ـ ونسبوا إليه الندم على إغراق قوم نوح:

جاء في سفر التكوين ٦/ ١١ ـ ١٤: وفسدت الأرض أمام الله، وامتلأت الأرض ظلماً، ورأى الله الأرض، فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض. فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي، لأن الأرض

http://kotob.has.it

امتلأت ظلماً منهم، فهأنا مهلكهم مع الأرض، اصنع لنفسك فُلْكاً من خشب جُفْر ـ ـ.

والطريف هنا استخدام (إذا) الفجائية: «فإذا هي قد فسدت».

٦/ ١٧: فهأنا آت بطوفان الماء على الأرض، لأهلك كل جسد فيه روح حياة تحت السماء، كل ما في الأرض يموت.

٧/ ١ ـ ١٠: وقال الله لنوح: ادخل أنت وجميع بنيك إلى الفُلْك ـ ـ لأني بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة، وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عَمِلْتُه ـ ـ وحدث بعد السبعة أيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض.

٧/ ٢١: فمات كل ذي جسد يدبُّ على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس.

٨/ ٢٠ ـ ٢٢: وبنى نوح مذبحاً للرب ـ أي بعد أن ذهبت المياه وغادر السفينة ـ وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد مُحرقات على المذبح، فتنسَّم الربُّ رائحة الرضَا، وقال في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان، لأن تصوُّر قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أميت كل حي كما فعلت.

إذاً فقد ندم على إهلاك البشر والبهائم والطيور، وعزم على ألا يعود لمثلها أبداً بعد أن تنسم رائحة القرابين.

وزعموا في تلمودهم أيضاً أنه بكى على ما فعله البشر وسائر ذوات الأرواح، وعض أنامله حتى رمدت عيناه، فعادته الملائكة وواسته.

وأدهى من ذلك وأمرّ زعمهم أنه سبحانه خشي أن يأخذه الغضب ثانية فينسى ما قطعه على نفسه، ولذلك اتخذ علامة تذكره بذلك، لئلا يُهلك البشر مرة أخرى مع غيرهم.

جاء في سفر التكوين ٩/ ٨: ١١: وكلَّم الله نوحاً وبنيه قائلاً: هأنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم، ومع ذوات الأنفس الحية التي معكم ـ ـ

http://kotob.has.it

فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان، ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض.

٩/ ١٣ ـ ١٧: وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس إلى أجيال الدهر، وضعتُ قوسي في السحاب، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض، وتظهر القوس في السحاب، أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبين كل نفس حية في كل جسد، فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد، فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً.

إذاً فقد اتهموه سبحانه بأنه أقرَّ على نفسه بالغفلة والنسيان وحاجته إلى ما يذكره بميثاقه، فاتخذ قوس قُزَح ليذكره حتى لا يهلك البشر بطوفان آخر، غير أننا لا زلنا نسمع عن الفيضانات الكثيرة والكبيرة التي تشرد الملايين من البشر وتهلك الحرث والنسل، ولا سيما في قارتي آسية وأمريكة، فهل نسي العلامة أيضاً؟! تعالى الله عن ذلك.

٣ ـ واتَّهموه بالعدول عن إفناء بني إسرائيل:

جاء في سفر الخروج ٣٢/ ٩ ـ ١٤: أن الربَّ قال لموسى بعد أن عبد قومه العجل: رأيت هذا الشعب، وإذا هو شعب صَلْب الرقبة، فالآن اتركني ليحمَى غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً. فتضرَّع موسى أمام الرب إلـٰهه وقال: يا رب، لِمَ يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟ لماذا يتكلَّم المصريون قائلين: أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن حُمُوِّ غضبك، واندمْ عن الشر بشعبك ـ وعندالكاثوليك: وعُدْ عن مساءة شعبك ـ اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفتَ لهم بنفسك وقلت لهم: أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطي نسلك كل هذه الأرض التي تكلمت عنها، فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه.

وجاء في سفر العدد ١٤/ ١١ ـ ٢٠: أنَّ الربَّ قال لموسى بعد أن امتنع قومه عن الدخول إلى الأرض الموعودة: حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى

http://kotob.has.it

متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسْطهم؟ إني أضربهم بالوباء وأبيدهم، وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم. فقال موسى: فيسمع المصريون الذين أصعدتَ بقوتك هذا الشعب من وسطهم ـ ـ فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلَّم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين: لأن الربَّ لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم قتلهم في القفر، فالآن لتعظُم قوة سيدي ـ ـ اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك، وكما غفرت له من مصر إلى ههنا. فقال الرب: قد صفحت حسب قولك.

والطريف في هذين النصَّين أنهم جعلوا موسى ـ عليه السلام ـ أحْكم من ربه وأحلم وأبصر بعواقب الأمور، ولذلك لم يتركه يُفني هذا الشعب، بل ذكَّره بيمينه وعهده لآبائهم وبشماتة الناس فيهم، فهدأ غضبه وعدل عن إبادتهم. وثَمَّة فرق بين الاستغفار والاسترحام وبين هذا الأسلوب في الكلام الذي نسبوه لموسى ـ عليه السلام ـ مع ربه.

٤ ـ ونسبوا إليه الندم على تسليط أعداء بني إسرائيل عليهم:

جاء في سفر القضاة ٢/ ١١ ـ ١٢: وفعل بنو إسرائيل الشرَّ في عيني الرب، وعبدوا البعليم وتركوا الرب إلـه آبائهم، وساروا وراء آلهة أخرى.

٢/ ١٤ ـ ١٥: فحميَ غضبُ الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهبيهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم ـ ـ حيثما خرجوا كانت يد الربِّ عليهم للشر، فضاق بهم الأمر جداً.

٢/ ١٦ ـ ٢٠: وأقام لهم الرب قضاة فخلَّصوهم من أيدي ناهبيهم، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا، بل زنَوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها ـ ـ وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الربُّ مع القاضي، وخلَّصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأن الربَّ ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم. وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويَفْسُدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ـ ـ فحمي غضب الرب على إسرائيل.

إذاً فقد غضب عليهم لكفرهم، فسلط أعداءهم عليهم، ثم ندم على ذلك من أجل أنينهم، ثم عاد فغضب عليهم. فهل هناك تجهيل للرب سبحانه بأكثر من هذا؟!.

http://kotob.has.it

٥ ـ ونسبوا إليه النَّدم على تمليك شاول:

جاء في سفر صموئيل الأول ٩/ ١٥: والربُّ كشف أذن صموئيل قبل مجيء شاول بيوم قائلاً: غداً في مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين، فامسحه رئيساً لشعبي.

وفي ١٠/ ٥ ـ ٧: أن صموئيل قال لشاول: ويكون عند مجيئك إلى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين فيحل عليك روح الله، فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر، وإذا أتت هذه الآيات عليك فافعل ما وجدته يدك، لأن الله معك.

١٠/ ٩ ـ ١٠: وكان عندما أدار كتفه لكي يذهب من عند صموئيل أنّ الله أعطاه قلباً آخر وأتت جميع الآيات في ذلك اليوم. ولما جاء إلى هناك إذا بزمرة من الأنبياء لقيته، فحل عليه روح الله، فتنبأ في وسطهم.

وجاء في ١٥/ ١٠ ـ ١١: وكان كلام الربِّ إلى صموئيل قائلاً: ندمتُ على أنِّي جعلت شاول ملكاً. لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي.

١٥/ ٣٥: ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته، لأن صموئيل ناح على شاول، والربُّ ندم لأنه ملَّك شاول على إسرائيل.

وإنَّ الإنسان ليعجب من هذه الأسفار، كيف يندم على تمليكه وهو الذي اختاره ونبأه مع زمرة الأنبياء، وأحلَّ روحه عليه بعد أن أعطاه قلباً آخر؟! أهو حساب تاجر مبتدئ أم تقدير علاَّم الغيوب؟!.

٦ ـ ونسبوا إليه الندم بعد إهلاكه الكثيرين من بني إسرائيل:

جاء في سفر صموئيل الثاني ٢٤/ ١٥ ـ ١٦، وفي أخبار الأيام الأول ٢١/ ١٤ ـ ١٥: فجعل الربُّ وَبَأً في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد، فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون ألف رجل، وبسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها ـ زاد في أخبار الأيام: فيما هو يهلك رأى الرب ـ فندم الربُّ عن الشر، وقال للملاك المهلك: كفى الآن، ردَّ يدك.

فما الشر الذي ندم عليه؟ هل كان حكمه الأول ظلماً فندم عليه؟ أو ظهرت له أدلة جديدة لم تكن في الحسبان قطعت ببراءتهم، فأمر الملك بإيقاف التنفيذ؟!.

http://kotob.has.it

٧ ـ ونسبوا إليه الندم على همه بإهلاك قوم يونس :

جاء في سفر يونان ١/ ١ ـ ٢ : وصار قول الرب إلى يونان إمِتّاي : قم اذهب إلى نِينوى المدينة العظيمة، وناد عليها، لأنه قد صعد شرهم أمامي .

٣/ ٣ ـ ٥ : فقام يونان إلى نينوى، ونادى وقال: بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى. فآمن أهل نينوى بالله، ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم .

وفي ٣/ ٩ ـ ١٠ أنَّ ملك نينوى قال: لعلَّ الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك. فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم على الشر الذي تكلَّم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه .

٤/ ٢ : وصلَّى ـ أي يونان ـ إلى الربِّ وقال: آه يا ربّ، أليس هذا كلامي إذ كنتُ بعد في أرضي؟ لذلك بادرتُ إلى الهرب إلى تَرشيش، لأني علمت أنك رؤوف ورحيم، بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشر .

٨ ـ ونسبوا إليه الندم أيضاً على الهمِّ بإهلاك قوم إرميا :

جاء في إرميا ٢٦/ ٢ ـ ٣ : لا تُنَقِّصْ كلمة، لعلهم يسمعون ويرجعون، كل واحد عن طريقه الشرير فأندم عن الشر الذي قصدتُ أن أصنعه بهم من أجل شر أعمالهم .

٢٦/ ١٣ : فالآن أصلحوا طرقكم وأعمالكم واسمعوا لصوت الرب إلـٰهكم، فيندم عن الشر الذي تكلَّم به عليكم .

٢٦/ ١٩ : فندم الربُّ عن الشر الذي تكلَّم به عليهم .

وفي عاموس ٧/ ٣ : فندم الربُّ على هذا، لا يكون قال الربُّ .

وهذا غيضٌ من فيض مما في توراتهم من وصف الله سبحانه بصفة الجهل بعواقب الأمور ثم النَّدم على الفعل أو على الهم بالفعل . والأعجب من هذا أنهم يعبِّرون عن عقوبته للظالمين بالشرِّ، مع أن في توراتهم بعض النصوص التي تنفي صفة الندم وغيرَ ذلك من النقائص عن الله تعالى، لعلَّها من بقايا الوحي، فقد جاء في سفر العدد ٢٣/ ١٩ : ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم، هل يقول

http://kotob.has.it

ولا يفعل، أو يتكلَّم ولا يفي؟.

وقد حاول بعض اليهود أن يحمل تلك النصوص وأمثالها على المجاز. قال ابن كمونة[1]: «من يفعل ما يفعله النادم منَّا يسمى نادماً بالمجاز، وقد نطقت التوراة وكتب النبوات بأن الله لا يصح عليه الندم، فلا بدَّ من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل بما قلناه، وذلك أنه لما أهلك الخلائق بالطوفان أخبر قبل أن يهلكهم، وعبَّر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم تمثيلاً بمن يندم على شيء فعله. ثم قال: وعلى مثل هذا تأويل كل ما ورد من ذلك بما يناسبه في كتب الأنبياء الذين على ملة موسى، وفي كتب الأحبار والعلماء».

وما أقبح هذا المجاز؛ فإنَّ نسبة الندم إلى الله تعالى نقيصة تدل على الجهل يتنزه عنها، سواء كانت حقيقةً أم مجازاً، ومهما حاولوا ستر هذه العورات والتشبث بالمجاز وغيره، فلن يغنيهم من الحق والواقع شيئاً، وقد اتَّسع الخَرْقُ على الراقع.

من افتراءات الأحبار على الله تعالى:

١ ـ قال الربّي ناخام: إنَّ الله يبكي كل يوم ثلاث ساعات، وتنحدر من عينه الدموع إلى البحر عندما يتذكر شقاء الشعب اليهودي وخراب بيت المقدس.

٢ ـ وذكر الربي آسي أن الله يقضي غالب النهار بتعليم أولاد اليهود القراءة بالمجادلة مع علماء اليهود، وباللعب مع التنّين العظيم الذي خلقه وسط البحر.

٣ ـ ويزعمون أنَّ الله يدرس كل يوم في التلمود نحو ساعتين ونصف، ومن هذه التلاوة استنتج الخطيئة التي ارتكبها لما أنقص ضوء القمر عن ضوء الشمس، ولذلك أوصى بتقديم ذبيحة في ابتداء كل شهر قمري[2].

٤ ـ وفي التلمود في كتاب يسمى (شعر توما) أن تَكَسُّر جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع.

٥ ـ وفي كتاب آخر من التلمود اسمه (سادرناشيم) ـ ومعناه القسم الخاص

---

(١) في كتابه: تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث.

(٢) عن كتاب: حصن الوجود، ص٣٩٨ـ٣٩٩.

http://kotob.has.it

بالنساء ـ أنَّ في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب، وفي أصبعه خاتم له فَص تضيء منه الشمس والكواكب، وأنَّ الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون.

٦ ـ وذكر أحبارهم المتقدِّمون أنَّ رجلاً اسمه إسماعيل حدَّثهم أنه كان ماشياً في خراريب بيت المقدس، إذ خربه تيطس، فسمع اللهَ يئنّ كما تئنّ الحمامة، ويبكي وهو يقول: الويلُ لمن أخربَ بيتَه، وضعضع ركنه، وهدم قصره وموضع سكينته، وَيْلي على ما أخربتُ من بيتي، ويلي على ما فرقت من بَنيّ وبناتي، قامتي منكَّسة حتى أبني بيتي وأرد إليه بنيّ وبناتي. ويردِّد وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلاً قليلاً: وَيْلي إذ خرَّبت بيتي وأيتمت بني وبناتي، قامتي منكَّسة لا أرفعها حتى أبني بيتي، وأردَّ إليه بنيّ وبناتي. قال إسماعيل: فأخذ الله بثيابي وقال لي: أسمعتني يا بني إسماعيل؟ قلت: لا يا رب. فقال لي: يا بني إسماعيل بارك علي. فباركت عليه ومضيت.

وفي هذه الفِرْية وجوه كثيرة من الكفر الشنيع؛ فمنها أنَّ الله كان بين الخراريب، وهي مأوى المجانين وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية، وأنَّ الله يدعو على نفسه بالوَيْل ويئنّ ويبكي وينتف شعره مرة بعد مرة!.. ومنها اتِّهامه بالندامة وتنكيس القامة على ما فعل بهم، أفتراه كان عاجزاً عن ردِّهم؟! وإذا كان نادماً على ما فعل، فلِمَ تمادى في تبديدهم؟! وأعجبها ادِّعاؤهم أنَّ الله لم يَدْرِ هل سمعه إسماعيل أو لا، حتى سأله عن ذلك، وأظرف من ذلك أنّه أجابه بالكذب فقنع منه وطلب منه أن يباركه.

٧ ـ الربَّانيون مُجْمعون على الغضب على ربِّهم وتعييبه وتهوين أمره، فإنهم أفردوا عشرة أيام من أول شهر تشرين الأول (أكتوبر) يعبدون فيها ربّاً غير الله، وهو عندهم (صندلفون) الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم، ويقولون ليلة عيد اللبود ـ وهي العاشرة من هذا الشهر ـ: «يقوم الميططرون»، ومعناها: الرب الصغير.

٨ ـ وهم يقومون في معابدهم أربعين ليلة متصلة من أيلول وتشرين الأول، فيصيحون ويولولون بمصائب، منها: لأيِّ شيء تسلمنا يا الله هكذا؟ ولنا الدين القيِّم والأثر الأول؟ لِمَ يا الله تتصمَّم عنا وأنت تسمع؟ وتَعْمَى عنا وأنت مبصر؟

http://kotob.has.it

هذا جزاء من تقدم إلى عبوديتك وبدر إلى الإقرار بك؟ لِمَ لا تعاقب مَن يكفر النِّعَم ولا تجازي بالإحسان؟ لِمَ تَبْخَسنا حظَّنا وتسلِّمنا لكلِّ معتد وتقول: إنَّ أحكامك عَدْلة؟[1].

وليس العجب من اعتراضهم على الله، إنما العجب من ادِّعائهم أنَّهم شعبه المختار!!.

* * *

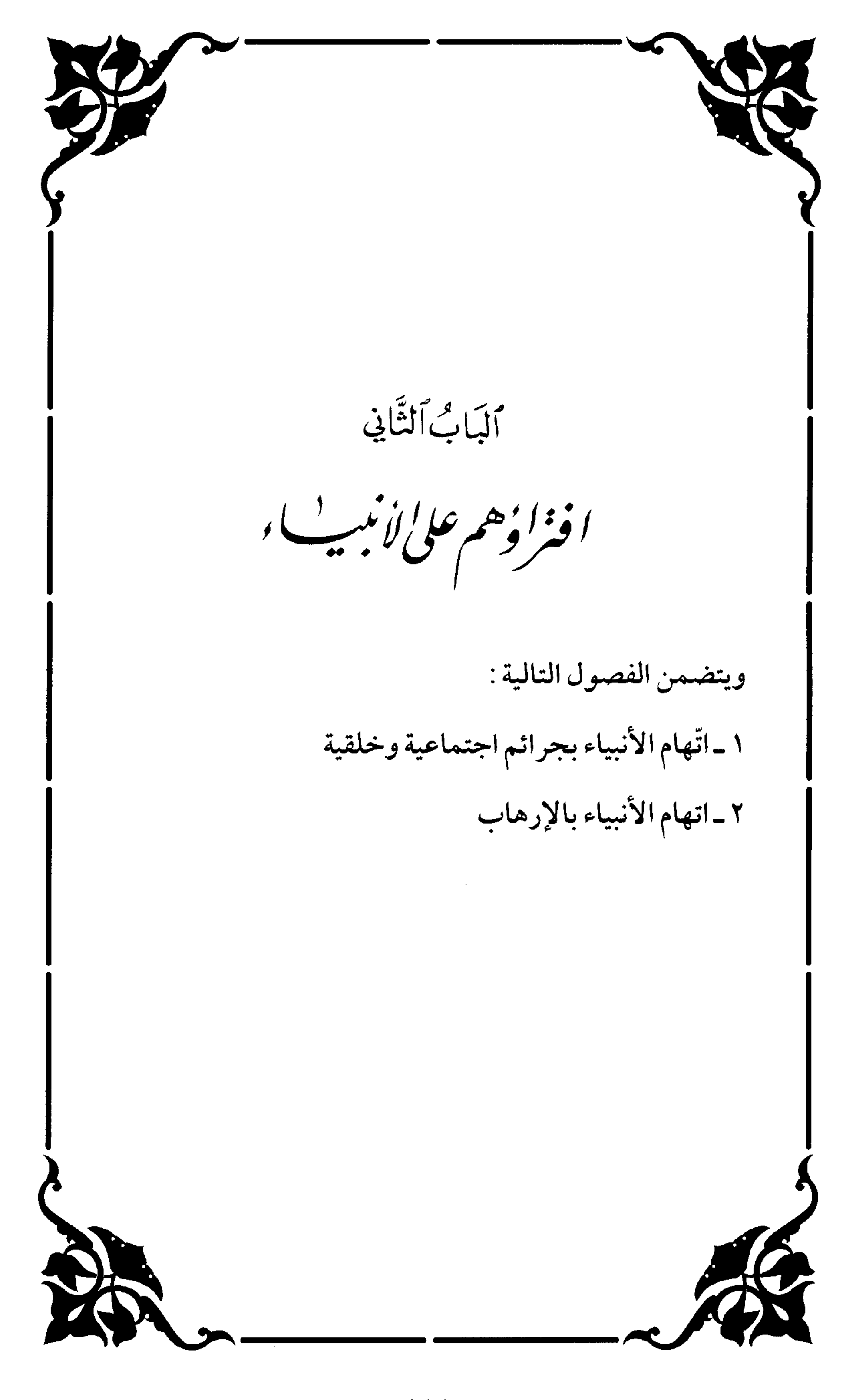
---

(١) عن: الفصل بين الملل والأهواء والنحل، وانظر: توراة اليهود والإمام ابن حزم، ص٥٤٣ـ٥٤٥.

http://kotob.has.it



http://kotob.has.it



الباب الثاني

افتراؤهم على الأنبياء

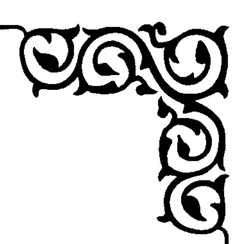
ويتضمن الفصول التالية :

١ ـ اتّهام الأنبياء بجرائم اجتماعية وخلقية

٢ ـ اتهام الأنبياء بالإرهاب

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



الفصل الأول

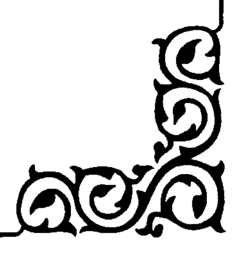
اتهام الأنبياء بجرائم اجتماعية وأخلاقية

ويحتوي على الفرعين التاليين :

١ ـ اتهام الأنبياء بالزنى والمكر والخديعة

٢ ـ الطعن في نسب الأنبياء وتدنيس بيوتهم





http://kotob.has.it



http://kotob.has.it

[١]
اتِّهام الأنبياء بالزنى والمكر والخديعة

صفات الأنبياء:

النبوَّة ضرورة في حياة البشر، لا مَعْدل عنها ولا مَحيد، ويذكر التاريخ، وينقل الأجيال بعضهم عن بعض أنَّ الأنبياء الذين أرسلهم الله لإصلاح البشر كانوا ممن عُرفوا في قومهم قبل النبوة وبعدها بالصدق والأمانة والعفَّة وحُسن السيرة وعظيم الخُلق، حتى إنَّ مَن عرفهم عن قرب أو خالطهم في مال أو عمل وصفهم بأنهم صَفْوة بني الإنسان والمَثل الأعلى له.

وقد ذكر العلماء والمفكِّرون أنَّ ثَمَّة صفات لا بدَّ من تحققها مجتمعةً في كلِّ نبي، وأهمها ما يلي:

١ ـ **العِصْمة**: وهي لُطْفٌ من الله يحمل النبي على فعل الخير، ويحفظه من فعل الشر، مع بقاء الدافع والاختيار. ويشمل هذا ما يلي:

أ ـ العصمة من الكفر والفواحش.

ب ـ العصمة من الخطأ والنسيان في تبليغ الرسالة وأدائها.

٢ ـ **الصدق والأمانة**: وهاتان الصفتان وإن كانتا ضروريتين في جميع البشر، غير أنَّهما في الأنبياء أشد ضرورة وألزم. فلا يمكن أن يصدر من النبي ما يخلُّ بالمروءة أو يهدر الكرامة، كالغدر والغش وأكل أموال الناس بالباطل ونحو ذلك مما ينفِّر الناس منهم ويمنعهم من تصديقهم.

٣ ـ **الفَطانة**: وهي الذكاء والنباهة مع كمال الرشد وسرعة الإدراك لإقامة الحجة.

٤ ـ **السلامة من العيوب البدنية المنفّرة**: كالقصر الفاحش، والطول النابي، والتشوه في الخلقة ونحو ذلك مما يجعل الناس يأنفون من الاستماع إليهم.

غير أنَّ أسفار اليهود تنسب إلى الأنبياء من الأعمال الفاحشة الشنيعة

http://kotob.has.it

ما يتنافَى مع وضعهم الديني والاجتماعي، ويستحيل عقلاً وشرعاً أن يصدر منهم، بل إنه ليتنافَى مع الخلق الكريم وقواعد المروءة، ولا يتصور وقوعه إلا من سفلة الناس. مما يدلُّ على أنَّ هذه الأسفار قد لعبت بها الأهواء كثيراً، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ اتهام حَواء بالزنى:

جاء في سفر التكوين ٦/ ١ ـ ٤: وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولدت لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهنّ حسنات، فاتّخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الربُّ: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر، وتكون أيامه مئة وعشرين سنة. كان في الأرض طغاة في تلك الأيام، وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم.

وفي ترجمة الكاثوليك: أولئك هم الجبابرة المذكورون منذ الدهر.

ويفسر الأحبار هذا النص المشوش بأن أبناء الله هم أبناء آدم وحواء من زواجهما ببعضهما لأن الله خلق آدم على صورته كما في سفر التكوين ١/ ٢٦ ـ ٢٦ ـ ٢٧ و٩/ ٦، أي: على صورة الله وشبهه حسب زَعْمهم، وأنَّ روح آدم جزء من روح الله تعالى، فهو ابنه كما في سفر التكوين ٣/ ٢٣ حسب زعمهم، وأنَّ بنات الناس هم بنات حواء من زناها مع الشياطين.

قال الحاخام سلمون في الورقة (٢٢) من كتاب (عابوره راده): إن الحَنَش عندما أغوى حواء لتطعم آدم من الشجرة، بسبب دخول الشيطان فيه، زَنَى بها زنىً حقيقياً، فدخلت الرداءة في سائر أولادها، وصاروا جميعاً أولاداً للشياطين[1].

ويزعم اليهود في التلمود أنَّ حواء كان لها عُشَّاق من الجِنِّ يأتونها وولدت منهم أولاداً كثيرين، وأنَّ آدم كانت له عشيقة من الجن اسمها (ليليت) كان يأتيها لمدة (١٣٠) سنة، وقد أنجب منها أولاداً كثيرين.

ويدَّعي اليهود أنَّهم تسلسلوا من نسل شيت، وهو ابن آدم وحواء من زواج

---

(١) عن: حصن الوجود، ص٣٧٥.

http://kotob.has.it

صحيح، أما سائر البشر فهم من نتاج الاتصال ببنات الناس. أي: الزنى.

وجاء في حواشي الكاثوليك على الكتاب المقدَّس[1]: بنو الله على الرأي الأعم أولاد شيث، وإنما سُمُّوا بذلك، لأنهم كانوا متدينين معروفين بالعبادة مزكين بالتقوى، وأما بنات الناس، فكنَّ من ذرية الفاجرة الفاسقة.

٢ ـ اتهام نوح بالسكر والتعرِّي والظلم في الدعاء على حفيده:

جاء في سفر التكوين ٩/ ٢٠ ـ ٢٥: وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر، وتعرَّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عَوْرة أبيه، وأخبر أخويه خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما أفاق نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته.

وهكذا اتَّهموا نبيَّ الله نوحاً ـ عليه السلام ـ بالإفراط في شرب الخمر حتى أضاع رشده فتعرَّى ولم يَعِ ما يفعل. وإنَّ العاقل ليتساءل على فرض صحة هذه القصة، ما ذنب كنعان ليلعنه جده نوح ـ عليه السلام ـ لو فرضنا أن أباه أخطأ؟! ولِمَ اختصَّ كنعان بن حام وحده باللَّعن دون سائر إخوته؟! فإنَّ لحام أولاداً آخرين، وهم: كوش ومِصْرايم وفوط، كما في سفر التكوين ١٠/ ٦، من الواضح أنَّهم إنما أرادوا من وضع هذه القصة تدنيس بيت النبوة وإبراز عداوتهم لكنعان وذريته، ومَن تَتبَّع التاريخ وقرأ أسفارهم وجد أنَّ هذه العبودية لم تتحقَّق، بل حدث العكس أحياناً.

٣ ـ اتّهام لوط بمضاجعة ابنتيه:

جاء في سفر التكوين ١٩/ ٣٠ ـ ٣٨: وصعد لوط من صُوغر، وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المُغَارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعامة

---

(١) ص١.

http://kotob.has.it

كلِّ الأرض، هلمَّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً، فادخلي اضطجعي معه. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو ابن الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بَنْ عَمَي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم.

وهذه القصة تحمل في طياتها أدلَّة وضعها ومن ذلك ما يلي:

أ ـ ما ذكر عن بنتي لوط أنهما قالتا: «ليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض» مع أنهما كانتا مع أبيهما في مدينة صُوغَر قبل إهلاك سدوم وعمورة وبعده.

جاء في ١٩/ ١٩ ـ ٢٠ أنَّ لوطاً قال: وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل، هو ذا المدينة قريبة للهرب إليها وهي صغيرة، أهرب إلى هناك.

١٩/ ٢٢ ـ ٢٤: أسرع اهرب إلى هناك ـ ـ لذلك دُعي اسم المدينة صوغر. وإذا أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً ـ ـ.

١٩/ ٣٠: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر.

فكيف تظنان أن ليس في الأرض رجل ليدخل عليهما؟! هذا مستبعد، لأنهما تعلمان أنَّ في المدينة رجالاً ونساءً.

ومن ناحية ثانية إنهما تعلمان أنَّ عمَّ أبيهما إبراهيم ـ عليه السلام ـ ليس بعيداً عنهما، ولا بدَّ أن يأتي إليهم ويتفقد ابن أخيه، وهو يعلم أن الهلاك سيحيق بالقوم الذين يساكنهم.

جاء في ١٩/ ٢٧ ـ ٢٨: وبكَّر إبراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه

http://kotob.has.it

أمام الربَّ، وتطلَّع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة، ونظر وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون.

وهذا يعني أن المسافة بينهما قريبة لا تعدو ثلاثة أميال.

ب ـ زعمهم أنه لم يعلم باضطجاع ابنتيه معه في الليلتين المتتاليتين ولا بقيامهما. وهو مستبعد أيضاً، وهَبْه صحيحاً فماذا عمل إذ رآهما حاملتين، وإذ رآهما قد ولدتا ولدين من الزنى، وإذ رآهما تربيان ولدين من الزنى، وهو نبي قد أرسل الله إليه الملائكة وكلَّمته؟!.

جـ ـ زعمهم أنَّ الله نسب ذَيْنك الزنيمين إلى لوط، وورَّثهما بلدين كما وَرَّث بني إسرائيل وبني عيسو ابني إسحاق، سواء بسواء.

جاء في سفر التثنية ٢/ ٨ ـ ٩ : ثم تحوَّلنا ومررنا في طريق موآب، فقال لي الربُّ: لا تعادِ موآب ولا تثر عليهم حرباً، لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً، لأنِّي لبني لوط قد أعطيت (عارَ) ميراثاً.

٢/ ١٨ ـ ١٩ : أنت مار اليوم بتخم موآب (بعار)، فمتى قربت إلى تجاه بني عَمُّون لا تُعادهم، ولا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً، لأني لبني لوط قد أعطيتهما ميراثاً.

ولو كان الأمر كما زعموا، فأي شرف لبني موآب وبني عمون حتى يعطيهم الله أرضاً، ويأمر موسى ـ عليه السلام ـ بعدم التعرُّض لهم، ويمنع بني إسرائيل من حربهم والاستيلاء على أرضهم، وينسبهم إلى نبيه لوط ـ عليه السلام ـ؟!.

ما الذي دفعهم لوضع هذه الفرية؟:

لا ريبَ أنَّ العداوة هي التي دفعتهم إلى وضع هذه الفرية والاستخفاف بالله تعالى وبرسله، فقد جاء في الفصول ٢٠ ـ ٢٣ من سِفْر العدد أنَّ العمونيين والموآبيين منعوا بني إسرائيل من المرور بأراضيهم عند خروجهم من مصر، ورفضوا تزويدهم بالماء والطعام، بل اسْتَعْدَوا عليهم بَلْعام بن بَعُور، وأغْرَوه بالفضَّة إن حاربهم.

http://kotob.has.it

قال الحكيم السموءل في بذل المجهود[1]: «إنَّ العداوة التي ما زالت بين بني عمون ومواب وبين بني إسرائيل بعثت واضع هذا الفصل على تلفيق هذا المحال لِيُكوِّن أعظم الأخبار فحشاً في حقِّ بني عمون ومواب. وأيضاً فإنَّ عندهم أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ جعل الإمامة في الهارونيين، فلما ولي طالوت وثقلت وطأته على الهارونيين، وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم انتقل الأمر إلى داود بقي في نفوس الهارونيين التشوُّف إلى الأمر الذي زال عنهم. وكان عَزْرا خادماً لملك الفرس حظياً عنده، فتوصل إلى بناء بيت المقدس، وعمل لهم هذه التوراة بأيديهم، فلما كان هارونياً كره أن يتولَّى عليهم في الدولة الثانية داودي، فأضاف إلى التوراة فَصْلَين طاعنين في نسب داود، أحدهما قصة بنات لوط والآخر قصة ثامار[2]. ولقد بلغ لعمري غرضه، فإنَّ الدولة الثانية التي كانت بنت لهم بيت المقدس لم يتملك عليهم فيها داوديون، بل كان ملوكهم هارونيين».

ويدلُّ على ذلك أيضاً ما جاء في سفر التثنية ٢٣/ ٢ ـ ٤: لا يدخل ابن زنى في جماعة الربِّ حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب، لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منهم أحد في جماعة الربِّ إلى الأبد، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر، ولأنهم استأجروا عليك بَلْعام بن بعور من فَتُور أرام النهرين لكي يلعنك.

٢٣/ ٦: لا تلتمس سلامتهم ولا خيرهم كل أيامك إلى الأبد.

٤ ـ اتهام يعقوب بالدخول بلَيئة من غير عقد:

جاء في سفر التكوين ٢٩/ ١٥ ـ ٣٠: ثم قال لابان ليعقوب: ألأنك ابن أختي تخدمني مجاناً، أخبرني ما أجرتك؟ وكان للابان ابنتان، اسم الكبرى: ليئة، واسم الصغرى: راحيل، وكانت عينا ليئة ضعيفتين، وأما راحيل فكانت حسنة الصورة والمنظر، وأحب يعقوب راحيل. فقال: أخدمك سبع سنين براحيل. فقال: أن أعطيك إياها أحسن من أعطيها لرجل آخر، أقم عندي. فخدم

---

(١) ص١٧٢ ـ ١٧٤.

(٢) ستأتي هذه القصة قريباً وما نتج عن القصتين من طعن في نسب الأنبياء.

http://kotob.has.it

يعقوب براحيل سبع سنين، وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها. ثم قال يعقوب للابان: أعطني امرأتي، لأن أيامي قد كملت، فأدخل عليها. فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة، وكان في المساء أنه أخذ ليئة وأتى بها إليه، فدخل عليها ـ ـ وفي الصباح إذا هي ليئة. فقال للابان: ما هذا الذي صنعت بي؟ أليس براحيل خدمت عندك؟ فلماذا خدعتني؟ فقال لابان: لا يُفعل في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر، أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة سبع سنين أخر. ففعل يعقوب هكذا، فأعطاه راحيل زوجه له ـ ـ فدخل عليها أيضاً. وأحبها أكثر من ليئة، وعاد فخدم سبع سنين أخر.

وهذه القصة ظاهرة الوضع، لأن يعقوب ـ عليه السلام ـ كان يعرف الأختين حق المعرفة وجهاً وجسماً وصوتاً، فقد عاش معهما سبع سنين، وسمع صوتيهما وعرف جسميهما، وأحب إحداهما وطلبها من أبيها، وخدم من أجلها. فهب الظلامَ كان دامساً، وادَّعت ليئة أنها راحيل، ألم يميز صوتها خلال حديثه معها؟ ولنفرض أنها لم تكلمه البتة، ألم يلمس جسمها بيده؟! وقد كان في ليئه علامة بينة وهي استرخاء العينين، ثم إن قلب المحب يميز بسرعة كما يقولون. فالعجب أن تكون في فراشه الليل كلَّه ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها! إلا أن يقولوا: كان سكران، فهذا لا يناسب رتبة النبوة، لا سيما وقد باركه أبوه، لكن يبدو أنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما خدع يعقوب أباه وسرق بركة أخيه عيسو ـ كما سلف في القسم الأول ـ خدعه خاله لابان، إذ الأمور كلها مبنية عند كُتاب التوراة وسائر أسفار اليهود على المخادعة، لكن يبقى التساؤل: هل كان يجوز الجمع بين الأختين في شريعة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام ـ ثم نُسخ بشريعة موسى ـ عليه السلام ـ بعد ذلك؟ أو أن القصة مَحْض افتراء؟ الراجح الثاني لأن اليهود ينكرون نسخ الأحكام مطلقاً، ويعيبون على المسلمين إقرارهم بوقوع النسخ في الأحكام العملية وبذلك يكونون قد قذفوا يعقوب ـ عليه السلام ـ بالزنى بليئة، لأنه دخل بها من غير عقد، واستمرَّ على ذلك، ثم جمع بين الأختين. وهذا حرام في التوراة كما في سفر الأخبار ١٨/ ١٨.

٥ ـ اتهام يعقوب بالمكر والخديعة عند قسمة الأموال:

جاء في سفر التكوين ٣٠/ ٢٣ ـ ٤٣: فلما ولدت راحيل يوسف قال

http://kotob.has.it

يعقوب للابان: اصرفني فأمضي إلى أرضي، أعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم. فقال لابان: لو أنّي نِلت حُظوة عندك، فقد صدقت فراستي وباركني الربُّ بسببك، وقال: عيِّن لي أجرتك فأعطيك. فقال له: أنت تعلم كيف خدمتك، وكيف صارت مواشيك معي، فإنها كانت قليلة قبل مجيئي، وقد نمت كثيراً، وباركك الربُّ بعد مجيئي. فقال: ماذا أعطيك؟ فقال يعقوب: لا تعطني شيئاً، لكن إذا صنعت لي هذا الأمر، فأنا أعود إلى رعي غنمك وأحفظها، أجتازُ بين غنمك كلها اليوم، واعزل أنت منها كل أرْقَط وأبلق وأسود من الضأن، وكل أبلق وأرقط من المعز، فيكون مثل ذلك أجرتي، ويشهد في بري يوم غد إذا جئت من أجل أجرتي قدامك، كل ما ليس أرقط أو أبلق بين المعز وأسود بين الخرفان، فهو مسروق عندي. فقال لابان: ليكن بحسب كلامك.

فعزل في ذلك اليوم التيوس المخطَّطة والبلقاء، وكل عنز رَقْطاء وبَلْقاء، كل ما فيه بياض، وكل أسود من الضأن، ودفعها إلى أيدي بنيه، وجعل مسيرة ثلاثة أيام بينه وبين يعقوب، وكان يعقوب يَرْعَى غنم لابان الباقية، فأخذ لنفسه قضباناً خُضْراً من لُبْنى ولَوْز ودُلْب، وقشر فيها خطوطاً بيضاً، كاشطاً عن البياض الذي على القضبان، وجعل القضبان التي قشرها تجاه الغنم في مساقي الماء، حيث كانت الغنم تَرِد، لتتوحم عند مجيئها لتشرب، فتوحَّمت الغنم عند القضبان، وولدت مخططة ورقطاء وبلقاء. وفَرز يعقوب الخرفان، وجعل وجوه الغنم إلى المخطط، وكل أسود بين غنم لابان، وجعل له قطعاناً وحده، ولم يجعلها مع غنم لابان. وكان كلَّما توحَّمت الغنم القوية وضع القضبان أمامها في الحياض لتتوحَّم عليها، وحين استضعفت الغنم ـ وعند الكاثوليك: وإذ كان الغنم في الخريف ـ لم يضعها، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب. فأيسر الرجل كثيراً جداً، وكان له غنم كثير وجوارٍ وعبيد وجمال وحمير.

٦ ـ اتهام يعقوب بالكذب على الله:

جاء في سفر التكوين ٣١/ ١ ـ ٢١: فسمع يعقوب بني لابان يقولون: أخذ يعقوب كلَّ ما كان لأبينا، ومما لأبينا صنع هذه الثروة. ورأى وجه لابان، فإذا هو ليس معه كأمس وأول أمس. وقال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك وأكون معك. فدعا راحيل وليئة إلى الحقل حيث كانت غنمه وقال لهما: أرى وجه

http://kotob.has.it

أبيكما ليس كما كان، ولكن إلـه أبي كان معي، وأنتما تعلمان أني خدمت أباكما بكل طاقاتي، وقد غدر بي وغيَّر أجرتي عشر مرات، ولكن الله لم يسمح له أن يصنع بي شراً، إن قال: الرُّقط تكون أجرتك، ولدت كل الغنم رقطاً، وإن قال: المخطَّطة تكون أجرتك، ولدت كل الغنم مخطَّطة، فقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني، وحدث في وقت توحُّم الغنم أني رفعت عيني ونظرت في حُلْم، وإذا الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومتميزة، وقال لي مَلَاك الله في الحلم: يا يعقوب، ارفع عينيك وانظر، جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومتميزة، لأني رأيت كل ما يصنع بك لابان، أنا إلـه بيت إيل حيث مسحتَ عموداً ونذرت لي نَذْراً، اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك. فقالت راحيل وليئة: هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا؟ ألسنا عنده بمنزلة غُرباء؟ ــ فالآن كل ما قال الله لك افعل. فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال، وساق مواشيه وجميع مُقتناه الذي امتلكه ليجيء إلى أرض كنعان، وأما لابان فكان قد مضى ليجزَّ غنمه. وخدع يعقوب قلب لابان الأرامي، إذ لم يخبره بفراره وهرب هو وكل ما كان له، فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد.

٧ ـ اتهام رأوبين بن يعقوب بمضاجعة زوجة أبيه:

جاء في سفر التكوين: ٣٢/ ٢١ ـ ٢٢: ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدلَ عِذْر ـ وعند الكاثوليك: وراء برج القطيع ـ وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بِلْهة سُرِّية أبيه، وسمع إسرائيل.

زاد في النسخة اليونانية: وكان قبيحاً في نظره.

وفي ٤٩/ ١ ـ ٤ من السفر نفسه: ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام ــ رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء لا تتفضل، لأنك صعِدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته، على فراشي صعد.

وهكذا اتهموا يعقوب ـ عليه السلام ـ بالدياثة وتعطيل الحدود. مع أن ابنه وسُرِّيته يستحقان القتل بنص توراتهم. ففي سفر الأحبار ٢٠/ ١٠ ـ ١١: وإذا زنى

http://kotob.has.it

رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما، دمهما عليهما.

وفي سفر التثنية ٢٢/ ٢٣: وإذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزع الشرَّ من إسرائيل.

والقصة مختلقة وإنما أرادوا تدنيس بيت النبوة بها وبأمثالها لستر سوءاتهم. ونفى بعض الأحبار أن يكون رأوبين ضاجع سرية أبيه، وفسروا النص بأنه إنما وسَّخ فراش أبيه كما في التلمود، ولكن هيهات، فإن الفقرة ٣٥/ ٢٢ صريحة في الاضطجاع وسماع إسرائيل بذلك، كما أن الزيادة في النسخة اليونانية تؤكد الاضطجاع، وكذلك الفقرة ٤٩/ ٤، ولو كان الأمر مجرَّد توسيخ لقماش لما قامت هذه الضجة، ولما منع رأوبين من التفضيل.

٨ ـ اغتصاب بنت يعقوب وغدر بعد أمان:

جاء في سفر التكوين ٣٤/ ١ ـ ٣١: وخرجت دِينة ابنة لَيْئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شَكيم بن حَمُور الحِوِّي رئيس الأرض، فأخذها واضطجع معها وأذلَّها، وتعلَّقت نفسه بها وأحبها ولاطفها، وقال لأبيه: خُذْ لي هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب أنه نجَّس دينة، وكان بنوه في الحقل مع المواشي، فسكت حتى جاؤوا. وخرج حَمُّور إلى يعقوب ليكلّمه، وأتى بنو يعقوب غاضبين حين سمعوا. قال لهم حمور: ابني تعلّقت نفسه بابنتكم، أعطوه إياها زوجة وصاهرونا، تعطوننا بناتكم وتأخذون بناتنا، وتسكنون معنا ـ ـ دعوني أجد نعمة في أعينكم، فالذي تقولونه لي أعطي. فأجاب بنو يعقوب بمكر وقالوا: لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا، غير أننا بهذا نواتيكم، إن صرتم مثلنا بختن كل ذكر نعطيكم ونأخذ منكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً، وإن لم تسمعوا لنا نأخذ ابنتنا ونمضي. فحسن كلامهم في عيني حمور وشكيم ابنه، ولم يتأخر الفتى عن الفعل، لأنه كان قد شُغِف بها. وأتى حمور وابنه إلى باب مدينتهما وقالا لأهلها: هؤلاء القوم مسالمون لنا، فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها ـ ـ غير أنهم لا يواتوننا إلا بختن كل ذكر كما هم مختونون ـ ـ فسمع لهما جميع الخارجين من باب المدينة، واختتن كل ذكر. فحدث في اليوم

http://kotob.has.it

الثالث إذ كانوا متوجعين أن بني يعقوب شِمْعون ولاوي أخذ كل واحد سيفه ودخلا آمنَين وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا، ثم أتى بنو يعقوب على القَتْلى، ونهبوا المدينة، غنمهم وبقرهم وحميرهم، وسبَوا ونهبوا كلَّ ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت. فقال يعقوب لشمعون ولاوي: كدَّرتماني عند سكان الأرض، وأنَّا نفر قليل، فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي. فقالا: أنظير زانية يفعل بأختنا.

وهذه القصة واضحة الوضع بعيدة الوقوع، تندَّر بها بعض الأحبار ثم جعلوها في توراتهم، فهل يمكن أن تنطلي مثل هذه الحيلة على حمور وابنه؟! وهبها انطلت عليهما وسارعا إلى الاختتان من أجل شغف الولد بدينة، فهل يسارع كل ذكور المدينة إلى الاختتان خلال يومين بدون استثناء لمجرد نداء عند باب المدينة؟ لا بدَّ من أن يُسَوّف بعضهم، لأن الأمر مع كبر السن ليس بالسهل، ولو فرضنا أن الجميع اختتنوا وكانوا طريحي الفراش فهل يستطيع اثنان فقط قتل جميع ذكور المدينة بسيفيهما؟ أما قاومت النساء والأولاد وصرخن في المدينة وتكاثرن عليهما؟.

وحاشَ لله ألاَّ يعصم حرمة امرأة النبي وابنته من هذا العار، وحاش ليعقوب أن يرضى بمثل هذه الخِسَّة والدناءة في بيته، وحاشَ له أن يسلك سبل الغدر أو يرضى بها، وحاشَ له أن يرضى بمجزرة يقتل فيها الأبرياء وتنهب الأموال وتهدم البيوت وتسبى النساء والأطفال، غير أن أحبار اليهود وزعماءهم يحبكون ويسبكون هذه القصص وأمثالها ليطبعوا عامة اليهود بطابع المكر والخديعة والغدر والخيانة ضد كل من هو غير يهودي، بدلاً من طابع المروءة والشهامة.

٩ ـ إقامة الأخ نَسْلاً لأخيه المتوفَّى من أرملته:

جاء في سفر التكوين ٣٨/ ١ ـ ٧: وحَدَث في ذلك الزمان ـ أي بعدما فعلوه بيوسف ـ أنَّ يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عَدُلاّمي، اسمه حِيرة، ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني، اسمه شُوع، فأخذها ودخل عليها، فحبلت وولدت ابناً، ودعا اسمه عِيراً، ثم حبلت وولدت ابناً ودعت اسمه أونان، ثم عادت فولدت أيضاً ابناً، ودعت اسمه شِيلة، وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره، اسمها ثامار، وكان عير شريراً في عيني الرب فأماته.

http://kotob.has.it

قال الحكيم السموءل في بذل المجهود[1]: وكان عير يأتيها مستدبراً، فغضب الله من فعلته فأماته.

٨/٣٨ ـ ١١: فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك وتزوَّج بها، وأقِمْ نَسْلاً لأخيك. فعلم أونان أنَّ النسل لا يكون له، فكان إذا دخل على امرأة أخيه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه ـ فقبح في عيني الرب ما فعله، فأماته أيضاً. فقال يهوذا (لثامار) كنته: اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة، لأنه قال: لعله يموت أيضاً كأخويه. فمضت وقعدت في بيت أبيها[2].

زنى يهوذا بن يعقوب بكنته:

جاء في سفر التكوين ٣٨/ ١٢ ـ ٣٠: ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا، ثم تعزَّى، فصعد إلى جُزَّاز غنمه، إلى تِمنة هو وحيرة صاحبه العدلامي، فأُخبرت ثامار وقيل لها: هو ذا حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه، فخلعت ثياب ترمُّلها، وتغطَّت ببرقع وتلففت، وجلست في مدخل عَيْنايِمَ التي على طريق تمنة، لأنها رأت أنَّ شيلة قد كبر، ولم تُعْطَ له زوجة، فنظر يهوذا فحسبها زانية، لأنها غطَّت وجهها، فمال إليها وقال: هاتي أدخل عليك، ولم يعلم أنها كنته. فقالت: ما تعطني؟ فقال: أرسل جَدْي معز من الغنم. فقالت: هل تعطيني رَهْناً؟ فقال: ما الرهنُ؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطاها ودخل عليها، فحبلت منه، ثم مَضَت وخَلَعت عنها برقعها، ولبست ثياب ترملها. فأرسل يهوذا جَدْي الماعز بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من المرأة، فلم يجدها، فسأل أهل مكانها فقالوا: لم تكن هنا زانية، فرجع إلى يهوذا وقال: لم أجدها. فقال يهوذا: لتأخذ لنفسها لئلا نصير إهانة.

ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبِر يهوذا وقيل له: قد زَنَت (ثامار) كنتك، وهي حُبْلى من الزنى. فقال: أخرجوها فتحرق. فلما أُخرجت أرسلت إلى

---

(١) انظر: ص١٧٤.

(٢) ولا زال هذا الحكم مَرْعياً في فقههم، ويسمى (البيامى والحالوص)، وتفضيل الحكم وعقوبة الرافض له مذكور في سفر التثنية ٢٥/ ٥ ـ ١٠ كما سيأتي إن شاء الله.

http://kotob.has.it

حميِّها قائلة: مِنَ الرجلِ الذي هذه له أنا حبلى، حقِّق لمن الخاتم والعصابة والعصا. فتحققها يهوذا وقال: هي أبرُّ مني، لأني لم أعطها لشيلة.

وفي وقت ولادتها إذا في بطنها توءمان، وكان في ولادتهاأن أحدهما أخرج يداً، فربطت القابلة على يده قِرْمِزاً قائلة: هذا خرج أولاً، لكن حين ردَّ يده إذا أخوه قد خرج، فقالت: لماذا اقتحمت؟ فدُعي اسمه فارِص. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القِرمز، فدعي اسمه زارح.

وفي القصة عجائب وعار وفضائح مكذوبة:

فمن العجيب جداً أن تلد امرأة من زوجها ولداً لا ينسب إليه، بل إلى غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا.

ومن العار ما ذكروه عن يهوذا من طلبه الزنى بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جدياً يرسله إليها فيما بعد مع صديقه ويسترد منها الرهن دون خجل أو حياء.

ثم جَوْره في الحكم عليها بالحرق، فلما علم أنه صاحب الفَعْلة أسقط الحكم عنها وعن نفسه، فهل كانت شريعة ذلك الزمان تقضي بإحراق الزواني ثم أتت التوراة بنسخ ذلك وأوجبت عليهن الرجم؟ فقد جاء في سفر الأحبار ٢٠/ ١٢: وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة، دمهما عليهما.

ومن العجيب أيضاً أن يمد التوءم عند الولادة يده فتربط القابلة على يده القرمز لتعلم أنه الأول، ثم يعدل عن الخروج ليفسح الطريق لأخيه، وكأنه خجل من أن يكون هو الأول الذي يظهر أمام الناس وهو ابن زنى.

وأعجب من هذا وذاك كيف يخطئ يهوذا هذه الخطيئات وقد باركه أبوه يعقوب؟! وإذا كان الرب قد قتل ابنه عيراً لرداءته، حيث كان يأتي زوجته مستدبراً، فهل رداءته أكبر من رداءة عمه رأوبين الذي زنى بسريَّة أبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ؟ وهل هي أيضاً أكبر من رداءة أبيه يهوذا حيث زنى بكنته (ثامار) وأنجب منها ثم حكم بإحراقها، ثم أسقط الحكم عن نفسه وعنها؟.

http://kotob.has.it

وأعجب من هذا وذاك وذلك أنَّ الربَّ قتل أونان من أجل عزل منيِّه عن زوجة أخيه ولم يقتل عمه رأوبين الذي زنى بسرية أبيه، ولا أباه الذي زنى بكنته، فهل العزل أشد ذنباً وعقوبة من الزنى بالمحارم؟! .

ومن أعجب العجائب أن تلد امرأة من رجل ولداً لا ينسب إليه، بل إلى أخيه الذي مات قبل أن يأتيها هذا. ولعل فيهم الآن ولادات وأنساب كثيرة من هذا النوع كما سيأتي.

ومن أشنع الشنائع أنهم طعنوا في هذه القصة بنسب ثلاثة أنبياء، لأن فارص هذا المولود من زِنَى يهوذا بكنته (ثامار) هو جدُّ كلٍّ من داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ كما في سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ١ ـ ١٥، وهو جد المسيح ـ عليه السلام ـ حسب ادِّعاء النصارى في تركيبهم نسباً ليوسف النجار خطيب مريم يصل إلى داود ـ عليه السلام ـ وجعله للمسيح ـ عليه السلام ـ كما في إنجيل متى ١/ ١ ـ ١٦، مع أن نسب مريم يعود إلى هارون ـ عليه السلام ـ وهو من سِبْط لاوي، ولا بدَّ أن يكون خطيبها هارونياً إن كان لها خطيب.

وبناءً على ما مضى أيضاً يصبح الطَّعن في نسب داود وابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ من ناحيتين: من ناحية فارص كما في هذه القصة، ومن ناحية عوبيد جد داود ـ عليه السلام ـ فإن أمَّه (روث) أو (راعوث) المؤابية كما في سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ٣ ـ ١٥، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

وهم أيضاً يجعلون هذا النسب لمسيحهم المنتظر؛ لأنه في زعمهم من نسل داود ـ عليه السلام ـ كما سلف.

تدنيس يعقوب وبيته بتلك الافتراءات:

ووالله لقد دنَّسوا بأكاذيبهم هذه بيت النبي الذي يفخرون بانتسابهم إليه، فقد جعلوه يستغل جوع أخيه عيسو ويشتري منه حق البكورية بطبق من طعام، فأين التربية وأين المروءة وأين صلة الرحم؟! ثم جعلوه يتآمر مع أمه على أخيه وأبيه، فيخدع والده الكفيف بتدبير من أمه، ويستغل جوعه، ويكذب عليه مدَّعياً أنه عيسو، ليحصل على مباركته التي كانت لأخيه ومن حقِّه، فيسرقها منه وكأنها

http://kotob.has.it

سلعة! أين طاعة الزوجة لزوجها؟! وأين عدل الأم بين أولادها؟! وأين برّ الولد لأبيه؟ وأين صِلَة الرحم؟!.

ومن ناحية ثانية فإنَّ لابان خدع ابن أخته يعقوب ـ عليه السلام ـ فعقد الاتفاق والعقد معه على راحيل، ثم أدخل عليه ليلة الزفاف في الظلام أختها ليئة بدلاً منها دون عقد فاضطجع معها، فاضطر أن يخدم سبع سنوات أُخر من أجل راحيل التي يحبها، فجمع بين الأختين، ثم ردَّ له الصاع صاعين، فخدعه عند قسمة الماشية ولدى انصرافه من عنده سرّاً، فأين الصفح والنصح وكسب الناس بالبر والإحسان؟!.

ومن ناحية ثالثة فإنهم نسبوا لشمعون ولاوي قتل ذكور أهل البلدة بخِدْعة خسيسة بعد إظهار التفاهم معهم، فارتكبا مجزرة بشعة، ثم جاء إخوتهما فنهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، فيا لها من جرائم اجتماعية متتالية، زعموا أنَّ يعقوب ـ عليه السلام ـ اكتفى بمجرد الحزن لما حصل فيها.

ومن ناحية رابعة هذا رأوبين بن يعقوب ـ عليه السلام ـ يدنِّس فراش والده بمضاجعته سريَّة أبيه أم أخويه، فيكتفي أبوه بلومه فقط دون أن يقيم الحد عليه.

١٠ ـ وزعموا أنَّ موسى بلَّغهم عن ربه أن يستعيروا النفائس قبل الخروج ليسرقوها:

جاء في سفر الخروج ٣/ ٢٠ ـ ٢٢: أنَّ الربَّ قال لموسى: فأمد يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها، وبعد ذلك يطلقكم، وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وتضعونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين.

١١/ ١ ـ ٣: ثم قال الرب لموسى: ضربة واحدة أيضاً أجلب على فرعون وعلى مصر، بعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام. تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه، وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين.

http://kotob.has.it

١١/ ٤ ـ ٦ : وقال موسى : هكذا يقول الرب : إني نحو نصف الليل أخرج إلى وسط مصر، فيموت كل بكر فيها، من بكر فرعون إلى بكر الجارية التي خَلْف الرحى، وكل بكر بهيمة، ويكون صراخ عظيم في مصر لم يكن مثله، ولا يكون مثله أيضاً.

١٢/ ٣٤ ـ ٣٦: وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً، وأعطى الربُّ نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين.

إذاً، الرب أمرهم بالسرقة ورسم لهم الخطة وأعانهم على تنفيذها، وموسى ـ عليه السلام ـ بلَّغهم، وهم التزموا بأمر الربِّ ونفّذوا من غير اعتراض كما هي عادتهم. فما أقبح هذه الافتراءات: كيف يطلب الله من نبيه موسى ـ عليه السلام ـ أن يأمر قومه بالخدعة وإساءة الأمانة؟ ثم يعينهم على سلب أموال من وثق بهم وأسدى إليهم معروفاً؟ هَبْ فرعون كان ظالماً وكثيراً من شعبه كانوا ظالمين، ما ذنب سائر الناس الذين جاوروهم وأعاروهم النفائس، كيف يأمرهم الرب بمقابلة الإحسان بالسوء؟ قُلْ إن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر، والأحبار يعلّلون ذلك بأن الله مالك كل شيء، ولذلك أمرهم بأخذ أمتعة المصريين النفيسة، جزاء عما كابدوه من الأضرار، وأجرة اشتغالهم عندهم.

جاء في سِفر الحكمة ١٠/ ١٩ : أما أعداؤهم، فأغرقهم، ثم قذفهم من عمق الغمار على الشاطئ، فسلب الصديقون المنافقين.

هل طُرد بنو إسرائيل أو ذهبوا خفية؟ :

جاء في سفر الخروج ١١/ ١ : ضربة واحدة أجلب على فرعون وعلى مصر، وبعد ذلك يطلقكم من هنا، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا بالتمام.

وفي ١٢/ ٢٩ ـ ٣٣ : فحدث في نصف الليل أنَّ الربَّ ضرب كل بكر في مصر، من بكر فرعون إلى بكر الأسير، وكل بكر بهيمة، فقام فرعون وكل عبيده وجميع المصريين ـ ـ فدعا موسى وهارون ليلاً وقال: اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً، واذهبوا واعبدوا ربكم كما تكلمتم، خذوا غنمكم وبقركم واذهبوا، وباركوني أيضاً.

http://kotob.has.it

١٢/ ٣٧ ـ ٣٩ : فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سُكُّوت ــ وخبزوا العجين فطيراً، إذ لم يختمر، لأنهم طردوا من مصر، ولم يقدروا أن يتأخروا، فلم يصنعوا زاداً.

وجاء في ١٤/ ٥ ـ ٨ : فلما أخبر ملك مصر أن الشعب **قد هرب**، تغيَّر قلب فرعون وعبيده عليهم فقالوا: ماذا فعلنا حتى أطلقنا إسرائيل من خدمتنا؟ فشدَّ مركبته، وأخذ قومه معه ــ وشدَّد الربُّ قلب فرعون حتى سعى وراء بني إسرائيل.

فمتى استعار بنو إسرائيل النفائس من المصريين؟ وإذا كانوا قد استعاروها قبل يومين من خروجهم، فلمَ لمْ يهيئوا لأنفسهم زاداً ويخبزوا عجيناً مختمراً وهم يعلمون أنهم سيطردون أو يرحلون خفية؟! وإذا كان المصريون قد طردوهم طرداً، وقال لهم فرعون: «اذهبوا وباركوني» وسمحوا لهم بالرحيل مع مواشيهم، فلمَ لم يطلبوا منهم رد ما أعاروهم إياه من النفائس قبل أن يرحلوا؟! اضطراب كبير مما يدلُّ على الدسِّ والتحريف في هذه الأسفار.

١١ ـ اتهام يوشع باستحياء الزانية:

جاء في سفر يشوع ٢/ ١ : فأرسل يشوع بن نون من شِطِّيم جاسوسين سِرّاً قائلاً: انظرا الأرض وأريحا. فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية، اسمها (راحاب)، واضطجعا هناك.

وبعد ذلك قال لهم كما جاء في ٦/ ١٧ : فتكون المدينة وكل ما فيها مُحرَّماً ـ أي مهلكاً ـ للربِّ، راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت، لأنها خبأت المرسلين.

٦/ ٢٠ ـ ٢٢ : وصعد الشعب إلى المدينة ــ وحرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. وقال يشوع للذين تجسسا: ادخلا بيت المرأة وأخرجاها من هناك.

٦/ ٢٥ : واستحيا يشوع (راحاب) الزانية وبيت أبيها، وكل مالها، وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم.

http://kotob.has.it

١٢ ـ قذف داود بالزنى بحليلة جاره الغائب ثم تدبير قتله:

جاء في سفر صموئيل الثاني ١١/ ١ ـ ٢٧ : وعند تمام السنة في وقت خروج الملوك إلى الحرب أرسل داود يوآبَ وعبيدَه معه وجميع إسرائيل، فدمَّروا بني عَمّون وحاصروا رِبَّةَ، وبقي داود في أورشليم. وفي المساء قام داود عن سريره، وتمشَّى على سطح بيته، فرأى امرأة تستحم، وكانت جميلة جدّاً، فسأل عنها، فقيل له: هذه بَتْشابَع بنت أليعام امرأة أوريّا الحِثي، فأرسل رسلاً وأخذها، فاضطجع معها وهي مطهَّرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها.

وحملت المرأة فأخبرت داود، فأرسل إلى يوآب أن أرسل أوريا الحثي. فأتى إليه، فسأله عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، ثم قال له: انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج ونام على باب بيت الملك، ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود، فقال له: أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا: إنَّ التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، ويوآب وعبيد سيدي الملك نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي! وحياتك وحياة نفسي لا أفعل هذا. فقال داود: أقم هنا اليوم أيضاً، وغداً أطلقك. فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغَدَه، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج مساء فاضطجع مع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته.

وفي الصباح كتب داود كتاباً إلى يوآب، وأرسله بيد أوريا وكتب فيه: وجِّهوا أوريا إلى حيث يكون القتال شديداً، وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت. وكانوا يحاصرون المدينة. فجعل يوآب أوريا في موضع علم أنَّ فيه شدَّة البأس، فخرج رجال المدينة وحاربوا، فسقط بعض عبيد داود، ومات أوريا أيضاً. فأرسل يوآب وأخبر داود، وأوصى الرسول قائلاً: إذا سألك: لماذا دنوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا أيضاً.

فلما سمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات، ندبت عليه وناحت، فلما تمَّت أيام مناحتها أرسل داود وضمها إلى بيته، فصارت زوجة له، وولدت ابناً. وساء ما صنعه داود في عيني الرب.

١٢/ ١٥ ـ ١٨ : وضرب الربُّ الولدَ الذي ولدته امرأة أوريا لداود، فثقل

http://kotob.has.it

حتى يئس منه، فسأل داود الله من أجل الصبي وصام، وبات مضطجعاً على الفراش ـ ـ وكان في اليوم السابع أن الولد قد مات.

١٢/ ٢٤ ـ ٢٥ : وعَزَّى داود بَتْشابع امرأته، واضطجع معها، فولدت ابناً، فدعاه سليمان، وأحبه الرب، فأرسل على لسان (ناثان) النبي، وسماه يَديدِيّا، لأجل الرب.

ما في هذه القصة من القبائح المكذوبة:

لا ريب أنَّ هذه القصة مَحْض افتراء على نبي الله داود ـ عليه السلام ـ لا يمكن أن تصدر من رجل كريم، فضلاً عن نبي عظيم اختاره الله لخدمة دينه وإعلاء كلمته وأيده بنصره. وفيها من القبائح المفتراة ما يلي:

١ ـ اتهموا داود ـ عليه السلام ـ بالتقاعس عن الجهاد في وقت خروج الملوك، فأرسل جيشه، وبقي في قصره يتنعَّم.

٢ ـ اتَّهموه باستراق النظر إلى جيرانه، فأبصر حليلة جاره وهي عُريانة تغتسل، فنظر إليها بشهوة، ولم يراعِ حرمة الجوار.

وهل تغتسل في صحن دارها دون أن تحسب حساباً لمن ربما يراها خِلْسَة، أو كانت في حجرة؟.

٣ ـ رموه بعشقها إذ لم يصبر عنها، فاستغلَّ غياب زوجها في ساح الجهاد، وأرسل إليها وزنى بها. ولا بدَّ أنه أغراها فطاوعته.

وبذلك يكون قد خان الجوار خيانة شنيعة، وخالف الوصايا العشر، ففي سفر الخروج ٢٠/ ١٤ : لا تَزْن. وفي ٢٠/ ١٧ : لا تشتهِ امرأة قريبك. ثم لم يُقِم الحد على نفسه وعليها مخالفاً أيضاً ما جاء في سفر الأحبار ٢٠/ ١٠ : وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يُقتَل الزاني والزانية.

وما جاء في سفر التثنية ٢٢/ ٢٢ : إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فتنزِع الشر من إسرائيل.

٤ ـ اتهموه بمحاولة ستر جريمته بجريمة أخرى أشنع، وذلك بإسكار

http://kotob.has.it

زوجها وإرساله إليها ليضاجعها في تلك الليلة ثم يسافر، وعندما تلد ينسب الولد المخلوق من الزنى إلى ذلك الرجل الغافل. لكن لم تنجح المحاولة.

٥ ـ وصفوا الجندي بالمروءة والشهامة، فقد أبى أن يبيت في بيته مع زوجته وإخوانه في ساح الجهاد. فهل هو أشرف من داود؟!.

٦ ـ زعموا أنَّ داود تآمر مع قائد جيشه على ذلك الجندي البار للتخلّص منه لستر الجريمة، فأوقعه قائد الجيش في مهلكة قرب سور المدينة دون أن يكون ثمة مصلحة. ولم يُقتل أوريا وحده، بل قتل معه آخرون، لا ذنب لهم ولا مصلحة في تعريضهم للخطر وقتلهم.

وبذلك يكون قد خالف ما جاء في سفر الخروج ٢٣/ ٧: ولا تقتل البريء والبار، لأنني لا أبرر المذنب.

٧ ـ بعد نجاح المؤامرة لاغتيال البريء وإهلاك الوفي ضم إليه امرأته، لينسب المولود من زناه إليه حسب زعمهم.

٨ ـ زعموا أنَّ الربَّ ضرب الولد المولود من ذلك السفاح فمرض، وحزن داود عليه حزناً شديداً، وكان يصلِّي ويصوم ويدعو من أجل عافيته، لكنه مات في اليوم السابع.

وإنَّ المتأمّل ليتساءل: لِمَ لمْ يضرب الربُّ موآب وبن عمي ابني لوط ـ عليه السلام ـ من ابنتيه حسب زعمهم، كما ضرب هذا الزنيم؟ ولِمَ لم يضرب أيضاً فارص وزارح ابني يهوذا من كنته (ثامار) حسب زعمهم كما ضرب هذا الفرخ من الزنى؟ فهل الزنى بامرأة أجنبية ذات بعل أشدُّ من زنى الأب بابنتيه على التعاقب، ومن الزنى بزوجة الابن؟!.

٩ ـ لو كانت هذه القصة صحيحة، وساء ذلك في عيني الرب فضرب فرخ الزنى، أما كان الأولى أن يعاقب داود بفراق تلك المرأة ودفع ديات القتلى من الجند الذين قُتلوا مع أوريا بتدبيره وتدبير قائد جيشه، ثم يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحاً، بدلاً من أن يقرّه على ما فعل، ويطلب منه على لسان النبي (ناثان) أن يسمي ابنه الجديد من تلك المرأة يديديا؟!.

http://kotob.has.it

١٠ ـ لو أنَّ هذه الجرائم المرتكبة والمتتالية وقعت في زماننا لتناقلتها وكالات الأنباء، وصعق من هولها الشرفاء، ولا سيما إذا صدرت من شخص له مكانة اجتماعية أو دينية، لكن من هان عليه قتل الأنبياء كان الافتراء عليهم أهون.

١٣ ـ اتهام داود بمداعبة عذراء جميلة في شيخوخته:

جاء في سفر الملوك الأول ١/١ ـ ٤: وشاخ داود، وطعن في السن، وكانوا يدثرونه بالثياب فلا يدفأ. فقال له عبيده: ليُفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء، فلتقف أمام الملك، ولتكن له حاضنة، ولتضطجع في حضنك، فيدفأ سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل، فوجدوا أَبيشَجَ الشُّونَمِيَّة، فجاؤوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جدّاً، فكانت حاضنة الملك، وكانت تخدمه، ولكن الملك لم يعرفها.

وهذا افتراء ظاهر على نبي الله ـ عليه السلام ـ ألم يكن عنده من الزوجات الكثيرات والسراري الأكثر ـ كما ذكروا ـ من يؤانسه ويدفئه حتى يلتمسوا له عذراء أجنبية جميلة جدّاً، بل ملكة جمال إسرائيل، لتضطجع في حضنه؟!.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]

الطعن في نسب الأنبياء وتدنيس بيوتهم

سبق أنهم اتَّهموا لوطاً ـ عليه السلام ـ بمضاجعة ابنتيه حال سكره، فحبلتا منه، وولدت الكبيرة ابناً دعت اسمه موآب ـ تعني أنه من الأب ـ وهو أبو الموآبيين، وولدت الصغيرة أيضاً ابناً دعت اسمه بَنْ عمي ـ تعني أنه من قبيلتها ـ وهو أبو العمونيين[١]. وبذلك يكونون قد طعنوا في نسب داود وسليمان والمسيح ـ عليهم السلام ـ فعوبيد جدُّ داود ـ عليه السلام ـ أمه روث أوراعوث الموآبية، فهي جدَّة ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ، وجدة المسيح ـ عليه السلام ـ حسب زعم النصارى في النسب الذي ركَّبوه له، ورحبعام بن سليمان ـ عليه السلام ـ أمه نعمة العمونية كما في سفر الملوك الأول ١٤/ ٢١ وأخبار الأيام ١٢/ ١٣، وهو من أجداد المسيح ـ عليه السلام ـ حسب زعم النصارى، ويأتي توضيح هذا وغيره لدى ذكر الأنساب.

وسبق أنَّهم اتَّهموا يعقوب ـ عليه السلام ـ بأنه عقد على راحيل ابنة خاله لابان، فدُست إليه في الظلام أختها ليئة بدون عقد بدلاً منها، فعاشرها معاشرة الأزواج وأبقاها عنده، ثم جمع بينها وبين أختها راحيل معاً. وقد ولدت له ليئة أولاداً، منهم انتسل هارون وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم، عليهم السلام.

جاء في سفر التكوين ٣٥/ ٢٢ ـ ٢٣: وكان بنو يعقوب اثني عشر: بنو ليئة: رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون.

وموسى وهارون من سبط لاوي، وكذلك مريم أم المسيح ـ عليه السلام ـ فإن نَسَبها يعود إلى هارون ـ عليه السلام ـ، أما داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فمن سبط يهوذا.

---

(١) بذل المجهود، ص١٧٠.

http://kotob.has.it

● فمن جهة لاوي جاء في سفر التكوين ٤٦/ ١١ : وبنو لاوي : جِرْشون وقهات ومراري .

وفي سفر العدد ٢٦/ ٥٨ ـ ٥٩ : وأما قهات فولد عمرام، واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوي التي وُلدت له بمصر، فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم أختيهما .

وفي سفر الخروج ٦/ ٢٠ : وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى .

وفي سفر أخبار الأيام الأول ٦/ ١ ـ ٣ : بنو لاوي جِرشون وقهات ومراري . وبنو قهات : عمرام ويصهار وعُزَّئيل . وبنو عمرام : هارون وموسى ومريم .

هذا من جهة انتسال هارون وموسى ومريم أختهما، ومريم أم المسيح ـ عليه السلام ـ من لاوي بن يعقوب وليئة، فإن عيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ ابنا خالة، ومريم أم المسيح ـ عليه السلام ـ أخت أليصابات زوجة زكريا وأم ابنه يحيى ـ عليهما السلام ـ كما في الفصل الأول من إنجيل لوقا، فنسبها يعود إلى هارون ـ عليه السلام ـ .

● ومن جهة يهوذا فقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢/ ٣ ـ ١٥ : بنو يهوذا : عير وأونان وشيلة، ولد الثلاثة من بنت شوع الكنعانية، وكان عير بكر يهوذا شرِّيراً في عين الرب فأماته، (وثامار) كنته ولدت فارص وزارح، كل بني يهوذا خمسة . ابنا فارص حصرون وحامول ـ ـ وبنو حصرون الذين ولدوا له : يرحمئيل ورام وكلوباي . ورام ولد عَمِّيناداب، وعميناداب ولد نحشون رئيس بني يهوذا، ونحشون ولد سلمو، وسلمو ولد بوعَز، وبوعز ولد عوبيد، وعوبيد ولد يسّى، ويَسَّى ولد بكره أليآت، وأبيناداب الثاني ـ ـ وداود السابع .

وهذا من جهة انتسال داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ من يهوذا بن يعقوب وليئة . وكذلك المسيح ـ عليه السلام ـ حسب زعم النصارى .

وفارص بن يهوذا وكنته (ثامار) هو جد كل من داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ وكذلك المسيح ـ عليه السلام ـ حسب زعم النصارى في نسب يوسف

http://kotob.has.it

النجار خطيب مريم الذي وضعوه له، ونسبوا المسيح ـ عليه السلام ـ إليه، ليوصلوه إلى داود ـ عليه السلام ـ وينادونه يا بن داود.

جاء في إنجيل متى ١/١ ـ ١٦: يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم: إبراهيم ولد إسحاق، وإسحاق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار، وفارص ولد حصرون، وحصرون ولد أرام، وأرام ولد عميناداب، وعيمناداب ولد نَحشون، ونحشون ولد سَلْمون، وسلمون ولد بوعَز من راحاب، وبوعز ولد عوبيد من راعوث، وعوبيد ولد يسى، ويسى ولد داود الملك، وداود ولد سليمان من التي لأوريا، وسليمان ولد رحبعام. ورحبعام ولد أبيا ـ ـ ومَتَّان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولدت يسوع الذي يدعى المسيح[1].

وعوبيد أمه (روث أو راعوث) الموآبية، فهي من جدات داود وسليمان والمسيح ـ عليهم السلام ـ وسليمان ولد لداود من المرأة التي لأوريا الحثي، ورحبعام بن سليمان ـ عليه السلام ـ من نعمة العمونية كما سبق، وهو من أجداد المسيح ـ عليه السلام ـ حسب زعم النصارى. فما أشرف هذه الأنساب التي جعلها أهل الكتاب بافتراءاتهم لأنبيائهم!.

وصفوة القول: لقد طعن أهل الكتاب بافتراءاتهم في نسب خمسة أنبياء:

أ ـ طعنوا في نسب داود وسليمان والمسيح حسب ادعاء النصارى في نسبه من النواحي التالية:

١ ـ من ناحية (روث أو راعوث) الموآبية، فهي من جدات ثلاثة الأنبياء.

٢ ـ انتسال الثلاثة من يعقوب ولَيئة التي دخل بها بدون عَقْد بدلاً من أختها، ثم جمع بينهما.

---

(١) تنبيه: مجموع الأجيال التي ذكرها متَّى (٤٢) جيلاً، من إبراهيم إلى داود (١٤)، ومن داود إلى سبي بابل (١٤)، ومن سبي بابل إلى المسيح (١٤)، وما ذكر في إنجيل لوقا ٣/ ٢٣ ـ ٣٨ أكثر من هذه الأجيال، ويختلف عنها. وقد جاء في لوقا عبارة: «وكان الناس يحسبونه ابن يوسف»، مع أن نسب يوسف نفسه يجب أن يعود إلى لاوي لا إلى يهوذا، لأنه حسب تعاليم توراتهم يجب أن يتزوج كل سبط من سبطه. فكيف يخطبها لولا أنه من سبطها؟!.

http://kotob.has.it

٣ ـ جعلوا فارص المخلوق من زنى يهوذا بكنته ثامار جد ثلاثة الأنبياء .

٤ ـ جعلوا عشيقة داود زوجة أوريا التي تستحق القتل أماً لسليمان وجدة للمسيح .

٥ ـ جعلوا نعمة العمونية جدَّة للمسيح .

ب ـ طعنوا في نسب هارون وموسى وأختهما مريم ـ ومريم أم المسيح ـ من الناحيتين التاليتين :

١ ـ انتسالهم من يعقوب وليئة التي دخل بها بدون عقد بدلاً من أختها، ثم جمع بينهما .

٢ ـ جعلوا ولادة هارون وموسى ومريم أختهما من زواج عمرام بعمته يوكابد .

والعجب من أهل الكتاب كيف دخل داود وسليمان والمسيح ـ عليهم السلام ـ في جماعة الربِّ؟! والأعجب منه أن مسيح اليهود المنتظر من نسل داود ـ عليه السلام ـ حسب زعمهم!! .

١ ـ زنى أمنون بن داود بأخته وسكوت داود:

جاء في سفر صموئيل الثاني ١٣/ ١ ـ ٢٢ : وكان لأبشالوم بن داود أخت جميلة، اسمها (ثامار)، فأحبَّها أمنون بن داود وأُحصِر للسُّقْم من أجلها، لأنها كانت عذراء، ويعسر عليه أن يفعل بها شيئاً، وكان له صاحب ذكي، اسمه يوناداب بن شِمعي أخي داود، فسأله عن سبب نحوله ومرضه المتزايد، فأخبره بكَلَفه (بثامار)، فأشار عليه بأن يضطجع على سريره ويتمارض، فإذا جاء أبوه ليراه، يطلب منه أن تأتي (ثامار) وتعمل الطعام وتطعمه، فذهبت (ثامار) إلى بيت أمنون وصنعت له الطعام، فأمر بإخراج كل أحد من عنده، ثم قال (لثامار): أدخلي الطعام إلى المخدع، ففعلت فأمسكها وقال لها: اضطجعي معي. فقالت: لا تذلِّني يا أخي، لا يفعل هكذا في إسرائيل، فلا تفعل هذه الفاحشة، أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكون واحداً من السفهاء في إسرائيل، فلم يسمع لها، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها، ثم أبغضها بغضاً شديداً جداً

http://kotob.has.it

وقال لها: قومي وانصرفي. فقالت: هل من سبب لطردك؟ إنّ هذا أعظم مما فعلته بي. فدعا الغلام الذي كان يخدمه وقال: اطرد هذه عني وأقفل الباب وراءها، ففعل. وكان عليها ثوب مُلَوَّن كشأن بنات الملك العذارى، فجعلت رماداً على رأسها ومزقت ثوبها، ووضعت يدها على رأسها، وذهبت صارخة. فقال لها أبشالوم: هل كان أمنون معك؟ كُفّي الآن يا أختي، إنه أخوك، ولا يأخذ من نفسك هذا الأمر. فأقامت في بيت أبشالوم مستوحشة. وسمع داود بجميع هذه الأمور فاغتاظ جداً ـ وعند الكاثوليك بزيادة: ولكنه لم يُحزن نفس أمنون، لأنه كان يحبه، إذ كان بكره، ولم يكلم أبشالوم أمنون بشرّ ولا بخير، لأنه أبغضه من أجل أنه أذل أخته ثامار.

والقصة واضحة الافتراء، لأن أمنون إذا أحبّ أخته ثامار وكلِف بها وأحصر للسقم من أجلها، ثم أدركها وأذلّها، فكيف يبغضها بغضاً شديداً بعد قضاء وطره منها كما ذكروا؟! نعم لو أنهم قالوا: أدرك خطورة عمله فطلب منها السكوت والانصراف ووعدها بالمساعدة، لكان أقرب إلى ما يجري عادة في مثل هذه الحالات الشاذة، أما أن يأمر الغلام بطردها وقفل الباب وراءها، فهذا مستبعد ولا سيما ممن شُغف، فكان على كُتَّاب الأسفار أين ينقحوها قبل أن يثبتوها، لكن لا بدَّ للوضع من أن ينكشف.

٢ ـ أبشالوم يغدر بأمنون ويهرب وداود يكتفي بالبكاء:

جاء في سفر صموئيل الثاني ١٣/ ٢٣ ـ ٣٩: وبعد سنتين كان لأبشالوم جزارون في بَعْل حاصور بالقرب من أفرايم، فدعا جميع بني الملك، وألح على الملك بالذهاب معه، فلم يشأ أن يذهب بل باركه. فقال: إذاً دَعْ أخي أمنون يذهب معنا، وألحَّ عليه، فأرسل معه أمنون وجميع بني الملك ـ زاد الكاثوليك: وصنع أبشالوم مأدبة كمأدبة الملوك ـ وقال لغلمانه: متى طاب قلب أمنون بالخمر، وقلت لكم: اضربوه؛ فاقتلوه، ولا تخافوا أليس أنا أمرتكم، ففعلوا كما أمر. فقام جميع بني الملك وهربوا، وفيما هم في الطريق وصل الخبر إلى داود ـ ـ وجاء بنو الملك. ورفعوا أصواتهم بالبكاء، وبكى الملك وعبيده بكاءً عظيماً. أما أبشالوم فقد هرب والتجأ إلى تِلماي بن عَمِّيهود ملك جشور، ولبث هناك ثلاث سنين. وناح داود على ابنه الأيام كلها، وكان يتوق إلى الخروج إلى

http://kotob.has.it

أبشالوم ـ وعند الكاثوليك: وأمسك عن طلب أبشالوم ـ لأنه تعزَّى عن موت أمنون.

وأيضاً فإن القصة بحاجة إلى تنقيح قبل أن يجعلوها قانونية، ألم يراود الشك داود ـ عليه السلام ـ عندما ألح عليه أبشالوم أن يدع أخاه أمنون يذهب معهم؟ هل كان غبياً إلى هذه الدرجة؟ وإذا سمح تحت الإلحاح لإظهار حسن النية، أما كان الأجدر به أن يذهب هو معهم ويُجلس أمنون بجانبه؟! لكن الحق أبلج والباطل لجلج.

٣ ـ عودة أبشالوم ودخوله على سراري داود:

جاء في سفر صموئيل الثاني ١٤/ ١ : وعلم يوآب بن صَرُويَةَ أنَّ قلب الملك على أبشالوم.

١٤/ ٢١ ـ ٢٤ : فعمل لعودته لدى الملك وألحَّ عليه، فقال داود: قد فعلتُ هذا الأمر، فاذهب ورد الفتى أبشالوم. فذهب يوآب إلى جشور وأتى به إلى أورشليم. فقال الملك: لينصرف إلى بيته ولا يرى وجهي. فانصرف ولم يَرَ وجهه.

١٤/ ٢٨ ـ ٣٣: وأقام أبشالوم في أورشليم سنتين ولم يرَ وجه الملك. فأرسل أبشالوم يوآب ليرسله إلى الملك عدة مرات فلم يأتِ إليه، فأمر أبشالوم عبيده أن يحرقوا حقل يوآب والشعير الذي فيه. فانطلق إلى أبشالوم يسأله عن السبب، فقال: لماذا جئت بي من جشور؟ كان خيراً لو بقيت هناك، قال يوآب والآن إني أرى وجه الملك، وإن وجد فيَّ إثم فليقتلني فجاء يوآب إلى الملك وأخبره، فدعا أبشالوم، فدخل على الملك وسجد على وجهه إلى الأرض، فقبَّله الملك.

١٥/ ١٦ : فخرج الملك وجميع بنيه وراءه، وترك عشر نساء سراري لحفظ البيت.

١٦/ ٢٠ ـ ٢٢ : فقال أخيتُوفَل لأبشالوم: ادخل على سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت، فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك، فتتشدَّد أيدي جميع الذين معك. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل.

http://kotob.has.it

هذا ما فعله أبشالوم، قتل أخاه، وأحرق حقل يوآب، ثم تآمر على أبيه ودخل على سراريه في غيابه، ومع ذلك يزعمون أنَّ داود لما أتاه خبر مقتله جزع وبكى ولم يصبر.

جاء في ١٨/ ٣٣ من السفر نفسه: فارتعش الملك وصعِد إلى عِلّية الباب، وكان يبكي ويقول وهو يتمشَّى: يا ابني أبشالوم يا ابني، يا ابني أبشالوم، يا ليتني متُّ عوضاً عنك، يا أبشالوم ابني يا ابني.

علماً بأن أمنون وأخاه أبشالوم يستحقان القتل بنص توراتهم. ففي سفر اللاَّويين ٢٠/ ١٠ ـ ١١: وإذا زنى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبه، فإنه يُقتَل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان، دمهما عليهما.

فما الذي أعاق داود ـ عليه السلام ـ عن إقامة الحد وتنفيذ حكم الله؟ هل طغت عاطفته على دينه؟ حاش لله أن يكون كذلك، لكن أحبار بني إسرائيل ورؤساءهم كانوا إذا أذنب فيهم الشريف تركوه، وإذا أذنب الضعيف أقاموا عليه الحدّ. ويظهر أنهم لفَّقوا هذه الافتراءات على الأنبياء لتكون مستنداً لهم، فدنسوا بيت داود كما دنَّسوا بيت يعقوب ولوط، عليهم السلام.

فضل داود وبراءته من افتراءاتهم:

لا ريب أنَّ ما تقدَّم عن داود ـ عليه السلام ـ في أسفارهم إفكٌ مفترى، وينقضه ما يلي:

١ ـ جاء في سفر صموئيل الثاني ٨/ ١٠: وملك داود على جميع إسرائيل، وكان يجري قضاء وعدلاً لكل شعبه، ٨/ ١٨: وبنو داود كانوا كهنة.

٢٢/ ١: وكلَّم داود الربَّ بكلام هذا النشيد في اليوم الذي أنقذه فيه الربّ من كل أعدائه فقال: الرب صخرتي وحصني ومنقذي.

٢٢/ ٢١ ـ ٢٥: كافأني الربُّ بحسب بري، وبحسب طهارة يدي أثابني، لأني حفظت طرق الربِّ، ولم أعصِ إلـهي، لأن أحكامه كلَّها أمامي، وسننه لم أحِدْ عنها، صرتُ لديه كاملاً، واحتفظت من إثمي، فأثابني الربّ بحسب بري وبحسب طهارتي أمام عينيه.

http://kotob.has.it

٢ ـ وجاء في سفر الملوك الأول ٣/ ٦ : فقال سليمان : قد صنعتَ إلى عبدك داود أبي رحمة عظيمة بحسب سلوكه بين يديك بحقٍّ وبرٍّ واستقامة قلب معك، وحفظتَ له تلك الرحمة العظيمة، ورزقته ابناً يجلس على عرشه كما هو اليوم.

وفي ٩/ ٤ ـ ٥ أنَّ الربَّ قال لسليمان: وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة، وعملت بجميع ما أمرتك به، وحفظت فرائضي وأحكامي، فإني أقيم كرسي ملكك على إسرائيل.

ومحال أن يكون الزنى والغدر والقتل وتعطيل الحدود والنياحة على الميت المستحق للقتل ونحو ذلك مما فيه مخالفة لأحكام الله من البر والطهارة وحفظ الفرائض والأحكام.

فثمَّة نصان متعارضان، وما من شكٍّ في أن النصوص الأخيرة هي التي تليق بنبي أكرمه الله، فلعلها من بقايا الوحي في أسفارهم.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [صٓ: ١٧ ـ ٢٠].

وقوله جلَّ جلاله: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [صٓ: ٢٥ ـ ٢٦].

وقال أيضاً: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١].

٤ ـ اتهام سليمان بالزواج من نساء كافرات حَمَلْنه على الردّة:

من المتفق عليه بين المؤرخين أن مملكة بني إسرائيل نعمت في عهد

http://kotob.has.it

سليمان ـ عليه السلام ـ بأمن وإيمان ورخاء لم يَسبق لها نظير، غير أنَّ اليهود الذين كتبوا التوراة شوَّهوا سيرته كما شوَّهوا سيرة أبيه وسيرة سائر الأنبياء من قبله، فقد ادَّعوا أنه وأباه من قبله أكثرا من النساء كثرة فاحشة، وزعموا أنه تزوَّج وتسرَّى بنساء من جنسيات مختلفة لا يحلُّ له أن يتزوجهن، وأنه بنى لهن بيوت الأوثان وقرَّب لهنَّ القرابين، فارتدّ في آخر عمره.

جاء في سفر الملوك الأول ٣/ ١: وصاهر سليمان فرعون ملك مصر، وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها.

١١/ ١ ـ ١٠: وأحبَّ الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون، موآبيات وعمونيَّات وأدوميَّات وصيدونيَّات وحِثيَّات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلوا إليهم ـ وعند الكاثوليك: لا تختلطوا بهم ـ وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، وكانت له سبعمئة من النساء السيدات، وثلاثمئة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه في زمن شيخوخته وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلـٰهه كقلب داود أبيه، فذهب وراء عشتاروت إلـٰهة الصيدونيين ومَلْكوم رِجسِ العمونيين، وعمل الشر في عيني الرب، فبنى مُرتفعَة لكَمُوشَ رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولَكَ رجس بني عَمُّون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب عليه، لأن قلبه مال عن الرب الذي تراءى له مرتين وأوصاه فلم يحفظ.

ولم يثبت من أسفارهم أنه تاب، بل الظاهر أنه مات مشركاً مرتداً حسب زعمهم.

فضل سليمان وبراءته:

لا ريبَ أنَّ هذه الاتهامات باطلة، إذ لا يمكن أن تصدر عن شخص كريم، فضلاً عن نبي اصطفاه الله وآتاه المُلك والحكمة، واختصَّه ببناء بيته دون أبيه، ووصفه بالبنوة ـ أي الصلاح من العبد والرحمة من الرب ـ وصرّح بأنه لا ينزع عن رحمته، كما سلف في القسم الأول. أفبعد كل هذا يتهمونه بعبادة الأصنام،

http://kotob.has.it

وينسبون إلى الله الجهل، ففوجئ بردَّة سليمان؟ أم يتهمونه بالبداء؟! لا ريب أنَّ هذا محض افتراء ترده أسفارهم وتنقضه.

جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٢٨/ ٦ ـ ٧: أنَّ الربَّ قال لداود: سليمان ابنك هو يبني بيتي وديارى، لأني اخترته لي ابناً، وأنا أكون له أباً، وأثبت مملكته إلى الأبد.

٢٩/ ٢٢ ـ ٢٣: وملكوا سليمان بن داود، ومسحوه رئيساً، وصادوق كاهناً، وجلس سليمان على كرسي الرب ملكاً مكان داود أبيه، ونجح وأطاعه كل إسرائيل.

٢٩/ ٢٥: وعظَّم الربّ سليمان جداً في أعين جميع إسرائيل، وجعل عليه جلالاً ملكياً لم يكن على ملك قبله في إسرائيل.

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ١/ ١: وتشدَّد سليمان على مملكته، وكان الربُّ إلـٰهه معه، وعظَّمه جداً.

١/ ٧ـ٨: في تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال: سل ماذا أعطيك؟ فقال سليمان: إنك قد فعلت مع داود أبي رحمة عظيمة، وملكتني مكانه.

وجاء في سفر الملوك الأول ٣/ ٧ ـ ١٣ أنَّ سليمان قال: والآن أيها الربّ إلـٰهي، أنت ملكت عبدك مكان داود أبي، وأنا فتى صغير، لا أعلم الدخول والخروج ـ ـ فأعطِ عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك، وأميز بين الخير والشر ـ ـ ـ فقال الله: من أجل أنك قد سألت هذا الأمر، ولم تسأل لنفسك أياماً كثيراً ولا غِنى ولا أَنْفُسَ أعدائك، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم، قد فعلتُ حسب كلامك، أعطيك قلباً حكيماً ومميزاً، حتى إنَّه لم يكن مثلك قبلك، ولا يقوم بعدك نظيرك، وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله، غنىً وكرامةً، حتى إنه لا يكون رجل مثلك في الملوك أيامك.

٤/ ٢٩ ـ ٣٢: وأعطى اللهُ سليمان حكمة وفَهْماً كثيراً جداً، ورَحْبَةَ قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر، وفاقت حكمته حكمة جميع بني المشرق، وكلَّ حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس.

http://kotob.has.it

فهو ـ عليه السلام ـ في أول شبابه دعا بهذا الدعاء، وطلب هذا الطلب، وأجابه ربُّه، فوهبه قلباً حكيماً فهيماً مميزاً، وأعطاه الغنى والكرامة، وحاش لله أن يسلب نعمة إيمان وحكمة أنعم بها على أحد أنبيائه.

٨/ ٢٢ ـ ٢٣: ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه جماعة إسرائيل وبسط يديه إلى السماء وقال: أيُّها الربُّ إلـه إسرائيل، ليس إلـه مثلك في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل، حافظ للعهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم.

٨/ ٥٤ ـ ٦١: ولما انتهى سليمان من الصلاة إلى الربِّ، نهض من الجثو على ركبتيه، ويداه مبسوطتان نحو السماء، وقال بصوت عالٍ: مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه ـ ـ ليميل بقلوبنا إليه، لكي نسير بجميع طرقه، ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه ـ ـ فليكن قلبكم كاملاً لدى الرب، إذ تسيرون في فرائضه وتحفظون وصاياه كهذا اليوم.

فالله سبحانه حافظ للعهد والرحمة، وقد وعد داود وابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ بالإكرام، وقد تمَّ ذلك إبَّان حياة داود، وها هو سليمان الآن يدعو الله أن يوجِّه قلبه وقلب من معه إليه سبحانه، ليحفظوا وصاياه وفرائضه، ويحثّ شعبه على ذلك، فهل يرتد ويعبد الأصنام بتأثير من أزواجه؟! هذا بعيد بل محال.

وجاء في سفر الملوك الأول ٣/ ١: وصاهر سليمان فرعون ملك مصر، وأخذ بنت فرعون، وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسَوَّر أورشليم حواليها.

وفي سفر أخبار الأيام الثاني ٨/ ١١: وأما بنت فرعون فأصعدها سليمان من مدينة داود إلى البيت الذي بناه لها، لأنه قال: لا تسكن امرأة لي في بيت داود، لأن الأماكن التي دخل إليها تابوت الرب مقدَّسة.

إذاً فقد نأى بزوجته بنت فرعون عن السكنى في مدينة داود حفاظاً على الأماكن المقدَّسة، فكيف يُشرك بالله ويجعل له أنداداً طاعة لزوجاته.

وفي أخبار الأيام الثاني ٩/ ٢٢ ـ ٢٣: فتعظم سليمان على كل ملوك

http://kotob.has.it

الأرض في الغنى والحكمة، وكان جميع ملوك الأرض يلتمسون وجه سليمان ليسمعوا حكمته التي جعلها الله في قلبه.

حاش لنبي جعل الله الحكمة في قلبه أن يرتد في آخر عمره. وقد ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم فضل داود وسليمان وعلمهما، وأعلى مكانتهما، وخصَّ سليمان بمزيد من الفهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وقال سبحانه حكاية عن سليمان: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال أيضاً حكاية عنه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال جلَّ جلاله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٣٠].

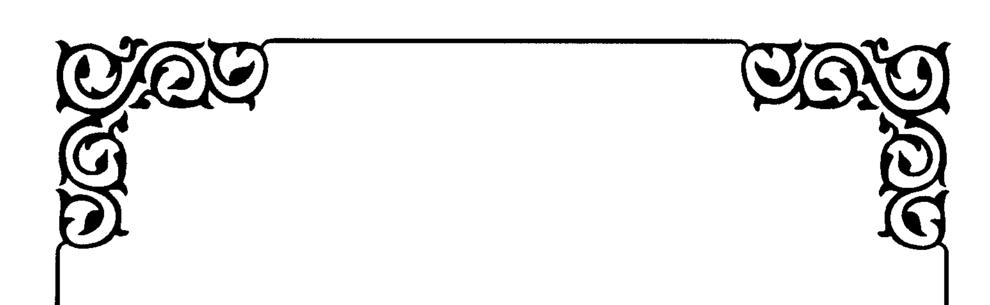
وقال أيضاً في حقه: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [صٓ: ٤٠].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩].

* * *

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it



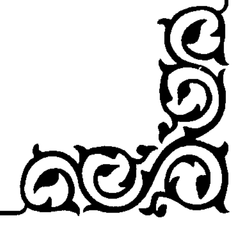
الفصل الثاني

اتهامهم الأنبياء بالإرهاب

ويتضمن الفرعين التاليين:

١ ـ الجهاد المشروع والظلم الممنوع

٢ ـ اتهام الأنبياء بالمجازر وجرائم الحرب

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
الجهاد المشروع والظلم الممنوع

الأنبياء ـ عليهم السلام ـ متَّفقون على أنَّ الجهاد مشروع، لأنَّه وسيلة لردع الطغاة وإزاحة العقبات وتحقيق العدل، وأنَّ الظلمَ فيه وفي غيره ممنوع، فهو وسيلة، وليس غاية في حدِّ ذاته، إذ ليس القتل والتدمير والتحريق مطلباً، ويدفع بالأخفِّ إن أمكن. ولنا في سيرة خاتم النبيين ـ ﷺ ـ وسيرة أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ومن سار على نهجهم من أمته خير مثال ودليل. فقد أقام النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه بمكة بضع عشرة سنة، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد لحقت بهم المحن والإحن فصبروا، وكانوا بين كاتمٍ إيمانَه ومعذَّبٍ مضطهَد أو مهاجر مغترب، ومَن فكَّر منهم بالدفاع عن نفسه قيل له كما في الآية: ﴿ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ [النساء: ٧٧]، إذ كانوا مأمورين بالصبر.

ولما هاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم وبدنهم صادر كفار قريش أموالهم ولاحقوهم، وحرَّضوا عليهم قبائل العرب، فشمَّروا لهم ساق العداوة، وكاد لهم جيرانهم اليهود وغدروا بهم وطعنوهم من الخَلْف في أحلك الظروف رغم المواثيق والمعاهدات.

وفي أول السنة الثانية للهجرة أذن الله لهم بالقتال، فأنزل الله على رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠]، ثم أنزل: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ثم فرض الجهاد، فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وأنزل أيضاً: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، فبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، ونصرهم الله رغم قلَّة عددهم وكثرة عدوهم وقوته.

إنَّ الجهاد العادل الرحيم أقرته جميع الشرائع السماوية على لسان جميع

http://kotob.has.it

الأنبياء، وقد جاهد إبراهيم وموسى وهارون ويشوع بن نون وطالوت (شاول) وداود وسليمان وغيرهم ـ عليهم السلام ـ ثم جاء خاتمهم ـ ﷺ ـ فكان رحمةً للعالمين، ليس بفظٍّ ولا غليظ، يحب الحقّ ويكره الباطل، يقيم العدل ويمنع الظلم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يتلطَّف بالمساكين والضعفاء ويحسن إلى الناس جميعاً في أشد الحروب.

من وصايا النبي ﷺ لجيشه:

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «وُجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ـ ﷺ ـ فنهى عن قتل النساء والصبيان». [أخرجه الجماعة إلا النسائي].

وفي رواية أخرى للبخاري: فأنكر رسول الله ـ ﷺ ـ قتل النساء والصبيان.

وروى الطبراني في الأوسط عنه ـ رضي الله عنه ـ قال: لما دخل النبي ـ ﷺ ـ مكة أُتي بامرأة مقتولة، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل!». ونهى عن قتل النساء والصبيان.

وعن رياح بن ربيع ـ رضي الله عنه ـ أنه خرج مع رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة غزاها، وعلى مقدمتهم خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ فمر رياح وأصحابه على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها، حتى لحقهم رسول الله ـ ﷺ ـ على راحلته، فأفرجوا عنها، فوقف عليها رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «ما كانت هذه لتقاتل». وقال لأحدهم: «الحق خالداً فقل له: لا تقتلوا ذرية ولا عسيفاً». [أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقي].

وعند أبي داود أيضاً: «لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا امرأة».

وأخرج أبو داود في المراسيل عن عكرمة أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ رأى امرأة مقتولة بالطائف فقال: «ألم أنْهَ عن قتل النساء؟ مَنْ صاحبها؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، أردفتها فأرادت أن تصرعني فتقتلني فقتلتها. فأمر أن توارى [ووصله الطبراني في الكبير][1].

---

(١) وفيه حجاج بن أرطأة، وأرسله ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن يحيى الأنصاري.

http://kotob.has.it

أي: تدفن. وهذا من باب الإكرام والرحمة حتى مع الأعداء وفي الحرب.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «انطلقوا باسم الله وبالله، وعلى ملَّة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة، ولا تَغُلوا وضمُّوا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إنَّ الله يحب المحسنين». [أخرجه أبو داود][1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا باسم الله تعالى، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع» [أخرجه أحمد][2].

وعن الأسود بن سريع قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تقتلوا الذرية في الحرب»، فقالوا: يا رسول الله، أليس هم أولاد المشركين؟ قال: «أوليس خياركم أولاد المشركين؟!». [أخرجه أحمد][3].

وعن ابن كعب بن مالك عن عمه ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبيَّ ـ ﷺ ـ حين بعث إلى ابن أبي الحُقَيق بخيبر نهى عن قتل النساء والصبيان. [أخرجه أحمد][4].

وعن صفوان بن عسال ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثنا رسول الله ـ ﷺ ـ في سرية فقال: «سيروا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثّلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً». [أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه].

من وصايا الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم:

عن يحيى بن سعيد أنَّ خليفة رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنه ـ بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان ـ وكان يزيد ربع من تلك الأرباع ـ

---

(١) وفي إسناده خالد بن الفِزْر.

(٢) وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وهو ضعيف، ووثقه أحمد، وفي الباب نحوه عند البيهقي. والأحاديث متضافرة.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٤) وأخرجه الإسماعيلي في مستخرجه، وأخرجه أبو داود وابن حبان من حديث الزهري مرسلاً. وقال في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح.

http://kotob.has.it

فقال: إنِّي موصيك بعشر خلال: لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرِّب عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تعقرنَّ نخلاً ولا تحرقه ولا تَغْلُلْن ولا تخبن. [أخرجه مالك في الموطأ][1].

وروى سعيد أنه قال له: لا تقتلوا صبياً ولا امرأة ولا هرماً، وستمرّون على أقوام في الصوامع قد حبسوا أنفسهم فيها، فدعوهم حتى يميتهم الله على ضلالهم.

وروى الطبري وابن الأثير في (الكامل) أنه ـ رضي الله عنه ـ وصَّى جيش أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ فقال: قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني: لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

وروى سعيد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه وصَّى سلمة بن قيس فقال: لا تقتلوا امرأة ولا صبياً ولا شيخاً هرماً.

ورُوي أنه خطب المجاهدين فقال: لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثّلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأةً ولا ولداً، ونزّهوا الجهاد عن عرض الدنيا، وأبشروا بالأرباح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم.

الأحكام الفقهية المستنبطة:

اتفق الفقهاء على منع القصد إلى قتل النساء والولدان ونحوهم كالزمن والأعمى والراهب بدون حاجة أو سبب. واتفقوا أيضاً على أنَّه إذا ظفر المسلمون بالكفار لم يجز قتل من لم يبلغ من الذكور واختلفوا فيما عدا ذلك:

أ ـ ذهب مالك والأوزاعي إلى أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان بحال من

---

(١) وهو مرسل، لأن يحيى لم يدرك زمن أبي بكر. ورواه البيهقي من حديث يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب، ورواه سيف في الفتوح عن الحسن بن أبي الحسن مرسلاً.

http://kotob.has.it

الأحوال، مستنداً إلى تلك الأحاديث، حتى لو تترَّس بهم أهل الحرب لم يجز رميهم ولا تحريقهم.

ب ـ وذهب الجمهور إلى أنَّ المرأة إذا قاتلت جاز قتلها، وكذلك غيرها، فمن قاتل منهم جاز قتله، فلا يجوز قتل المستضعفين كالأجير الذي يكون مع المحاربين والشيخ الفاني الذي لم يَبْقَ فيه نفع للكفار ولا مضرة للمسلمين، بخلاف من فيه نفع لهم ولو بالرأي، فيجوز قتله، ولا يجوز قتل من كان متخلياً للعبادة من الكفار كالرهبان، لإعراضه عن ضر المسلمين.

وبذلك جمعوا بين الأحاديث والآثار.

جـ ـ وقال ابن حبيب من المالكية: لا يجوز القصد إلى قتل المرأة إذا قاتلت، إلا إذا باشرت القتل وقصدت إليه. وكذلك الصبي المراهق. عملاً بظاهر ما رواه أبو داود في المراسيل عن عكرمة(١).

ذلك هو كلام ربنا سبحانه، وتلك هي سنّة نبيّنا ـ ﷺ ـ وسنّة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ـ رضي الله عنهم ـ وهذه هي اجتهادات فقهائنا ـ رحمهم الله ـ وجهادهم إنما هو امتداد لجهاد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وأممهم من قبل، لإعلاء كلمة الله، وتوفير العدالة والأمان لكل نفس خلقها الله من إنسان أو حيوان، والتاريخ الموثَّق حافل بذلك، غير أنَّ أسفار الكتاب المقدَّس لدى أهل الكتاب التي وضعها أحبارهم، تنسب إلى أنبيائهم جرائم حرب ومجازر وحرائق وفظائع إرهاب طالت الأطفال والحيوانات من بقر وحمير اعتسافاً من غير حاجة أو داعٍ كما سنرى، وذلك ليبرِّروا مكرهم وغدرهم بالناس وقسوة قلوبهم وانتقامهم بعد أن يتمكَّنوا.

* * *

(١) انظر الأحاديث والأحكام في فتح الباري: ٦/ ١٧٨ ـ ١٧٩ و١٨٢ و١٨٧؛ ونيل الأوطار: ٨/ ٧٢ ـ ٧٥؛ والمغني: ٨/ ٤٧٥ و٤٧٧ ـ ٤٧٨.

http://kotob.has.it

[٢]
اتهام الأنبياء بالمجازر وجرائم الحرب

أطلق الكهنة الذين كتبوا الأسفار العِنَان لأقلامهم في الافتراء على الأنبياء وتزوير الحقائق، حتى لا يستوحشوا بين الناس بالانفراد بالقسوة وأمهات القبائح إذا قدروا على النيل من غيرهم، فنسبوا إلى الأنبياء من المجازر وجرائم الحرب في حق الإنسانية والضرع والزرع ما لا يصدر إلا من حقود لا قلب له. فقد صوروا دخول شعب إسرائيل إلى فلسطين اجتياحاً مارسوا فيه بأمر الأنبياء كل صنوف الوحشية والقتل والجرائم والإبادات، بدلاً من أن يكون فتحاً رحيماً يسمو بمكارم الأخلاق، وبرروا ذلك بأنه من أجل تحقيق الوعد بالأرض ضمن نطاق عهد الله معهم ووعده إياهم، فجعلوا إلـٰههم (يهوه) يتخلق بأخلاقهم، فيقتل ويدمر ويحرق، ليضفوا صفة القدسية على مشاريعهم التوسعية في كل عصر، كما يفعلون الآن في فلسطين المحتلة، مع أنه من الصعب على أي متدين بدين أن يقبل أن أمن الدولة الصهيونية يحتاج إلى هضم حقوق الفلسطينيين وطردهم وقتلهم، لكنها العنصرية، وليس الإيمان. ويذكر كاتبو الأسفار أن العنف انتقل أيضاً إلى داخل المملكة، فالملك العنيف بالخارج توجه بالأسلوب نفسه إلى قادة مملكته ومنافسيه، فانتشر القهر والظلم كما سنرى.

* * *

أولاً: اتهام موسى بجرائم حرب

يدَّعي كُتَّاب التوراة أنَّ بني إسرائيل قاتلوا أقواماً شرقي نهر الأردن وانتصروا عليهم، وأنَّ موسى ـ عليه السلام ـ أمرهم أن يفعلوا بهم فعل الذئاب بغنم لا راعي لها.

اتهامه بقسوة الانتقام من الكنعانيين:

جاء في سفر العدد ٢١/ ١ ـ ٣: ولما سمع الكنعاني ملكُ عَرَاد الساكن في الجنوب أنَّ إسرائيل جاء في طريق أتاريمَ حارب إسرائيلَ وسبى منهم، فنذر إسرائيل للرب: إن دفعت هؤلاء إلى يدي أُحَرِّمُ ـ أي: أهلك ـ مدنهم. فسمع

http://kotob.has.it

الربّ لقوله ودفع الكنعانيين، فحرَّموهم ومدنهم، فدعي اسم المكان حُرْمة.

ولا ريب أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ كان عادلاً رحيماً حتى في جهاده، لكن اليهود نسبوا إليه قسوة الانتقام، فعلى فرض صحة وقوع هذه الحرب أما كان يكفي هزم الوثنيين في الحرب وتحرير السبي منهم، ثم العفو عن الجميع تأليفاً لقلوبهم ودعوتهم إلى الحق، فإنَّ الأنبياء بُعثوا رحمةً للعالمين؟ أو على الأكثر قتل من أجرم منهم جرماً كبيراً فقط بدلاً من إهلاكهم جميعاً وتدمير مدنهم.

قسوة الانتقام من الأموريين:

جاء في سفر العدد ٢١/ ٢١ ـ ٢٥: وأرسل موسى رسلاً إلى سيحون ملك الأموريين أن دعني أمرّ في أرضك، لا نميل إلى حقل ولا نشرب ماء بئر. فلم يسمح، بل جمع قومه وخرج للقائهم، فضربه إسرائيل بحد السيف وملك أرضه ــ وأقام في جميع مدن الأموريين في حشبون وكل قراها.

وفي سفر التثنية ٢/ ٢٤ ـ ٣٦: أنَّ الربَّ قال: قوموا ارتحلوا واعبروا وادي أرنون، قد دفعت إلى يدك سيحون ملك حشبون الأموري وأرضه، ابتدئ تَملَّكْ وأثر عليه حرباً ــ فأرسلتُ رسلاً من برية قديموت إلى سيحون ملك حشبون أني أمر في أرضك، أسلك الطريق الطريق، لا أميل يميناً ولا شمالاً ــ إلى أن أعبر الأردن إلى الأرض التي أعطانا الرب إلـٰهنا، لكن لم يشأ يدعنا نمر ــ فخرج بقومه إلى ياهص للحرب، فدفعه الرب إلـٰهنا أمامنا، فضربناه وجميع قومه، وأخذنا كل مدنه، وحَرَّمنا ـ أي: قتلنا ـ من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال، لم نبق شارداً، لكن البهائم نهبناها، وغنيمة المدن أخذناها من عَروعير التي على حافة وادي أرنون والمدينة التي في الوادي إلى جِلعاد، لم تكن قرية امتنعت علينا.

سبحان الله، ذاك هو النذر إلى الله، وهذا هو أمر الله وتنفيذ نبيه وشعبه المختار حسب زعم أسفارهم المقدسة، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ . . .﴾ [الأعراف: ٢٨ ـ ٢٩]، وما يأتي أدهى وأمر.

مجزرة باشان:

جاء في سفر العدد ٢١/ ٣١ ـ ٣٥: وأقام إسرائيل في أرض الأموريين،

http://kotob.has.it

وأرسل ليتجسس بعَزير، فأخذوا قراها وطردوا الأموريين الذين هناك، ثم تحوَّلوا وصعدوا في طريق باشان، فخرج عوج ملك باشان للقائهم في إذْرَعي، فقال الرب لموسى: قد دفعته إلى يدك مع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين في حشبون، فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يَبْقَ له شارد، وملكوا أرضه.

فهم تتبعوا المنهزمين وقتلوهم ولم يأسروهم، فأبادوهم إبادة تامة كما فعلوا من قبل حتى لا يبقى منهم رضيع. لقد آذوا موسى ـ عليه السلام ـ حياً بأعمالهم وميتاً بافتراءاتهم.

وفي سفر التثنية ٣/ ١ ـ ١١: ثم صعدنا في طريق باشان، فخرج عُوج ملك باشان وقومه للحرب في إذْرَعي، فقال الرب: قد دفعته إلى يدك وجميع قومه وأرضه، فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين في حشبون. فضربناه حتى لم يبقَ له شارد، وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت، لم تكن قرية لم نأخذها منهم، ستون مدينة، كل كورة أرجوب مملكة عوج في باشان، سوى قرى الصحراء الكثيرة جداً، فحرمناها كما فعلنا بسيحون ملك حشبون محرمين كل مدينة: الرجال والنساء والأطفال، لكن البهائم وغنيمة المدن نهبناها لأنفسنا، وأخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التي في عَبْر الأردن من وادي أرنون إلى جبل حرمون ـ ـ كل مدن السهل وكل جِلعاد وكل باشان إلى سلخة وإذرعي مدينتي مملكة عوج في باشان.

اتهامه بإبادة المديانيين:

جاء في سفر العدد ٢٢/ ٢ ـ ٧: ولما رأى بالاق بن صِفّور ما فعل إسرائيل بالأموريين ـ وكان ملكاً لموآب في ذلك الزمان ـ فزع موآب من الشعب، لأنه كثير، وضجر منه، فقال لشيوخ مِدْيان: الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا كما يلحس الثور خضرة الحقل، فأرسل رسلاً إلى بَلْعام بن بَعْور قائلاً: هو ذا شعب خرج من مصر، غشي الأرض، وهو مقيم مقابلي، فالآن تعال والعن هذا الشعب، لعله يمكننا أن نكسره ونطرده ـ ـ وانطلق شيوخ موآب وشيوخ مِديان إلى بلعام وكلَّموه بكلام بالاق.

١٦/٢٥: ثم كلَّم الربُّ موسى قائلاً: ضايقوا المديانيين واضربوهم،

http://kotob.has.it

لأنهم ضايقوكم بمكايدهم التي كادوكم بها في أمر فُغُور وأمر كُزْبيَّ أختِهم بنت رئيسٍ لمديان التي قُتلت يوم الوباء بسبب فغور.

٣١/ ١ ـ ٣: وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: انتقم لبني إسرائيل من المديانيين، ثم تضم إلى قومك. فكلَّم موسى الشعب قائلاً: جرِّدوا منكم رجالاً للجند فيكونوا على مِدْيان، ليجعلوا نقمة الربّ عليهم.

٣١/ ٧ ـ ١٢: فتجنَّدوا على مديان وقتلوا كل ذكر، وقتلوا ملوك مديان فوقهم، وسَبَوا نساءهم وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم ومواشيهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتَوا إلى موسى وألِعازار الكاهن وجماعة إسرائيل بها إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا.

٣١/ ١٤ ـ ١٨: فسخط موسى على وكلاء الجيش والرؤساء القادمين من جند الحرب وقال: هل أبقيتم كل أنثى حيَّة؟ ـ ـ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكلَّ امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات.

وهذه المرة لم يفتروا على موسى ـ عليه السلام ـ فحسب، بل افتروا على الله أيضاً، فثمَّة فرق كبير بين الإفراط في الانتقام مع القسوة الشديدة والتشفّي وبين التأديب. ومن ناحية أخرى لِمَ ينقمون من فرعون ما يبيحون أفظع وأشنع منه لأنفسهم، ويفخرون به في أسفارهم المقدَّسة؟ أليس هذا ما فعله فرعون بهم؟ يُذبح الأطفال الذكور، ويستحيى الأطفال الإناث.

وصيته بالإبادة والتسخير بعد العبور:

جاء في سفر العدد ٣٣/ ٥٠ ـ ٥٣: وكلَّم الربُّ موسى في عَرَبات موآب على أردن أريحا قائلاً: قل لبني إسرائيل: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كلَّ سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم ـ ـ تملكون الأرض وتسكنون فيها.

٣٣/ ٥٥: وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون

http://kotob.has.it

منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها.

لا ريب أن الجهاد العادل الرحيم حق، وإزالة الباطل من عمل الأنبياء والصالحين، لكن طرد السكان مباشرة بدون أية محاولة للإصلاح ليس من عمل الأنبياء.

وجاء في سفر التثنية ٢٠/ ١٠ ـ ١٧: حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك؛ فكل الشعب فيها يكون للتسخير ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل حاربتك فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة فتضمها لنفسك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلـٰهك نصيباً فلا تَسْتَبْقِ منها نسمة، بل تُحرِّمها تحريماً.

سبحان الله، إبادة كاملة وتطهير عرقي. ما ذنب الشيوخ والعجائز والصغار والرضَّع؟ أين الرحمة؟ ما هذه القساوة المنسوبة إلى الله وأنبيائه؟!.

جاء في سفر يشوع ٩/ ٢٤ أنَّ سكان جبعون ذكروا ليوشع أنهم سمعوا أنَّ الربَّ أمر موسى أن يعطي بني إسرائيل كل الأرض، ويبيد سكانها من أمامهم.

هذا ما اتهموا به موسى ـ عليه السلام ـ ونسبوه إليه، أما نحن المسلمين فنعتقد أنَّ موسى ـ عليه السلام ـ من أولي العَزْم من الرسل، وإنما يجاهد برحمة وعدل، ونبرِّئه من جميع ما اتهموه به من قَسْوة وظلم. والعجب أنهم يزعمون أنهم قاتلوا معه شرقي الأردن وفعلوا معه هذه الأفاعيل، ثم نكصوا عن العبور، وقالوا له: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، فعوقبوا بالتِّيه.

* * *

http://kotob.has.it

ثانياً: اتهام يوشع بمجازر لا تبقي ولا تذر

يوشع بن نون هو فتى موسى ـ عليه السلام ـ وخادمه، لازمه وآزره حال حياته، وبعد موت موسى ـ عليه السلام ـ وانقضاء التِّيه عَبَرَ ببني إسرائيل الأردن إلى الأرض المقدَّسة وجاهد الوثنيين جهاداً عادلاً رحيماً، ورجح كثير من علماء المسلمين أنَّه نبي، غير أن أسفار اليهود تنسب إليه مجازر متتالية لا تبقي ولا تذر؛ منها ما يلي:

أ ـ مجزرة أريحا:

جاء في سفر يشوع ٦/ ١٦ ـ ١٧ أنَّه قال للشعب: اهتفوا لأنَّ الربَّ قد أعطاكم المدينة، فتكون المدينة وكل ما فيها مُحَرَّماً للربِّ.

٦/ ٢٠ ـ ٢٤: وصعد الشعب إلى المدينة ـ ـ وحَرَّموا كل ما فيها من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدِّ السيف ـ ـ وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، إنما الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة الرب.

ما أبرهم ببيت الله، وما أقساهم على ذوات الأرواح من مخلوقاته، ولو ذكر غيرهم ذلك عنهم لقلنا: هو مغرض مفترٍ، ولكنهم يذكرونه في أسفارهم المقدَّسة، ويرونه ديناً وشرعاً يفخرون به.

ب ـ مجزرة عاي:

جاء في سفر يشوع ٨/ ١ ـ ٢: فقال الربُّ ليشوع: خُذْ معك جميع رجال الحرب واصعد إلى عاي، قد دفعتُ بيدك ملكَ عاي وشعبه ومدينته وأرضه، فتفعل بعاي كما فعلت بأريحا ومَلكها، غير أنَّ غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم، اجعل كميناً للمدينة من ورائها.

٨/ ٧ ـ ٨: وأنتم تقومون من الكمين وتملكون المدينة، ويدفعها الرب بيدكم، ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمونها بالنار، كقول الرب تفعلون.

http://kotob.has.it

٨/ ٢٣ ـ ٢٨: ولما رأى يشوع أنَّ الكمين قد أخذ المدينة والدخانَ قد صعد، انثنوا وضربوا رجال عاي حتى لم يَبْقَ منهم شارد ولا منفلت، وأمسكوا ملك عاي وقدَّموه إلى يشوع، ولما انتهوا من قتل جميع السكان في البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحدِّ السيف حتى فَنَوا رجعوا جميعاً إلى عاي وضربوها بحدِّ السيف ـ ـ ويشوع لم يردّ يده التي جعلها علامة على بدء القتال حتى حَرَّم جميع السكان ـ ـ وأحرق عاي وجعلها تلاًّ أبدياً خراباً إلى هذا اليوم، وعلَّق ملك عاي على الخشبة إلى المساء، وعند الغروب أمر بإنزال جثته، فطرحوها عند مدخل المدينة، وأقاموا عليها رُجْمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم.

أي: إلى وقت كتابة هذا السفر. وإلى مجازر متتالية.

جـ ـ مجازر أخرى متتالية:

جاء في سفر يشوع ٩/ ١: ولما سمع جميع الملوك الذين في عِبْر الأردن في الجبل والسهل وكل ساحات البحر الكبير إلى جهة لُبنان اجتمعوا معاً لمجابهة يشوع.

١٠/ ٥: فاجتمع ملوك الأموريين الخمسة: ملك أورشليم وملك حبرون وملك يَرْموت وما لَخيش وملك عَجلون، وصعِدوا كلهم، ونزلوا على جِبْعون، لأنها صالحت يشوع.

١٠/ ٧ ـ ١٠: فصعد يشوع من الجِلْجال وأتاهم بغتة، وضربهم ضربة عظيمة في جِبعون، وطردهم في طريق عقبة بيت حورون، وضربهم إلى عَزيقة وإلى مَقَيِّدة.

١٠/ ١٥ ـ ٢٧: فهرب خمسة الملوك واختبؤوا في مغارة مَقَيِّدة. فقال يشوع: دحرجوا حجارة عظيمة على فم المغارة، وأقيموا عليها رجالاً لحفظهم، واسعوا وراء أعدائكم، واضربوا مؤخرهم لا تدعوهم يدخلون مدنهم.

ولما انتهى يشوع من ضربهم حتى فنوا، والذين شردوا منهم دخلوا المدن المحصنة، رجع إلى مقيدة وأمر بفتح المغارة وإخراج الخمسة، ثم قال لقواده: ضعوا أرجلكم على أعناقهم، وبعد ذلك قَتَلهم وعلَّقهم على خمس خشبات حتى

http://kotob.has.it

المساء، فأنزلوهم وطرحوهم في المغارة، ووضعوا حجارة كبيرة على فمها إلى هذا اليوم.

١٠/ ٢٨ : وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم، وضربها بحدِّ السيف، وحرَّم مَلِكها وكلَّ نفس بها؛ لم يُبْقِ شارداً، فعل بملكها كما فعل بملك أريحا.

١٠/ ٢٩ ـ ٤١ : ثم اجتاز من مقيدة إلى لِبْنَةَ ـ ـ فضربها بحدِّ السيف وكلَّ نفس بها، لم يُبْق منه شارداً، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا، ثم اجتاز إلى لَخيش، فأخذها وضربها بحدِّ السيف وكل نفس بها حسب كل ما فعله بلبنة. حينئذ صعِد هورام ملك جازَرَ لإعانة ملك الخيش، فضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارداً، ثم اجتاز إلى عجلون، فضربوها بحدّ السيف، وحرَّم كل نفس بها حسب كل ما فعل بخليش، ثم صعد إلى حَبْرون، فضربوها بحدّ السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها، لم يبق شارداً حسب كل ما فعل بعجلون، ثم رجع إلى دبير، فحاربها وأخذها مع ملكها وكل مدنها، وضربوها بحدّ السيف، وحرموا كل نفس بها، لم يُبقِ شارداً، كما فعل بحبرون وملكها وبلبنة وملكها. فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها، لم يُبقِ شارداً، بل حَرَّم كل نسمة كما أمر الرب إلـه إسرائيل.

١١/ ١ ـ ١٥ : فلما سمع ملك حاصور أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى شِمْرون وإلى ملك أكْشاف وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل والعربة والسهل ومرتفعات دُور غرباً ـ ـ فخرجوا واجتمعوا بميعاد ـ ـ فجاء يشوع وسقط عليهم بغتة وطردهم إلى صيدون العظيمة، فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد، ثم رجع يشوع وأخذ حاصور، وضرب ملكها بالسيف، وضربوا كل نفس بها بحدّ السيف، حرموهم، ولم تبقَ نسمة، وأحرق حاصور بالنار، فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحدّ السيف ـ ـ وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو إسرائيل لأنفسهم، وأما الرجال فضربوهم بحدّ السيف جميعاً حتى أبادوهم، لم يبقوا نسمة كما أمر الرب عبده موسى، هكذا أمر موسى يشوع، وهكذا فعل.

١١/ ٢١ ـ ٢٣ : وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العَنَاقِيِّين ـ ـ حرمهم

http://kotob.has.it

يشوع مع مدنهم، فلم يتبق عَنَاقيون في أرض بني إسرائيل، لكن بَقَوا في غزة وجَتَّ وأشدود.

فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسى، وأعطاها ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم.

اتهامه بالإفراط في العقوبة وإقامة مذبحة للأبرياء من قومه:

جاء في سفر يشوع ٧/ ١: وخان بنو إسرائيل في الحرام، فأخذ عَخان بن كَرمي بن زُبدي بن زارَح من سبط يهوذا من الحرام ـ وعند الكاثوليك: وتعدَّى بنو إسرائيل في أمر المُبْسَل، فأخذ عاكان بن كرمي ـ فحمي غضب الرب على بني إسرائيل.

٧/ ١٠ ـ ١٢: فقال الربُّ ليشوع: ـ ـ قد أخطأ إسرائيل، بل تعدَّوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا، بل وضعوا في أمتعتهم ـ ـ ولا أعود أكون معكم إن لم تُبيدوا الحرام من وسطكم.

٧/ ١٥: ويكون المأخوذ بالحرام يحرق بالنار هو وكل ماله، لأنه تعدَّى عهد الرب، ولأنه عمل قباحة في إسرائيل.

٧/ ١٦ ـ ٢٦: فبكر يشوع في الغد، وقَدِم إسرائيل بأسباطه، فأُخذ سبط يهوذا، ثم قدم قبيلة يهوذا، فأخذت عشيرة الزارحيين فقدمت، فأخذ زَبدي فقدم بيته، فأخذ أخان بن كرمي. فقال يشوع لعخان: يا ابني أعطِ الآن مجداً للربّ واعترف له، وأخبرني ماذا عملت؟ فقال: حقاً إني قد أخطأت، رأيت في الغنيمة رداء شِنعارياً نفيساً ومئتي شاقل فضة ولسان ذهب، وزنه خمسون شاقلاً فأخذتها، وها هي مطمورة في الأرض في وسط خيمتي، والفضة تحتها، فأرسل يشوع رسلاً فأخذوها من وسط الخيمة، وأتَوا بها إلى يشوع وجميع بني إسرائيل وبسطوها، فأخذها يشوع، وأخذ عخان بن زارَح وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه إلى عَخُور وقال له: كدرتنا يكدرك الربُّ هذا اليوم. فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة، وأحرقوهم بالنار، وأقاموا فوقه رُجْمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم، فرجع الربُّ عن حُموّ غضبه. ولذلك دعي اسم ذلك المكان وادي عخور إلى هذا اليوم.

http://kotob.has.it

وحاشَ لله أن يحكم نبي بهذا الحكم، فيعاقب بأغلظ العقوبات من لا ذنب له من ذرية ضعيفة بسبب جناية أبيهم مخالفاً نص التوراة، فقد جاء في سفر التثنية ٢٤/١٦: «لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيته يقتل». ثم ما ذنب الحيوانات التي أحرقت؟! أما كان يمكن أن تصرف في مصلحة المجاهدين أو في غير ذلك من سبل الخير؟! لكنه تلاعب الأحبار بالنصوص ليجعلوا لأنفسهم مكانة وهيبة في نفوس العامة، فجعلوا من يشوع سفاحاً ظالماً للإنسان، وقاسياً على الحيوان، ومتلفاً للأموال سفهاً، ومخالفاً للتوراة عاصياً لأوامر الله. لقد افتروا على موسى وفتاه ـ عليهما السلام ـ فجعلوا منهما سفَّاحين مجرمي حرب، لا تعرف الرحمة إلى قَلْبَيْهما سبيلاً، ليعبروا عما تفيض به نفوسهم من حقد على غيرهم من الأمم، وليروا قسوة قلوبهم، فلا يوجد في أسفارهم عن أنبيائهم سوى القتل والسلب والتدمير والحرق للمدن والبشر والحيوانات صغاراً وكباراً.

لقد أتعبوا بعنادهم وقسوة قلوبهم ومعاصيهم موسى وهارون وفتى موسى ـ عليهم السلام ـ حال حياتهم، ثم افتروا عليهم وشوَّهوا صورتهم وسمعتهم في عيون العامة بعد موتهم وقد ذكر الله سبحانه في القرآن طرفاً من معاندتهم يوشع واستهزائهم بأوامر الله بعد أن أنعم الله عليهم بفتح بيت المقدس، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٨ ـ ٥٩]. وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٢].

أي: واذكروا أيها اليهود حين قلنا لأسلافكم بعد خروجهم من التيه وعبورهم نهر الأردن وفتحهم أريحا: ادخلوا بيت المقدس، وكلوا من مطاعم تلك الأرض وثمارها أكلاً واسعاً هنيئاً وادخلوا باب المدينة ساجدين لله على خلاصكم من التيه ونصركم على العمالقة الجبارين، وقولوا حين دخولكم:

http://kotob.has.it

اللهمَّ حُطَّ عنا ذنوبنا واغفر لنا، فنغفر لكم ذنوبكم ونحط عنكم خطاياكم التي سلفت، وسنزيد المحسنين منكم، فغيَّر الظالمون أمر الله واستهزؤوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم بدلاً من السجود، وقالوا على سبيل السخرية: «حبَّة في شعيرة» أي: حنطة، فأنزل الله على الظالمين منهم عذاباً وبلاءً من السماء، بسبب عصيانهم المستمر لأوامر الله وخروجهم عن طاعة رسله وتماديهم في ذلك[1].

ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس كان بين أظهرهم نبي الله يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ يحكم بينهم بكتاب الله التوراة إلى أن قبضه الله إليه.

* * *

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير، ص٣٢٦ و٣٤٦ـ٣٤٨، صفوة التفاسير.
جاء في قصص الأنبياء ص٤٤٨: قال مجاهد والسُّدي والضحاك: الباب هو باب حطة من بيت إيلياء بيت المقدس.
وقال الحافظ في فتح الباري: ورد من طرق صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الشمسَ لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس».
قال ابن كثير في قصص الأنبياء، ص٤٤٦: ذكروا أنه انتهى بحصاره إلى يوم جمعة بعد العصر، فلما كادت الشمس تغرب ويدخل عليهم السبت قال يشوع للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهمَّ احْبِسْها عليَّ فحبسها الله حتى تمكن من فتح البلد.
وفي سفر يشوع ١٠/ ١٢ ـ ١٤: حينئذٍ كلَّم يشوع الرب ـ ـ وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جِبْعُون، ويا قمر على وادي أَيَلُونَ. فدامت الشمس، ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه ـ ـ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل.

http://kotob.has.it

ثالثاً: جرائم الحرب في عهد القضاة

قطع أصابع الأسرى:

جاء في سفر القضاة ١/ ١ ـ ٢: وبعد موت يشوع سأل بنو إسرائيل الربَّ قائلين: من منا يصعد إلى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم؟ فقال الربُّ: يهوذا يصعد.

١/ ٤ ـ ٨: فصعد يهوذا، ودفع الربُّ الكنعانيين والفرزيين بيدهم، فضربوا منهم في بازَقَ عشرة آلاف رجل -- فهرب أدوني بازرق، فتبعوه وأمسكوه، وقطعوا أباهم يديه ورجليه -- وأتوا به إلى أورشليم فمات هناك. وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحدِّ السيف، وأشعلوا المدينة بالنار.

غدر واغتيال:

جاء في سفر القضاة ٣/ ١٢ ـ ٣٠: وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر، فشدَّد الربُّ عِجْلون ملك موآب على إسرائيل، فجمع إليه بني عَمّون وعماليق، وسار وضرب إسرائيل، وامتلكوا مدينة النخل، فعبد بنو إسرائيل عجلون ثماني عشرة سنة. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم مُخَلِّصاً إهُود بن جيرا البنياميني رجلاً أعسر، فأرسل بنو إسرائيل بيده هدية لعجلون. فعمل إهود لنفسه سيفاً ذا حدَّين طوله ذراع، وتقلَّده تحت ثيابه على فخذه اليمنى، وقدم الهدية لعجلون، وكان رجلاً سميناً جدّاً، ولما انتهى من تقديم الهدية وصرف حاملي الهدية، رجع إهود إليه وقال: لي كلام سرّ إليك أيها الملك، فخرج جميع الواقفين، فدخل إليه وهو جالس في عُلية برود كانت له وحده. قال إهود: عندي كلام الله إليك، فقام عن الكرسي، فمدَّ إهود يده اليسرى وأخذ السيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه، فدخل القائم أيضاً وراء النصل، وطَبَق الشحم وراء النصل، لأنه لم يجذب السيف من بطنه، وخرج إهود من الرواق، وأغلق أبواب العلية وراءه وأقفلها، ولما خرج جاء عبيده ونظروا وإذا الأبواب مُقْفَلة، فقالوا: إنَّه مغطٍّ رجليه في مخدع البرود، فلبثوا حتى خجلوا، وإذا هو لا يفتح، فأخذوا المفتاح وفتحوا،

http://kotob.has.it

وإذا سيدهم ساقط على الأرض ميتاً، وأما إهود فنجا، وعند مجيئه ضرب بالبوق في جبل أفرايم، فنزل معه بنو إسرائيل عن الجبل وهو قُدَّامهم، وقال لهم: اتبعوني لأنَّ الربَّ دفع أعداءكم ليدكم، فنزلوا وراءه، وأخذوا مخاوض الأردن إلى موآب، ولم يَدَعوا أحداً يعبر، فضربوا من موآب في ذلك الوقت نحو عشرة آلاف رجل، كل نشيط وكل ذي بأس ولم ينجُ أحد. فنزل الموآبيون في ذلك اليوم تحت يد إسرائيل، واستراحت الأرض ثمانين سنة.

فهل هذا وحي من الله؟ وهل فيه نماذج السلوك الفاضل والخير للبشرية؟!.



http://kotob.has.it

رابعاً: اتهام طالوت (شاول) بالمجازر

صموئيل يأمر شاول بارتكاب مجزرة:

جاء في سفر صموئيل الأول ١٥/ ١ ـ ٣: وقال صموئيل لشاول: إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه، والآن فاسمع كلام الرب -- فاذهب الآن واضرب عماليق، وحَرِّموا كل ما له، ولا تعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً.

١٥/ ٥ ـ ١٢: ثم جاء شاول إلى مدينة العماليق وكَمَن في الوادي -- وضرب عماليق، وأمسك أجاج ملكهم حياً، وحرم جميع الشعب بحد السيف، وعفا هو والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر، ولم يرضوا أن يحرموها. وكان كلام الربِّ إلى صموئيل: ندمتُ على أني جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي -- فبكر صموئيل للقاء شاول صباحاً.

١٥/ ١٩: فقال له: لماذا لم تسمع لصوت الرب؟ بل ثُرْتَ على الغنيمة وعملت الشر في عيني الرب.

وإن المتأمل في هذه القصة ليعجب مما فيها من تناقضات؛ وأهمها ما يلي:

● ذكروا أنَّ الله اختار شاول ملكاً، وأمر صموئيل أن يمسحه، ثم ادَّعوا أنه أمره بأمر الرب أن يقتل العماليق شيباً وشباناً وأطفالاً وَرُضَّعاً، ذكوراً وإناثاً، كما أمره أن يقتل البهائم، ونهاه عن أن يعفوَ عن أحد من البشر أو الحيوان. ويا لها من مجزرة تَنْدَى لها جبهة الكرام!.

● أدركت شاول الرحمة، فعفا عن الملك الأسير ولم يقتله، كما سمع لصوت الشعب وأدرك حاجتهم المادية، فترك لهم خيار المواشي لينتفعوا بها.

● غضب الرب على شاول، وندم على تمليكه وعزم على أن ينزع منه الملك، ثم جاءه صموئيل مبكراً ووبَّخه على عمله الإنساني، ووصفه بالشر من أجل تلك الرحمة.

http://kotob.has.it

شاول يرسل داود إلى مهلكه:

جاء في سفر صموئيل الأول ١٨/ ١٧ ـ ١٨ : وقال شاول لداود : هوذا ابنتي الكبيرة مَيْرَبُ أعطيك إياها امرأة، إنما كن لي ذا بأس، فإنَّ شاول قال: لا تكن يدي عليه، بل لتكن عليه يد الفلسطينيين. فقال داود لشاول: من أنا حتى أكون صهر الملك.

١٨/ ٢٠ ـ ٢١ : وميكال ابنة شاول أحبت داود، فأخبروا شاول فحسن الأمر في عينيه، وقال شاول: أعطيه إياها فتكون له شَرَكاً وتكون يد الفلسطينيين عليه.

١٨/ ٢٥ ـ ٢٧ : فقال شاول: تقولون لداود: ليست مسرَّة الملك بالمهر، بل بمئة غُلفة من الفلسطينيين، وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين، فحسن الكلام في عيني داود أن يصاهر الملك. ولم تكتمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى بغلفهم فأكملوها للملك، فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة.

فيا له من مهر يطلبه طالوت، ويا لها من فعلة يتهمون بها داود ـ عليه السلام ـ.



http://kotob.has.it

خامساً: افتراؤهم على داود

اتهام داود بتسليم أولاد شاول للقتل:

وينسبون إلى داود ـ عليه السلام ـ أنَّه قتل جميع أولاد شاول لذنب أبيهم، حاشا صغيراً مقعداً كان فيهم.

جاء في سفر صموئيل الأول ٢٤/ ٢٠ ـ ٢٢: أنَّ شاول قال لداود: والآن فإني قد علمت أنك تكون مَلِكاً، وتَثْبت بيدك مملكة إسرائيل، فاحلف لي الآن بالربِّ أنَّك لا تقطع نسلي من بعدي، ولا تبيد اسمي من بيت أبي، فحلف داود لشاول.

وفي سفر صموئيل الثاني ٣/ ١: وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود، وكان داود يتقوَّى وبيت شاول يضعف.

٤/ ٤: وكان ليوناثان بن شاول ابن مضروب الرجلين، كان ابن خمس سنين عند مجيء خبر شاول، فحملته مربيته وهربت، ولما كانت مسرعة وقع وصار أعرج، واسمه مَفيبوشَث.

٢١/ ١ ـ ٩: وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين، فطلب وجه الربِّ، فقال الربُّ: هو ـ أي: الجوع ـ لأجل شاول، ولأجل بيت الدماء، لأنه قتل الجِبْعونيين. فدعاهم داود وقال لهم: ماذا أفعل لكم؟ وبماذا أكفِّر فتباركوا نصيب الربِّ؟ فقالوا: الرجل الذي أفنانا والذي تآمر علينا ليبيدنا فلنعطَ سبعة رجال من بنيه، فنصلبهم للرب. فقال: أنا أعطي. وأشفَقَ على مفيبوشَث بن يوناثان بن شاول من أجل يمين الربِّ التي بينهما ــ فأخذ الملك سبعة من أولاد شاول وسلَّمهم إلى الجِبعونيين، فصلبوهم على الجبل أمام الربِّ.

ويا له من عدل ينسبونه إلى داود ـ عليه السلام ـ إنْ كان أبوهم المذنب فما ذنبهم؟ وإن رآهم مذنبين فهلاَّ حاكمهم بدلاً من أن يسلمهم إلى أعداء أبيهم. وهل وفَى بعهده ويمينه حين ترك المُقْعد؟ لقد نَفَوا بهذه القصة شِيَم الكرام عن داود ـ عليه السلام ـ وحاشاه من أن يفعل ذلك.

http://kotob.has.it

اتهامه بجرائم حرب وإبادات رهيبة:

● جاء في سفر صموئيل الأول ٢٧/ ٨ ـ ١١ : وصعد داود ورجاله وغزوا الحشوريين والجوزيين والعمالقة، لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند شور إلى أرض مصر، وضرب داود الأرض ولم يَسْتَبْقِ رجلاً ولا امرأة، وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ورجع إلى أخيش. فقال أخيش: إذاً لَمْ تغزوا اليوم؟ فقال داود: بلى ـ ـ فلم يستبق داود رجلاً ولا امرأة حتى يأتي إلى جَتّ؛ إذ قال: لئلا يخبروا عنَّا قائلين: هكذا فعل داود. وهكذا كان عادته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين.

● وجاء في سفر صموئيل الثاني ١٢/ ٢٩ ـ ٣١: فجمع داود كل الشعب، وذهب إلى رِبَّـةَ وحاربها وأخذها ـ ـ وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً، وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشيرَ ونوارجِ حديد وفؤوسِ حديد، وأمَرَّهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم.

سبحان الله، هذا بهتان عظيم في حق نبي كريم، يضع الأسرى تحت المناشير والنوارج والفؤوس الحديدية، ويصليهم في أتون الآجر، فهلاّ قتلهم مباشرة بطريقة حسنة سريعة وأراحهم إن كانوا يستحقُّون القتل؟! حاشَ لله أن يفعل داود ـ عليه السلام ـ ذلك، غير أنَّ قسوة قلوب رؤساء بني إسرائيل وأحبارهم وتعطشهم إلى دماء الشعوب الأخرى منذ القديم هي التي دفعتهم إلى وضع هذه الافتراءات، لتكون مستنداً لهم يبرّرون بها ما يفعلونه من جرائم ومجازر.

أين هذه الافتراءات من قول خاتم النبيين محمد ـ ﷺ ـ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته». [أخرجه مسلم].

● وجاء في سفر الملوك الأول ١١/ ١٥ ـ ١٦: وحَدَث لما كان داود في أدوم عند صعود يوآب رئيس الجيش لدفن القتلى، وضربَ كلَّ ذكر في أدوم، لأن يوآب وكل إسرائيل أقاموا هناك ستة أشهر حتى أفنَوا كل ذكر في أدوم.

http://kotob.has.it

إعدامات متتالية مدة ستة أشهر لكل ذكر من صغير وكبير في أدوم! ولا شك أن هذا كان حسب زعمهم بعلم داود وإقراره إن لم يكن بأمره.

حاشَ لله أن يرضَى داود ـ عليه السلام ـ بأقل من ذلك، فمشكاة النبوة واحدة، وداود ـ عليه السلام ـ يشبه أخاه محمداً ـ ﷺ ـ في الرحمة ومكارم الأخلاق، ولكنها افتراءات اليهود، وهم قوم بُهْت.

* * *

http://kotob.has.it

سادساً: اتهام سليمان وأليشع بالوحشية

اتهام سليمان بتصفية خصومه بعد عفوه عنهم:

أ ـ فزعموا أنَّه بطش بأخيه أدونيا لأنه طالب بالملك سابقاً، وخاف من أن يطالب به لاحقاً، فتذرع بأنه طلب منه أن يزوجه امرأة أبيه فقتله.

جاء في سفر الملوك الأول ٢/ ١٣ ـ ٢٥: ثم جاء أدونيا إلى بَتْشَبَعَ أم سليمان وقال لها: أنتِ تعلمين أن المُلْك كان لي، فدار وصار لأخي من قِبل الربِّ، والآن أسألك أن تقولي لسليمان الملك أن يعطيني أبيشج الشُّمونية امرأة، فدخلت على الملك وكلمته فقال: لماذا تسألين له ذلك؟ فاسألي له الملك، لأنه أخي الأكبر مني، له ولأبياثار الكاهن وليوآب بن صُرُوية، وحلف بالربِّ أن أدونيا قد تكلَّم بهذا الكلام ضدَّ نفسه، وإنه اليوم يُقتل أدونيا. فأرسل بناياهو بن يهوياداع، فبطش به فمات.

ب ـ وزعموا أنه طرد أبياثار من الكهانة ثم قتله، وقتل يوآب بن صروية قائد الجيش داخل خيمة الرب متذرعاً بوصية والده له بقتله.

جاء في سفر الملوك الأول ٢/ ٥ ـ ٧ أنَّ داود قال في وصيته لسليمان: وأنت تعلم ما فعل بي يوآب بن صُروية ـ ـ فافعل حسب حكمتك، ولا تَدَعْ شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية.

٢/ ٢٦ ـ ٣٥: وقال الملك سليمان لأبياثار الكاهن: اذهب إلى عناثوث إلى حقولك، لأنك مستوجب القتل، ولست أقتلك في هذا اليوم ـ ـ وطرده عن أن يكون كاهناً للرب ـ ـ فأتى الخبر إلى يوآب، لأن يوآب مال وراء أدونيا ولم يمل وراء أبشالوم. فهرب يوآب إلى خيمة الربِّ، وتمسك بقرون المذبح، فأُخبر سليمان، فأرسل بناياهو بن يهوياداع قائلاً: اذهب وابطش به. فدخل بناياهو إلى خيمة الرب وقال: اخرج. فقال: كلا، ولكني أموت هنا. فردَّ بناياهو الجواب على الملك، فقال له: افعل كما تكلم وابطش به وادفنه. فصعد وبطش به، وجعل الملك بناياهو مكانه على الجيش، وجعل صادوق الكاهن مكان أبياثار.

http://kotob.has.it

جـ ـ وزعموا أنه قتل شِمْعي بعد أن عفا عنه داود:

جاء في سفر الملوك الأول ٢/ ٨ ـ ٩ : أنَّ داود أوصى سليمان وقال: وهوذا معك شِمْعي بن جِيرا، فحلفت له بالربِّ قائلاً: إني لا أميتك بالسيف، والآن فلا تُبَرِره، لأنك رجل حكيم، فاعلم ما تفعل به، وأَحْدِر شيبته بالدم إلى الهاوية.

٢/ ٣٦ ـ ٤٥ : ثم أرسل الملك سليمان ودعا شمعي وقال له: ابنِ لنفسك بيتاً في أورشليم، وأقم هناك ولا تخرج، فيوم تخرج وتعبر وادي قدرون موتاً تموت، ويكون دمك على رأسك. وفي نهاية ثلاث سنين هرب عبدان لشمعي إلى ملك جَتَّ، فقام وشدَّ على حماره وأتى بعبديه. وأخبر الملك بذلك فدعاه، وأمر بناياهو فخرج وبطش به.

حاشَ لسليمان وأبيه ـ عليهما السلام ـ أن يحقدا أو يغدرا أو يتذرّعا بشيء ليصيبا مأرباً شخصياً خبيثاً، والأنبياء يعاقبون عقاباً عادلاً أويعفون، بل ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين، لكن أسفار اليهود دَنَّست نبوَّة داود وبيته ونبوَّة ابنه سليمان وبيته، وإذا كانوا قد اتهموا سليمان ـ عليه السلام ـ بالردَّة والسجود للأصنام وتقديم القرابين لها، فماذا تنتظر منهم؟!.

اتهام النبي أليشع بهدم المدن وإفساد الماء والحقول:

جاء في سفر الملوك الثاني ٣/ ١٦ ـ ١٩ : أنَّ أليشع قال: هكذا قال رب الجنود: اجعلوا هذا الوادي جباباً جباباً، فيمتلئ ماء فتشربون ـ.. فيُدفع موآب إلى أيديكم فتضربون كل مدينة محصنة وكل مدينة مختارة، وتقطعون كل شجرة طيبة، وتطمّون جميع عيون الماء، وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة.

٣/ ٢١ : ولما سمع الموآبيون أنَّ الملوك صعدوا لمحاربتهم جمعوا كلَّ متقلِّدي السلاح فما فوق، ووقفوا على التخم.

٣/ ٢٤ ـ ٢٥ : وقام إسرائيل وضربوا الموآبيين فهربوا أمامهم، فدخلوها وهم يضربون، وهدموا المدن، وكان كل واحد يلقي حَجَرهُ في كل حقلة جيدة حتى ملؤوها وطموا جميع عيون الماء، وقطعوا كلَّ شجرة طيبة.

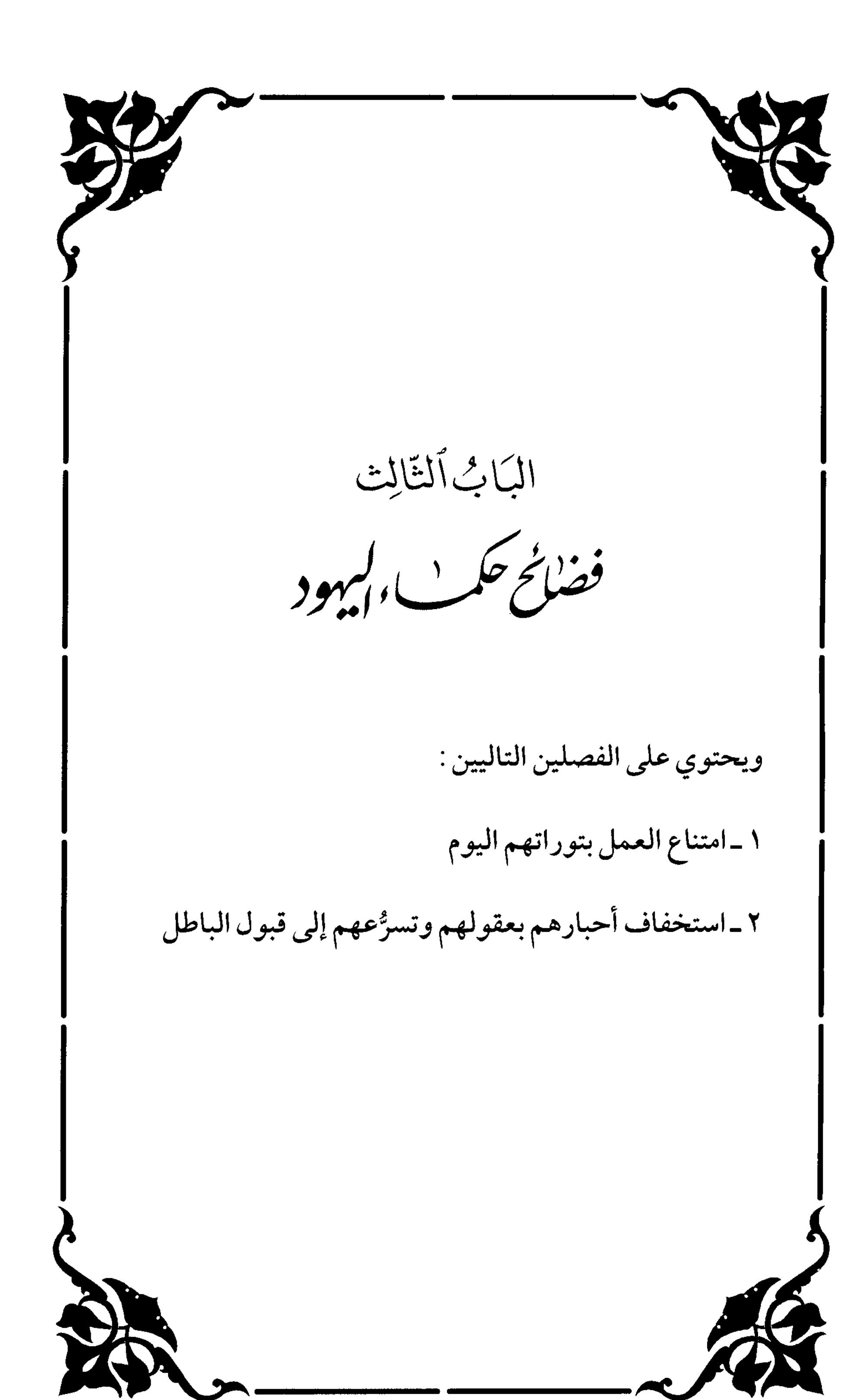
هذا غيض من فيض من دعوة أسفارهم إلى الإرهاب والمجازر وسائر

http://kotob.has.it

الجرائم ضد الإنسانية، ويبرِّرون دينياً بأنهم شعب الله المختار يحقُّ لهم ما لا يحق لغيرهم، بل جاء في الأدبيات وصف غيرهم بأنهم ذئاب قَتَلَة متربصون باليهود معادون للساميَّة، فيحق لهم أن يفعلوا بهم ما يشاؤون. وجاء في سفر ميخا ٤/ ١٣ : «قُومي ودُوسي يا بنت صهيون، لأني أجعل قرنك حديداً، وأظلافك نحاساً، فتسحقين شعوباً كثيرين، وأحرِّم غنيمتهم للرب، وثروتهم لسيد كل الأرض». إذاً تسحقين شعوباً كثيرين، ولا تهدين شعوباً كثيرين، ولذلك أوصى الحاخام أبراهام أفيدان الجنود في أيامنا بقتل المدنيين من غير اليهود، وكان يعني العرب، وفهم الجنود وصيته. وقد اعترف قادتهم بقتل الأسرى من الجيش المصري في حرب حزيران عام (١٩٦٧م)، فعلام يتظلمون من المحرقة (الهولوكوست)، ولِمَ ينصبون (يادفاشيم) غربيَّ القدس المحتلة؟!.



http://kotob.has.it



الباب الثالث

فضائح حكماء اليهود

ويحتوي على الفصلين التاليين :

١ ـ امتناع العمل بتوراتهم اليوم

٢ ـ استخفاف أحبارهم بعقولهم وتسرُّعهم إلى قبول الباطل

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الفصل الأول

امتناع العمل بتوراتهم اليوم

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ التطهير برماد البقرة الحمراء

٢ ـ وقوع اللعنات عليهم

٣ ـ البياما والحالوص



http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
التطهير برماد البقرة الحمراء

تمهيد:

يعيش اليهود اليوم في كل مكان بغير شريعة توراتهم، لأن العمل بأحكامها غير ممكن بل ممتنع، وذلك لأن أركان هذه الشريعة التي كانت مستندة عليها، وفيها قِوامها، قد انهدمت بالكلية وعُدمت، فقد نُزِع الملك والرياسة منهم، وأُبطل وجود الأنبياء الذين كانوا ينصحونهم، وأبطل الكهنوت والكهنة الحقيقيون الذين لا يتم الخلاص لليهود ولا الغفران إلا بهم وعلى أيديهم، وهُدم المذبح والهيكل اللذين لا تتم أعمال القرابين إلا بهما، ومُحقت الأسباط وما يتعلق بهم، فلا يمكن معرفتهم حقيقة ولا معرفة رتبهم ووظائفهم المتعلقة بالخدمات الدينية والأحكام الحربية والملكية. فهذه الأركان التي قد ربط بها جميع ما يلزم من القضايا الدينية والمدنية قد عدمت وبطلت، ولم يبقَ لديهم إلا الكتابة على الورق[١]. وإليك الأمثلة:

متى يجب التطهر برماء البقرة وصفته:

يتعبَّد اليهود بفرائض مباينة للعقول، كطهارة أنجاسهم برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها قبيل أوان الحج، فمن انتابه نجاسة مادية أو معنوية إنما يطهَّر برماد تلك البقرة التي كان يذبحها، مع أنَّ في طرح الماء الممزوج بالرماد على الشخص نجاسة وقذارة، فأين التنزّه عن النجاسة والأوساخ، ونجاسة طاهرهم بذلك الرماد بعينه؟!.

فمن مَسَّ عظماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته، فإنه يصير من النجاسة في حالة لا طهارة له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها ضمن طقوس خاصة لا تمارس إلا في الهيكل[٢].

---

(١) الرسالة السبيعية، ص٢٨ ـ ٢٩.

(٢) بذل المجهود، ص٢٨ ـ ٢٩ و٣٣ ـ ٣٦.

http://kotob.has.it

جاء في سفر الأحبار ٢١/ ١ ـ ٣: وقال الربُّ لموسى: كلِّم الكهنة بني هارون وقل لهم: لا يتنجس أحد منكم لميت في قومه إلا لأقربائه الأقرب إليه: أمه وأبيه وابنه وابنته وأخيه وأخته العذراء التي لم تصر لرجل، لأجلها يتنجس.

وجاء في سفر العدد ١٩/ ١ ـ ٤: وكلَّم الربُّ موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الربُّ قائلاً: كلِّم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يَعْلُ عليها نِير، فتعطونها لألعازار الكاهن، فتُخرج إلى خارج المحلَّة وتذبح قدَّامه، ويأخذ ألعازار من دمها بأصبعه، وينضح من دمها إلى جهة وجه خيمة الاجتماع سبع مرات.

١٩/ ٥ ـ ٦: وتحرق البقرة أمام عينيه، يُحرق جلدها ولحمها ودمها مع فرثها، ويأخذ الكاهن خشب أرْزٍ وزُوفاً وقِرْمِزاً، ويطرحهن في وسط حريق البقرة.

١٩/ ٧ ـ ٨: ثم يغسل الكاهن ثيابه، ويرحض جسده بماء، وبعد ذلك يدخل المحلَّة، ويكون نجساً إلى المساء، والذي أحرقها يغسل ثيابه بماء، ويرحض جسده بماء، ويكون نجساً إلى المساء.

١٩/ ٩ ـ ١٠: ويجمع رجل طاهر رماد البقرة، ويضعه خارج المحلة في مكان طاهر، ويكون محفوظاً لجماعة بني إسرائيل لأجل ماء النضح، إنها ذبيحة حظية. والذي يجمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجساً إلى المساء، فتكون لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية. أي: فيكون ذلك الرماد رسمَ الدهر لهم.

١٩/ ١١ ـ ١٢: من مَسَّ ميتاً، ميتة إنسان ما؛ يكون نجساً سبعة أيام، يتطهَّر بهذا الماء في اليوم الثالث، وفي اليوم السابع يكون طاهراً. وإن لم يتطهَّر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً.

١٩/ ١٣: كل من مَسَّ ميتاً؛ ميتة إنسان قد مات ولم يتطهر، يُنجِّس مسكن الرب، فتقطع تلك النفس من إسرائيل، لأن ماء النجاسة لم يرشَّ عليها. تكون نجسة ونجاستها لم تزل فيها.

http://kotob.has.it

١٩/ ١٤ ـ ١٥ : هذه هي الشريعة، إذا مات إنسان في خيمة، فكل من دخل الخيمة وكل من كان فيها يكون نجساً سبعة أيام، وكل إناء مفتوح ليس عليه سِداد بعصابة فهو نجس.

١٩/ ١٦ : وكل من مسَّ على وجه الصحراء قتيلاً أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام.

١٩/ ١٧ ـ ١٩ : فيأخذون للنجِس من غبار حريق ذبيحة الخطيَّة، ويصب عليه ماء معين في إناء، ويأخذ رجل طاهر زوفاً، ويغمسها في الماء، وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة وعلى الأنفس الذين كانوا هناك، وعلى الذي مسَّ العظم أو القتيل أو الميت أو القبر، ينضح الماء الطاهر على النجس في اليوم الثالث والسابع، ويطهره في اليوم السابع، فيغسل ثيابه ويرحض بماء، فيكون طاهراً في المساء.

١٩/ ٢٠ ـ ٢١ : وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر، فتُبادُ تلك النفس من بين الجماعة، لأنه نجس مَقْدِس الرب، ماء النجاسة لم يرشّ عليه، إنه نجس. فتكون فريضة دهرية.

وفي ٣١/ ١٩ ـ ٢٠ أنَّ الربَّ قال لهم بعد إبادة المِدْيانيين : وأما أنتم فانزلوا خارج المحلَّة سبعة أيام وتطهَّروا، كل من قتل نفساً وكل من مَسَّ قتيلاً، في اليوم الثالث والسابع، أنتم وسَبْيُكم، وكل ثوب وكل متاع من جلد، وكل مصنوع من شعر معز، وكل متاع من خشب تطهرونه.

وجاء في الموسوعة الدينية اليهودية : «إنَّ البقرة الحمراء يجب سحبها خارج القدس، وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى. ويشرف على هذه الطقوس حاخام أو كاهن، ويستخدم الرماد في التطهير وطرد الأرواح الشريرة التي يمكن أن تنتقل من الموتى إلى اليهود لو لمسوهم».

هذا هو طَهور أحدهم إذا مَسَّ ميتاً أو مسَّ ما يتعلَّق أو يحيط به. ماء ممزوج برماد حريق بقرة حمراء، ذبحت وأحرقت بكاملها أمام الكاهن الهاروني، ثم جمع رمادها وحفظ خارج المحلة في مكان طاهر. وهم اليوم لا يقدرون على

http://kotob.has.it

ذلك، لأنهم عدموا تلك الأسباب، فأين المحلة؟ وأين البقرة الحمراء الخالصة؟ وأين الإمام الهاروني المطهر المستغفر؟ وأين الهيكل؟ فإن استغنوا عن ذلك فقد أقرّوا بالنسخ لتلك الفريضة لحال اقتضاها الزمان، وإن لم يقرّوا به لأنهم ينكرونه، فقد اعترفوا بأنهم الأنجاس أبداً، ويجب أن يُبادوا[1].

ومن أعجب الأمور عند اليهود أنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار، ويعتقدون أيضاً أنهم شعب نجس منذ عشرات القرون، لأنهم قارفوا نجاسات عديدة لا يمكنهم التطهُّر منها، وإذا كانت النجاسة تُلازم الشعب بكامله، فمن منهم يصلح للصلاة وحمل التوراة؟.

إنَّ ما يقارب (٩٥٪) من طقوس العبادة عند اليهود التي تؤدَّى داخل الهيكل يحول بينهم وبينها ما يسمُّونه نجاسة الموتى، بل إنَّ بعض الحاخامات يتحدَّثون عن استحالة افتتاح الهيكل للعبادة بأيدي أنجاس، واستحالة تمكّنهم من القيام بشؤونه وطقوسه قبل التطهّر برماد البقرة[2].

انتظار اليهود ظهور البقرة الحمراء العاشرة:

يعتقد اليهود والنصارى المتصهينة بأن بقرة حمراء خالصة ستظهر قبل قيام الساعة، ويكون ظهورها علامة على قرب مجيء المسيح المنتظر، ودليلاً على الوقت المناسب لبناء الهيكل الثالث.

نقلت جريدة الشرق القطرية بتاريخ (١٣/ ٥/ ١٩٩٧م) عن صحيفة معاريف اليهودية أنه في عام (١٩٢٠م) عندما بدأت المباحثات بين الاتحاد الصهيوني والحكومة البريطانية لتسليم فلسطين إلى اليهود بعد انتهاء الانتداب، كان من بين الموضوعات المطروحة للبحث (ملكية جبل الهيكل)، ويومها قال الحاخام راف كول: «يؤمن الشعب اليهودي إيماناً لا يتزعزع أن هذا المكان المقدَّس وكل جبل الهيكل هو مكان العبادة الأبدي، ويوم تقع أرض الهيكل في أيدينا ستأتي إشارة من الرب (البقرة الحمراء) وبعدها نبدأ فوراً في البناء، حيث تنبأ بذلك أنبياء بني إسرائيل».

---

(١) بذل المجهود، ص٣٣ـ٣٦.

(٢) كامل، ص١١٣ و١١٥.

http://kotob.has.it

وهم يعتقدون أنَّه قد تمَّ قبل ألفي عام مضت في حقبة المملكتين اليهوديتين مزج رماد بقرة حمراء صغيرة ذبحت في عامها الثالث، وخلط دمها بالماء، واستخدم المزيج في تطهير الشعب اليهودي، ليصبح مهيَّأً لدخول الهيكل. وحسب ادّعائهم فقد تمَّت التضحية ببقرة حمراء واحدة لأول مرة في زمن الهيكل الأول، وبثماني بقرات في زمن الهيكل الثاني. ويعتقدون أنه لم تولد أية بقرة بتلك الأوصاف منذ تدمير الهيكل الثاني عام (٧٠م)، وهم اليوم ينتظرون أن تأتي إشارة من الربِّ بالبقرة الحمراء العاشرة، وبعدها يبدؤون فوراً ببناء الهيكل الثالث كما تنبّأت أنبياؤهم[١].

البحث عن البقرة ومحاولة تكوينها:

بما أن الهيكل لا يمكن أن يدخل إلى أرضه ويبنيه إلا أشخاص مطهَّرون من النجاسة، وحتى يتهيأ الشعب اليهودي للتعبُّد فيه حال إقامته، فإنَّ جهود اليهود انصبَّت على البحث عن بقرة حمراء، تطل بقرنيها على القرن الجديد، لأن كل من لم يتطهَّر برمادها ينجس المعبد[٢].

وقد ظهر سباق بين أثرياء اليهود لإنشاء مزارع لتربية هذا النوع من البقر الذي تغلب عليه الحمرة عسى أن يصادف الحظ أحدهم، فتخرج البقرة المنتظرة من مزرعته. واستجاب كاهن أمريكي يُدعى (كلايدفوت)، ينتمي إلى جماعة حركة الهيكل الثالث الإنجيلية الأصولية لنصيحة الحاخام، وتعهَّد أن يبذل جهده للعثور على بقرة بتلك الأوصاف، وجرى اتصال بينه وبين الحاخام حاييم ريتشمان الذي يعمل في معهد الهيكل المقدَّس، فاقترح الحاخام إنشاء مزرعة لإنتاج وتربية الأبقار من سلالة (ريدنفوس) الضاربة إلى الحمرة. واقتنع الكاهن، فأنشأ مزرعة

---

(١) نقلت ذلك صحيفة الشرق القطرية عن صحيفة معاريف اليهودية في ١٣/ ٥/ ١٩٩٧م، وانظر: كامل، ص١٠٤ ـ ١٠٥؛ والكارثة، ص٢١٧.

(٢) كانت الحاخامية الكبرى تحظر على اليهود دخول ساحات المسجد الأقصى حتى لا يطؤوا بأرجلهم مكان قُدْس الأقداس، غير أن هذه الفتوى كانت تُنتهَك من قبل الجماعات المتشدِّدة وغير القادرة على كبح جماح اندفاعها، ثم صدرت فتوى عام (١٩٨٥م) بتجاوز هذا الحظر.

http://kotob.has.it

في ولاية مسيسبي، ثم أنشأ لها فرعاً في مدينة حيفا[1].

هل عثروا على البقرة؟:

نشرت جريدة الأخبار المصرية بتاريخ (٢٥/ ٤/ ١٩٩٧م) أنَّه أعلن في شهر أكتوبر عام (١٩٩٦م) عن ميلاد بقرة حمراء مطابقة للمواصفات في مزرعة كفارحسيديم قرب حيفا. وعلى الفورِ ذهب وَفْدٌ من الحاخامات للمعاينة، ثم أعلنوا أنها مطابقة للمواصفات، وباركوها وأمروا بحراسة مشدَّدة عليها، وأطلقوا عليها اسم (ميلودي). وتوافد الآلاف من اليهود إلى المزرعة لمشاهدتها متوقِّعين أن تُستخدَم دماؤها في احتفالات تطهير الشعب اليهودي. وقد نُظِّمت الرحلات والزيارات دفعاً للفوضى. وقد نشرت أيضاً صحيفة الأبزرفر البريطانية الحديث بتاريخ (٩/ ٧/ ١٩٩٧م) وذكرت أنَّ الذبح الطقسي لها سيكون بعد ثلاث سنوات من ميلادها الذي كانوا ينتظرونه منذ ألفي عام. وقد دعا العديد من زعمائهم إلى إلغاء الفتوى الحاخامية القديمة التي تحظر على اليهود دخول ساحات المسجد الأقصى، استعداداً لمرحلة بناء الهيكل.

شك وخيبة أمل:

ثم بدأت الشكوك تتسرَّب إلى نفوس بعض الحاخامات في أن تكون البقرة (ميلودي) المتكشفة هي البقرة الحمراء المنتظرة، لعدم تطابق أوصافها مع أوصاف البقرة المذكورة في توراتهم.

نشرت صحيفة معاريف اليهودية في (١٩/ ١٠/ ١٩٩٧م) أنَّ الحاخام (شمارياشوف) أدلى بتصريح من المزرعة قال فيه: ربما لا تكون هذه هي البقرة الحقيقية المنتظرة، بسبب بعض الشوائب. ثم أخرج عدسة مكبرة، ولاطف البقرة، وصوب العدسة إلى ذيلها وقال: انظروا، هنا تجدون بعض الشعيرات البيضاء، ثم اتجه إلى رأسها وصوب العدسة نحو عينيها وقال: لاحظوا، إن رموشها تبدأ حمراء وتنتهي سوداء.

وهَوَّن آخرون من تلك التحفظات، وسارعوا إلى طمأنة القَلِقين، وكان

---

(١) كامل، ص١١٧؛ الكارثة، ص٢١٧ ـ ٢٢٢.

http://kotob.has.it

منهم الناشط (يهوذا تزيون) حيث قال: إنَّ هذه الشعيرات على رموشها وفي نهاية ذيلها ستختفي بمضي الوقت، ولو لم تختفِ فإن الكتاب المقدَّس يقول: إنَّ شعيرات قليلة لا تفني الطبيعة المقدَّسة للبقرة إذا كانت كلها حمراء.

وكان من المفترض أن تُذبح هذه البقرة حسب الطقس اليهودي بعد ثلاث سنوات من مولدها، قد أعلنوا أنَّ الذبح سيكون إما في كانون الثاني (يناير) من عام (٢٠٠٠م) أو في آب (أغسطس)، لكن لم يحدث ذلك. فالظاهر أن الشوائب كثرت وفقدت البقرة قدسيتها فعدلوا عنها، أو أنها مرضت ولم يجدوا سبيلاً إلى علاجها فماتت، وهم ينتظرون بقرة أخرى.

وقد أشارت صحيفة يديعوت أحرنوت اليهودية في (١٦/ ٩/ ١٩٩٨م) إلى العثور على بقرة ثانية في ولاية تكساس، وادَّعت أنها ستنقل إلى القُدْس قريباً، وشاع هذا الخبر في أواخر شهر آب (أغسطس) من عام (٢٠٠٠م) ثم أحاطوا الأمر بالكتمان. وها نحن في عام (٢٠٠٦م) ولم يحدث شيء من ذلك، فإما أن يصبروا وينتظروا بقرة ثالثة أو يستنسخوا بقرة مطابقة للشروط استعجالاً لقدومها كما يفعل بعض النصارى الإنجيليين في محاولتهم استنساخ جسد جديد للمسيح ـ عليه السلام ـ ليعجلوا بعَوْدته، أو يتجاوزوا عن بعض المواصفات والشروط، فيصبغوا ما شذَّ عن الحمرة صباغاً ثابتاً ويخفوا ذلك عن العوام وسائر الناس[1].

هل تكفي بقرة واحدة للتطهير؟:

جرى حوار بين صحيفة هاآرتس اليهودية وبين الحاخام (البويم) في (٢/ ٣/ ١٩٩٨م) حول البقرة الحمراء المنتظرة. وكان ضمن الأسئلة: هل تكفي بقرة واحدة لخمسة ملايين يهودي ملوَّثين بالنجاسة؟ فأجاب: ولسنوات كثيرة أيضاً، فقد دُوِّن في التوراة أن البقرة الأولى أعدت في عهد موسى، أما الأبقار التالية فقد أعدَّها عَزْرا خلال فترة الهيكل الثاني، وكانت ثمانياً، فالعدد كله تسع، ونحن في زمن العاشرة.

وسئل عن صفة الذبح والتطهير فقال: سنحرق البقرة قبالة موقع الهيكل من

---

(١) الكارثة، ص٢١٧ـ ٢٢٢؛ كامل، ص١٠٧ و١١١ و١١٣ و١١٥.

http://kotob.has.it

جهة الشرق، وبالإمكان إضافة بعض الأشجار إليها، ثم نخلط الرماد بالماء، ثم نضعه في أنابيب توزع في أرجاء البلاد.

والسؤال يطرح نفسه إلى متى يدوم هذا المزيج؟ وماذا عن الملايين من اليهود الذين هم خارج الأرض المحتلة؟ هل سَيُصدَّر الرماد إليهم في معلَّبات وطرود بريدية بالطائرات؟ أو تفرض عليهم الهجرة؟ أو يبقون أنجاساً؟![1].

* * *

(١) كامل، ص١١١ و١١٥.

http://kotob.has.it

[٢]
وقوع اللعنات عليهم

ورد في الفصلَيْن السابع والعشرين والثامن والعشرين من سفر التثنية وصايا متعدِّدة وتهديدات ولعنات لمن لا يعمل بواحدة منها، يصل عددها إلى ستمئة وثلاث عشرة وصية مقرونة بمثلها من اللعنات على من لم يعمل بها. ومن ذلك ما يلي:

جاء في سفر التثنية ٢٧/ ١١ ـ ١٥: وأوصَى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلاً: هؤلاء يقفون على جبل جِرِزيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون ـ ـ وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة ـ ـ فيقول اللاويون لجميع إسرائيل بصوت عال: ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب ـ ـ ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين.

٢٨/ ١٥ ـ ٢٠: ولكن إنْ لم تسمع لصوت الرب إلـٰهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل، ملعونةً تكون سلتك ومعجنك، ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك، نِتاج بقرك وإناث غنمك، ملعوناً تكون في دخولك وملعوناً تكون في خروجك، يرسل الربُّ عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني.

وبعد أن لعن من لا يعمل بها واحدة واحدة، فتح للمخالف وسيلة للتخلص من اللعنة المترتبة، وهي تطهيرات وتكفيرات وغفرانات وذبائح وقرابين بأعداد من الحيوانات والطيور، وحصر مكان أدائها ضمن الهيكل والمذبح، ورسم أيضاً أنَّ من يقدم قرباناً خارج الهيكل يُقتَل، وأمر أن تكون القرابين مُقدَّمة على أيدي الأحبار ورؤساء الكهنة. وعامة اليهود اليوم يخالفون هذه الوصايا أو بعضها، وتلزمهم على الأقل لَعْنة من هذه اللعنات، وليس لهم وجهة للتخلّص منها مطلقاً، لأنَّ الباب مسدود، فإنَّ الهيكل الذي بناه سليمان خَلَفاً للخيمة الموسوية

http://kotob.has.it

مع المذبح اللذين لا تكون هذه القرابين إلا بهما قد خربا وانهدما، وكذلك الهيكل الثاني، والكهنة ورؤساؤهم الذين كانوا يقومون بالذبائح والقرابين في الهيكل والمذبح للفداء والتطهير قد اضمحلّوا وتلاشوا مع النبوة والملك والأسباط وما يتعلَّق بهم، ولم يَبْقَ لهم أثر. ومن ثَمَّ لم يعد بإمكانهم التخلُّص من تلك الخطايا وما يترتَّب عليها[1].

احتيال الحاخامات وتغريرهم بالعامة:

من أجل ذلك ذهب بعض الحاخامات إلى الحيلة، فعملوا تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لمضامين النصوص، وابتدعوا آراء مُسْتَحدَثة ليبقى اليهود على دينهم.

وانقسم الحاخامات على أنفسهم في الآراء: فبعضهم مذبذب، وبعضهم يعرف الحق، لكنهم مرتبطون بوظائفهم الدينية ومناصبهم، وبعضهم مُغَفَّلون غير مبالين بما يقع عليهم وعلى غيرهم من هذه اللعنات.

ومن البدع المستحدثة التي اخترعوها التقمص: فعندما يموت اليهودي وهو غير مكمل الوصايا، ومدين إلى الكثيرين منها، وواقع تحت تلك اللعنات، فيلزمه الرجوع إلى الدنيا مرة ثانية أو ثالثة أو أكثر إلى أن يكمل كل الوصايا، ويتخلَّص من جرثومة تلك اللعنات رويداً رويداً، كما سيأتي إن شاء الله في الفصل الثاني، وليس لذلك سند من توراتهم[2].

* * *

(١) الرسالة السبعية، ص٣١ ـ ٣٤.

(٢) المصدر السابق، ص٥٩ ـ ٦٠.

http://kotob.has.it

[٣]

البياما والحالوص
إقامة الأخ نسلاً لأخيه المتوفَّى من أرملته

المخلوع النعل:

من الفضائح الأخلاقية والاجتماعية عندهم مذهبهم في قِصَّة البياما والحالوص، وذلك أنَّهم أمروا إذا قام أخوان في موضع واحد، ومات أحدهما ولم يعقِّب ولداً، فلا تخرج امرأة الميت إلى رجل أجنبي، بل ولد حميّها ينكحها، وأول ولد يولد لها ينسب إلى أخيه الدارج، فإن أبى أن ينكحها شكته إلى مشيخة قومه قائلة: قد أبى ابن حمي أن يستبقي لأخيه في إسرائيل، ولم يرد نكاحي. فيحضره الحاكم هناك، ويكلفه أن يقول: ما أردت نكاحها، فتتناول المرأة نعله، فتخرجها من رجله، وتمسكها بيدها، وتبصق في وجهه، وتنادي عليه: كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه، ويُدْعى اسمه فيما بعد بالمخلوع النعل، وينبز بهذا اللقب (بيت المخلوع النعل). هذا كله مفترض عليهم في توراتهم[١].

مستند حكمهم وما فيه:

● جاء في سفر التثنية ١٥/ ٥ ـ ١٠: إذا سكن إخوة معاً، ومات واحد منهم، وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت، لئلا يُمحى اسمه من إسرائيل. وإن لم يرضَ الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى الشيوخ وتقول: قد أَبَى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج. فيدعوه شيوخ مدينته، ويتكلَّمون معه، فإن أصرَّ وقال: لا أرضى أن أتخذها، تتقدَّم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ، وتخلع نعله من رجله، وتبصق في

---

(١) بذل المجهود، ص١٧٩.

http://kotob.has.it

وجهه، وتُصَرِّح وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيدعى اسمه في إسرائيل: بيت مخلوع النعل.

ففي ذلك إكراه وإلجاء للرجل إلى نكاح زوجة أخيه الدارج، لأنه إذا علم أنه قد فُرض على المرأة أن تشكيه إلى نادي قومها، فذلك مما يحمله على نكاحها، فإن لم يردعه الحياء من ذلك، فربما إذا حضر استحيى أن يقول: ما أردت نكاحها، فإن لم يخجله ذلك، فلربما يستحيي من انتهاك العرض بخلع نعله وكون المرأة تشيل نعله وتبصق في وجهه، وتنادي عليه بقلَّة البركة والمروءة، فإنْ هو استهان بذلك، فربما استعظم أن يُنْبز باللقب، ويبقى عليه وعلى آله من بعده عار، وقبحُ اسمه، فيلجئه ذلك إلى نكاحها، فإن كان من الزهد فيها بحيث يهون عليه جميع ذلك، فقد فرق الشرع بينهما بعد ذلك[1].

● ومن مستند تشريعهم أيضاً ما ذكروه في سفر التكوين ٣٨/ ١ ـ ٣١ عن يهوذا بن يعقوب وما طلبه من أبنائه ليقيموا نسلاً لأخيهم المتوفى وعدم امتثالهم له، ثم زناه هو بكنته، وإنجابه منها التوءم فارَص وزارَح.

فحسَب التقليد اليهودي إذا مات رجل لا ولد له، فزوجته وميراثه يكونان من نصيب أخيه، فإن لم يكن له أخ فيكونان من نصيب أقرب المقربين من أسرة الزوج المتوفى، ويسمى الولي.

● جاء في سفر راعوث من ٢/ ٢٠ حتى ٣/ ١٧ أن بُوعَزَ أخذ راعوث الموآبية التي مات زوجها دون أن يخلف منها، فأنجب بوعز منها ابناً فرحت به حماتها، ودعت اسمه عوبيد، هو والد يَسّى أبي داود.

● وفي إنجيل متى ٢٢/ ٢٣ ـ ٢٩ ومرقس ١٢/ ١٨ ـ ٢٣ ولوقا ٢٠/ ٢٧ ـ ٣٣ أن الصدقيين سألوا المسيح متهكمين عن سبعة إخوة تعاقب كل منهم بالموت على الزواج من امرأة دون أن يقيم أحد منهم نسلاً لأخيه، ثم ماتت المرأة، فلأي واحد منهم تكون زوجة في القيامة؟.

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٩ ـ ١٨٠.

http://kotob.has.it

تلاعب الحاخامات بالنصوص إذا كان العكس:

ليس في توراتهم سوى ذلك، غير أن حكماءهم ـ وكانت اليهود تسمي الفقهاء بالحكماء ـ فرَّعوا عليه ما فيه خِزْيهم وفضيحتهم، وذلك أنه إذا زهدت المرأة في نكاح أخي زوجها المتوفَّى أكرهوه على النزول عنها، ثم ألزموها الحضور عند الحاكم بمحضر من مشيختهم، ولقَّنونها أن تقول: «أبى ابن حميَّ أن يقيم لأخيه اسماً في إسرائيل، ولم يُرِدْ نكاحي». فيلزمونها بالكذب عليه، لأنه أراد فمنعته، وكان الامتناع منها والإرادة منه، وإذا لقنوها تلك الألفاظ، فهم يأمرونها بالكذب، ويحضرونه ويأمرونه بأن يقول: «ما أردت نكاحها». ولعلَّ ذلك خلاف سؤله ومناه، فيأمرونه أن يكذب. وأما خلع نعله وبصقها في وجهه فغاية التعدّي، لأنه ما كفاهم أن كذبوا عليه وألزموه أن يكذب حتى ألزموه عقاباً على ذنب لم يجنِه[1].

حقوق الإنسان:

أين هذه الأحكام من حقوق الإنسان التي يتبجَّح بها الناس؟ وأيُّ دين راعى حقوق الإنسان وصان كرامته؟ دين اليهود الذي يلزم الأرملة التي مات عنها زوجها ولم ينجب منها أن تتزوَّج بأخيه العَزَب، ويجبر أخا الزوج المتوفَّى دون إنجاب على الزواج من أرملة أخيه لينجب منها ويقيم لأخيه نسلاً ينسب إليه وليس من صلبه؟ أم دين الإسلام الذي حرَّم التبني وحصر الميراث في الأقارب. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤ ـ ٥]؟.

بل إنَّ دين الإسلام أمر المطلَّقة والمتوفَّى عنها زوجها بالتربّص مدة معلومة تسمى العدّة، وحرّم عليها الزواج في أثنائها حتى لا تختلط الأنساب، وجعل انتهاء عدة الحامل بوضع حملها، لئلا يسقي أحد زرع أخيه بمائه.

---

(١) المصدر السابق، ص١٨١.

http://kotob.has.it

عجائب وتساؤلات:

● لم توضِّح نصوص توراتهم ولا قانون الأحوال الشخصية عندهم هل يضطجع أخو المتوفَّى مع أرملة أخيه ليقيم له نسلاً منها بعقد جديد أو بدون عقد اكتفاء باستمرار عقد أخيه السابق، لأن النسل له، فالفقرة (٢٥/ ٥) تقول: «فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها». والمادة (٣٦) من قانون الأحوال الشخصية تقول: «المتوفى عنها زوجها إذا لم يترك أولاداً، وكان له شقيق أو أخ لأبيه عدت له زوجة شرعاً، ولا تحل لغيره ما دام حياً إلا إذا تبرّأ منها كنص المادة (٤٣)»[١].

وظاهر هذين النصين أنها تصير له زوجة تلقائياً بدون عقد جديد، فإن فرضوا عقداً جديداً فإنهم يحتاجون إلى دليل آخر، وإلا فقد خالفوا نصّ كتابهم.

● لو أقام أخو المتوفى نسلاً لأخيه من أرملته، ثم اتفق معها على الاستمرار في الحياة معاً، وأنجب منها ولداً آخر، فسوف ينسب الولد الثاني إليه لا إلى أخيه الميت. وهنا العجب نطفة رجل واحد في رحم امرأة واحدة، خلق منها ولدان، كلٌّ منهما يُنسب إلى رجل.

● لو ولدت في المرة الأولى توءماً، فهل ينسب التوءمان أو التوائم كلهم لأخيه المتوفى؟ أو يكون من ولد أولاً هو الذي ينسب لأخيه، والثاني والثالث له؟

● لو أنجب منها نسلاً لأخيه، وأراد استبقاءها بعد ذلك فأبَتْ، أو أرادت البقاء معه فأبى، فهل يحتاج الأمر إلى طلاق أو تفريق من القاضي، أو تطلق تلقائياً بمجرّد ولادتها الولد الأول الذي ينسب إلى زوجها المتوفى؟ وإذا كان الأمر كذلك، وأراد استبقاءها، فهل يحتاج إلى عقد جديد؟.

من غرائب الأحكام في أسفارهم:

١ ـ جاء في سفر الخروج ٢١/ ٢٨ ـ ٢٩: وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة

---

(١) انظر كتاب: الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين، تأليف: م. حاي بن شمعون. وتقول المادة (٤٣): تبرؤ سِلْف الزوجة المتوفى عنها زوجها عن غير عقب من التزوج منصوص على طريقته في سفر التثنية، الفصل (٢٥).

http://kotob.has.it

فمات، يرجم الثور ولا يؤكل لحمه، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً، ولكن إن كان الثور نطّاحاً من قبل، وقد أُشهد على صاحبه ولم يضبطه، فقتل رجلاً أو امرأة، فالثور يرجم وصاحبه أيضاً يقتل.

عجباً لهذا الحكم! ما ذنب الثور؟ وما الحكمة من رجمه وعدم أكل لحمه؟ إن كان لا بدَّ من عقوبته فليذبح وليؤكل، ثم يستفصل عن حاله ويعاقب مالكه المقصّر ويضمن ما أتلفه ثوره.

٢ ـ جاء في سفر التثنية ٢١/ ٢٢ ـ ٢٣: وإذا كان على إنسان خَطِيَّة حقها الموت، فقُتِل وعلَّقتَه على خشبة، فلا تَبِتْ جثتُه على الخشبة، بل تدفعه في ذلك اليوم، لأن المعلَّق ملعون من الله، فلا تُنجس أرضك التي يعطيك الرب نصيباً.

لِمَ كان المعلَّق على الخشبة ملعوناً؟ إن كان مذنباً فقد نال جزاءه، وما علاقة الأرض بتعليقه وإنزاله؟!.

٣ ـ جاء في سفر التثنية ٢٤/ ١ ـ ٤: إذا أخذ رجل امرأة وتزوَّج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه، لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت إلى رجل آخر، فإن أبغضها الرجل الأخير، وكتب لها كتاب طلاق، ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة، لا يقدر زوجها الأول الذي طلَّقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست، لأنَّ ذلك رجس لدى الرب.

ما العيب الذي دفع الزوج الأول إلى طلاقها؟ إن كان غير الزنى فلِمَ لا تعود إليه؟ ومم تنجَّست؟ فربما طلَّقها لشيء توهَّمه ثم ظهر له الحق.

٤ ـ وفي سفر التثنية ٢٥/ ١١ ـ ١٢: وإذا تخاصم رجلان، رجل وأخوه، وتقدَّمت امرأة أحدهما لكي تخلِّص رجلها من يد ضاربه، ومدّت يدها وأمسكت بعورته، فاقطع يدها ولا تشفق عليها.

فهي إنما تريد تخليص زوجها من يد ضاربه، ووجدت نقطة ضعف في عدو زوجها المتمتع بالقوة، ولم تقصد الشهوة، فكان يكفي تأديبها على جرأتها بعقوبة أخرى دون قطع اليد. وهذا إن تعمَّدت الإمساك، فماذا لو حدث الإمساك بدون

http://kotob.has.it

قصد منها في أثناء تخليص زوجها؟ لم يتعرض السفر لحكم انزلاق اليد إلى العورة بدون قصد.

٥ ـ وجاء في سفر الملوك الثاني ٢/ ٢٣ ـ ٢٥: ثم صعد أليشع إلى بيت إيل، وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له: اصعد يا أقرع، فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب، فخرجت دُبَّتان من الوعر، وافترستا منهم اثنين وأربعين ولداً.

سبحان الله! ما هذا الظلم في اللَّعن من نبي لا يردُّ دعاؤه على صبيان صغار؟ أما كان يكفي أن ينهرهم أو يشتم ذويهم الذين قصّروا في تربيتهم إن كان لا بدَّ من شتم؟!.

٦ ـ وجاء في سفر الأحبار ١٢/ ١ ـ ٧: إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طَمْث علتها تكون نجسة، وفي اليوم الثامن يُختن له غُرلته، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوماً في دم تطهيرها، كل شيء مُقدَّس لا تمس، وإلى المقدِس لا تجيء حتى تكتمل أيام تطهيرها، وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين كما في طمثها، ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها، ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حَوْلي مُحْرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى الكاهن، فيقدمها أمام الرب، ويكفّر عنها، فتطهر من ينبوع دمها، هذه شريعة التي تلد ذكراً أو أنثى.

سبحان الله، ما هذا التشدّد؟ ولِمَ اختلف حكم النفاس بين ولادة الذكر وولادة الأنثى؟ إنه من تشدّد الحاخامات وتحكمهم في العامة!!.

* * *

http://kotob.has.it



الفصل الثاني

استخفاف الأحبار بالعامَّة وتسرُّعهم إلى القبول

ويحتوي على الفروع التالية :

١ ـ الأحبار ودين اليهود

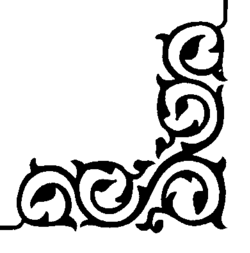
٢ ـ تشديدهم الإصر على أنفسهم

٣ ـ تحليلهم صوراً من الزنى

٤ ـ تسارع العوام إلى قبول ألاعيب الأحبار

- خاتمة المطاف





http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

[١]
الأحبار ودين اليهود

الدين اليهودي ومصادره:

الدين اليهودي مجموعة خلائط من العقائد والشرائع والطُّقوس، تراكمت وتبلورت على مدى آلاف السنين من مصادر مختلفة.

فبعضها من بقايا أسفار مشوَّهة تُنسب إلى أنبيائهم، جُمعت من الروايات الشفوية في أثناء السبي بعد فقدان الأصل، وكتبت بشكلها النهائي في القرن الأول الميلادي بعد طردهم من فلسطين وتشتتهم في أرجاء الأرض، وهي كلها مفتقرة إلى التوثيق الصحيح. ليس لها سند متصل في النقل، ولا يُعرف متى كتبت ومَن كتبها، وكيف جُمعت على وجه يمكن أن يكون مقبولاً في الرواية ونقل الأخبار.

وبعضها من آراء وتفسيرات أحبارهم، وبخاصة التلمود الذي جعلوه أكثر قدسية من توراتهم نفسها، فكانت له السيطرة على الفكر اليهودي، وكانوا يتعاملون به بسريَّة فيما بينهم.

وبعضها من معتقدات وأساطير وخرافات الأقوام التي عاشوا بينها على مرّ العصور، فقد عاد المسبيّون وهم يحملون كثيراً من معتقدات البابليين الوثنية، وبقيت متأصلة في نفوسهم، أما الذين بَقَوا في فلسطين واختلطوا بأقوام أخرى فحدِّث ولا حرج عن تأثرهم بمن عايشوهم وتزاوجوا معهم وتناسلوا.

التوحيد عند اليهود:

لا ريب أن العقيدة الأصلية التي جاء بها أنبياء إسرائيل ـ عليهم السلام ـ وتعاقبوا على تثبيتها فيهم كانت تقوم على الإيمان بالله الواحد، المتصف بكل كمال، المنزَّه عن أي نقص، ليس كمثله شيء، ولا زال في أسفارهم نصوص من بقايا الوحي تؤكد هذه المعاني، غير أنَّ أكثرهم لم تَرُقْ لهم عقيدة التوحيد ولم يستقرّوا عليها رغم دعوات الأنبياء المتواصلة، بل كانوا يتّجهون دائماً إلى الوثنية وتقليد الأمم المجاورة في العقيدة والعبادة، فالإلـه عندهم يقوم بأعمال الإنسان

http://kotob.has.it

الجسمية، فيتعب ويستريح، ويفعل ثم يندم، ويبكي، ويأكل ويشرب كما سلف، وتؤلمه أحشاؤه وحَقْواه وغير ذلك.

جاء في سفر إشعياء ٢١/ ٣ ـ ٤: لذلك امتلأت حَقْواي وَجَعاً، وأخذني مخاض كمخاض الوالدة، تَلَوَّيت حتى لا أسمع، اندهشت حتى لا أنظر، تاه قلبي، بغتني رعب، ليلة لذتي جعلها لي رَعدة.

وفي سفر إرميا ٤/ ١٩: أحشائي أحشائي توجعني، جدران قلبي، يئن في قلبي لا أستطيع السكوت.

فتصورهم للإلـه الواحد تَشُوبُه الوثنية، والفكرة الدينية والسياسية عندهم إثبات أنَّ شعب إسرائيل هو الشعب المختار في أرض كنعان، فهم أبناء الله وأحباؤه، ومعرفتهم به محصورة في إطار ما جاء في توراتهم وتلمودهم عن هذه الفكرة، فهو في تصوّرهم كالأب البشري الذي تطغى عليه عاطفته، فلا يغضب على أولاده مهما فعلوا من سوء، وربما يخطئ في حقِّهم، لكن سرعان ما يندم ويعترف بخطئه ويرجع عنه، لأنهم ذريّة الابن البكر إسرائيل صاحب الحظوة عند الأب، وهم يتعاملون معه بعقلية الولد المدلَّل الفاسد والمفسد، ولا يتصوّرون أنَّ هذا الأب المعطاء الحاني يمكن أن يعاقب ولده المدلَّل في يوم من الأيام عقوبة يتمادى فيها مهما كانت الأسباب[١].

البعث والحساب:

ولا ريب أنَّ الإيمان باليوم الآخر ووقوع الحساب والجزاء فيه من أركان العقيدة التي أكّدتها أنبياؤهم، غير أنَّ أسفارهم تكاد تكون خالية من ذكره، وإنما ورد في مواضع منها ما يشير إلى ذلك إشارة.

جاء في سفر التثنية ٣٢/ ٣٤ ـ ٣٥: أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزانتي؟ لي النعمة والجزاء في وقت تزلُّ أقدامهم. إنَّ يوم هلاكهم قريب والمهيئات مسرعة.

وفي سفر أيوب ١٩/ ٢٥ ـ ٢٧: أما أنا فقد علمت أن وليّي حيّ، والآخر

---

(١) التوراة، لسهيل ديب، ص١٥ ـ ١٦.

http://kotob.has.it

على الأرض يقوم، وبعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله الذي أراه أنا لنفسي، وعيناي تنظران وليس آخر.

وفي سفر حزقيال ٣٧/ ١ ـ ٦: كانت عليَّ يد الربّ فأخرجني وأنزلني في وَسَط البقعة وهي ملآنة عظاماً، وإذا هي يابسة جداً، فقال لي: يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ فقلت: يا سيد الربُّ أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقل لها: أيتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الربّ، هكذا قال لهذه العظام، هأنذا أدخل فيكم روحي فتحيون، وأضع عليكم عَصَباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً، وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أني أنا الرب.

ولذلك كان لهم في البعث والجزاء أقوال متضاربة، أخطرها عدم الإيمان بالحساب والجزاء الأخروي، والبديل عنه الجزاء الدنيوي إن وجد، ونفس اليهودي تنتقل بعد موته إلى جسم آخر، فعندما يلفظ المتقدم في السن روحه تسرع إلى جسم جنين في بطن أمه.

وفي التلمود أنَّ الأرواح الخارجة من الأجسام اليهودية بالموت الطبيعي تنقل إلى الحمير والكلاب لتطهيرها من النقائص التي كانوا يعملونها حال حياتهم ـ ويسمُّون ذلك التقنيص ـ وبعد ذلك إلى أجسام بشرية. أما اليهودي الذي يقتل يهودياً فتدخل روحه في الحيوانات أو النباتات، ثم تذهب إلى الجحيم مدة سنة، ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيِّين إلى أن ترجع إلى جسم يهودي بعد تطهيرها.

قال داود السنابكي: وسبب ذلك أن الله ما خلق الناس إلا ليحفظوا وصاياه العشرة التي أعطاها لموسى في الألواح[1]، ولم يكن لله شعب سوى الشعب الإسرائيلي، فإذا مات رجل من هذا الشعب، وكان حال حياته عاملاً بوصاياه

---

(١) الراجح أنَّ الألواح كانت أول ما أُوتيه موسى ـ عليه السلام ـ من وحي التشريع، فكانت أصل التوراة الإجمالي، فهي تشبه مختصر التوراة، وتشتمل على الأقسام العلمية والعملية، وكانت سائر الأحكام التفصيلية من العبادات والمعاملات المدنية والجزائية والحربية تنزل عليه ويخاطبه الرب تعالى بها في أوقات الحاجة إليها. عن تفسير المنار: ٩/ ٢١٩.

http://kotob.has.it

العشر، تمضي روحه حالاً إلى فردوس النعيم، أما إذا كان مخالفاً لواحدة منها، فالله يرسل روحه إلى بهيمة كي يطهره من الخطايا عن طريق العذاب الذي تكابده البهيمة، وبعد أن تتطهّر يُدخلها في جسم بشري لتتم وصاياه، ولم يزل يميتها ويحييها حتى تموت نقية عاملة بوصاياه، لأنه لا يريد أن يُدخل النار نفساً يهودية، ولا يقدر أن يدخلها الجنة بغير عمل تستحقه تلك النفس، وليس من سبيل إلى خلاصها وحفظ وصاياه ودخول ملكوته إلا بهذه الطريقة، وهي إعادتها إلى جسم بشري[1].

فهذه المعتقدات الشائعة بينهم أقرب إلى الوثنية، وهم يقولون: ليس في الجنة أكلٌ ولا شربٌ ولا زواجٌ، وإنما يجلس الصالح فيها بوقار وسكينة، ونار جهنم لا سلطان لها على مذنبي إسرائيل ولا على تلامذة الحكماء، بل لا حساب بعد انفصال الروح عن الجسد.

وبناء على ذلك يمكن أن تتصور الكيفية التي يتعامل بها اليهود مع سائر الشعوب والأمم، وهذا ما نجده في تعاليم حاخاماتهم في التلمود.

الأحبار والتلمود ومنزلة كلٍّ:

قام كهنة اليهود في السبي بتأليف كتب جمعوا فيها معتقداتهم وآراءهم وشروحهم للتوراة، وقد نتج عن ذلك شروح للتوراة، جمعت فيما بعد بكتاب سُمي التلمود، أي: التعاليم. قالوا: وهذا هو القانون الشفهي الذي لم يأتِ به موسى مكتوباً: فهو في الأصل روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وينقسم إلى قسمين: المَشْناة وهو الأصل أو المتن، والجِمارا وهو الشرح أو الإتمام[2].

---

(١) انظر: حصن الوجود، ص٣٩٨ـ٣٩٩ و٤٠٢ـ٤٠٣.

(٢) كانت أول طبعة للتلمود الأورشليمي سنة (١٥٢٢م)، وأول طبعة لتلمود بابل عام (١٥٢٠م)، وفي أواخر الخمسينيات طبع منه في إسرائيل قرابة (٦٠٠٠) نسخة، تتألف كل نسخة من خمسة وثلاثين جزءاً، ولم يعرض للبيع، وإنما كان يوزع بالحجز على اليهود فقط، فهم يصرّون على إبقائه سرياً، ولما انتشر واطّلع النصارى على ما فيه من عداء وحقد عليهم وطعن في معتقدهم ثاروا على ما فيه، فاضطر اليهود إلى إصدار =

http://kotob.has.it

ونفوس اليهود مرهونة بما يفتريه الأحبار على الله تعالى وعلى رسله ـ عليهم السلام ـ وهم يضعون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله، فالخطايا المقترفة ضدَّ التلمود أعظم من المقترفة ضدَّ التوراة، وما يقوله الحاخام يفعله الله، وتعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله مع أنَّه مملوء بالسحر والشعوذة والخرافات، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ زعموا أنَّ الله سبحانه يتعلَّم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء.

٢ ـ وزعموا أنه وقع اختلاف بين الباري تعالى وبين علماء اليهود، ولما طال الجدال قرَّروا إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيِّين، واضطر الباري أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام[١].

٣ ـ قال الربِّي مناحيم: إنَّ الله يأخذ رأي الربيِّين على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء، وكلمات الربيِّين أشد عذوبة من كلمات الأنبياء ـ ـ لأن كلماتهم هي كلمات الله.

٤ ـ ومن أقوالهم: يا بني إصغاؤك لأقوال الربيِّين وحفظك لها أعظم من حفظك لأقوال التوراة، لأن أقوال الناموس منها منكرات ومنها حتميات، والذي يخالف أقوال الربيِّين مستحق للموت[٢].

٥ ـ إنَّ الله تعالى أقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب من أجل أن يلقي الوئام بين سارة وإبراهيم. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

٦ ـ إنَّ علَّة تردِّي بني إسرائيل مع موسى في التِّيه أربعين سنة حتى ماتوا كانت لأن فرعون بنى على طريق مصر الشام صنماً أسماه (صفون) وجعله طلسماً لكل من هرب من مصر، يحيِّره ولا يقدر على النفاذ.

= طبعات خالية من التهجم الصريح على النصارى، وتركت أماكن بيضاء في صفحات عديدة بعد حذف ما كتبوه عن المسيح.

(١) عن حصن الوجود، ص٣٤٧.

(٢) ورد هذا في الفصل الثاني من الكتاب المدعو (سارفم) في تفسير الإصحاح (١٢) من الجامعة، عن كتاب: حصن الوجود، ص٣٥٤.

http://kotob.has.it

سبحان الله، أفطلسم فرعون يتغلَّب على الله ويحيِّر نبيه ومن معهما حتى يموتوا، فأين كانت قوته إذ غرق في البحر؟!.

٧ ـ إن إخوة يوسف إذ باعوا أخاهم طرحوا اللَّعنة على كل من يبلِّغ أباه بحياته، ولذلك لم يخبره الله سبحانه بذلك، ولا أحد من الملائكة.

فالعجب لمن يعتقد أن الله تعالى يخاف أن تقع عليه لعنة قوم باعوا أخاهم، وعقّوا أباهم، وكذبوا عليه أعظم الكذب[١].

٨ ـ إنَّ الله قد تاب عن تركه بني إسرائيل يرتطمون في الشقاء.

٩ ـ اليهود أحبُّ إلى الله من الملائكة، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العناية الإلـٰهية، ومن يضرب يهودياً على وجهه يلزمه الموت، لأنه إنما ضرب الله على وجهه.

١٠ ـ الشريعة الحاخامية توجب الموت على كل من يُبيح بسرٍّ من مكتوماتها أو يتكلَّم بما يضر أحد اليهود أو يهين شرف الطائفة اليهودية.

١١ ـ يجوز الغش والمكر والموت لكل من خالفهم، ويجوز القتل لكل من يبيح أسرارهم ولو كان يهودياً.

الأحبار والأعياد:

لليهود أعيادٌ دينية كثيرة اخترعها لهم أحبارهم، منها ما يلي:

١ ـ عيد الأنوار (هانوكا):

فبعد أن أصدر الإمبراطور الإغريقي قراراً بإيقاف اضطهاد اليهود، وسمح لهم بالعودة إلى القدس[٢]، دخلوها وهم يحملون الشموع مضاءة، فسُمِّي ذلك اليوم عيد الأنوار وأصبح من أقدس أعيادهم، ومنه جاء الشمعدان اليهودي المتعدِّد الشموع، وأصبح شعاراً من شعاراتهم الرئيسة.

٢ ـ عيد الفِصح (العبور) أو عيد الفطير:

ويحتفلون فيه بخروجهم من مصر ونجاتهم من فرعون، ويسمُّونه الفصح،

---

(١) ذكر ذلك ابن حزم في الفصل.

(٢) كان ذلك في ١٥/ ١/ ١٦٤ ق. م على ما يذكرون.

http://kotob.has.it

وهي كلمة عبرية معناها العبور، لأنهم عبروا البحر، ويُسمَّى بعيد الفطير أيضاً، لأنهم يأكلون فيه فطيراً قبل أن يختمر، كما فعل أجدادهم عند خروجهم من مصر، فقد حملوا معهم العجين قبل اختماره.

وتبدأ الاحتفالات به من اليوم الخامس عشر من شهر أبيب، وهو الشهر الأول من الشهور العبرية، ويقابل شهر نيسان، وتستمر سبعة أيام، وفي ليلة الاستعداد ـ أي: في مساء الرابع عشر من الشهر ـ تذبح كل عائلة خروفاً، وتلطخ قائمتي باب البيت وعتبته بدمه، ثم تشويه دون أن تكسر عظمة منه، ثم تأكله مع الفطير والأعشاب المرة داخل البيت، ولا يجوز أكله نيئاً ولا مطبوخاً، وإنما يؤكل مشوياً بأكمله، كما لا يجوز أخذ شيء من لحمه خارج المنزل، وإذا بقي شيء من لحمه إلى الصباح أحرقوه.

جاء في سفر الخروج ١٢/ ١٤ ـ ٢٠: ويكون لكم هذا اليوم تَذكاراً، فتعيِّدونه عيداً للرب في أجيالكم فريضة أبدية، سبعة أيام تأكلون فطيراً، اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم، فمن أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تُقطع تلك النفس من إسرائيل، ويكون لكم في اليوم الأول محفَل مقدَّس، وفي اليوم السابع محفل مقدَّس، لا يعمل فيه عمل ما إلا ما تأكله كل نفس، وتحفظون الفطير، لأني في هذا اليوم أخرجت أجنادكم من مصر، فتحفظون هذا اليوم. في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر منه مساء تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادي والعشرين من الشهر مساء، سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم، الغريب مع مولود الأرض، لا تأكلوا شيئاً مختمراً، في جميع مساكنكم تأكلون فطيراً.

١٢/ ٤٣ ـ ٥١: وقال الرب لموسى وهارون: هذه فريضة الفِصح، كلُّ ابنِ غريب لا يأكل منه، ولكن كل عبدِ رجل، مبتاع بفضة، تختنه ثم يأكل منه، النزيل والأجير لا يأكلان منه، في بيت واحد يؤكل، لا تخرج من اللحم من البيت إلى خارج، وعظماً لا تكسروا منه، كل جماعة إسرائيل يصنعونه، وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للربِّ، فليختتنْ منه كل ذكر، ثم يتقدَّم ليصنعه، فيكون كمولود الأرض، وأما كل أغلف فلا يأكل منه، تكون شريعة واحدة لمولود الأرض وللنزيل النازل بينكم ـ ـ وكان في ذلك اليوم عينه أنَّ الربَّ أخرج بني إسرائيل من مصر.

http://kotob.has.it

إذاً، فليس للغرباء أن يشاركوا اليهود في أكل الفصح إلا بعد أن يتهوَّدوا.

وجاء في سفر العدد ٩/ ١ ـ ٣: وكلَّم الرب موسى في برية سيناء في السنة الثانية لخروجهم من مصر، في الشهر الأول قائلاً: ليعمل بنو إسرائيل الفصح في وقته، في اليوم الرابع عشر من هذا الشهر بين العشاءين، تعملونه في وقته حسب كل فرائضه وأحكامه.

٩/ ٩ ـ ١٤: كل إنسان منكم أو من أجيالكم كان نجساً لميت أو في سفر بعيد فليعمل الفصح في الشهر الثاني في الرابع عشر، بين العشاءين على فطير ومُرار يأكلونه، لا يبقوا منه إلى الصباح، ولا يكسروا عظماً منه، من كان طاهراً وليس في سفر وترك عمل الفصح تقطع تلك النفس من شعبها، لأنها لم تُقرب قربان الربّ في وقته، وإذا نزل عندكم غريب فليعمل فِصحاً للرب حسب فريضة الفصح وحكمه، فريضة واحدة تكون للغريب ولوطني الأرض.

وجاء في سفر التثنية ١٦/ ١ ـ ٨: احفظ شهر أبيب واعمل فِصحاً للرب، لأنه في شهر أبيب أخرجك من مصر ليلاً، فتذبح غنماً وبقراً في المكان الذي يختاره الرب ليحِلَّ اسمه فيه، لا تأكل عليه خميراً، سبعة أيام تأكل عليه فطيراً، خبزَ المشقة، لأنك بعجلة خرجت من مصر، لكي تذكر يوم خروجك كل أيام حياتك، ولا يُرَ عندك خمير في جميع تخومك سبعة أيام، لا يَبِت شيء من اللحم الذي تذبح مساء في اليوم الأول إلى الغد ـ هناك تذبح الفصح مساء نحو غروب الشمس في ميعاد خروجك من مصر، وتطبخ وتأكل في المكان الذي يختاره الرب إلـٰهك، ثم تنصرف في الغد وتذهب إلى خيامك، ستة أيام تأكل فطيراً، وفي اليوم السابع اعتكاف للرب إلـٰهك، لا تعمل فيه عملاً.

ويبدأ الاحتفال فيه من عند كبير العائلة، فيذكر قصة الخروج من مصر بثلاث صيغ، صيغة للكبار، وصيغة للصغار المدركين، وسيرة مختصرة ومسلية للأطفال، وتكثر في هذا العيد الحكايات عن النبي إيلياء الذي يزعمون أنه صعد إلى السماء، ويضعون له كرسياً خالياً انتظاراً لمجيئه، ويضعون أمامه كأساً من الخمر مع قطعة من لحم الخروف المشوي ليأكل ويشرب إن جاء.

ويبعدون الخمير عن بيوتهم، ومن أكل مختمراً في تلك الفترة يُقتل.

http://kotob.has.it

● **عجن الفطير بدم غير يهودي**: وفي عهود انتشار السحر التي تسمى (الكابالا) أدخلوا إلى احتفالات هذا العيد طقساً جديداً يعبر عن حقدهم، ألا وهو خطف شخص ممن يعتقدون أنه عدو لليهود وذبحه ثم تصفية دمه ووضعه مع الفطير وتوزيعه على معابدهم، وبعد بعثة عيسى ـ عليه السلام ـ أصبح دم النصراني هو المفضَّل عندهم، ولا سيما الطفل الذكر، وبعد ظهور الإسلام اختطفوا بعض المسلمين، غير أنهم لا يزالون يفضّلون دم النصراني إن وجد. وقد رويت حوادث كثيرة من هذا القبيل في أوروبة، وأهل الشام بين مصدِّق ومكذِّب إلى أن ظهرت فضيحة قتل القس البادري توما الكوجي، وهو من رعايا فرنسة، فقد دخل هو وخادمه إبراهيم أمارة إلى حارة اليهود في دمشق، وكان ذلك قرب عيد الفطير، الواقع في(٢)ذي الحجة (١٢٥٥هـ)، وشهر شباط عام (١٨٤٠م)، فاحتال عليهما سبعة من اليهود؛ أربعة من آل بيت الهراري، وثلاثة من الحاخامات، وأدخلوهما إلى بيت داود الهراري، وقتلوهما هناك للحصول على دمهما وعجن الفطير به وتوزيعه على المعابد ليأكله اليهود في عيد الفصح، وقد تمَّ كشف الأمر بوفور فطنة الحاكم العثماني شريف باشا والجنرال الفرنسي كونتي دي داتي منظون، واعترف الفاعلون وسُجِّلت الاعترافات، وشاهد الناس عظام ولحم القس وخادمه[1]. هذه هي مقومات الشعب المختار، وهذه هي هداياه للناس، أكل لحوم البشر وامتصاص دمائهم بعد قتلهم غيلة، وإذا كان الناس منذ عهد قريب يعيبون على بعض القبائل الإفريقية عادة أكل لحوم البشر، وتتنصَّل تلك القبائل منها، وتدَّعي أنَّ أفراداً قلائل فعلوها قديماً، وليست القبيلة، فماذا يقول الشعب المختار؟.

والدم الذي يسفكونه ليستعملوه في أعيادهم نوعان:

أ ـ المسفوك بعذاب متنوع، أو على الأقل بألم اعتيادي حسب ظروف الزمان والمكان، فهذا يلزم لعيد الفصح.

ب ـ المسفوح على وجه القتل البسيط، وهذا يكون لعيد الوريم[2].

---

(١) انظر كتاب: حصن الوجود، ص٣٣٦ ـ ٣٣٧ و٣٤٢ و٣٦٨ و٣٩٤؛ وانظر: أباطيل التوراة: ١/ ٣٠٣ـ٣٠٤ و٣٠٨ـ٣١٨.

(٢) الحاشية على حصن الوجود.

http://kotob.has.it

هذا ما ابتدعه أحبار اليهود ليجعلوا في قلوب عامّتهم كره غيرهم، وينزعوا من قلوبهم الرحمة، ويدفعوهم إلى الجريمة، مع أنَّ توراتهم لا تنص على عجن الفطير بدم غير يهودي.

جاء في سفر الأحبار ٢٣/ ٤ ـ ٨: هذه مواسم الرب المحافل المقدَّسة التي تنادون بها في أوقاتها، في الشهر الأول في الرابع عشر منه، بين العَشاءين فصح للرب، وفي الخامس عشر منه عيد الفطير، سبعة أيام تأكلون فطيراً، في اليوم الأول يكون محفل مقدَّس، عملاً من الشغل لا تعملوا، وسبعة أيام تُقرِّبون وقوداً للرب، في اليوم السابع يكون محفل مقدَّس، عملاً ما لا تعملوا.

هذا هو سفر الأحبار، وهذا هو حقدهم، فكي يطفأ؟.

جاء في سفر حزقيال ٣٣/ ٢٥: لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب (أدوناي): تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم، وتسفكون الدم، أفترثون الأرض؟!.

٣ ـ عيد الحصاد وجمع الغلات:

جاء في سفر الخروج ٢٣/ ١٤ ـ ١٩: ثلاث مرات تُعيِّد لي في السنة، تحفظ عيد الفطير، تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أبيب، لأن فيه خرجت من مصر، ولا يظهروا أمامي فارغين، وعيد الحصاد أبكار غلاتك التي تَزرع في الحقل، وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل. ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب. لا تذبح على خمير دم ذبيحتي، ولا يبت شحم عيدي إلى الغد، أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلـٰهك.

٤ ـ عيد الغفران:

جاء في سفر الأحبار ١٦/ ٢٩ ـ ٣١: ويكن لكم فريضة دهرية، أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم، وكلَّ عمل لا تعملون، لأنه في هذا اليوم يكفِّر عنكم، لتطهيركم من جميع خطاياكم، أمام الرب تطهرون، سبت عطلة هو لكم، وتذللون نفوسكم، فريضة دهرية.

http://kotob.has.it

١٦/ ٣٤ : وتكون هذه لكم فريضة دهرية للتكفير عن بني إسرائيل من جميع خطاياهم مرة في السنة.

وفي ٢٣/ ٢٦ ـ ٢٩ : أما العاشر من الشهر السابع فهو يوم الكفارة، محفَلاً مقدَّساً يكون لكم، تذللون نفوسكم وتُقرِّبون وقوداً للربّ، عملاً ما تعملوا في هذا اليوم عينه، لأنه يوم كفارة أمام الرب، إن كل نفس لا تتذلل في هذا اليوم عينه تقطع من شعبها.

٢٥/ ٩ : ثم تُعبِّر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر في يوم الكفارة في جميع أرضكم.

٥ ـ عيد المظال :

جاء في سفر الأحبار ٢٣/ ٣٣ ـ ٣٦ : وكلم الرب موسى قائلاً : كلّم بني إسرائيل قائلاً : في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعةَ أيام للرب، في اليوم الأول محفل مقدَّس، عملاً ما لا تعملوا، سبعة أيام تقرّبون وقوداً للرب، في اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدَّس، تقربون وقوداً للرب، إنه اعتكاف.

٢٣/ ٣٩ ـ ٤٣ : أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه تجمعون غلة الأرض، تعيدون عيداً للرب سبعة أيام ــ تعيدونه عيداً للرب سبعة أيام في السنة فريضة دهرية في أجيالكم في الشهر السابع، في مظال تسكنون سبعة أيام ــ في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من مصر.

وجاء في سفر التثنية ١٦/ ١٣ ـ ١٧ : تعمل لنفسك عيد المظال سبعة أيام عندما تجمع من بيدرك ومن معصرتك ــ سبعة أيام تعيد للرب في المكان الذي يختاره ــ ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب إلـٰهك في المكان الذي يختاره في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال، ولا يحضروا أمام الرب فارغين، كل واحد حسبما تعطي يده.

هذا هو تحكم الأحبار في العامة، وهذا هو استغلالهم.

* * *

http://kotob.has.it

[٢]
تشديدهم الإصر على أنفسهم

حرَّمت عليهم التوراة مناكحة غيرهم من الأمم، لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام، وحرَّمت عليهم أيضاً أكل ذبائح الأمم التي يذبحونها قرباناً لأصنامهم، لأنه قد ذُكر عليها غير اسم الله. فأما الذبائح التي لا تُذبح قرباناً، فلم تنطق التوراة بتحريمها، بل قد نصَّت على إباحة تناول المأكول من يد غيرهم من الأمم.

جاء في سفر التثنية ٢/ ٤ ـ ٥: وأوصَى الشعب قائلاً: أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سِعير فيخافون منكم، فاحذروا جدّاً، لا تهجموا عليهم، لأني لا أعطيكم من أرضكم ولا وطأة قدم.

٢/ ٦: طعاماً تشترون منهم بالفضَّة لتأكلوا، وماء أيضاً تبتاعون منهم بالفضة لتشربوا.

غير أن حكماءهم (الحاخاميم) حرموا عليهم في التلمود مؤاكلة الأجانب الذين على غير ملَّتهم، وحظروا عليهم أكل اللحمان من ذبيحة من لم يكن على دينهم. واختلقوا أيضاً كتاباً سموه (هلكت شحيطا) أي: علم الذباحة، ووضعوا فيه مسائل فقهية نسبوها إلى موسى ـ عليه السلام ـ شدَّدوا فيها على أنفسهم، فأمروا الذي قدَّ الذبيحة أن ينفخ الرئة حتى تمتلئ هواء، ثم يتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب فيها؟ فإن خرج الهواء منها أو كان بعض أطرافها ملتصقاً ببعض حرموا الذبيحة، ويأمرونه أيضاً أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه، فإن وجد القلب ملتصقاً إلى الظهر أو أحد الجانبين، ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرَّموها ولم يأكلوها، وسموها (طريفاً) يعنون أنه لحم نجس لا يجوز أكله.

وهذه التسمية هي أول التعدّي، فإنَّ معناها: الفريسة، أي: ما يفترسه الوحوش، وإنما تكون الفريسة في الصحراء ونحوها.

http://kotob.has.it

جاء في سفر التكوين ٣٧/ ٣٣: في قصة يوسف أنَّ يعقوب قال لأولاده عندما عرضوا عليه قميص يوسف الملطخ بالدم: (شهو طارف طوارف يوسف) أي: وحش رديء أكله، افترس يوسف افتراساً.

وجاء في سفر الأحبار ١٧/ ١٥ ـ ١٦: وكلُّ إنسان يأكل ميتة أو فريسة، وطنياً كان أو غريباً، يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويبقى نجساً إلى المساء، ثم يكون طاهراً.

فهذا هو التعدّي من حاخاماتهم في تفسير (طريفا)، ثم اختلقوا من عند أنفسهم الأحكام التي تتعلّق بالرئة والقلب فقالوا: ما كان من الذبائح سليماً وقد توفرت فيه تلك الشروط، فهو (دخيا) أي: طاهر، وما لم تتوفر فيه فهو (طريفاً) أي: نجس حرام[1].

والأدهَى من ذلك والأمرّ أنَّ اليهودَ مبدَّدون في الأرض، فما من جماعة منهم في بلدة إلا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد أخرى يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في التورع والاحتياط، فإن كان من المتفقهين شرع في إنكار أشياء عليهم، وأوهمهم التنزه عما هم فيه، ونسبهم إلى قلَّة الدين. ويكون قصده بذلك إما الرياسة عليهم وإما تحصيل غرض منهم، ولا سيما إنْ أراد المقام بينهم أو التدبير عندهم، فتراه أول ما ينزل عندهم لا يأكل من أطعمتهم ولا من ذبائحهم، ويتأمل سكين ذابحهم، وينكر عليهم بعض أمره، ويقول: أنا لا آكل إلا من ذبيحة يدي. فتراهم معه في عذاب، لا يزال ينكر عليهم الحلال والمباح، ويوهمهم تحريمه بإسنادات يخترعها حتى لا يشكُّوا في ذلك.

فإن وصل بعد مدة طويلة من أهل بلده من يعرف أنه كاذب في تلك الإسنادات فلا يخلو من أن يوافقه أو يخالفه: فإن وافقه فإنما يوافقه ليشاركه في الرياسة الناموسية التي حصلت له، وخوفاً من أن يُكذَب إن خالفه وينسب إلى قلَّة الدين، وأيضاً فإن القادم الثاني في أكثر الأحيان يستحسن ما اعتمده القادم الأول من تحريم المباحات وإنكار المحلَّلات ويقول: لقد عظَّم الله ثواب فلان إذ قوَّى ناموس الشرح في قلوب هذه الجماعة، وشيَّد سياجه. وإذا لقيه على انفراد يشكره

(١) بذل المجهود، ص١٨٣ ـ ١٩٣.

http://kotob.has.it

ويجزيه خيراً ويقول: لقد زيَّن الله بك أهل بلدنا. وإن خالفه فيما أنكر عليهم وضيَّق لم يبق أحد من الجماعة يستنصحه أو يصدّقه، بل ينسبه جميعهم إلى قلَّة الدين، لأن هؤلاء القوم يعتقدون أيضاً أنَّ الدين والحق مع من يضيق عليهم، ولا ينظرون هل لديه دليل أولاً، ولا يبحثون عن كونه مُحقّاً أو مُبْطِلاً.

ذاك هو حال القادم إلى بلد من متفقِّهة اليهود، فأما إن كان القادم أحد الأحبار فهناك ترى العجب من الناموس الذي يعتمده والسنن التي يحدثها ويلحقها بالفرائض ولا يقدر أحد على الاعتراض عليه، بل تراهم مستسلمين له، وهو يجتلب بحيلة درهمهم، حتى لو بلغه أن بعض أحداث اليهود جلس على قارعة الطريق في يوم السبت، أو اشترى لبناً من غير يهودي أو خمراً، لبّبه[1] وسبَّه في مجمع من يهود المدينة، وأباحهم عرضه، ونسبه إلى قلَّة الدين[2].

* * *

---

(١) لبَّبه: أخذ بتلابيبه.

(٢) بذل المجهود، ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

http://kotob.has.it

[٣]
تحليلهم صوراً من الزنى

لا ريب أن التوراة تحرم الزِّنَى والشذوذ الجنسي ونكاح المحارم وإتيان البهائم وسائر الفواحش، وتشدِّد في العقوبة. ولعل من بقايا الوحي ما يلي:

المحرمات:

جاء في سفر الخروج ٢٠/ ١٤: لا تزنِ، و٢٠/٧: لا تَشْتَهِ بيت قريبك، لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك.

وفي سفر اللاويين ١٨/ ٦ ـ ١٨: لا يقتربْ إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة. عورةَ أبيك وعورة أمك لا تكشف، إنها أمك لا تكشف عورتها، عورة امرأة أبيك لا تكشف، إنها عورة أبيك، عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها، عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها، إنها عورتك، عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها، إنها أختك، عورة أخت أبيك لا تكشف، إنها قريبة أبيك، عورة أخت أمك لا تكشف، إنها قريبة أمك، عورة أخي أبيك لا تكشف، إلى امرأته لا تقترب، إنها عورة عمك، عورة كنتك لا تكشف، إنها امرأة ابنك، لا تكشف عورتها، عورة امرأة أخيك لا تكشف، إنها عورة أخيك، عورة امرأة وبنتها لا تكشف، ولا تأخذ ابنة ابنها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها، إنهما قريبتاها، إنها رذيلة، ولا تأخذ امرأة على أختها للضر، لتكشف عورتها معها في حياتها.

١٨/ ١٩ ـ ٢٣: ولا تقترب إلى امرأة في نجاسة طمثها لتكشف عورتها، ولا تجعل مع امرأة صاحبك مضجعك لزرع، فتتنجس بها ـ ـ ولا تضاجع ذكراً مضاجعة امرأة، إنه رجس، ولا تجعل مع بهيمة مضجعك، فتتنجس بها، ولا تقف امرأة أمام بهيمة لنزائها، إنه فاحشة.

١٨/ ٢٦: تحفظون فرائضي وأحكامي ولا تعملون شيئاً من جميع هذه الرجَسَات، لا الوطني ولا الغريب النازل في وسطكم.

http://kotob.has.it

١٨/ ٢٩ : كل من عمل شيئاً من جميع هذه الرجسات تُقْطع الأنفس التي تعملها من شعبها.

العقوبات:

٢٠/ ١٠ ـ ٢١ : وإذا زَنَى رجل مع امرأة، فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يُقتَلان كلاهما، دمهما عليهما، وإذا اضطجع رجل مع كنته، فإنهما يقتلان كلاهما، قد فعلا فاحشة، دمهما عليهما، وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة، فقد فعلا كلاهما رجساً، إنهما يقتلان، دمهما عليهما، وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة، بالنار يحرقونه وإياهما، لكي لا يكون رذيلة بينكم، وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل، والبهيمة تميتونها، وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة إنهما يقتلان، دمهما عليهما، وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته، فذلك عار يقطعان أمام أعين بني شعبيهما، قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه، وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها، عرى ينبوعها، وكشفت هي ينبوع دمها، يقطعان كلاهما من شعبهما. عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف، إنه قد عرى قريبته يحملان ذنبهما، وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه، فقد كشف عورة عمه، يحملان ذنبهما، يموتان عقيمين، وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة، قد كشف عورة أخيه يكونان عقيمين.

٢١/ ٩ : وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها، بالنار تحرق.

وفي سفر التثنية ٢٢/ ١٣ ـ ٢١ : إذا اتخذ رجل امرأة وحين دخل عليها أبغضها، وأشاع عنها اسماً ردياً، وقال: لما دنوت منها لم أجد لها عذرة. يأخذها أبواها إلى شيوخ المدينة إلى الباب، ويخرجان علامة عذرتها، ويبسطان الثوب أمامهم، فيأخذ الشيوخ الرجل ويؤدبونه ويغرمونه بمئة من الفضة، ويعطونها لأبي الفتاة، لأنه أشاع اسماً ردياً عن عذراء من إسرائيل، فتكون له زوجة، ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه. ولكن إن كان الأمر صحيحاً، لم توجد عذرة للفتاة، يخرجونها إلى باب بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة

http://kotob.has.it

حتى تموت، لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها فتنزع الشر من وسطك.

٢٢/٢٢ ـ ٣٠: إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان. إذا كانت عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا؛ من أجل أن الفتاة لم تصرخ في المدينة، والرجل أذل امرأة صاحبه، ولكن إن وجد الرجل المخطوبة في الحقل وأمسكها واضطجع معها يموت الرجل وحده، وليس على الفتاة خطية للموت، وجدها في الحقل فصرخت، فلم يكن مَن يخلّصها. وإذا وجد رجل عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوجدا، يعطي الرجل لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون له زوجة، لأنه أذلها، ولا يقدر أن يطلقها كل أيامه. لا يتخذ رجل امرأة أبيه، لا يكشف ذيل أبيه.

وكانت عقوبة الرَّجْم تنفذ على الحيوانات أيضاً، ويبدأ بالعقوبة الشهود. غير أنَّ الأحبار غيَّروا وبدَّلوا وأحلّوا وحرَّموا مستندين إلى ما قامت به راحاب الزانية وما فعلته أستير ويهوديت، فكتبوا في التلمود ما يلي:

١ ـ اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية، لأن كل عقد نكاح على الأجانب فاسد، والمرأة غير اليهودية مثل البهيمة، والعقد لا يوجد بين البهائم.

٢ ـ لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات.

٣ ـ لليهودي أن يسلِّم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها.

٤ ـ الزنى بغير اليهوديات وفعل الفاحشة (الشذوذ) بغير اليهود لا عقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات.

٥ ـ ليس للمرأة أن تبدي أي شَكْوى إذا زنى زوجها بأجنبية في المسكن المقيم فيه مع زوجته، لأنه لم يزنِ إلا بحيوان لا كرامة له.

٦ ـ إتيان الزوجة من الخلف جائز، لأن الزوجة مثل قطعة لحم اشتراها من

http://kotob.has.it

الجزار، ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته[1].

لقد خالفوا توراتهم مخالفةً فاحشة، فإنها تحرم إتيان البهائم وتعاقب على ذلك بالرجم، لكنها شهوات العنصريين واستخفاف الأحبار بعقول الناس.

* * *

---

(١) أباطيل التوراة: ١/ ٣٣٩.

http://kotob.has.it

[٤]
تسارع العوام إلى قبول ألاعيب الأحبار

وضع الأحبار أنفسهم بمرتبة فوق الأنبياء، وكان مما أجمعوا عليه أنَّ من شتم الله تعالى أو شتم الأنبياء يؤدَّب، ومن شتم الأحبار يُقتَل[١]. ففضَّلوا أنفسهم على الأنبياء، وكان من نتيجة ذلك أن تسارعت عقول العامة إلى قبول كل باطل تأتيهم به الأحبار، مع أنَّ الخبث والدهاء لا ينقصهم، غير أنهم مع حاخاماتهم بُلَهاء، بسبب اعتقادهم أنهم الشعب المختار، فجمعوا بين النقطتين. ومن تلك الألاعيب ما يلي:

١ ـ ذكر ابن حزم أنه وجد في بعض كتبهم أن دينة بنت يعقوب إذ غصبها شكيم بن حمور وزنى بها حملت وولدت ابنة، وأنّ عُقاباً خطف تلك الفرخة من الزنى وحملها إلى مصر، ووقعت في حجر يوسف، فرباها وتزوّجها.

٢ ـ وذكر أيضاً أنَّ بعض أحبارهم المعظَّمين عندهم ذكر لهم أنه رأى طائراً يطير في الهواء، وأنه باض بيضة وقعت على ثلاث عشرة مدينة، فهدمتها كلها[٢].

٣ ـ وأشنع من هذا كله ما نقلوه عن كثير من أحبارهم المتقدّمين أن رجلاً اسمه إسماعيل، كان يمشي في خراريب بيت المقدس إثر خراب البيت بعد أن خربه تِيْطس، فسمع اللهَ سبحانه يئن كالحمامة، ويبكي وهو يقول: الوَيْلُ لمن خرب بيته، وضعضع ركنه، وهدم قصره وموضع سكينته، وَيْلي على ما أخربت من بيتي، وَيْلي على ما فرقت من بَنيَّ وبناتي، قامتي منكسة حتى أبني بيتي، وأرد إليه بني وبناتي. قال لهم إسماعيل: فأخذ الله بثيابي وقال لي: أسمعتني يا ابني يا إسماعيل قلت: لا يا ربّ. فقال لي: يا ابني إسماعيل بارك علي. فباركت عليه ومضيت.

فهل قامته منكسة منذ عام (٧٠م) إلى اليوم؟ وهل يحتاج إلى مباركة عبد من عبيده؟!.

---

(١) الفَصْل، ص٣٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص٣٢١ ـ ٣٢٢.

http://kotob.has.it

٤ ـ ويزعم الربَّانيُّون أنه في ليلة عيد الكبود (الكبير)، وهي العاشرة من شهر تشرين الأول يقوم (الميططرون) ـ أي: الرب الصغير ـ ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلاً قليلاً: وَيْلي إذ خرَّبت بيتي، وأيتمت بني وبناتي، قامتي منكسة لا أرفعها حتى أبني بيتي وأرد إليه بني وبناتي[١].

٥ ـ ذكر السموءل بن يحيى المغربي المتوفى عام (٥٧٠هـ)[٢] أنه نشأ محتال من شبان اليهود في سواد المَوْصل، يقال له: مناحيم بن سليمان، ويعرف بابن الروحي، وكان جميل الصورة وقد تفقَّه في دينهم، وكان ثمَّة جمهور من اليهود ساكنين بالناحية المعروفة بالعمادية من بلاد المَوْصل، وكان المتولّي لقلعة هناك زميل لذلك المحتال، وقد أحبَّه وأحسن اعتقاده فيه لما توهم فيه من ديانة تظاهر بها، وكان يسعى إلى زيارته، فطمع المحتال فيه واستضعف عقله، فتوهَّم أنه يتمكن من الوقوف على القلعة وأخذها، فتبقى له معقلاً حصيناً، فكتب إلى اليهود القرَّائين المتفرقين بنواحي أذربيجان وما والاها، وذكر في كتابه أنه قائم، وقد غار لليهود من أيدي المسلمين، وخاطبهم بأنواع المكر والخديعة. ومما جاء في بعض فصول كتبه التي رأيتها: ولعلكم تقولون هذا لأي شيء قد استنفرنا؟ لحرب أم لقتال؟ لا، لسنا نريدكم لحرب ولا لقتل، بل لتكونوا واقفين بين يدي هذا القائم ليراكم هناك من يغشاه من رسل الملوك الذين ببابه.

وفي أواخر الكتاب: ينبغي أن يكون مع كل واحد منكم سيف أو غيره من آلات الحرب، ويخفيه تحت أثوابه. فاستجاب له يهود الأعاجم وأهل نواحي العمادية وسواد الموصل، ونفروا إليه بالسلاح المستتر حتى صار عنده منهم جماعة كثيفة، وكان متولِّي القلعة لحسن ظنِّه به يظن أن أولئك القادمين إنما جاؤوا لزيارة ذلك الحَبْر الذي ظهر لهم في بلده، إلى أن انكشف له مطامعهم، وكان حليماً عن سفك الدماء، فقتل صاحب الفتنة المحتال وحده، أما الباقون فتهاجوا مُدْبرين بعد أن ذاقوا وبال المشقّة والخسارات والفقر. ولم تنكشف هذه القصة لهم مع ظهورها لكل ذي عقل، بل هم ـ أي: يهود العمادية ـ إلى الآن

---

(١) المصدر السابق، ص٣٢٦ـ٣٢٨.

(٢) بذل المجهود، ص٢٠٤.

http://kotob.has.it

يفضِّلونه على كثير من أنبيائهم، ومنهم من يعتقد أنَّه المسيح المنتظر بعينه، وفي تلك الولاية جماعة منهم على دين ينسبونه إلى مناحيم المحتال، ولقد رأيت جماعة من يهود الأعاجم بخوى وسلماس وتبريز ومراغة قد جعلوا اسمه قَسمهم الأعظم.

ولما وصل الخبر إلى بغداد اتفق شخصان من محتالي اليهود ودواهي مشيختهم، فزوَّروا على لسان مناحيم كتباً إلى بغداد تبشّرهم بالفرج الذي كانوا قديماً ينتظرونه، وأنه يعين لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين إلى بيت المقدس. فانقاد اليهود البغداديون إليهما مع ما يدّعونه من الذكاء ويفخرون به من الخب، انقادوا بأسرهم إلى تصديق ذلك، وذهبوا بنسوانهم وأموالهم وحليهم إلى ذَيْنك الشيخين ليتصدقا به على من يستحق بزعمهما، وصرف اليهود جُلَّ أموالهم في هذا الوجه، واكتسبوا ثياباً خضراً، واجتمعوا في تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران بزعمهم على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس، وارتفع من النساء بكاء على أطفالهن المرتضعين خوفاً من أن يَطِرْن قبل طيران أولادهن، أو يطير أطفالهن قبلهن، فيجوع الأطفال بتأخر الرضاع.

وتعجَّب المسلمون هناك مما اعترى اليهود حينئذٍ، بحيث أحجموا عن معارضتهم حتى تكشف آثار مواعيدهم العرقوبية، فما زالوا متهافتين إلى الطيران إلى أن أسفر الصباح عن خذلانهم وامتهانهم، ونجا ذانك المحتالان بما وصل إليهما من أموال اليهود، وانكشف لهم بعد ذلك وجه الحيلة، فسَمَّوا ذلك العام عام الطيران، وصاروا يعتبرون به سني كهولهم والشبان، وهو تاريخ البغداديين من المتهوِّدة في هذا الزمان، فكفاهم هذا الأمر عاراً دائماً وشناراً ملازماً.

٦ ـ لما زالتْ دولتهم وتفرّق جمعهم جمع لهم عَزْراً من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفَّق منه هذه التوراة التي في أيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيمه غاية المبالغة، فلقبوه عزرا الكاتب (هوفير)، وزعموا أنَّ النور إلى الآن يظهر على قبره الذي عند البطائح التي بالعراق[١].

٧ـ في عام (١٦٢٦م) ولد في مدينة سميرنا إحدى بلاد آسية الصغرى مولود

(١) بذل المجهود، ص١٣٤ و١٧٣ ـ ١٧٤.

http://kotob.has.it

ذكر دُعي اسمه شابيتاي زيفي، اتجه منذ نشأته إلى دراسة الدين اليهودي، ثم تخرج في مدرسة الرابيين وهو ابن ثمانية عشر عاماً، وعندما اشتهر بين الناس غطى وجهه بغطاء متمثّلاً بموسى. ثم جاء شابيتاي إلى القدس ليدرس على يدي أبراهام ناثان بن أليشع الذي درس التوراة بعمق، وتَفَوَّق في التفسير، فكوَّن لنفسه رؤية خاصة، فتبنَّى شابيتاي زيفي وشرح له رؤيته، وفي عام (١٦٤٨م) أعلن زيفي بالاتفاق مع ناثان أنه المسيا المنتظر، فأركبه نان حصاناً ودار به حول غزة، وعين له سفراء في كل قبائل إسرائيل حول العالم، وقام بإرسال كتاباته إلى يهود العالم، فقبله بعضهم ورفضه آخرون.

وفي عام (١٦٦٥م) كتب ناثان رسالة مطوَّلة وضع فيها برنامج المسيا، بيَّن فيها أنَّ المسيا سيقوم باجتياح تركية وأخذ تاج السلطان العثماني وجعله خادماً له، وبعد ذلك يتجه إلى نهر الأردن ليجمع الأسباط المشتتة، ثم تزوج من فتاة عمرها ثلاث عشرة سنة، تُدعى راحيل، ادَّعى أنَّها ابنة موسى ـ عليه السلام ـ وقد عادت إلى الحياة من جديد. وأخيراً خرج على الناس بإعلان جديد ذكر فيه أن يوم الخلاص هو (١٨) حزيران عام (١٦٦٦م)، وفيه سيخضع السلطان العثماني والعالم كله له ولأتباعه.

بدأ يهود العالم في نهاية (١٦٦٥م) يتجاوبون مع نداء ناثان، فتجمَّعوا في فرانكفورت وبراغ وإستانبول وأمستردام يصومون ويصلّون راكعين على ركبهم العارية في الثلج، وقد باع الكثيرون منهم ممتلكاتهم وذهبوا إلى الأراضي المقدَّسة أملاً في رؤية المسيا هناك، بل آمن بعضهم بأنهم سوف ينقلون إلى أرض الموعد في السحاب.

ولا ريب أن الأخبار وصلت إلى السلطات العثمانية، ففي شهر شباط عام (١٦٦٦م) وصلت سفينة زيفي إلى تركية من أجل إخضاع السلطان العثماني، ليجد في انتظاره من ينتظره ويقبض عليه ويزجّه في السجن[1].

* * *

(١) عن كتاب: الاختراق الصهيوني للمسيحية، للقس إكرام لمعي، ص٦٨ ـ ٧١.

http://kotob.has.it

خاتمة المطاف

لا رَيْبَ أنَّ الله سبحانه فضَّل صالحي بني إسرائيل على عالمي زمانهم، فكانوا هم الأمة المختارة في ذلك الوقت، وكان هذا التفضيل مَنُوطاً بصلاحهم واستقامتهم وإحسانهم، ولا رَيْب أيضاً أنَّ الله تعالى وعدهم بالأرض المباركة، وأمر موسى ـ عليه السلام ـ أن يخرج بهم من مصر ويدخل بهم الأرض المقدَّسة، ثم دخلوها مع يوشع فتى موسى ـ عليهما السلام ـ وكان هذا الوعد أيضاً منوطاً بصلاحهم واستقامتهم وحبِّهم الحقّ واتّباعهم له، فإذا غيَّروا ما بأنفسهم غيَّر الله حالهم، لكنهم بتأثير من أحبارهم أصابهم الغرور في التفضيل، فركنوا إلى الوعد وتناسوا الشرط والتهديد، وزَعَموا أنَّ التفضيل مَنَحهم إياه إلـٰههم (يَهْوه)، وهو منسحب إلى يوم القيامة مهما فعلوا، وادَّعَوا أنه وَعَد يعقوب ـ عليه السلام ـ أنْ يُعطي ذريَّته الأرض التي اختارها لهم واختارهم لها ملكاً أبدياً لا ينازعهم فيها أحد ولو خرجوا منها، ويحق لهم أن يطردوا السكان الآخرين منها حتى لا يكونوا مناخس في أجنابهم، فإما أن يرحلوا أو يُقتلوا ويُبادوا مع أولادهم، وهم يتوسَّعون في حدود تلك الأرض مستندين إلى نصوص اضطرابُها واضح وتضاربُها مكشوف بسبب التحريف.

وهكذا غرَّر أحبار اليهود وزعماؤهم بالعامة، فأخذوا من النبوءات ما يختص بالتفضيل والأرض والعَوْدة إليها بعد السبي، وفسروها بأنَّ الله تعالى أراد لهم ذلك بغضِّ النظر عن فسادهم وإفسادهم، وأخْفَوا النصوص التي تحذِّر من العقوبة التي تنتظرهم إن خالفوا، مع أنه لا زال في توراتهم وسائر أسفارهم رغم التحريف والتشويه نصوص تدل على انصراف الاختيار عنهم بعد أن أثبتوا أنّهم غير أهل لذلك.

وجاء الإسلام، وعرفوا صفات خاتم النبيين المبشَّر به كما يعرفون أبناءهم، غير أنهم كتموها وطمسوا الحقائق عن العامة، وأنزل الله القرآن الكريم على النبي الأمي محمد ـ ﷺ ـ فظهر للناس من فمه الطَّهور، فوعوه وحفظوه

http://kotob.has.it

وكتبوه، وكان مما نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] أي: يوضِّح لهم كثيراً مما اختلفوا فيه من أمور الدنيا والآخرة، فهو يحكي تاريخهم ويعرض مواقفهم من أنبيائهم، ويذكر مشاهد من كفرهم وعصيانهم وعدوانهم والعقوبات التي نزلت بهم، ويكشف طبائعهم ويفضح أسرار حكمائهم وتلاعبهم بنصوص أسفارهم زيادة ونقصاناً وتحريفاً للكلم عن مواضعه وغير ذلك، ويفنِّد أقوالَهم، ويحذِّر عامة اليهود منهم بأسلوب جمع الوضوح والاختصار والعِظَة.

ومن اطَّلع على أسفار اليهود وسائر كتبهم أصيب بالدهشة من نسبتها إلى السماء وتسميتها مقدَّسة، إذ ليس فيها من الدعوة إلى السموّ الروحي والخلقي إلا النَّزْر اليسير المغطَّى بركام كثيف من الافتراءات التي وضعها أحبارهم إبَّان البحث عن الأسفار المفقودة وجمعها في أثناء السبي وبعده، بل تكاد تكون خالية من ذكر الآخرة وما فيها من ثواب على فعل الخير وصنع المعروف مع الناس والعفو عنهم ونصحهم، أو عقابٍ على فعل الشر وارتكاب المعاصي وإيذاء الناس، وفيها أيضاً من فحش الكلام وسوء العبارة ما يترفع الناس العاديون عن التلفظ بأقل منه مع بعضهم، فكيف إذا كان مع الله سبحانه ومع أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وفي حقهم؟.

لقد خاطب أحبارهم ربَّ العالمين بعبارات نابية وعلى وجه لا يليق بجلاله، ووصفوه بصفات الضَّعف والنقص، واتهموا الأنبياء بالجرائم الاجتماعية والخلقية الفاحشة، ووصوفوهم بالخسّة والدناءة التي يترفع عنها الإنسان السويّ، ويأباها من له مِسْكَة من عقلٍ ومروءة، فجعلوهم لصوصاً مخادعين وكذّابين مُجْرمين وزُناة محترفين، وقُساة متعطشين لسفك الدماء، يقتلون النساء والأطفال والرضع والشيوخ والبهائم، ويحرقون الدور ويتلفون الزروع وغير ذلك مما فيه إرهاب وبطش وإبادة وجرائم حرب تأباها الإنسانية نفَّذوها في خصومهم.

ويرى الباحثون والمحقّقون أنَّ تلك القصص التي ملؤوا بها أسفارهم لا حقيقة لها، وإنما هي من تلفيق الأحبار ووضعهم، ليبرّروا لأنفسهم ما يفعلون، وليدفعوا العامَّة إلى تنفيذ ما يخطِّطون مُضْفين عليه الصفة الشرعية، فإنه إذا كان

http://kotob.has.it

الأنبياء يفعلون تلك الموبقات فأمثالها حلال لهم بموجب العهود والمواثيق التي قطعها الله لهم، وجعلهم شعبه المختار، بل أبناءه وأحبَّاءه.

ولما لم تتحقق لهم السيادة على العالم كما أمَّلهم أحبارهم، بل حدث العكس بسبب ردَّتهم وقتلهم الأنبياء، فأذلَّهم الله وسلَّط عليهم غيرهم من الأمم، فطردوهم من فلسطين، وشردوهم في الأرض، امتلأت نفوسهم بالحقد على البشر، فانعزلوا عن الناس، وعاشوا في أحياء خاصَّة بهم تسمى (الجيتو)، وطفقوا يمكرون ويكيدون ويستغلون إلى أن لعبوا لعبتهم واستعطفوا الناس، فصنعوا الصهيونية النصرانية التي يحركونها من وراء الأكمة، وأقاموا دولتهم في فلسطين المحتلة على دماء وتشريد وآلام شعب كامل، طالت معاناته.

ومن الجدير بالتنبيه أنَّ اليهود عندما كانوا مُضْطَهدين في القرن الماضي كانوا يتشدّقون بتعاليم أخلاقية متبقية في أسفارهم، يختبئون خَلْفها، مثل ما ورد في سفر الأحبار ١٩/ ٢٣ ـ ٢٥: «إذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم، وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء في مصر، لا ترتكبوا جَوْراً في القضاء، لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل». ولعل هذا وأمثاله من بقايا الوحي، غير أنَّ الحاخامات كانوا يلقّنونهم النفاق، فيقولون: إذا دخل غير اليهوديّ بيت اليهوديّ فليكرمه، لكن عندما يخرج من عنده فعليه أن يقول: فليحلَّ على رأس هذا الذي خرج من بيتي كل نوع من الأمراض والأحزان والأحلام الرديئة التي كانت مزمعة أن تحلّ بي أو بأحد من أهل بيتي[1].

ومن أساليبهم الحديثة التستُّر وراء المبادئ، فهم ينادون بحرية الفكر وتحرير المرأة وحقوق الإنسان، وتعليم الأطفال وعدم إقحامهم في العمل قبل الرشد وتنظيم النسل، وغير ذلك مما ظاهره إنساني وحقيقته سياسي يحققون من ورائه أغراضهم. ومَنْ نظر بتمعن إلى الدول التي تتظاهر بالحرص على الحقوق والحريات وجدها ممَّا لهم نفوذ خفي عليها، ويتخذونها مطيّة لتحقيق أغراضهم، ومن نظر إلى الدول المتهمة بانتهاك الحقوق والحرية وجد أن التركيز إنما هو على الدول العربية والإسلامية، وما عدا ذلك فلذر الرماد في العيون، ولذلك قال

---

(١) حصن الوجود، ص٣٤٨.

http://kotob.has.it

بعض المتتبعين لحالهم وتاريخهم: أمرهم مبني على المؤامرات منذ القدم، والمؤامرة عندهم بذورها توراتهم، وجذورها تلمودهم، وجذورها بروتوكولاتهم، وفروعها الهيئات الدولية التي يصنعونها، وأوراقها جميع وسائل الإعلام، وثمارها الإلحاد والانحلال.

* * *

http://kotob.has.it

المحتوى

الموضوع — الصفحة

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الباب الثاني
مغالطة أرض الميعاد

http://kotob.has.it

الفصل الثالث: ذرية إبراهيم في أرض كنعان ١٦٩

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الباب الثالث
المسجد الأقصى ومغالطة الهيكل

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

القسم الثاني

أسفار اليهود والسمو الروحي والخلقي

الباب الأول

مجانبة أسفارهم للسمو الروحي والخلقي

http://kotob.has.it

الباب الثاني
افتراؤهم على الأنبياء

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الباب الثالث

فضائح حكماء صهيون

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

* * *

http://kotob.has.it